عدة الصابرين

وذخيرة الشاكرين

تصنيف الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب

ابن قيم الجوزية

نسخة محققة مقابلة على نسخة خطية كاملة

حققه وخرج أحاديثه

أبو عائشة محمد بن الششتاوي

أشرف على تحقيقه وقدم له

فضيلة الشيخ / مصطفى العدوي

دار ابن رجب




عدة الصابرين
وذخيرة الشاكرين

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع
٢٠٠٥/١٠٣٤٧
الترقيم الدولي: 1 - 068 - 390 - 977

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ / مصطفى العدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

فهذا كتاب « **عدة الصابرين** » للعلامة الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى رحمة واسعة – وأسكنه فسيح جناته ، ذلكم الكتاب الطيب النافع قام أخونا في الله : **محمد بن الششتاوي** – حفظه الله – بتخريج أحاديثه وآثاره والحكم عليها بما تستحقه صحة أو ضعفا فجزاه الله خيرا ، وقد قمت معه بمراجعة عمله فألفيته في الجملة نافعاً ، فبارك الله فيه ، ووفقه لمواصلة طلب العلم .

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين .

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن خير الحديث كلام الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وبعد .

فإن هذا الكتاب النافع في مادته التي لا غنى للعبد المسلم عن الامتثال لها ألا وهي مادة الصبر والشكر ، وهذا الكتاب من بعض خلاصة ما عند مؤلفه - رحمه الله تعالى - ونفعنا الله بعلمه وجمعنا وإياه مع النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فإن ابن القيم - رحمه الله تعالى - من العلماء الربانيين الذين جعلهم الله وخصهم بالبحث عن أماكن الآلام الموجودة في أجساد عباد الله الغائبة عنهم حتى إذا نظرت في مؤلفاته وجدت الداء الذي عندك ووجدت الدواء منه فجزاه الله خير الجزاء وأسكنه فسيح جناته إنه هو السميع العليم ، وقد عرض عليّ شيخنا الفاضل مصطفى بن العدوي نفع الله به وبارك له في ذريته أن أستعين بالله في تحقيق ما في هذا الكتاب الطيب من الأحاديث والآثار فأعانني الله عليه وأعطاني بعض ما عنده من نعمة الصبر إلى حين الانتهاء من التحقيق ، ولم أتعرض لشيء من مادة الكتاب فأنا ليس عندي الجرأة على مثل هذا العالم الفذ لكي أتعقبه في مسائله ولست أهلاً لذلك ولست بفقيهًا إنما أنا طالب علمٍ واتبعت في تحقيقي القواعد الحديثية التي وضعها علماء الحديث المتقدمين فما أصبت في شيء فمن الله ﷻ وما أخطأت في شيء فمن نفسي والشيطان ولكل جواد كبوة ، ونسأل الله السلامة وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه وأن يجعله في ميزان الحسنات إنه مجيب الدعاء وهو عليم بذات الصدور .

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو عائشة

محمد بن الششتاوي

سمنود - غربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الصبور . العلي الكبير . السميع البصير . العليم القدير شملت قدرته كل مقدور ، وجرت مشيئته في كل خلقه بتصاريف الأمور ، وأسمعت دعوته اليوم الموعود أصحاب القبور . قدر مقادير الخلائق وآجالهم ، وكتب آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معايشهم وأموالهم .

قدر الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور . القاهر القادر . فكل عسير عليه يسير ، وهو المولى النصير فنعم المولى ونعم النصير : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾

[التغابن : ١ - ٤]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً جل عن التشبيه والنظير وتعالى عن الشريك والظهير وتقدس عن تعطيل الملحدين عن شبه المخلوقين ، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من بريته وصفوته من خليقته ، وأمينه علة وحيه وسفيره بينه وبين عباده أعرف الخلق به وأقومهم بخشيته ، وأنصحهم لأمته ، وأصبرهم لحكمه ، وأشكرهم لنعمه ، وأقربهم إليه وسيلة ، وأعلاهم عنده منزلة وأعظمهم عنده جاها ، وأوسعهم عنده شفاعة . بعثه الله إلى الجنة داعيا ،

وللإيمان مناديًا ، وفي مرضاته ساعيًا ، وبالمعروف آمرًا وعن المنكر ناهيًا ، فبلغ رسالات ربه وصدع بأمره ، وتحمل في مرضاته ما لم يتحمله بشر سواه [١/ ب] وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه ، فثبت في مقام الصبر حتى لم يلحقه أحد من الصابرين ، وترقى في درجة الشكر حتى علا فوق جميع الشاكرين ، فحمدًا لله وملائكته ورسله وجميع المؤمنين وكذلك خص بلواء الحمد من بين جميع العالمين ، فآدم تحت لوائه وكذلك من دونه من الأنبياء والمرسلين ، وجعل الحمد فاتحة كتابه الذي أنزله عليه كذلك فيما بلغنا هو في التوراة والإنجيل ، وجعله آخر دعوى أهل ثوابه الذين هداهم على يديه ، وسمى أمته الحمّادين قبل أن يخرجهم إلى الوجود لحمدهم له على السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، وجعلهم أسبق الأمم إلى دار الثواب والجزاء ، فأقرب الخلق إلى لوائه أكثرهم حمدًا لله وذكرا ، وكما أن أعلاهم منزلة أعظمهم صبرًا وشكرًا فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع المؤمنين عليه كما وحد الله وعرّف به ودعا إليه . وسلم تسليما كثيرًا .

أما بعد

فإن الله سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكبو ، وصارمًا لا ينبو ، وجندًا غالبًا لا يهزم ، وحصنًا حصينًا لا يهدم ولا يثلم ، فهو والنصر أخوان شقيقان لا يفترقان .

رَضِيعيْ لِبانِ ثَـدْيِ أُمٍّ تَقَاسَما　　　بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا يتفرقُ

فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب ، واليسر مع العسر ، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد ، ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم الكتاب أنه يوفيهم

أجرهم بغير حساب ، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين ، فقال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] فذهب الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة ، وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة [٢/ أ] وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين ، فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤]

وأخبر أن الصبر خير لأهله خبرًا مؤكدًا باليمين ، فقال تعالى : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦]

وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط فقال تعالى : ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] وأخبر عن نبيه يوسف الصديق أن صبره وتقواه أوصلاه إلى محل العز والتمكين فقال : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] وعلق الفلاح بالصبر والتقوى ، فعقل عنه المؤمنون ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]

وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين ، فقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون ، فقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥-١٥٧]

وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين فقال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون فقال تعالى : ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١١] وأخبر أن الرغبة في ثوابه والإعراض عن الدنيا وزينتها لا يلقاها إلا أولو الصبر المؤمنون فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾ [القصص : ٨٠] وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم فقال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤][٢/ ب] وأن هذه الخصلة لا يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وأخبر سبحانه خبرًا مؤكدًا بالقسم ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٢- ٣] ، وقسم خلقه قسمين أصحاب ميمنة ، وأصحاب مشأمة ، وخص الميمنة أهل التواصي بالصبر والمرحمة وخص بالانتفاع بآياته أهل الصبر والشكر تمييزا لهم بهذا الحظ الموفور ، فقال في أربع آيات من كتابه ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] ، وعلق المغفرة والأجر بالعمل الصالح والصبر ، وذلك على من يسره الله عليه يسير فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود : ١١]

وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور ، فقال : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] وأمر رسوله ﷺ

بالصبر لحكمه وأخبر أن الصبر إنما هو به وبذلك جميع المصائب تهون ، فقال : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] وقال : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٧ - ١٢٨]

والصبر آخية المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها ، وميثاق إيمانه الذي لا اعتماد له إلا عليها ، فلا إيمان لمن لا صبر له وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف ، وصاحبه ممن يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ولم يحفظ منهما إلا بالصفقة الخاسرة ، فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم ، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فصل

ولما كان الإيمان نصفين : نصف صبر ونصف شكر ، وكان حقيقًا[٣/١] على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين ، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين ، وأن يجعل سيره إلى الله من هذين الجناحين ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين .

فلذلك وضع هذا الكتاب للتعريف بشدة الحاجة والضرورة إليهما ، وبيان توقف سعادة الدنيا والآخرة عليهما فجاء كتابًا جامعًا حاويًا نافعًا ، فيه من الفوائد ما هو حقيق على أن يعض عليه بالنواجذ ، وتثني عليه الخناصر ، ممتعًا لقارئه مريحًا للناظر فيه مسليًا للحزين ، منهضًا للمقصرين محرضًا

للمشمرين مشتملًا على نكات حسان من تفسير القرآن ، وعلى أحاديث نبوية معزوة إلى مظانها ، وآثار سلفية منسوبة إلى قائلها ، ومسائل فقهية مقررة بالدليل ، ودقائق سلوكية على سواء السبيل ، لا تخفى معرفة ذلك على من فكر وأحضر ذهنه فإن فيه ذكر أقسام الصبر ووجوه الشكر وأنواعه ، وفصل النزاع في التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر وذكر حقيقة الدنيا وما مثلها الله ورسوله والسلف الصالح به والكلام على سير هذه الأمثال ومطابقتها لحقيقة الحال وذكر ما يذم من الدنيا ويحمد ، وما يقرب منها إلى الله ويبعد وكيف يشقى بها من يشقى ويسعد بها من يسعد وغير ذلك من الفوائد التي لا تكاد تظفر بها في كتاب سواه وذلك محض منة مَنَّ الله على عبده وعطية من بعض عطاياه ، فهو كتاب يصلح للملوك والأمراء والأغنياء والفقراء والصوفية والفقهاء ، ينهض القاعد إلى المسير ويؤنس السائر في الطريق وينبه السالك على المقصود ، ومع هذا فهو جهد المقل وقدرة المفلس حذر فيه من الداء وإن كان من أهله ، ووصف فيه الدواء وإن لم يصبر على تناوله لظلمه وجهله ، وهو يرجو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أن يغفر له غيه [٣/ ب] لنفسه بنصيحته لعباده المؤمنين ، فما كان في الكتاب من صواب ، فمن الله وحده وهو المحمود والمستعان ، وما كان فيه من خطأ فمن مصنفه ومن الشيطان ، والله برئ منه ورسوله وهذه بضاعة مؤلفه المزجاة تساق إليك ، وسلعته تعرض عليك فلقارئة غنمه وعلى مؤلفة غرمه ، وبنات أفكاره تزف إليك ، فإن وجدت حرًّا كريمًا كان بها أسعد وإلا فهي خود[1] تزف إلى عنين مقعد ، وقد جعلته ستة وعشرين بابًا وخاتمة .

---

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق (لسان العرب في مادة : خود) .

الباب الأول: في معنى الصبر لغة واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها .

الباب الثاني: في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه .

الباب الثالث: في بيان أسماء الصبر بالإضافة إلى متعلقه .

الباب الرابع: في الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة .

الباب الخامس: في أقسام الصبر باعتبار محلة .

الباب السادس : في أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه ومقاومته لجيش الهوى وعجزه عنه .

الباب السابع : في بيان أقسامه باعتبار متعلقه .

الباب الثامن: في انقسامه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به .

الباب التاسع : في بيان تفاوت درجات الصبر .

الباب العاشر : في انقسام الصبر إلى محمود ومذموم .

الباب الحادي عشر : في الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام .

الباب الثاني عشر : في الأسباب التي تعين على الصبر .

الباب الثالث عشر : في بيان إن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال .

الباب الرابع عشر : في بيان أشق الصبر على النفوس .

الباب الخامس عشر : في ذكر ما ورد في الصبر من نصوص الكتاب العزيز .

الباب السادس عشر : في ذكر ما ورد فيه من نصوص السنة [٤/ أ]

الباب السابع عشر : في ذكر الآثار الواردة عن الصحابة في فضيلة الصبر

الباب الثامن عشر : في ذكر أمور تتعلق بالمصيبة من البكاء والندب وشق الثياب ودعوى الجاهلية ونحوها .

الباب التاسع عشر : في أن الصبر نصف الإيمان وأن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر .

الباب العشرون : في بيان تنازع الناس في الأفضل من الصبر والشكر .

الباب الحادي والعشرون : في الحكم بين الفريقين والفصل بين الطائفتين .

الباب الثاني والعشرون : في اختلاف الناس في الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل وما هو الصواب في ذلك .

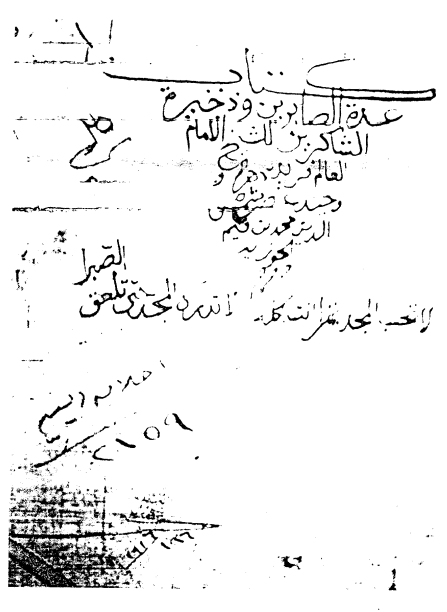
الباب الثالث والعشرون : في ذكر ما احتجت به الفقراء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر ما احتجت به الأغنياء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار .

الباب الخامس والعشرون : في بيان الأمور المضادة للصبر ، والمنافية له ، والقادحة فيه .

الباب السادس والعشرون : في بيان دخول الصبر والشكر في صفات الرب جل جلاله وتسميته بالصبور الشكور .

وسميته « **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** » والله المسئول أن يجعله خالصًا لوجهه مدنيا من رضاه وأن ينفع به مؤلفه وكاتبه وقارئه إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .



غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الصبور الشكور العلي الكبير السميع البصير
العليم القدير الذي شملت قدرته كل مقدور وجرت
مشيئته في كل خلقه بتصاريف الأمور وأسمعت دعوته
اليوم الموعود أصحاب القبور قدر مقادير الخلائق وآجالهم وكتب
آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معايشهم وأموالهم وخلق الموت والحياة
ليبلوهم أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور القاهر القادر بكل
تسيير لتدبير وهو المولى النصير فنعم المولى ونعم النصير يسبح له ما
في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون
بصير خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صو
ركم وإليه المصير يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون و
ما تعلنون والله عليم بذات الصدور وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له إلها جل عن الشبيه والنظير وتعالى عن
الشريك والظهير وتقدس عن تعطيل الملحدين وعن شبه الممثلين
فيه فليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله وخيرته من بريته وصفوته من خليقته وأ
مينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده أعرف الخلق به وأقومهم
بخشيته وأنصحهم لأمته وأصبرهم لحكمه وأشكرهم لنعمه وأقربهم إليه و
سيلة وأعلاهم عنده منزلة وأعظمهم عنده جاها وأوسعهم
عنده شفاعة بعثه الله إلى الخلق داعيا وللإيمان مناديا و
في مرضاته ساعيا وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا فبلغ الرسالة
رسالات ربه وصدع بأمره وتحمل في مرضاته ما لم يتحمله بشر سواه
وقام

الورقة الأولى من المخطوط

وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه فثبت
في مقام الصبر حتى لم يلحقه أحد من الصابرين ورقي
في درجة الشكر حتى علا فوق جميع الشاكرين فحمده الله
وملائكته ورسله وجميع المؤمنين وكذلك خص بلواء الحمد
من بين جميع المرسلين فآدم تحت لوائه وكذلك من دونه من
الأنبياء والمرسلين وجعل الحمد فاتحة كتابه الذي أنزله عليه
كذلك فيما بلغنا هو في التوراة والإنجيل وجعله آخر دعوى أهل
ثم إن الله الذين هداهم على يديه وسمى أمته الحمادين قبل
أن يخرجهم إلى الوجود لحمدهم له على السراء والضراء والشدة
والرخاء وجعلهم أسبق الأمم إلى دار الثواب فهم الآخرون في
الخلق ولأنه أكثرهم حمدا لله وذكرا كان أعلاهم منزلة أعظمهم
صبرا وشكرا فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع
المؤمنين عليه كما وحد الله وعرف به ودعا إليه وسلم تسليما كثيرا
أما بعد فإن الله سبحانه جعل الصبر جوادا لا يكبو
وصارما لا ينبو وجندا غالبا لا يهزم وحصنا حصينا لا
يهدم ولا يثلم فهو والنصر أخوان شقيقان لا يفترقان
رضيعي لبان ثدي أم تقاسما بأسحم داج عوض لا يتفرق فا
لنصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وهو أنصر
لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ومحله من الظفر
كمحل الرأس من الجسد ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم
الكتاب أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب وأخبر أنه معهم
بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين فقال تعالى واصبروا
إن الله مع الصابرين فذهب الصابرون بهذه المعية
بخير الدنيا والآخرة وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة

الورقة الثانية من المخطوط

بخدمته والالسنة في ذكره والثناء عليه باوصاف مدحته فاهل
شكره اهل زيادته واهل ذكره اهل مجالسته واهل طاعته اهل
كرامته واهل معصيته لا يقنطهم من رحمته ان تابوا فهو حبيبهم وان
لم يتوبوا فهو طبيبهم يبتليهم بانواع المصايب ليكفر عنهم الخطايا ويطهرهم
من المعايب انه غفور شكور والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا
مباركا كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله حمدا
يملا السموات والارض وما بينهما وملا ما شاء ربنا من شيء بعد وصلى
الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وعلى ساير
الانبياء والمرسلين ورضي الله عن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين
ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وحسبنا الله ونعم الوكيل
علقه الفقير الى ربه واسير ذنبه واحوج عباد الله الى مغفرته ورحمته
ولطفه واحسانه وعفوه عبد الرحمن بن عبد العزيز العويد ضحوة
السبت من شهر ذي القعدة سنة ١٣١٣ من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الورقة الأخيرة من المخطوط

الباب الأول

في معنى الصَّبر لغةً ، واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها

أصلُ هذه الكلمة هو : المنْعُ والحبْسُ فالصَّبرُ : حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الجزَعِ ، واللِّسانِ عَنِ التَّشَكّي والتَسخُّطِ ، والجوارحِ عن لَطْمِ الخدودِ ، وشَقِّ الثِّيابِ ، ونحوهما .

ويقال : صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا [٤/ ب] ، وَصَبَرَ نَفْسَهُ ؛ قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ... ﴾ [الكهف : ٢٨]

وقال عنترة :

فَصَبَرْتُ عَارِفةً لِذلكَ حُـرَّةً   تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الجبَـانِ تَطلَّعُ

يقول : حَبَسْتُ نَفْسًا عارِفَةً ، وهي نَفْسُ حُرٍّ تأنفُ لا نَفْس عَبْدٍ لا أَنَفَةَ له ، وقوله : تَرْسُو ؛ أي : تَثْبُت وَتَسْكُن إذا خفت نفسُ الجبانِ واضطربت .

ويقال : صَبَرْتُ فلانا إذا حَبَسْتُهُ ، وَصَبَّرته - بالتشديد - إذا حَمَلْتهُ على الصَّبرِ .

وفي حديث الذي أمسكَ رَجُلًا وَقَتَلَه آخر : ((يُقْتَلُ القَاتِلُ ، وَيُصْبَرُ الصَّابِرُ))[١] ؛ أي : يُحبسُ للموتِ كما حَبَس من أَمْسَكهُ للموتِ ، وَصَبَرْتُ الرَّجُلَ إذا قَتَلْته صبرًا ؛ أي : أَمْسَكْته للقتلِ ، وصبرته أيضًا وأصبرته إذا حبسته للحلف .

ومنه الحديث الصحيح ((**مَنْ حَلفَ عَلَى يَمينِ صَبْرٍ ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وَهُو عَنهُ مُعْرِضٌ**))[٢].

---

(١) **مرسل**: عبد الرزاق (١٧٨٩٢ - ١٧٨٩٥ مصنف) ، الدارقطني (٣/ ١٤٠ - ١٧٧ سنن) ، البيهقي (٨/ ٥٠ السنن الكبرى) ، من طريق معمر بن راشد ، وابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز) ، (وسفيان الثوري) كلهم عن إسماعيل بن أمية (ابن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي) مرسلاً ، وأخرجه الدارقطني (٣/ ١٤٠ - ١٧٦ سنن) ، والبيهقي (٨/ ٥٠ السنن الكبرى) من طريق سفيان الثوري عن إسماعيل بن أمية الأموي عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا ، رجح الدارقطني والبيهقي (الإرسال) ، وصحح ابن القطان (الوصل) والإرسال فيه أكثر - تلخيص الحبير ٤/ ١٥) .

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٥٤٩) مسلم (١٣٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا .

ومنه الحديث الذي في القسامة : ((وَلاَ يَصْبِرْ يَمِينهُ حَيْثُ تُصْبَرُ الأَيمانُ))[1]

والمصبورةُ : اليمِينُ المحْلوفُ عليها .

وفي الحديث : ((نهى عن المصبورة))[2] ؛ وهي : الشاة ، والدجاجة ، ونحوهما تصبر للموت ؛ فتربط ثم فترمى حتى تموت .

وفعل هذا الباب : صَبَرْتُ أَصْبِر بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل ، وأما صَبَرت أَصْبُر بالضم في المستقبل ؛ فهو بمعنى : الكفالة ، والصَّبِيرُ : الكفيل كأنّه حَبَس نفسه للغُرم ، ومنه قولهم : أَصْبَرَنِي ؛ أي : جعلني كفيلًا .

وقيل : أصل الكلمة من الشدَّةِ والقُوَّةِ ، ومنه الصبرُ للدواءِ المعروفِ ؛ لِشدَّةِ مَرَارتِهِ وكَرَاهَتِهِ .

قال الأصمعي : إِذَا لَقِي الرجلُ الشِّدَّةَ بكمالِها ، قيل : لقيها بأصبارها .

ومنه الصُّبور بضم الصاد للأرض ذات الحصباء لشدتها وصلابتها .

ومنه سُمِّيت الحَرَّةُ أم صبّار .

ومنه قولهم : وَقَعَ القَوْمُ في أَمْرٍ صَبُّور بتشديد الباء أي أمر شديد .

ومنه صبارة الشتاء بتخفيف الباء وتشديد الراء لشدة برده .

وقيل : هو مأخوذ من الجمعِ والضَّمِّ ؛ فالصابرُ يجمعُ نفسَهُ[٥/ أ] ويَضُمُّها عن الهَلَعِ والجزع ، ومنه صُبْرة الطعام ، وصبارة الحجارة .

والتحقيق : أنّ في الصَّبرِ المعاني الثلاثة : المنع ، والشِّدَّة ، والضَّم .

ويقال : صَبَرَ إذا أتى بالصبر ، وَتَصَبَّرَ إذا تَكَلَّفه واستدعاه ، واصطَبَر إذا اكتَسَبَهُ وَتَعَلَّمَهُ ، وصَابَر إذا وقف خصمه في مقام الصبر ، وصَبَّرَ نفسه وغيره بالتشديد إذا حملها على الصبر .

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٨٤٥) ، النسائي (٨/ ٢) من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا (جزء من حديث القسامة) التي كانت في الجاهلية .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٥١٣) ، مسلم (١٩٥٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا بلفظ ((نهى رسول الله ﷺ أن تُصْبَرَ البهائِمُ)) .

واسم الفاعل : صابر ، وصَبَّار ، وصَبُور ، ومُصَابِر ، ومُصطَبِر ، فَمُصَابِر من صَابَر ، ومُصْطَبِر من اصطَبَر ، وصَابر من صَبَرَ ، وأمَا صبَّار وصَبُور فهو من أوزانِ المبالغةِ من الثلاثي كضَرَّاب وضَروب ، والله سبحانه أعلم .

الباب الثاني
في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه

قد تقدم بيان معناه لغةً .

وأما حقيقتهُ فهو : خُلُقٌ فَاضِلٌ من أَخْلاَقِ النَّفْسِ [يمتنعُ بِهِ مِن فِعْلِ مَا لا يَحْسُن ولا يَجْمُل ، وهو قُوَّةٌ من قُوى النَّفْسِ][1] التي بها صلاحُ شأنها ، وقوامُ أمْرِها .

وسئل عنه الجُنَيدُ بن محمد ؛ فقال : تَجَرُّعُ المرارةِ من غير تَعَبُّس .

وقال ذو النون : هو : التباعدُ عن المخالفات ، والسكونُ عند تَجَرُّعِ غَصَصِ البَلِيَّةِ ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة .

وقيل : الصَّبرُ : هو الوقوفُ مع البلاء بحسن الأَدبِ .

وقيل هو : الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى .

وقال أبو عثمان : الصبَّار : هو الذي عَوّد نفسَه الهجومَ على المكاره .

وقيل : الصبر : المقام على البلاء بحُسْنِ الصُّحْبَةِ كالمقام مع العافيةِ .

ومعنى هذا : أنّ لله على العبدِ عبوديتَه في عافيتِهِ وفي بلائهِ ؛ فعليه أن يُحسِنَ صُحْبَةَ العافيةِ بالشُّكْرِ ، وصحبَةَ البلاءِ بالصبرِ .

وقال عمرو بن عثمان المكي : الصبرُ : هَو الثباتُ مع الله ، وتلقي بلاءَه بالرَّحبِ والدَّعَةِ .

ومعنى هذا : أنه يتلقى البلاءَ بصدْرٍ واسعٍ لا يتلقاه بالضِّيقِ والسَّخطِ والشَّكوى .

---

(١) زيادة في المطبوع .

وقال الخواص : الصبرُ : الثباتُ على أحكام الكتابِ والسنةِ .

وقال رويم : الصبرُ : تركُ الشَّكوى . فَسّرَهَ بلازِمِه .

وقال غيره : الصبرُ : هو الاستعانةُ [٥/ ب] بالله .

وقال أبو علي : الصبر كاسمه .

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : الصبرُ مطيةٌ لا تكبو .

وقال غيره وهو أبو محمد الجريري : الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما .

قلت : وهذا غير مقدورٍ ولا مأمورٍ به ؛ فقد ركَّب الله الطباعَ على التفريقِ بين الحالتين ، وإنما المقدورُ حبسُ النفسِ عن الجزعِ لا استواء الحالتين عند العبدِ ، وساحةُ العافيةِ أوسَعُ للعبد من ساحةِ الصَّبرِ ، كما قال النبيﷺ في الدُّعاء المشهورِ : « إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي »[1].

ولا يناقض هذه قوله ﷺ : « **وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ** »[2] ؛ فإن هذا بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع من الصبر ، وأما قبله فالعافية أوسع له منه .

وقال أبو علي الدقاق : حدُّ الصبرِ ألا يعترضَ على التقدير ، فأما إظهارُ البلاءِ على غيرِ وجهِ الشكوى فلا ينافي الصَّبرَ . قال الله تعالى في قصة أيوب : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ﴾ [ص : ٤٤] مع قوله تعالى : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ [الأنبياء : ٨٣]

قلت : فسر اللفظة بلازمها

وأما قوله : على غير وجه الشكوى ؛ فالشكوى نوعان :

أحـدهما : الشكوى إلى الله ، فهذا لا ينافي الصـبر ؛ كما قال يعقوب : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ

---

(١) **ضعيف** : أخرجه الطبراني (١٠٣٦ الدعاء) ، وأيضًا (١٨١ قطعة الجزء ١٣) ، ابن عدي (٦/ ١١١ الكامل) من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما مرفوعًا .

في إسناده محمد بن إسحاق بن يسار (صاحب السير) عن هشام بن عروة عن أبيه به . قال الحافظ ابن حجر في التقريب (٥٧١٤) : صدوق يدلس . **قلت** : ولم يصرح فيه بالسماع . ا. هـ

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (١٤٦٩) ، مسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا .

بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ مع قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف : ١٨ ، ٨٣] ، وقال أيوب : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ مع وصف الله له بالصبر . وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه : « اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي ... إلخ »[١].

ومقال موسى صلوات الله وسلامه عليه : « اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك »[٢].

والنوع الثاني: شكوى المبتلى بلسان الحال أو المقال ؛ فهذا لا يجامع الصبر بل يضاده ، ويبطله .

فالفرق بين شكواه والشكوى إليه ، وسنعود لهذه المسألة في باب : « **اجتماع الشكوى والصبر وافتراقهما** » إن شاء الله تعالى .

وقيل: الصّبرُ : شَجَاعةُ النَّفسِ .

ومن هاهنا أخذ القائل : الشجاعةُ [٦/ أ] صبرُ ساعةٍ .

وقيل: الصبرُ : ثباتُ القلب عند مواردِ الاضطراب .

والصبرُ والجـزعُ ضِدَّان ، ولهذا يقابل أحـدهما بالآخر ، قال تعالى عن أهـل النار : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم : ٢١]

والجزعُ قرينُ العجزِ وشقيقهُ ، والصبرُ قرينُ الكَيْسِ ومادته ؛ فلو سُئل الجَزَعُ : مَن أبوك ؟ لقال : العجز ، ولو سُئل الكَيْس من أبوك ؟ لقال : الصّبرُ .

والنفسُ مطيةُ العبدِ التي يسيرُ عليها إلى الجنةِ أو النارِ ، والصبرُ لها بمنْزلة الخطامِ والزّمامِ للمطية ، فإن لم يكن للمطيةِ خطامٌ ولا زمامٌ شرَدَت في كلِّ مذهب .

وحُفِظَ مِنْ خُطَبِ الحجّاج : اقرعـوا هذه النفوسَ ؛ فإنها طليعة إلى كل سوء ، فرحم الله امرءًا جعل لنفسه خطامًا وزمامًا ؛ فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وصرفها بزمامها

(١) ضعيف سبق تخريجه .

(٢) في سنده من لم أعثر على ترجمته ، الطبراني (٣٤١٨ الأوسط - ١/ ١٢٢ صغير) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً . في إسناده زكريا بن فرج التمار ، لم أقف على ترجمته .

عن معصية الله ، فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه .

قلت : والنفس فيها قوتان : قوة الإقدام ، وقوة الإحجام ، فحقيقةُ الصبرِ أن يجعلَ قوةَ الإقدامِ مصروفةً إلى ما ينفعه ، وقوة الإحجام إمساكًا عما يضُرُّه .

ومنَ الناسِ من يكونُ قوةُ صبرِه على فعل ما ينتفع به وثباته عليه أقوى من صبره عما يضره ؛ فيصبر على مشقة الطاعة ولا صبر له عن داعي هواه إلى ارتكاب ما نهي عنه .

ومنهم من يكون قوة صبره عن المخالفاتِ أقوى من صبرهِ على مشقةِ الطاعاتِ .

ومنهم من لا صبرَ له على هذا ولا هذا .

وأفضلُ الناس أصبرهم على النوعين ؛ فكثير من الناس يصبرُ على مكابدةِ قيامِ الليلِ في الحرّ والبردِ ، وعلى مشقةِ الصيامِ ، ولا يصبرُ على نظرةٍ محرمةٍ ، وكثيرٌ من الناسِ يصبرُ عن النظرِ ، وعن الالتفاتِ إلى الصورِ ، ولا صبرَ له على الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ وجهادِ الكفارِ والمنافقين ، بل هو أضعفُ شيءٍ عن هذا وأعجزه ، وأكثرهم لا صبر له على واحدٍ من الأمرين ، وأقلهم أصبرهم في الموضعين .

وقيل :[٦/ ب] الصبرُ : ثباتُ باعثِ العقلِ والدينِ في مقابلةِ باعث الهوى والشهوةِ .

ومعنى هذا : أن الطبعَ يتقاضى ما يجب ، وباعث العقل والدين يمنع منه ، والحربُ قائمةٌ بينهما وهي سِجالٌ ، ومَعرَكُ هذا الحربِ قلبُ العبدِ والصبرُ والشجاعةُ والثباتُ .

الباب الثالث
في بيان أسماء الصبر بالإضافة إلى متعلقه

لما كان الصبرُ المحمودُ هو : الصبرُ النفساني الاختياري عن إجابةِ الهوى المذموم ، كانت مراتبه وأسماؤه بحسب متعلقه .

فإنه إن كان صبرًا عن شهوةِ الفرجِ المحرمةِ سُمي عِفّة ، وضدها الفجورُ والزنى والعُهْرُ .

وإن كان عن شهوةِ البطنِ وعـدمِ التسرُّعِ إلى الطعـامِ أو تناولِ ما لا يجمل منه سُمي

شَرَفَ نَفْسٍ وشبَعَ نَفْسٍ ، وسمي ضده شرهًا ودناءةً ووضاعةَ نفسٍ .

وإن كان عن إظهارِ ما لا يحسنُ إظهارُه من الكلامِ سمي كتمانَ سرٍّ ، وضده إذاعةً وإفشاءً أو تهمةً أو فحشًا أو سبًّا أو كذبًا أو قذفًا .

وإن كان عن فضولِ العيشِ سمي زهدًا ، وضدُّه حرصًا .

وإن كان على قَدر يكفي من الدنيا سمي قَناعةً ، ويضادها الحرص أيضًا .

وإن كان عن إجابة داعي الغضب سُمِّي حلما وضده تسرعًا أيضًا .

وإن كان عن إجابةِ داعي العَجَلةِ سمي وقارا وثباتا ، وضده طيشا وخِفَّةً

وإن كان عن إجابة داعي الفرارِ والهربِ سمي شجاعةً ، وضده جُبنًا وخَوْرًا .

وإن كان عن إجابة داعي الانتقامِ سمي عفوًا وصفحًا ، وضده انتقامًا وعقوبةً .

وإن كان عن إجابة داعي الإمساكِ والبخلِ سمي جودًا ، وضده بخلًا .

وإن كان عن داعي الطعامِ والشرابِ في وقتٍ مخصوصٍ سمي صومًا .

وإن كان عن إجابة داعي العجزِ والكسلِ سمي كيسًا .

وإن كان عن إجابة داعي إلقاءِ الكَلِّ على الناسِ وعدم حمل كَلِّهم سمي مروءةً .

فله عند كل فعل وتركٍ اسمٌ يخصه بحسب متعلقه ، والاسم الجامع لذلك كله الصبر .

وهذا يَدُلُّكَ على ارتباطِ مَقاماتِ الدِّينِ كُلِّها [٧/ أ] بالصبر من أولها إلى آخرها ، ولذا يسمّى عدلًا إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين وضده الظلم ، ويسمى سماحةً إذا تعلق ببذلِ الواجبِ والمستحب بالرضا والاختيارِ ، وعلى هذا جميعُ منازلِ الدِّينِ .

الباب الرابع

في الفرقِ بين الصبر والتّصبُّر والاصطبار والمُصابَرةِ

الفَرقُ بين هذه الأسماء بحسب حالِ العبدِ في نفسِه وحالِهِ معَ غيره ، فإن حَبَسَ نَفسَهُ ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسنُ إن كان خُلُقًا له ومَلَكة سمي صبرًا . وإن كان بتَكَلُّفٍ وتمرنٍ وتَجَرُّعٍ لمرارتِه سمّي تَصَبُّرًا ؛ كما يدل عليه هـذا البناء لغةً ، فإنه موضـوعٌ

للتكَلُّفِ ؛ كالتحلمِ ، والتَّشَجُّعِ ، والتكرُّمِ ، ونحوها .

وإذا تكلفه العبدُ واستدعاه صار سَجِيةً له ؛ كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : ((**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**))(١) ، وكذلك العبد يتكَلَّفُ التَّعَفُّف حتى يصيرَ العفاف له سجية ، وكذلك سائر الأخلاقِ ، وهي مسألة اختلف فيها الناس هل يمكن اكتساب واحد منها أم التَّخلُّق لا يصيرُ خُلقًا أبدًا ؛ كما قال الشاعر .

يرادُ منَ القلـبِ نسيانُكُم وتَأْبى الطِّبـاعُ عَلى النَّاقِلِ

وقال آخر :

يا أَيُّها المُتَحَلِّـي غيرَ شِيمَتِهِ إِنَّ التَّخلُّـقَ يَأْتي دونَهُ الخُلُقُ(٢)

وقال الآخر : فضح التطبعُ شيمةَ المطبوعِ

قالوا : قد فرغ الله سبحانه وتعالى من الخُلُقِ والخَلْقِ ، والرزقِ ، والأجلِ .

وقالت طائفة أخرى : بل يمكن اكتساب الخُلُقِ كما يُكْتَسَبُ العقلُ والحلمُ والجودُ والسخاءُ والشجاعةُ ، والوجود شاهد بذلك .

قالوا : والمزاولات تعطي الملكات .

ومعنى هذا : أن من زاولَ شيئًا واعتاده وتمرّنَ عليه صار مَلَكةً له وسجيةً وطبيعةً .

قالوا : والعوائد تنقل الطبائع ؛ فلا يزالُ العبدُ يتكلَّفُ التَّصبُّرَ حتى يصيرَ الصبرُ له سَجِيَّةً ، كما أنه لا يزال يتكلَّف الحلمَ والوقـارَ والسكينةَ والثباتَ حتى تصير له أخـلاقًا بمنْزلة الطباع .

قالوا : وقد جعلَ اللهُ سبحانه وتعالى في الإنسان قوةَ القبولِ [٧/ ب] والتعلُّمِ والتهيؤ للكمال ؛ فنقْلُ الطباع عن مقتضياتها غير مستحيل ، غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفًا فيعود العبدُ إلى طبعِهِ بأدنى باعثٍ ، وقد يكون قويًّا ولكن لم ينتقل الطَّبْعُ انتقالًا تامًّا فقد يعودُ إلى طبعهِ إذا قـوي الباعثُ واشتد ، وقد يستحكم الانتقـال بحيث

---

(١) صحيح : سبق تخريجه .

(٢) زيادة في المطبوع .

يستحدث صاحبهُ طبعًا ثانيا ، فهذا لا يكادُ يعودُ إلى طبعِهِ الذي انتقل عنه .

وأما الاصْطِبارُ فهو أبلغ من التَّصَبُّرِ ؛ فإنه افتعالٌ للصبرِ بمنْزلةِ الاكتسابِ ، فالتصبرُ مبدأُ الاصطبار كما أنَّ التكسبَ مقدمةُ الاكتسابِ ، فلا يزالُ التصبرُ يتكررُ حتى يصيرَ اصطبارًا .

وأما المصابرةُ فهي مقاومةُ الخصمِ في ميدانِ الصبرِ ؛ فإنها مفاعلةٌ تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاتمةِ والمضاربةِ ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]

فأمرهم بالصبر وهو على حالِ الصابرِ في نفسِهِ ، والمصابرةُ وهي حاله في الصبر مع خصمه ، والمرابطة وهي الثباتُ واللزومُ والإقامةُ على التصبرِ والمصابرةِ ، فقد يصبرُ العبدُ ولا يُصَابِرُ ، وقد يصابرُ ولا يُرَابِطُ ، وقد يصبرُ ويصابرُ وقد يصابر ويرابطُ من غير تَعَبُّدٍ بالتقوى ، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى ، وأن الفلاحَ موقوفٌ عليها ، فقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فالمرابطةُ كما أنها لزومُ الثغرِ الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهي لزوم ثغر القلبِ ؛ لئلا يدخل منه الهوى والشيطان ؛ فيزيله عن مملكته .

الباب الخامس
في أقسامه باعتبار محله

الصبرُ ضربان : ضربٌ بدني ، وضربٌ نفساني ، وكلٌّ منهما نوعان : اختياري ، واضطراري ؛ فهذه أربعة أقسام :

الأول : البدني الاختياري ؛ كتعاطي الأعمالِ الشاقةِ على البدنِ اختيارًا وإرادةً .

الثاني : البدني الاضطراري ؛ كالصبرِ على ألمِ الضربِ والمرضِ والجراحاتِ والبردِ والحرِّ وغير ذلك .

الثالث : النفساني الاختياري[٨/ أ] ؛ كصبرِ النفسِ عن فعلِ ما لا يَحْسُنُ فِعلُه شرعًا

ولا عقلًا .

الرابع : النفساني الاضطراري ؛ كصبرِ النفسِ عن محبوبها قهرًا إذا حيلَ بينها وبينه .

فإذا عرفت هذه الأقسامَ فهي مختصةٌ بنوعِ الإنسانِ دون البهائمِ ، ومشاركةُ البهائمِ في نوعين منها وهما : صبر البدنِ والنفسِ الاضطراريين ، وقد يكون بعضُها أقوى صبرًا من الإنسان ، وإنما تميز الإنسان عنها بالنوعين الاختياريين ، وكثير من الناس يكون قوةُ صبرِه في النوع الذي يشاركه فيه البهائم لا في النوع الذي يختصُّ بالإنسانِ فيعدُّ صابرًا وليس من الصابرين .

فإن قيل : هل يشاركُ الجنُّ الإنسَ في هذا الصبرِ ؟ **قيل** : نعم هذا من لوازم التكليف ، وهو مظنةُ الأمرِ والنهي ، والجنُّ مكلَّفون بالصبرِ على الأوامرِ ، والتصبرِ عن النواهي ؛ كما كلِّفنا نحن بذلك .

فإن قيل : فهل هم مكلَّفون على الوجهِ الذي كلِّفنا نحن به أم على وجه آخر ؟ **قيل** : ما كان من لوازم النفوس : كالحبِّ والبغضِ والإيمانِ والتصديقِ والموالاةِ والمعاداةِ فنحن وهم مستوون فيه ، وما كان من لوازمِ الأبدانِ : كغُسلِ الجنابةِ وغُسلِ الأعضاءِ في الوضوء والاستنجاءِ والختانِ وغسلِ الحيضِ ونحو ذلك ، فلا تجبُ مساواتُهم لنا في كيفيته ، وإن تعلَّق ذلك بهم على وجهٍ يناسبُ خلقتَهم وهيئتَهم .

فإن قيل : فهل تشاركنا الملائكةُ في شيءٍ من أقسام الصبرِ ؟ **قيل** : الملائكةُ لم يبتلوا بهوى يحاربُ عقولَهم ومعارفَهم ، بل العبادةُ والطَّاعةُ لهم كالنفسِ لنا ، فلا يتصورُ في حقهم الصبرُ الذي حقيقتُه ثباتُ باعثِ الدينِ والعقلِ في مقابلةِ باعثِ الشهوةِ والهوى ، وإن كان لهم صبرٌ يليق بهم وهو ثباتهم وإقامتهم على ما خُلقوا له من غير منازعةِ هوى أو شهوةٍ أو طَبْعٍ .

فالإنسانُ منّا إذا غلب صبرُه باعثَ الهوى [٨/ ب] والشّهوة التحق بالملائكةِ ، وإن غلب باعثُ الهوى والشهوة صبره التحق بالشّياطين ، وإن غلب باعث طبعه من الأكلِ والشّربِ والجماعِ صبره التحق بالبهائِم .

قال قتادة : خلق الله سبحانه الملائكةَ عقولًا بلا شهواتٍ ، وخلق البهائمَ شهواتٍ بلا

عقولٍ ، وخلق الإنسانَ وجعل له عقلًا وشهوةً ، فمنْ غَلَبَ عَقلُهُ شَهوتَهُ فهو مع الملائكة ، ومنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فهو كالبهائمِ .

ولما خُلِقَ الإنسانُ في ابتداءِ أمرِه ناقصًا لم يُخلَق فيه إلا شهوةُ الغذاءِ الذي هو محتاج إليه ، فصبرُه في هذه الحال بمنْزلة صبر البهائم ، وليس له قبل تمييزه قوة صبر الاختيار ، فإذا ظهرت فيه شهوةُ اللعبِ استعد لقوةِ الصبرِ الاختياري على ضعفها فيه ، فإذا تعلقت به شهوةُ النكاحِ ظهرت فيه قوةُ الصبرِ ، فإذا تحرك سلطانُ العقلِ وقوي أُعين بجيش الصبرِ ، ولكن هذا السلطان وجنده لا يستقلانِ بمقاومة سلطانِ الهوى وجندِه ؛ فإن إشراقَ نورِ الهدايةِ يلوحُ عليه عند أولِ سنِّ التمييزِ وينمو على التدريج إلى سنِّ البلوغ ؛ كما يبدو خيطُ الفجرِ ثم يتزايد ظهورُه ، وكلها هدايةٌ قاصرةٌ غير مستقلةٍ بإدراك مصالح الآخرةِ ومضارِّها ، بل غايتها تعلقها بنقص مصالح الدنيا ومفاسِدِها ، فإذا طَلَعت عليه شمسُ النُّبوةِ والرسالةِ وأشرقَ عليه نورُها رأى في ضوئِهَا تفاصيلَ مصالحِ الدارين ومفاسِدِهما فتلمح العواقِبَ ، ولبس لأمَةَ الحربِ ، وأخذ أنواع الأسلحةِ ، ووقع في حومةِ الحربِ بين داعي الطبع والهوى وداعي العقل والهدى ، والمنصورُ من نَصَرَهُ اللهُ ، والمخذولُ من خَذَله ، ولا تضعُ الحربُ أوزارَهَا حتى ينْزلَ في إحدى المنْزلتينِ ، ويصيرَ إلى ما خُلقَ له من الدّارين .

الباب السادس
في بيان أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه ومقاومته بجيش الهوى وعجزه عنه

باعثُ الدينِ[٩/ أ] بالإضافة إلى باعثِ الهوى له ثلاثةُ أحوالٍ :

إحداها : أن يكونَ القهرُ والغلبةُ لداعي الدينِ فَيُرَدُّ جيش الهوى مذلولًا وهذا إنما يصلُ إليه بدوام الصبرِ ، والواصلون إلى هذه الرتبةِ هم المنصورون في الدنيا والآخرة ، وهم الذين قالوا : ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ وهم الذين تقول لهم الملائكة عند الموت :

﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾
[فصلت : ٣٠-٣١]

وهم الذين نالوا معية الله مع الصابرينَ ، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، فخصَّهم بهدايته دون من عداهم .

الحالة الثانية : أن يكون القهرُ والغلبةُ لداعي الهوى فيسقط منازعه باعث الدين بالكلية ، فيستسلم البائسُ للشيطانِ وجندِه فيقودونه حيث شاءوا ، وله معهم حالتان :

إحداهما : أن يكون من جندِهم وأتباعِهم ، وهذه حالُ العاجز الضعيفِ .

الثانية : أن يصيرَ الشيطانُ من جنده ، وهذه حالُ الفاجرِ القوي المتسلطِ والمبتدعِ الداعيةِ المتبوعِ ؛ كما قال القائل :

وكُنْتُ امْرءًا من جُنْدِ إِبْلِيسَ فَارْتَقَى ... بِيَ الحالُ حتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي

فيصير إبليس وجنده من أعوانِهِ وأتباعِهِ ، وهؤلاء هم الذين غلبت عليهم شقوتُهم ، واشتروا الحياةَ الدنيا بالآخرةِ ، وإنما صاروا إلى هذه الحال لما أفلسوا من الصبر ، وهذه الحالةُ هي حالةُ جهدِ البلاءِ ، ودَرْكِ الشقاءِ ، وسوءِ القضاءِ ، وشماتةِ الأعداءِ ، وجندُ أصحابها : المكرُ ، والخداعُ ، والأماني الباطلة ، والغرورُ ، والتسويفُ ، وطولُ الأملِ ، وإيثارُ العاجِلِ [على الآجِلِ][1] ، وهي التي قال في صاحِبها النبيُّ ﷺ : ((العَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِي))[2].

---

(١) زيادة في المطبوع .

(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) ، ابن ماجه (٤٢٦٠) ، ابن المبارك (١٧١ الزهد) أحمد (٤/ ١٢٤) ، الحاكم (١/ ٥٧ - ٤/ ٢٥١) ، الطبراني (٧/ ٣٣٨ - ٧١٤١ كبير) ، (٢/ ٣٦ صغير) من حديث شداد بن أوس ﷺ مرفوعًا ، وفي إسناده : أبو بكر بن أبي مريم (ضعيف - تقريب ٧٩٦٦) وتابعه : مكحول الشامي عند الطبراني في الصغير (٢/ ٣٦ صغير) . متابعة قاصرة ، وفي إسناده : إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكي حدثنا أبي (عمرو بن بكر السكسكي الرملي) عن ثور بن يزيد عن مكحول عن عبد الرحمن بن غنم عنه به مرفوعًا : إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكي : متروك ، قاله الدارقطني (المغني : ١٣٩) ، عمرو بن بكر السكسكي الرملي - واهٍ ، قال ابن عدي : له مناكير (المغني ٤٦٣٥) .

وأصحاب هذه الحال أنواع شتى :

فمنهم : المحاربُ لله ورسوله ، الساعي في إبطالِ ما جاء به الرسولُ ، يصدُّ عن سبيلِ الله ، ويبغيها بجُهدِهِ عِوجًا وتحريفًا ؛ ليصدَّ الناس عنها .

ومنهم : المعرضُ عمَّا جاء به الرسولُ ، المنهمك على شهواته [٩/ ب] ودنياه فقط .

ومنهم : المنافقُ ذو الوجهين ، الذي يأكلُ بالكفرِ والإسلامِ .

ومنهم : الماجنُ المتلاعبُ الذي قطع أنفاسَه بالمجونِ واللهو واللعب .

ومنهم : من إذا وُعِظَ قال : واشوقاه إلى التوبَةِ ، ولكنها قد تعذَّرت علي فلا مطمعَ لي فيها .

ومنهم : من يقول : ليسَ اللهُ محتاجًا إلى صلاتي وصِيَامي ، وأنا لا أنجو بِعَمَلي ، واللهُ غفورٌ رحيمٌ .

ومنهم من يقول : تركُ المعاصي استهانة بعفو الله ومغفرته .

فَكَثِّرْ ما اسْتَطَعْتَ مِنَ الخَطَايَا ‏ ‏ ‏ ‏ إِذَا كَانَ القـدومُ على كريمِ

ومنهم : من يقول : ماذا تقع طاعتي في جنب ما قد عَمِلت ، وما ينفع الغريقَ خلاصُ إصبعه وباقي بدنِه غريقٌ .

ومنهم : من يقول : سوف أتوب ، وإذا جاء الموت ونزلَ بساحتي تُبْتُ وقُبِلت توبتي .

إلى غير ذلك من أصناف المغترين الذين صارت عقولُهم في أيدي شهواتِهم ، فلا يستعملُ أحدُهم عقلَه إلا في دقائقِ الحيلِ التي بها يتوصل إلى قضاءِ شهواتِهِ ؛ فعقلُه مع الشيطانِ كالأسيرِ في يدِ الكافرِ ، يستعملُه في رعايةِ الخنازيرِ ، وعصرِ الخمرِ ، وحملِ الصليب ، وهو بقهرِهِ عقله وتسليمه إلى أعدائه عند الله بمنْزلةِ رجلٍ قَهَر مسلمًا ، وباعَهُ للكفّارِ ، وسلَّمه إليهم ، وجعلَهُ أسيرًا عندهم .

فصل

وها هنا نكتةٌ بديعةٌ يجب التفطن لها ، وينبغي إخلاءُ القلب لتأملها ، وهي : أن هذا المغرورَ لما أذلَّ سلطانَ الله الذي أعزَّه به وشرَّفه ورفع به قدرَه وسَلَّمَه إلى أبغض أعدائه إليه ، وجعله أسيرًا له تحتَ قَهْرِه وتَصَرُّفِهِ وسلطانِهِ ، [سلَّط اللهُ عليه من كان حقُّه هو أن يتسلط عليه فجعلَه تحت قهره وتصرفه][1] وسلطانه يسخِّرُه حيث يشاءُ ويَسْخَرُ منه جُنْدُه وحزبه ، فكما أذلَّ سلطانَ الله وسلَّمه إلى عدوه أذله الله وسلط عليه عدوه الذي أمره أن يَتَسَلَّطَ هو عليه ويُذِلَّه ويقهَره ، فصار بمنْزلة من سلَّم نفسَه إلى أعدى عدوٍ له يَسُومُه سوءَ العذابِ ، وقد كان بصدد أن يستأسِرَه ويقهرَه ويشفي غيظَه منه ، فلما ترك مقاومَتَهُ ومحاربته [١٠/ أ] واستسلم له سُلِّط عليه عقوبة له ، **قال الله تعالى** : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٨ - ١٠٠]

فإن قيل : فقد أثبت له على أوليائه ها هنا سلطانًا ، فكيف نفاه في **قوله تعالى** حاكيًا عنه مقررًا له : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ [إبراهيم : ٢٢]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾ [سبأ : ٢٠ - ٢١]

قيل : السلطان الذي أثبته له عليهم غير الذي نفاه من وجهين :

أحدهما : أن السلطانَ الثابتَ هو سلطانُ التَّمكُّنِ منهم وتلاعبُهُ بهم وسوقُهُ إياهم كيف أراد بتمكينهم إياه من ذلك بطاعته وموالاته ، والسلطانُ الذي نفاه سلطانُ الحُجَّةِ

(١) زيادة في المطبوع .

فلم يكن لإبليسَ عليهم من حُجّةٍ يتسلّطُ بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان .

الثاني: أن الله لم يجعل له عليهم سلطانًا ابتداءً ألبته ، ولكن هم سلَّطوه على أنفسهم بطاعته ، ودخولهم في جملة جندِهِ وحزبِهِ ، فلم يَتَسَلَّطْ عليهم بقوَّتِهِ فإنّ كيدَه ضعيفٌ ، وإنما تَسلَّط عليهم بإرادتهم واختيارهم .

والمقصود : أن من قصدَ أعظمَ أوليائِه وأحبابِهِ ونُصَحَائِهِ فأخذَه وأخذ أولادَه وحاشيتَه وسلَّمهم إلى عدوّهِ كان من عقوبتِهِ أن يتسلَّط عليه ذلك العدوُّ نفسُه .

فصل

الحالة الثالثة: في أن يكونَ الحربُ سجالًا ودُولًا بين الجندين ، فتارة له وتارة عليه ، وتكثر نوبات الانتصارِ وتَقِلُّ ، وهذه حال أكثر المؤمنين الذين خَلَطُوا عملًا صالحًا وآخَرَ سيِّئًا . وتكونُ الحال يوم القيامة موازنةً لهذه الأحوالِ الثلاثِ سواءً بسواءٍ . فمن الناس [١٠/ ب]من يدخل الجنة ولا يدخل النار ، ومنهم من يدخل النار ولا يدخل الجنة ، ومنهم من يدخل النار ثم يدخل الجنة .

وهذه الأحوالُ الثلاثُ هي أحوالُ الناسِ في الصحةِ والمرضِ ، فَمن الناس من تقاوِمُ قوتُه داءَه فيقهرُه ويكون السلطانُ للقوة ، ومنهم من يقهرُ داؤه قُوَّتَه ويكون السلطانُ للداءِ ، ومنهم من الحرب بين دائِهِ وقوتِه نوبًا ، فهو متردِّدٌ بين الصِّحَّةِ والمرضِ .

فصل

ومن الناسِ من يصبرُ بجهدٍ ومشقةٍ ، ومنهم من يصبرُ بأدنى حملٍ على النفس .

ومثال الأول: كرجل صارع رجلًا شديدًا فلا يقهره إلا بتعب أو مشقة .

والثاني: كمن صارع رجلًا ضعيفًا فإنه يصرعه بغير مشقةٍ ، فهكذا تكون المصارعةُ بين حزب الرحمن وجنود الشيطانِ ، ومن صَرَعَ جندَ الشيطانِ صرعَ الشيطانَ .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : لقي رجل من الإنس رجلًا من الجن ، فصارعه ، فصرعه الإنسي ، فقال : ما لي أراك ضئيلًا ، فقال : إني من بينهم لضليع ، فقالوا : أهو

عمر بن الخطاب ؟ فقال : ((من ترونه غير عمر))[١].

وقال بعض الصحابة : إن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر[٢].

وذكر ابن أبي الدنيا عن بعض السلف : أن شيطانًا لقي شيطانًا فقال : ما لي أراك شَحِبًا ؟ فقال : إني مع رجل إن أكلَ ذكرَ اسم الله تعالى فلا آكل معه ، وإن شَرِبَ ذكر اسمَ الله تعالى فلا أشرب ، وإن دخلَ بيته ذكر اسم الله فأبيتُ خارج الدار . فقال : لكني مع رجل إن أكل لم يسم الله فآكل أنا وهو جميعًا ، وإن شرب لم يسم الله فأشرب معه ، وإن دخل داره لم يسم الله فأدخل معه ، وإن جامعَ امرأته لم يسم الله فأُجامعها معه[٣].

---

(١) **إسناده رجاله ثقات** : ابن أبي الدنيا (٦٣ مكائد الشيطان) حدثنا علي بن الجعد قال أخبرني عكرمة بن عمار عن عاصم قال : حدثني زر بن حبيش قال : سمعت عبد الله (يعني ابن مسعود ﷺ) يقول : ((خرج رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلقى الشيطان فاشتجر فاصطرعا ، فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ... الحديث)) ، وأخرجه الطبراني (٨٨٢٤ الكبير) من طريق المسعودي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود) عن عاصم بن أبي النجود عن شقيق (ابن سلمة - أبو وائل) عن عبد الله بن مسعود ﷺ به ، وأخرجه الدارمي (٣٣٧٦) الطبراني (٨٨٢٦ الكبير) من طريق الشعبي (عامر بن شرحيل) عن عبد الله بن مسعود ﷺ به (المسعودي - عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، قال ابن المديني : كان يغلط فيما روى عن عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود ، وقال يحيى بن معين أحاديثه عن عاصم ، ليس بشيء - تهذيب الكمال (٤/ ٤٢٨) (الشعبي - عامر بن شرحيل - قال أبو حاتم : لم يسمع من عبد الله بن مسعود - المراسيل (٣٠٠) .

(٢) **إسناده ضعيف** : أحمد (٢/ ٣٨٠) ابن أبي الدنيا (٢٠ مكائد الشيطان) من طريق قتيبة بن سعيد مُجاعة بن ثابت ، ويحيى بن إسحاق قالا : حدثنا ابن لهيعة (عبد الله المصري) عن موسى بن وردان عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

عبد الله بن لهيعة - ضعيف - قال بعض الناس : ما روى عنه ابن وهب ، وابن المبارك ، فهو أجود وأقوى - (المغني ٣٣١٧) ، وقال الحافظ بن حجر : صدوق ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك ، وابن وهب عنه أعدل من غيرها - (تقريب ٣٥٥٧) .

موسى بن وردان - ضعفه ابن معين ، ووثقه أبو داود مرة وضعفه أُخرى (المغني ٦٥٤٣) .

(٣) **إسناده ضعيف** : وأخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٤١٩ مصنف) من طريق معمر بن راشد عن أبي إسحاق السبيعي (عمرو بن عبد الله بن عبيد الكوفي) عن أبي الأحوص (عوف بن مالك الجُشمي - الكوفي) عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفًا .

(معمر بن راشد - قال أبو حاتم : ما حدث بالبصرة ففيه أغاليط وهو صالح الحديث ، وقال يحيى بن معين : إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري ، وابن طاوس فإن حديثه عنهما مستقيم فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا وما عمل في حديث الأعمش شيئًا (تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤٥) .

أبو إسحاق السبيعي - مدلس ويخشى من تدليسه فقد روى عن قوم لم يسمع منهم ولا تقبل عنعنته إلا ما رواه عنه شعبه بن الحجاج ، وسفيان الثوري ، وهو لم يصرح بالسماع ا.هـ

فمن اعتاد الصبرَ هابه عدوُّه ، ومن عز عليه الصبرُ طمعَ فيه عدوُّه ، وأوشك أن ينال منه فرصته .

الباب السابع
في ذكر أقسامه باعتبار متعلقه

الصبرُ باعتبار متعلقه[١١/ أ] ثلاثةُ أقسامٍ :

صبرٌ على الأوامرِ والطاعاتِ حتى يؤدّيها . **وصبر** على المناهي والمخالفات حتى لا يقعَ فيها . **وصبرٌ** على الأقدارِ والأقضيةِ حتى لا يتسخطها .

وهذه الأنواعُ الثلاثة هي التي قال فيها الشيخُ عبد القادر - رحمه الله تعالى - في : فتوح الغيب : لابد للعبد من أمر يفعله ، ونهي يجتنبه ، وقدر يصبر عليه .

وهذا الكلامُ يتعلقُ بطرفين : طرفٍ من جهةِ الربِّ تعالى ، وطرفٍ من جهةِ العبدِ .

فأما الطرفُ الذي من جهة الربِّ ؛ فهو : أنَّ الله تعالى له على عبده حكمان : حكم شرعي ديني ، وحكم كوني قدري ؛ فالشّرعي متعلّق بأمره ، والكوني متعلق بخلقِهِ ، وهو سبحانه له الخَلْقُ والأمرُ .

وحكمُه الدينيُّ الطلبيُّ نوعانِ بحسبِ المطلوبِ ؛ فإن المطلوبَ إن كان محبوبًا له فالمطلوبُ فعلُه إما وجوبًا وإما استحبابًا ، ولا يتم ذلك إلا بالصبر ، وإن كان مبغوضًا له فالمطلوب تركه إما تحريمًا وإما كراهةً ، وذلك أيضًا موقوفًا على الصبر ، فهذا حكمُه الديني الشرعي .

وأما حكمُه الكوني القدري فهو ما يَقْضِيه ويقدِّرُه على العبد من المصائبِ التي لا صنعَ له فيها ، ففرضُه الصبرُ عليها ، وفي وجوب الرضا بها قولان للعلماء وهما وجهان في مذهب الإمام أحمد ، أصحهما : أنه مستحب . فرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاثِ : فعلِ المأمورِ ، وتركِ المحظور ، والصبرِ على المقدورِ .

وأما الذي من جهة العبدِ فإنه لا ينفك عن هذه الثلاثة ما دام مكلفًا ولا تسقط عنه هذه

الثلاثة حتى يَسْقُطَ عنه التكليفُ ؛ فقيام عبوديةِ الأمرِ والنَّهي والقَدَرِ على ساقِ الصبرِ لا يستوي إلا عليه ؛ كما لا تَستوي السُّنبلَةَ إلا على ساقِها .

فالصبرُ يتعلق بالمأمورِ والمحظورِ والمقدورِ بالخلْقِ والأمرِ ، والشَّيْخُ دائمًا يحومُ حولَ هذه الأصولِ الثلاثةِ ، كقوله : يا بُني افعلِ المأمورَ ، واجتنب المحظورَ ، واصبْر على المقدور ، وهذه الثلاثةُ هي التي أوصى بها لقمانُ لابنه [١١/ ب] في قوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [لقمان : ١٧]

فأمره بالمعروفِ يتناول فعلَه بنفسه وأمرَ غيرِه به ، وكذلك نهيُه عن المنكرِ ، أما من حيث إطلاق اللفظِ فتدخلُ نفسُه وغيرُه فيه ، وأما من حيثُ اللزوم الشرعيّ فإن الآمرَ الناهيَ لا يستقيمُ له أمرُه ونهيُه حتى يكون أولَ مأمورٍ ومنهي ، وذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في قوله : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ١٩ - ٢٢]

فجمعَ لهم مقاماتِ الإسلامِ والإيمانِ في هذه الأوصافِ فوصفهم بالوفاءِ بعهدِه الذي عاهدهم عليه ، وذلك يعمُّ أمرَه ونهيه الذي عهده إليهم بينهم وبينه وبينهم وبين خلقه ، ثم أخبر عن استمرارهم بالوفاء به بأنهم لا يقع منهم نَقْضُه ، ثم وصفَهم بأنهم يَصِلون ما أمَرَ اللهُ به أن يوصلَ ، ويدخلُ في هذا ظاهرُ الدينِ وباطنُه وحقُّ الله وخلقِه ، فيصلون ما بينهم وبين ربهم بعبوديته وحدَه لا شريكَ له ، والقيام بطاعته والإنابةِ إليه ، والتوكل عليه وحبِّه وخوفِه ورجائِه ، والتوبةِ إليه والاستكانةِ له والخضوعِ والذلةِ له ، والاعترافِ له بنعمتِه وشكرِه عليها ، والإقرارِ بالخطيئة والاستغفارِ منها ؛ فهذه هي الوصلةُ بين الربِّ والعبدِ ، وقد أمر اللهُ بهذه الأسبابِ التي بينه وبين عبدِه أن توصلَ .

وأمرَ أن نصلَ ما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ، وتصديقِه وتحكيمِه في كل شيء ، والرضا

بحكمه والتسليم له ، وتقديم محبته على محبةِ النفسِ والولدِ والوالد والناسِ أجمعين ، فدخل في ذلك القيامُ بحقه وحقِّ رسولِه ، وأمر أن نَصِلَ ما بيننا وبين الوالدين والأقربين بالبرِّ والصِّلةِ ، فإنه أمر ببر الوالدين وصلة الأرحام وذلك مما أمر به أن يوصلَ ، وأمر أن نصل [١٢/ أ] ما بيننا وبين الزوجات بالقيام بحقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف ، وأن نصل ما بيننا وبين الأرقاءِ بأن نُطعمَهُم مما نأكل ، ونكسُوهم مما نلبس ، ولا نكلفهم فوق طاقتِهم ، وأن نصلَ ما بيننا وبين الجار القريب والبعيد بمراعاة حقه وحفظه في نفسِه ومالِه وأهلِه بما نحفظُ به نفوسَنا وأهلينا وأموالنا ، وأن نصلَ ما بيننا وبين الرفيق في السفر والحضر ، وأن نصل ما بيننا وبين عموم الناس بأن نُأتي إليهم ما نُحب أن يأتوه إلينا ، وأن نصلَ ما بيننا وبين الحفظة الكرام الكاتبين بأن نكرمَهم ونستحي منهم كما يستحي الرجل من جليسِه ومن هو معه ممن يجلُّه ويكرمُه ، فهذا كله مما أمر به أن يوصل .

ثم وصفَهم بالحامِل لهم على هذه الصِّلَةِ وهو خشيةُ وخوفُ سوءِ الحسابِ يوم المآبِ فقال تعالى : ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ ، ولا يمكنُ أحد قط أن يصلَ ما أمر الله بوصلِه إلا بخشيتِهِ ، ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت هذه الصلةُ .

ثم جمع لهم سبحانه ذلك كلَّه في أصلٍ واحدٍ ، هو آخيةُ ذلك وقاعدته ومدارُه الذي يدورُ عليه وهو الصبرُ ؛ فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ فلم يكتفِ منهم بمجردِ الصبرِ حتى يكون خالصا لوجهه . ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبرِ وهي الصلاة فقال ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .

وهذان هما العونان على مصالح الدنيا والآخرة وهما الصبر والصلاة ، قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾[البقرة : ٤٥] وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[البقرة : ١٥٣]

ثم ذكر سبحانه إحسانهم إلى غيرهم بالإنفاق عليهم سرًّا وعلانية ؛ فأحسنوا إلى أنفسهم بالصبر والصلاة ، وإلى غيرهم بالإنفاقِ عليهم .

ثم ذكر حالهم إذا جهل عليهم وأوذوا أنهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرءون بالحسنةِ [السيئةَ][1]؛ فيحسنون إلى من يسيء إليهم؛ فقال: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ وقد فسر هذا [١٢/ ب]الدرء بأنهم يدفعون الذنب بالحسنةِ بعده، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤]وقال النبي ﷺ: «اتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها»[2].

والتحقيق: أن الآيةَ تعُمُّ النوعين.

والمقصود: أن هذه الآياتِ تناولت مقاماتِ الإسلامِ والإيمان كلها، واشتملت على فعل المأمورِ وتركِ المحظورِ والصبرِ على المقدورِ، وقد ذكر تعالى هذه الأصول الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فكلُّ موضعٍ قُرِنَ فيه التقوى بالصبرِ اشتمل على الأمور الثلاثة، فإن حقيقة التقوى فعلُ المأمور وتركُ المحظورِ.

---

(١) زيادة في المطبوع

(٢) **إسناده منقطع**: الترمذي (١٩٨٧)، الدارمي (٢٧٨٧)، أحمد (٥/ ١٥٣- ١٥٨- ١٧٧- ٢٣٦)، الحاكم (١/ ٥٤) من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ مرفوعًا.

في إسناده ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر ﷺ به (سئل أبو حاتم الرازي عن ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر متصل؟ فقال: لا - ٢١٤ - المراسيل: ابن أبي حاتم.

وأخرجه الطبراني (١/ ١٩٢ صغير) من طريق ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعا، وفي إسناده: على بن صالح المكي (أبو الحسن العابد) عن الأعمش (سليمان بن مهران) عن حبيب بن أبي ثابت به. قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: لا أعرفه - مجهول - تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٣). قلت: والأعمش مدلس ويخشى من تدليسه ولم يصرح بالسماع ا.هـ، وإسناد أحمد (٥/ ١٥٣) من طريق وكيع ثنا سفيان عن حبيب عن ميمون عن أبي ذر به. قال وكيع: وقال سفيان مرة عن معاذ، فوجدت في كتابي عن أبي ذر، وهو السماع الأول .ا.هـ

وقال الترمذي: (١٩٨٧) قال محمود (ابن غيلان) حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب عن ميمون عن معاذ ﷺ مرفوعًا. قال محمود: والصحيح حديث أبي ذر ﷺ.

قلت: والمتن ثابت وله شواهد كثيرة وأذكر منها آية من كتاب الله ﷻ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]

الباب الثامن
في انقسامه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

وهو ينقسمُ بهذا الاعتبار إلى واجبٍ ، ومندوبٍ ، ومحظورٍ ، ومكروهٍ ، ومباحٍ .

فالصبرُ الواجبُ ثلاثةُ أنواعٍ :

أحدها : الصبرُ عن المحرماتِ .

والثاني : الصبر على أداء الواجبات .

والثالث : الصبرُ على المصائبِ التي لا صنع للعبد فيها كالأمراضِ ، والفقرِ وغيرها .

وأما الصبرُ المندوبُ ، فهو : الصبر عن المكروهاتِ ، والصبر على المستحباتِ ، والصبر عن مقابلة الجاني بمثل فعله .

وأما الصبر المحظور فأنواع :

أحدها : الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت ، وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنْزير عند المخمَصةِ . حرام إذا خاف بتركه الموت .

قال طاوس وبعده الإمام أحمد : من اضطر إلى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات دخل النارَ .

فإن قيل : فما تقولون في الصبر عن المسألةِ في هذه الحال ؟ قيل : اختلف في حكمه هل هو حرامٌ أم مباحٌ ؟ على قولين هما لأصحاب أحمد ، وظاهرُ نصه : أن الصبرَ عن المسألة جائزٌ ، فإنه قيل له : إذا خاف إن لم يسأل أن يموتَ ، فقال : لا يموتُ ، يأتيه الله برزقه ، أو كما قال : فأحمد منع وقوع المسألة ؛ متى عَلِمَ اللهُ ضرورَتَه وصدقَه في ترك المسألة قيَّض له رزقًا .

وقال كثير من أصحاب أحمد والشافعي : تجب[١٣/ أ] عليه المسألةُ ، وإن لم يسأل كان عاصيًا ؛ لأن المسألةَ تتضمن نجاتَه من التلفِ .

فصل

من الصبرِ المحظور صبرُ الإنسانِ على ما يقصدُ هلاكَه من سَبُعٍ أو حَيَّةٍ أو حريقٍ أو ماءٍ أو كافرٍ يريدُ قتلَه ، بخلاف استسلامِه وصبرِه في الفتنة وقتال المسلمين ؛ فإنّه مباحٌ له بل يستحب الصبر كما دلت عليه النصوص الكثيرة .

وقد سئل النبي ﷺ عن هذه المسألة بعينها ؛ فقال : ((**كُنْ كخَيْرِ ابني آدمَ**))[1] ، وفي لفظ : ((**كُنْ عَبدَ الله المقتولَ ، ولا تَكُنْ عبدَ الله القاتلَ**))[2] ، وفي لفظ آخر : ((**دعْهُ يبوءُ بإثمه وإثمكَ**))[3] ، وفي لفظ آخر : ((**فإن بهركَ شعاعُ السيفِ فَضَعْ يدَكَ على وجهِك**))[4].

وقد حكى الله سبحانه استسلامَ خيرِ ابني آدم وصبره وأثنى عليه بذلك ، وهذا بخلافِ قتلِ الكافرِ ، فإنه يجبُ عليه الدَّفْعَ عن نفسِهِ ؛ لأن من مقصود الجهاد أن يدفعَ عن نفسه وعن المسلمين .

وأما قتالُ اللصوصِ فهل يجبُ فيه الدفعُ أو يجوز الاستسلامُ ؟ فإن كان عن معصوم غيره وجب وأما عن نفسه فظاهر نصه أنه لا يجب الدفع وأوجَبَه بعضُهم ، ولا يجوزُ الصبرُ على عمن قَصَدَه أو حُرْمَتَه بالفاحِشَةِ .

---

(١) **صحيح لشواهده**: أبو داود (٤٢٥٩) ، ابن ماجه (٣٩٦١) ، أحمد (٢/ ٢٧٢) ، ابن حبان (١٨٦٩ موارد) ، الحاكم (٣/ ٥٢٥ - ٥٣١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ، وفي إسناده : عبد الرحمن بن ثروان ، صدوق - ربما خالف - تقريب ٣٨١٤) ، وله شاهد عن أبي داود (٤٢٥٧) ، الترمذي (٢١٩٤) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا ، والترمذي بعده سيأتي .

(٢) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٢) ، والحاكم (٤/ ٥١٧) من حديث خالد بن عرفطة ﷺ مرفوعاً ، وفي إسناده : على بن زيد بن جدعان (ضعيف - تقريب ٤٧٢٤) ، وله شاهد أخرجه أحمد (٥/ ١١٠) من حديث خباب بن الأرت ﷺ مرفوعًا ، وفي إسناده : رجل مبهم .

(٣) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٢٦١) ، ابن ماجه (٣٩٥٨) ، أحمد (٥/ ١٤٩ - ١٦٣) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعًا .

(٤) **صحيح**: سبق تخريجه .

فصل

وأما الصبرُ المكروه: فله أمثلة .

أحدها: أن يصبرَ عن الطعامِ والشرابِ والملبسِ وجماعِ أهلِه حتى يتضَّررَ بذلك بدنُه .

الثاني: صبره عن جِماعِ زوجتِه إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به .

الثالث: صبرُه على فعل المكروهِ .

الرابع: صبره عن فعل المستَحَبِّ .

فصل

وأما الصبر المباح، وهو : الصَّبرُ عن كلِّ فعلٍ مستوي الطرفين خُيِّرَ بين فِعْلِه وتركِهِ والصَّبْرِ عليه .

وبالجملةِ ؛ فالصَّبْرُ على الواجب واجبٌ ، وعن الواجب حَرامٌ ، والصبرُ عن الحرام واجبٌ وعليه حرامٌ ، والصبر على المستحَبِّ مستحبٌ وعنه مكروهٌ ، والصبرُ عن المكروه مستحبٌ وعليه مكروه ، والصبرُ على المباحِ مباحٌ ، والله أعلم .

الباب التاسع
في بيانِ [١٣/ ب] تفاوت الصبر

الصبر كما تقدم نوعان : اختياري ، واضطراري

والاختياري أكمل من الاضطراري ؛ فإن الاضطراري يشتركُ فيه الناسُ ، ويتأتَّى ممن لا يتأتَّى منه الصبر اختيارًا ، وكذلك كان صبر يوسف الصديق ﷺ عن مطاوعة امرأةِ العزيز وصبره على ما ناله في ذلك من الحبْسِ والمكروه أعظمَ من صبرِه على ما ناله من إخوته لما ألقوه في الجُبِّ ، وفرّقوا بينه وبين أبيه ، وباعوه بيع العبيد ، ومن الصبر الثاني ما أنشأهُ الله له من العزّة والرفعةِ والملكِ والتمكينِ في الأرضِ .

وكذلك صبر الخليل ﷺ والكليم ، وصبرُ نوح ، وصبر المسيح ، وصبر خاتم الأنبياء وسيدِ ولدِ آدم ، عليهم الصلاة والسلام ، كان صبرًا على الدعوة إلى الله ومجاهدة أعداء

الله ؛ ولهذا سمّاهم الله أولي العزم ، وأمر رسولَه أن يصبر صبرهم فقال : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، وأولوا العزم هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ [الشورى : ١٣] ، وفي قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧] ؛ كذلك قال ابن عباس وغيره من السلف ، ونهاه سبحانه أن يتشبه بصاحبِ الحوت حيث لم يصبر صبر أولي العزم فقال : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم : ٤٨]

وههنا سؤال وهو أن يقال : ما العامل في الظرف وهو قوله : ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ ولا يمكن أن يكونَ الفعلُ المنهيُّ عنه ؛ إذ يصير المعنى لا تكن مثله في ندائه ، وقد أثنى الله سبحانه عليه في هذا النداء ؛ فأخبر أنه نجاه به ؛ فقال : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المؤمنون : ٨٧ - ٨٨] ، وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ [١٤/ أ] أنه قال : ((**دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا بِهَا فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**))(١).

---

(١) **صحيح لشواهده**: الترمذي (٣٥٠٥) ، النسائي (٢٠٤ عمل اليوم والليلة) ، أحمد (١/ ١٧٠) ، الحاكم (١/ ٥٠٥ - ٢/ ٣٨٢ - ٥٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا . في إسناده : يونس بن أبي إسحاق السبيعي (صدوق - يهم قليلاً - تقريب ٧٨٩٢) . وله شواهد عند الحاكم (٢/ ٥٨٤) ، وقال الحاكم : هذا شاهد لما تقدم ، وابن كثير (٣/ ١٩٨ تفسير) كلاهما أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا .
في إسناده : أبو خالد الأحمر (سليمان بن حيان) عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن مصعب ابن سعد عنه به ، أبو خالد الأحمر (صدوق - يخطئ - تقريب ٢٣٤١) كثير بن زيد (صدوق - يخطئ تقريب ٥٦٠٢) المطلب بن حنطب (صدوق - كثير الإرسال والتدليس - تقريب - ٦٦٩٩) **قلت** : ولم يصرح بالسماع ، وله شواهد من كتاب الله ﷻ، وهو قوله ﷻ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧]

فلا يمكن أن يُنهى عن التَّشبُّه به في هذه الدعوةِ ، وهي النداءُ الذي نادى به ربَّه ، وإنما نُهِيَ عن التشبه به في السَّبَبِ الذي أفضى به إلى هذه المناداة وهي مَغاضَبَتُهُ التي أفضت به إلى حَبْسِه في بطنِ الحوتِ وشدَّةِ ذلك عليه حين نادى ربَّه وهو مكظوم . والمكظوم والكظيم والكاظم : الذي قد امتلأ غَيْظًا أو غَضَبًا أو همًّا وحَزَنًا وكَظَمَ عليه فلم يُخْرِجْهُ .

فإن قيل: وعلى ذلك ، فما العامل في الظرف ؟ قيل : ما في صاحب الحوت من معنى الفعل .

فإن قيل: فالسؤال بعد قائمٌ ؛ فإنه إذا قَيَّدَ المنهي عنه بقيدٍ أو زمنٍ كان داخلًا في حيز النهي ، فإذا كان المعنى : لا تكن مثل صاحبِ الحوت في هذه الحال و هذا الوقت كان نهيًا عن تلك الحالة . **قيل**: لما كان نداؤه مسببًا عن كونه صاحب الحوت ، فنهي أن يتشبه به في الحال التي اقتضت به إلى صحبة الحوت والنداء وهي ضعف العزيمة والصبر لحكمِهِ تعالى . ولم يقلْ تعالى : ولا تكن كصاحب الحوتِ إذا ذهب مغاضبًا ؛ فالتقمه الحوت ؛ فنادى . بل طوى القصة واختصرها ، وأحال بها على ذكرها في الموضع الآخر ، واكتفى بغايتها وما انتهت إليه .

فإن قيل: فما منعك من تعويض الظرف بنفس الفعل المنهي عنه ؛ أي : لا تكن مثله في ندائِهِ وهو ممتلىء غيظًا وهمًّا وغمًّا بل يكون نداؤك نداءَ راضٍ بما قُضِيَ عليه ، قد تلقاه بالرضا والتسليم وسعةِ الصدرِ ، لا نداءَ كظمٍ ؟ **قيل**: هذا المعنى وإن كان صحيحًا فلم يقع النهي عن التشبه به في مجرَّدِه وإنما نهى عن التشبه به في الحال التي حملته على ذهابه مغاضبًا حتى سُجِنَ في بطن الحوتِ ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [القلم : ٤٨] ؛ أي في ضعفِ صبره لحكم ربِّهِ ، فإن الحالة التي نُهي عنها هي ضدُّ الحالةِ التي أُمر بها .

فإن قيل: فما منعك أن تصير إلى أنه أمر بالصبرِ لحكمه الكوني القَدَرِي الذي يقدره عليه ، ولا يكن كصاحبِ الحوتِ حيث لم يصبر عليه إذ نادى وهو كظيمٌ لكشفِهِ ، فلم يصبر على احتمالِهِ والسكون تحته ؟. **قيل**: مَنَع من ذلك أن الله سبحانه أثنى على يونس

وغيره من أنبيائه بسؤالهم إياه كشف ما بهم من الضر وقد أثنى سبحانه بذلك في قوله : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ - ٨٨] فكيف ينهى عن التشبه به فيما يثني عليه ويمدحه به ، وكذلك أثنى على أيوب بقوله : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، وعلى يعقوب في قوله : ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] ، وعلى موسى بقوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص : ٢٤] ، وقد شكا إليه خاتم أنبيائه ورسُلِه فقال : « اللهمَّ أشكو إليك ضعفَ قوتي وقلةَ حيلتي »[1] الحديث .

فالشكوى إليه سبحانه لا تنافي الصبرَ الجميلَ ، بل إعراض عبدِهِ عن الشكوى إلى غيره جُملَةً وجَعْلِ الشكوى إليه وحدَه هو الصبرُ ، والله تعالى يبتلي عبدَه ليسمعَ شكواه وتضرُّعَه ودعاءَه ، وقد ذم سبحانه من لم يتضرَّعُ إليه ولم يَسْتكِنْ إليه وقت البلاء ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾
[المؤمنون : ٧٦]

والعبدُ أضعفُ من أن يتجلّدَ على ربه ، والربُّ تعالى لم يردْ من عبده أن يتجلَّدَ عليه ؛ بل أراد منه أن يستكينَ له ويتضرعُ إليه ، وهو تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه ، ويحب من يشكو ما به إليه .

وقيل لبعضهم : كيف تشتكي إليه ما لا يخفى عليه ؟ فقال : ربي يرضى ذُلَّ العبيد إليه .

والمقصود : أنه سبحانه أمرَ ﷺ أن يصبرَ صبرَ أولي العزم الذين صبروا لحُكْمِهِ اختيارًا وهذا أكمل الصبر ؛ ولهذا دارت قصةُ الشفاعةِ يوم القيامةِ على هؤلاء حتى ردُّوها إلى أفضلِهم وخيرهم وأصبرهم [١٥/ أ] لحكم الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(١) **ضعيف** : سبق تخريجه .

فإن قيل: فأيُّ أنواعِ الصبرِ الثلاثة أكمل: الصبرُ على المأمورِ، أم الصبر على المحظورِ، أم الصبر على المقدورِ؟ قيل: بل الصبرُ المتعلقُ بالتكليفِ، وهو: الأمْرُ والنهي أفضلُ من الصَبرِ على مجرد القَدَرِ؛ فإن هذا الصبرَ يأتي به البَرُّ والفاجرُ، والمؤمنُ والكافرُ؛ فلا بد لكل أحدٍ من الصبرِ على القَدَرِ اختيارًا أو اضطرارًا، وأما الصبرُ على الأوامر والنّواهي فصبرُ أتباع الرُّسل، وأعظمهم اتباعًا أصبرهم في ذلك، وكلُّ صبرٍ في محَلهِ وموضِعِه أفضلُ؛ فالصبرُ عن الحرامِ في محلِّه أفضلُ، وعلى الطاعة في محلِّها أفضلُ.

فإن قيل: أي الصبرين أحب إلى الله: صبرُ من يصبر على أوامرِه أم صبرُ من يصبرُ عن محارمِهِ؟ قيل: هذا موضع تنازع فيه الناس.

فقالت طائفة: الصبرُ عن المخالفاتِ أفضلُ؛ لأنه أشقُّ وأصعبُ، فإن أعمالَ البِّر يفعلها البّر والفاجرُ، ولا يصبرُ عن المخالفات إلا الصدِّيقون.

قالوا: ولأن الصبرَ عن المحرماتِ صبرٌ على مخالفةِ هوى النفسِ، وهو أشقُّ شيءٍ وأفضلُه.

قالوا: ولأن تركَ المحبوبِ الذي تحبُّه النفوسُ دليلٌ على أن من تُرِكَ لأجلِه أحبُّ إليه من نفسه وهواه، بخلاف فعلِ ما يحبُّه المحبوبُ فإنه لا يستلزم ذلك.

قالوا: وأيضًا؛ فالمروءةُ والفتُوةُ كلُّها في هذا الصبر. كما قال الإمام أحمد: الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى فمروءةُ العبدِ وفتوتُه بحسب هذا الصبرِ.

قالوا: وليس العجب ممن يصبر على الأوامرِ؛ فإن أكثرها محبوبات للنفوس لما فيها من العدل والإحسان والإخلاص والبر، وهذه محابٌّ للنفوس الفاضلة الزكية، بل العجبُ ممن يصبرُ عن المناهي التي أكثرُها محابُّ النفوس، فيترك المحبوبَ العاجلَ في هذه الدارِ للمحبوب الآجلِ في دارٍ [١٥/ ب] أخرى، والنفسُ موكلةٌ بحبِّ العاجلِ، فصبرها عنه مخالفٌ لطبعها.

قالوا: ولأن المناهي لها أربعةُ دواعٍ تدعو إليها: نفس الإنسان، وشيطانه، وهواه، ودنياه؛ فلا يتركها حتى يجاهدَ هذه الأربعةَ حق الجهاد، وذلك أشق شيء على النفس وأمره.

قالوا : فالمناهي من باب حِمْيةِ النفوسِ عن مشتهياتها ولذاتها ، والحمية مع قيامِ داعي التناول وقوته من أصعب شيء وأشقِّه .

قالوا : ولذلك كان باب قربان النهي مسدودًا كله ، وباب الأمر إنما يُفْعَلُ منه المستطاعُ ؛ كما قال النبي ﷺ : « **إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ** »(١) ؛ فدل على أن بابَ المنهياتِ أضيقُ من بابِ المأموراتِ ، وأنه لم يرخص في ارتكابِ شيءٍ منه كما رَخَّصَ في تركِ بعضِ المأموراتِ للعجزِ .

قالوا : ولهذا كانت عامةُ العقوباتِ من الحدودِ وغيرِها على ارتكاب المنهياتِ بخلافِ ترك المأمورِ فإن اللهَ سبحانه لم يرتب عليه جزاءً معينًا ، قالوا : وأعظمُ المأموراتِ الصلاة وقد اختلف العلماء ، هل على تاركِها حدٌّ أم لا ؟

فهذا بعض ما احتجت به هذه الطائفة .

وقالت طائفة أخرى : بل الصبرُ على فعل المأمورِ أفضلُ وأجلُّ من الصبرِ على المحظور ؛ لأنَّ فعل المأمورِ أحبُّ إلى الله من تركِ المحظورِ ، والصبرُ على أحبِّ الأمرين إليه أفضلُ وأعلى ، وبيان ذلك من وجوه :

أحدها : إن فعلَ المأمورِ مقصود لذاتِه ، فهو مشروعٌ شرع المقاصد ، فإن معرفةَ الله وتوحيدَه وعبوديتَه وحده والإنابةَ إليه والتوكلَ عليه وإخلاصَ العملِ له ومحبَتَه والرضا به والقيام في خدمتِه هو الغايةُ التي خُلِق لها الخلقُ ، وثبتَ بها الأمرُ ، وذلك أمرٌ مقصودٌ لنفسِه .

والمنهياتُ إنما نُهِيَ عنها ؛ لأنها صادةٌ عن ذلك أو شاغلةٌ عنه أو معوقة أو مُفَوِّتَةٌ لكمالِه ، ولذلك كانت درجاتها في النهي بحسب صدِّها عن المأمور [١٦/ أ] وتعويقها عنه وتفويتها لكماله ، فهي مقصودةٌ لغيرها والمأمورُ مقصودٌ لنفسِه ، فلو لم يَصُدَّ الخمرُ والميسرُ عن ذكر الله وعن الصلاةِ وعن التَّوادِّ والتَّحابِّ الذي وضعه الله بين عبادِه لما حَرَّمَه ، وكذلك لو لم يَحُلْ بين العبدِ وبين عقلِه الذي يَعرِفُ به اللهَ ويعبدُه ويحمدُه

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ، مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

ويمجِّدُه ويُصلي له ويسجدُ لما حَرمه ، وكذلك سائرُ ما حرَّمَهُ ؛ لأنه يصدُّ عما يحبُّه ويرضاه ، ويحولُ بين العبدِ وبين كمالِهِ .

الثاني : إن المأموراتِ متعلقةٌ بمعرفة الله وتوحيدِه وعبادتِه وذكرِه وشكرِه ومحبَّتِه والتوكلِ عليه والإنابةِ إليه ، فمتعلَّقُها ذاتُ الرَّبِّ تعالى وأسماؤه وصفاتُه ، ومتعلَّقُ المنهياتِ ذواتُ الأشياءِ المنهي عنها والفرْقُ من أعظم ما يكون .

الثالث : إن ضرورةَ العبد وحاجته إلى فعلِ المأمور أعظمُ من ضرورته إلى ترك المحظورِ ، فإنه ليس إلى شيء أضرُّ وأحوجُ وأشدُّ فاقةً منه إلى معرفة ربه وتوحيده وإخلاص العمل له وإفرادِه بالعبوديةِ والمحبةِ والطاعةِ ، وضرورتُهُ إلى ذلك أعظم من ضرورته إلى نَفَسِه ، ونَفَسُه وحياتُه أعظمُ من ضرورتِه إلى غذائه الذي به قوامُ بدنه ، بل هذا لقلبه وروحه كالحياةِ والغذاءِ لبدنه ، وهو إنما هو إنسان بروحِه وقلبِه لا ببدنِه وقالبه ؛ كما قيل :

يَا خَادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمِتِهِ فَأَنْتَ بالقَلْبِ لَا بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

وتركُ المنهيِّ إنما شُرِعَ له تحصيلاً لهذا الأمرِ الذي هو [ضروريٌّ له وما][1] أحوجه وأفقره إليه .

الرابع : إن تركَ المنهيِّ من بابِ الحِمْيَةِ ، وفعلَ المأمورِ من بابِ حِفْظِ القوَّةِ والغذاء الذي لا تقوم البُنْيَةُ بدونه ، ولا تحصلُ الحياةُ إلا به ، فقد يعيش الإنسانُ مع ترك الحِمْيَةِ وإن كان عليلًا أشدَّ ما يكون عِلَّةً ولا يعيشُ بدونِ القوةِ والغذاءِ الذي يحفظها ، فهذا مثل المأموراتِ والمنهيّاتِ .

الخامس [١٦/ ب] : إن الذنوبَ كلَّها ترجعُ إلى هذين الأصلين : تركُ المأمورِ وفعلُ المحظورِ ، ولو فعل العبد المحظور كلَّه من أوله إلى آخره حتى أتى من مأمور الإيمان بأدنى أدنى مثقال ذرة منه نجا بذلك من الخلود في النار ، ولو ترك كل محظور ولم يأت بمأمور الإيمان لكان مخلدًا في السعير .

---

(١) في المخطوط [أضر شيء و] .

فأين شيءٌ مثاقيلُ الذَّرِّ منه تُخرجُ من النار إلى شيء وزن الجبالِ منه أضعافًا مضاعفةً لا تقتضي الخلودَ في النّار مع وجودِ ذلك المأمور أو أدنى شيء منه ؟

السادس : إن جميعَ المحظوراتِ من أوَّلها إلى آخرِها تَسْقُطُ بمأمورِ التَّوبة ، ولا تسْقطُ المأموراتِ كلِّها إلا بالشركِ والوفاةِ ، ولا خلافَ بين الأمةِ أن كلَّ محظور يسقطُ بالتوبَةِ منه . واختلفوا هل تسقط الطاعَةُ بالمعصية ؟ وفي المسألة نزاع ، وتفاصيل ليس هذا موضِعُه .

السابع : إن ذنب الأب كان بفعلِ المحظورِ ؛ فكان عاقبتُه : أن اجتباه ربُّه ؛ فتابَ عليه وهدى ، وذنبَ إبليسَ كان بتركِ المأمورِ ؛ فكان عاقبته ما ذكر الله سبحانه وجعل هذا عبرة للذريَّةِ إلى يوم القيامةِ .

الثامن : إن المأمورُ محبوبٌ إلى الربِّ ، والمنهي مكروهٌ له ، وهو سبحانه إنما قدَّره وقضاه ، لأنه ذريعةٌ إلى حصول محبوبِه من عبدِهِ ومن نفسه تعالى : أما من عبدِهِ فالتوبةُ والاستغفارُ والخضوعُ والذلُّ والانكسارُ وغير ذلك ، وأما من نفسه فبالمغفرةِ والتوبةِ على العبدِ والعفوِ عنه والصفحِ والحلمِ والتجاوزِ عن حقه وغير ذلك مما هو أحبُّ إليه تعالى من فواته بعدم تقدير ما يكرهه ، وإذا كان إنما قدَّر ما يكرهه لأنه يكون وسيلةً إلى ما يحبُّه ، علم أن محبوبَه هو الغاية ؛ ففواتُ محبوبِه أبغضُ إليه وأكره له من حصول مبغوضِه ، بل إذا ترتب على حصول مبغوضِه ما يحبه من وجه آخر كان المبغوضُ مرادًا له إرادةَ الوسائلِ كما كان المنهي عنه وكراهته لذلك .

وأما المحبوبُ فمرادُه إرادةَ المقاصدِ كما تقدم ، فهو سبحانه إنما خَلَقَ الخلْقَ لأجل محبوبِه ومأمورِه ، وهو : عبادتُه وحدُه ؛ كما قال تعالى [١٧/أ] : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

وقدّر مكروهه ومبغوضه تكميلًا لهذه الغايةِ التي خَلَقَ خلقه لأجلها ، فإنه ترتَّب عليه من المأمورات ما لم يحصل بدون تقديرِه ، كالجهادِ الذي هو أحبُّ العملِ إليه ، والموالاةِ فيه [والمعاداةِ فيه][1] ، ولولا محبتُه لهذه المأموراتِ لما قَدَّر من المكروه له ما يكون سببًا لحصولها .

---

(١) زيادة في المطبوع .

التاسع : إنّ ترك المحظورِ لا يكونُ قربةً ما لم يقارنْه فعلُ المأمورِ ، فلو ترك العبد كلَّ محظورٍ لم يثبه الله عليه حتى يقارنَه مأمورُ الإيمان وكذلك المؤمن لا يكون تركه للمحظور قربة حتى يقارنه مأمور النيةِ بحيث يكون تركه لله ، فافتقر تركه المنهياتِ في كونه قربةً يثابُ عليها إلى فعلِ المأمورِ ولا يفتقرُ فعلُ المأمور في كونه قربةً وطاعةً إلى تركِ المحظورِ ، ولو افتقر إليه لم يقبلْ الله طاعةَ من عصاه أبدًا ، وهذا أبطلُ الباطلِ .

العاشر : إن المنهيَّ عنه مطلوبٌ إعدامُهُ ، والمأمور مطلوبٌ إيجاده ، والمرادُ : إيجادُ هذا ، وإعدام ذاك ، [فإذا قدِّر عَدَمُ الأمرين أو وجودُهما كان وجودُهما خيرًا من عدمِهما](١) ، فإنه إذا عُدِم المأمورُ لم ينفعْ عدَمُ المحظورِ ، وإذا وجد المأمورُ فقد يستعانُ به على دفع المحظورِ أو دفعِ أثرِهِ ، فوجودُ القوَّةِ والمرضِ خيرٌ من عَدمِ الحياةِ والمَرَضِ .

الحادي عشر : إن بابَ المأمورِ الحسنةُ فيه بعشرِ أمثالها إلى سبعمائةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة ، وبابُ المحظورِ السيئةُ فيه بمثلِها ، وهي بصدد الزوالِ بالتوبةِ ، والاستغفارِ ، والحسنةِ الماحيةِ ، والمصيبةِ المكفرةِ ، واستغفارِ الملائكةِ للمؤمنين ، واستغفارِ بعضِهم لبعضٍ وغيرِ ذلك ، وهذا يدل على أنه أحبُّ إلى الله من عَدَمِ المنهي عنه .

الثاني عشر : إن بابَ المنهياتِ يمحوه اللهُ سبحانه ويُبطلُ أثرَهُ بأمورٍ عديدة من فعل العبد وغيره : فإنه يبطلُه بالتوبة النصوحِ ، وبالاستغفارِ ، وبالحسناتِ الماحيةِ ، وبالمصائبِ المكفرةِ ، وباستغفارِ الملائكةِ ، وبدعاءِ المؤمنينِ ، فهذه ستة في حال حياته . وبتشديد الموت وكربه عليه وسياقه ، فهذا عند مفارقة الدنيا . [١٧/ ب]

وهولِ المطلع ، وروعةِ الملكين في القبر ، وضغطته ، وعصرتِه له ، وشدة الموقفِ وعنائِهِ وصعوبتِهِ ، وبشفاعةِ الشافعين فيه ، وبرحمة أرحم الراحمين له ؛ فإن عجزت هذه الأمور فلا بد من دخول النَّار ، ويكون لبثُه فيها على قدرِ نقاءِ خبثه ودَرَنِه ، فإن الله حَرَّمَ الجنةَ إلا على كلِّ طَيِّبٍ ، فما دام درنُه ووسخُه وخبثُه فيه فهو في كيرِ التطهيرِ حتى يَتَصفَّى من ذلك الوسخِ والخبثِ .

وأما بابُ المأموراتِ فلا يبطله إلا الشركُ .

---

(١) زيادة في المطبوع .

الثالث عشر : إن جزاءَ المأموراتِ الثوابُ ، وهو من باب الإحسانِ والفضلِ والرحمةِ ، وجزاءُ المنهياتِ العقوبةُ وهي من باب الغضبِ والعدلِ ، ورحمتُه سبحانه تغلبُ غَضَبَه ، فما تعلق بالرحمةِ والفضلِ أحبُّ إليه مما تعلق بالغضبِ والعدلِ ، وتعطيل ما تعلق بالرحمة أكره إليه من فعل ما تعلق بالغضبِ .

الرابع عشر : إن بابَ المنهياتِ تُسْقِطُ الآلافَ المؤلفةَ منه بالواحدة من المأمورات ، وبابُ المأموراتِ لا تُسقِطُ الواحدة منه الآلاف المؤلفة [من المنهيات][1].

الخامس عشر : إن متعلَّقَ المأمور الفعلُ وهو صفةُ كمالٍ ، بل كمالُ المخلوقِ من فِعاله ، فإنَّه فَعَلَ فَكَمُل ، ومتعلَّقُ النَّهي التركُ ، والتركُ عَدَمٌ ، ومن حيث هو كذلك لا يكون كمالًا ، فإن العدمَ المحضَ ليس بكمالٍ ، وإنما يكون كمالاً لما يتضمنُه أو يستلزمه من الفعلِ الوجودي المأمور الذي هو سببُ الكمالِ ، وإما أن يكونُ مجرد التركِ الذي هو عدمٌ محضٌ كمالًا أو سببًا للكمال فلا .

مثال ذلك : أنه لو تركَ السجودَ للصنمِ لم يكن كمالُه في مجردِ هذا التركِ ما لم يسجد لله ﷻ ، وإلا فلو تركَ السجودَ لله وللصنَمِ لم يكن ذلك كمالًا . وكذلك لو ترك تكذيبَ الرسولِ ومعاداتِه لم يكن بذلك مؤمنًا ما لم يفعل ضدَّ ذلك من التصديقِ والحبِّ وموالاتِه وطاعتِه .

فعُلمَ أن الكمالَ كله في المأمورات ، وأن المنهيَّ ما لم [١٨/ أ]يتصلُ به فعل المأمور لم يفدْ شيئًا ولم يكن كمالًا ، فإن الرجل لو قال للرسول لا أكذبُك ولا أصدقُك ولا أواليك ولا أعاديك ولا أحاربُك ولا أحاربُ من يحاربك لكان كافرًا ، ولم يكن مؤمنًا بترك معاداتِهِ وتكذيبِهِ ومحاربته ما لم يأت بالفعل الوجودي الذي أُمِر به .

السادس عشر : إن العبدَ إذا أتى بالمأمور به على وجه ترك المنهي عنه [ولا بد ، فالمقصود إنما هو فعلُ المأمورِ ، ومع فعله على وجهه يتعذر فعلُ المنهيِّ][2] ، فالمنهيُّ عنه في الحقيقة فعله هو تعريضٌ لترك المأمورِ وإضاعته ؛ فإن العبدَ إذا فعل ما أُمِرَ به من العدلِ

(١ - ٢) زيادة في المطبوع .

والعفَّةِ امتنع صدور الظُّلمِ والفواحش منه ، فنفسُ العدلِ يتضمن تركَ الظلم ، ونفسُ العفةِ تتضمنُ ترك الفواحشِ ، فدخل تركُ المنهيِّ عنه في المأمور به ضمنًا وتَبَعًا ، وليس كذلك في عَكْسه ، فإن تركَ المحظورِ لا يتضمن فعلَ المأمورِ ، فإن العبد قد يتركهما معا كما تقدم ، فعُلم أن القصد هو إقامةُ الأمر على وجهه ، ومع ذلك لا يمكن ارتكابُ المنهي عنه ألبتَّةَ ، وأما تركُ المنهيِّ عنه فإنه [لا] يستلزمُ إقامةَ الأمرِ .

السابع عشر : إن الربَّ تعالى إذا أمر عبدَه بأمرٍ ونهاه عن أمرٍ ففعلهما جميعًا كان قد حصَّلَ محبوبَ الربِّ ونقيضه ، فقد تقدم له من محبوبه ما يدفع شرَّ نقيضه ويقاومه ، ولا سيما إذا كان فعلُ ذلك المحبوب أحبَّ إليه من ترك ذلك المكروه البغيضِ ، فيهب له جناية ما فعل من هذا بطاعته ويتجاوز له عما فعل من الآخر .

ونظير هذا في الشاهد : أن يقتلَ الرجلُ عدوا للملك هو حريصٌ على قتله ، ثم يشربُ مسكرًا نهاه الملك عن شُربه ، فإنه يتجاوز له عن هذه الزلّة بل عن أمثالها في جنب ما أتى به من محبوبه . وأما إذا ترك محبوبه ونقيضه فإنه لا يقوم ترك نقيضه بمصلحة فعل محبوبه أبدًا ، كما إذا أمر الملكُ عبدَه بقتل عدوه ، ونهاه عن شرب مسكر ؛ فعصاه في قتل عدوه مع قدرته عليه [١٨/ ب]، وترك شرب المسكر ؛ فإن الملك لا يهب له جرمه بترك أمره في جنب ترك ما نهاه عنه ، وقد فطر الله عباده على هذا ؛ فهكذا الساداتُ مع عبيدِهم والآباءُ مع أولادهم ،والملوك مع جندهم ، والزوجات مع أزواجهم ، ليس التارك منهم محبوبَ الأمرِ ومكروهَه بمنْزلة الفاعلِ منهم محبوبِ الأمر وبغض مكروههِ . يوضحه الوجه

الثامن عشر : إن فاعل محبوب الربِّ يستحيل أن يفعل جميع مكروهه ، [بل يترك من مكروهه][1] وهو بقدر ما أتى من محبوبه ، فيستحيلُ الإتيانُ بجميع مكروهه وهو يفعلُ ما أحبه أو بعضه ، فغايتُه أنه اجتمع له الأمران فيحبه الربُّ تعالى من وجهٍ ، ويبغضُه من وجه . أما إذا تركَ المأمورَ به جملةً فإنه لم يَقُمْ بما يحبُّه الربُّ عليه ، فإن مجردَ

(١) زيادة في المطبوع .

تركِ المنهيِّ لا يكونُ طاعةً إلا باقترانه بالمأمورِ كما تقدم ، فلا يحبُّه على مجردِ التَّركِ ، وهو سبحانه يكرهه ويُبغضُه على مخالفةِ الأمر ، فصار مبغوضًا للرب تعالى من كلِّ وجهٍ ، إذ ليس فيه ما يحبُّه الربُّ عليه فتأمله .

يوضحه الوجه التاسع عشر : وهو أن الله سبحانه لم يعلِّق محبته إلا بأمرٍ وجودي أمر به إيجابًا أو استحبابًا ، ولم يعلقها بالتركِ من حيث هو تركٌ ولا في موضعٍ واحدٍ ، فإنه يحبُّ التوابين ، ويحب المحسنين ، ويحب الشاكرين ، ويحب الصابرين ، ويحب المتطهرين ، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ ، ويحب المتقين ، ويحب الذاكرين ، ويحب المتصدقين ؛ فهو سبحانه إنما علق محبتَه بأوامرِه ، إذ هي المقصودُ من الخَلْقِ والأمرِ ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، فما خَلَق الخلقَ إلا لقيامِ أوامره ، وما نهاهم إلا عما يصدُّهم عن قيامِ أوامره ويعوقُهم عنها .

يوضحه الوجه العشرون : وهو أن المنهيات لو لم تصد عن [١٩/ أ] المأمورات وتمنع وقوعها على الوجه الذي أمر الله بها لم يكن للنهي عنها معنًى ، وإنما نهى عنها لمضادتها لأوامره وتعويقِها لها وصدِّها عنها ، فالنهيُّ عنها من باب التكميلِ والتتمَّةِ للمأمور ، فهو بمنْزلةِ تنظيفِ طرقِ الماءِ ليجري في مجاريه غير معوقٍ ، فالأمر بمنْزلة الماء الذي أرسل في نهر لحياة البلاد والعباد ، والنهيُّ تنظيف طرقه ومجراه وتنقيتها مما يعوق الماء ، والأمر بمنزلة القوة والحياة والنهي بمنْزلةِ الحِمْيَةِ الحافظةِ للقوةِ والدواءِ الخادمِ لها .

قالوا : وإذا تبين أن فعلَ المأمورِ أفضلُ فالصبرُ عليه أفضل أنواع الصبر ، وبه يسهل عليه الصبر عن المحظور والصبرُ على المقدورِ ، فإن الصبرَ الأعلى يتضمنُ الصبرَ الأدنى دون العكس .

وقد ظهر لك من هذا : أن الأنواعَ الثلاثةَ متلازمةٌ ، وكلُّ نوعٍ منها يعينُ على النوعين الآخرين ، وإن كان من الناسِ مَنْ قُوَّةُ صبرِهِ على المقدورِ فإذا جاء الأمرُ والنهيُّ فقوة صبره هناك ضعيفةٌ ، ومنهم من هو بالعكس من ذلك ، ومنهم مَنْ قوةُ صبرِه في جانب الأمرِ أقوى ، ومنهم من هو بالعكس ، والله أعلم .

الباب العاشر
انقسام الصبر إلى محمود ومذموم

الصبر ينقسم إلى قسمين : قسمٌ مذمومٌ ، وقسمٌ ممدوحٌ

فالمذمومُ الصبرُ عن الله وإرادتِهِ ومحبتِهِ وسيرِ القلب إليه ، فإنَّ هذا الصبرَ يتضمَّنُ تعطيلَ كمال العبد بالكليةِ وتفويت ما خُلِقَ له ، وهذا كما أنه أقبحُ الصبرِ فهو أعظمهُ وأبلَغهُ ، فإنه لا صبرَ أبلغَ من صبرِ مَنْ يصبر عن محبوبه الذي لا حياة له بدونه ألبتة ، كما أنه لا زهدَ أبلغ من زهد الزاهد فيما أعدَّ اللهُ لأوليائه من كرامته مما لا عينَ رأت ، ولا أذنَ سمعت ،ولا خَطَر على قلبِ بشرٍ ، فالزهد في هذا أعظمُ أنواع الزهدِ وأبلغها ؛ كما قال رجل لبعض الزاهدين وقد [١٩/ ب] تعجب من زهده : ما رأيتُ أزهد منك ! فقال : أنت أزهد مني ، أنا زهدتُ في الدنيا وهي لا بقاءَ لها ولا وفاءَ ، وأنت زهدتُ في الآخرةِ فمن أزهد منا ؟

قال يحيى بن معاذ الرازي : صبر المحبين أعجبُ من صبر الزاهدين ، واعجبًا كيف يصبرون .

وفي هذا قيل :

الصَّبرُ يُحمَدُ في المواطِنِ كلِّها   إلَّا عليكَ فإنَّهُ لا يُحْمَدُ

ووقف رجل على الشبلي فقال : أيُّ الصبرِ أشدُّ على الصابرين ؟ فقال : الصبر في الله ؟ قال : لا . فقال : الصبر لله ؟ . فقال : لا . قال : الصبر مع الله ؟. قال : لا . فأي شيء هو ؟ قال : الصبر عن الله . فصرخ الشبلي صرخة كادت روحُه تزهق .

وقيل : الصبر مع الله وفاء ، والصبر عن الله جفاء .

وقد أجمع الناس على أن الصبرَ عن المحبوبِ غيرُ محمودٍ ، إذا كان كمال العبدِ وفلاحه في محبته . ولم تزل الأحبابُ تعيب المحبين بالصبر عنهم كما قيل :

والصَّبرُ عَنْكَ فَمَذْمُومٌ عَوَاقِبُهُ   وَالصَّبْرُ فِي سَائِرِ الْأَشْيَاءِ مَحْمُودُ

وقال آخر [في الصبر عن محبوبه :](١)

إِذَا لَعِبَ الرِّجَالُ بِكُلِّ شَيْءٍ ... رَأَيْتَ الحُبَّ يَلْعَبُ بِالرِّجَالِ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَمَّنْ حَلَّ مِنِّي ... بِمَنْزِلَةِ اليَمِينِ مَعَ الشِّمَالِ

وشكا آخر إلى محبوبه ما يقاسي من حبه فقال : لو كنت صادقًا لما صبرت عني .

وَلَمَّا شَكَوْتُ الحُبَّ قَالَتْ : كَذَبْتَنِي ... تَرَى الصَّبَّ عَنْ مَحْبُوبِهِ كَيْفَ يَصْبِرُ

والصبابة : رقة الشوق وحرارته .

فصل

وأما الصبرُ المحمود فنوعان : صبرٌ لله و صبرٌ بالله ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] وقال : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧]

وقد تنازع الناس أي الصبرين أكمل ؟.

فقالت طائفةٌ : الصبرُ له أكمل ؛ فإن ما كان لله أكمل مما كان بالله ، فإن ما كان له فهو غايةٌ وما كان به فهو وسيلةٌ ، والغاياتُ أشرفُ من الوسائلِ ، ولذلك وجب الوفاء بالنذرِ إذا كان تبررًا وتقربًا إلى الله ؛ لأنه نذرٌ له ، ولم يجب الوفاء به إذا خرج مخرج اليمين لأنه حلفٌ به ، فما كان له سبحانه فهو متعلقٌ بألوهيته [٢٠/ أ] ، وما كان به فهو متعلق بربوبيته ، وما تعلق بألوهيته أشرفُ مما تعلق بربوبيته ، ولذلك كان توحيدُ الألوهيةِ هو المنجي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده ؛ فإن عُبّادَ الأصنامِ كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ، ولكن لما لم يأتوا بتوحيدِ الألوهيةِ ، وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته .

وقالت طائفةٌ : الصبرُ بالله أكملُ بل لا يمكن الصبر له إلا بالصبر به ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ فأمره بالصبرِ ، والمأمورُ به هو الذي يُفْعَلُ لأجلِهِ ، ثم قال : ﴿ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ ؛ فهذه جملةٌ خبريةٌ غير الجملة الطلبية التي تقدَّمتها ، أخبر فيها أنه لا يمكنه

---

(١) زيادة في المطبوع .

الصبر إلا به .

وذلك يتضمن أمرين : الاستعانة به ، والمعية الخاصة التي تدل عليها باء المصاحبة ، كقوله : ((فبي يسمعُ ، وبي يبصرُ ، وبي يبطِشُ ، وبي يمشي))[1] ، وليس المرادُ بهذه الباء مجرد الاستعانةُ ، فإن هذا أمرٌ مشتركٌ بين المطيع والعاصي ، فإن ما لا يكون بالله لا يكون ، بل هي باءُ المصاحبةِ والمعيةِ التي صرَّح بمضمونها في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، وهي المعية الحاصلة لعبده الذي تقرب إليه بالنوافل حتى صار محبوبًا له ، فبه يسمع وبه يُبصرُ ، وكذلك به يصبرُ ، فلا يتحركُ ولا يسكنُ ولا يدركُ إلا والله معه ، ومتى كان كذلك أمكنه الصبرُ له وتَحَمُّلِ الأثقالِ لأجلهِ ؛ كما في الأثر الإلهيِّ : ((بعيني ما يتحمَّلـه المتحمّلون من أجـلي))[2] فدلّ قولهُ : ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ، على أنه من لم يكن الله معه لم يمكنه الصبرُ ، وكيف يصبرُ على الحكمِ الأمريِّ امتثالًا وتنفيذًا وتبليغًا ، وعلى الحكم القدري احتمالًا له واضطلاعًا به من لم يكن اللهُ معه ؟ فلا يطمعُ في درجة الصبر المحمودة عواقبُه من لم يكن صبرُه بالله ، كما لا يطمعُ في درجة المتقربِ المحبوب من لم يكن سمعُه وبصرُه وبطشُه ومشيُه بالله .

وهذا هو المراد من قوله : ((***كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ*** [٢٠/ ب] ***الَّذِي يُبْصِرُ***

---

(١) سيأتي بعد .

(٢) **ضعيف** : أخرجه أبو نعيم (٤/ ٦٣) عن وهب بن منبه من قوله في إسناده : إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل ابن عياض . قال ابن حبان : كان صاحب الفضيل بن عياض يروى عنه الرقائق ، يغرب ويتفرد ، فيخطئ ويخالف (لسان الميزان ١/ ٢٣) .

وعنه . إسماعيل بن يزيد القطان ، قال أبو نعيم : اختلط حديثه في آخر أيامه ، يذكر بالزهد والعبادة ، حسن الحديث كثير الغرائب والفوائد ، وقال أبو الشيخ : اختلط حديثه ولم يتعمد الكذب (ميزان ١/ ٢٧٠ ذيل) ، وأخرجه أيضاً أبو نعيم (٩/ ٢٦٨ حلية) عن أبي سليمان الداراني (عبد الرحمن بن أحمد ابن عطية العبسي) من قوله ، وهو (مستور - أي : مجهول الحال) ذكره ابن أبي حاتم (٥/ ٢١٤ الجرح والتعديل) وفي إسناده (محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر المفيد ، محدث مشهور - مجمع على ضعفه ، واتهم) روى مناكير عن مجاهيل . قال البرقاني : ليس بحجة ، وقال الباجي : أنكرت على أبي بكر المفيد أسانيد ادعاها (ميزان ٣/ ٤٤٦) (المغني ٥٢٦١) .

بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا »[1] ليس المراد : أنني كنت نفس هذه الأعضاء والقوى ، كما يظنه أعداء الله أهلُ الوحدة ، وأن ذات العبد هي ذاتُ الربِّ تعالى الله عن قول إخوان النصارى علوًّا كبيرًا .

ولو كان كما يظنون لم يكن فرق بين هذا العبدِ وغيرِه ، ولا بين حالتي تَقَرُّبِهِ إلى ربه بالنوافل وتمقُّتِهِ إليه بالمعاصي ، بل لم يكن هناك متقرَّبٌ ومتقرِّبٌ إليه ، ولا عابدٌ ولا معبودٌ ، ولا محبٌّ ولا محبوبٌ ؛ فالحديث كله مُكَذِّبٌ لدعواهم الباطلَةِ من نحو ثلاثين وجها تعرف بالتأمُّلِ الظَّاهِرِ .

وقد فسر المراد من قوله : « كنت سمعَه ، وبصرَه ، ويدَه ، ورجلَه » بقوله : « فبي يسمعُ ، وبي يبصرُ ، وبي يبطشُ ، وبي يمشِي »[2] فعبر عن هذه المصاحبة التي حصلت بالتقرُّب إليه بمحابِّهِ بألطفِ عبارة وأحسنها تدل على تأكد المصاحبةِ ولزومها حتى صار له بمنْزلةِ سمعه ، وبصره ، ويده ، ورجله .

---

(١) **قال الذهبي** : غريب جدا . أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ، وفي إسناده (خالد مخلد القطواني - صدوق - يتشيع - وله أفراد - تقريب ١٦٦٧) وقال أبو حاتم : له أحاديث مناكير ، وقال أيضاً : يكتب حديثه ، أي يصلح للشواهد والمتابعات (الجرح والتعديل ٣/ ٣٥٤) ، والحديث أورده الذهبي في الميزان ، وقال : فهذا حديث غريب جداً ، لولا هيبة الجامع الصحيح : أي البخاري لعدُّوه في منكرات خالد بن مخلد ، وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما يتفرد به شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، وليس بالحافظ ، ولم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد ، ولا خرجه من عدا البخاري ، ولا أظنه في مسند أحمد ، وقد اختلف في عطاء ، فقيل : هو ابن أبي رباح ، والصحيح أنه عطاء بن يسار .ا.هـ (ميزان الاعتدال ١/ ٦٢٥) ، وله طريق آخر عند أحمد (٦/ ٢٥٦) ، والبيهقي (٦٩٩ الزهد) ، والبزار (٤/ ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٨) من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا في إسناده (عبد الواحد بن ميمون مولى عروة عن عروة عنها به . عبد الواحد بن ميمون مولى عروة . قال أبو حاتم : تعرف وتنكر ٦/ ٢٤ الجرح والتعديل ، وقال النسائي : ليس بثقة ٣٦٩ الضعفاء والمتروكين ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال الدارقطني وغيره : ضعيف ٢/ ٥٢٢ ميزان) ، وله طريق آخر عنه البيهقي (٧٠٢ الزهد) ، والطبراني (٨/ ٢٤٤ الكبير) من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعا . في إسناده عبيد الله بن زحر عن على بن زيد جدعان عن القاسم عنه به . قال الذهبي : عبيد الله بن زحر عن على بن زيد ، مختلف فيه وهو إلى الضعف أقرب ، ضعفه أحمد بن حنبل ، وقال النسائي : لا بأس به (٣٩٢٢ المغني) وعلى بن زيد بن جدعان سبق له ترجمة رقم (١٥) . أما لفظة : فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي » فلم أقف عليها إلا أن الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٥٢ حديث رقم ٦٥٠٢) قال : وقع في رواية ، فذكرها ا.هـ ، ولم يعزوها إلى مصدر .

(٢) سبق تخريجه .

ونظيرُ هذا قوله : ((الحجرُ الأسودُ يمينُ الله في الأرض ؛ فمن صافحَهُ وقبَّلَهُ ؛ فكأنما صافحَ اللهَ ، وقبَّل يمينَه))[1].

ومثل هذا سائغٌ في الاستعمال أن ينْزِلَ الشيء إلى منْزلةِ ما يصاحبُه ويقارِبُه حتى يقول المحبُّ للمحبوبِ : أنت روحي ، وسمعي ، وبصري ، وقلبي وفي ذلك معنيان :

أحدهما: أنه قد صار منه بمنْزلةِ روحه وقلبِه وسمعِهِ وبصرِه .

والثاني: أن محبَّتَهُ وذكرَه لما استولى على قلبه وروحه صار معه وجليسه ، كما في الحديث : ((يقول اللهُ تعالى أنا جليسُ من ذَكَرَني))[2] ، وفي الحديثِ الآخر : ((**أَنَا مع عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**))[3] ، وفي الحديث الإلهي : ((**فَإِذَا أحببت عبدِي**

---

(١) **ضعيف جدًّا:** أخرجه ابن عدي (١/ ٣٣٦ الكامل في الضعفاء) الخطيب (٦/ ٣٢٨ تاريخ بغداد) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا ، وفي إسناده (إسحاق بن بشر الكاهلي - أبو يعقوب - كوفي متروك متهم (المغني ٥٤٦) .

(٢) **ضعيف:** من قول كعب الأحبار . أخرجه أحمد (٣٥٤ الزهد) أبو نعيم (٦/ ٤١ حلية) من قول كعب الأحبار . في إسناده : أبو مروان - والد عطاء بن أبي مروان - قال النسائي : ليس بمعروف . (المغني ٧٧٢٤) ، وله طريق آخر عند ابن نعيم (٦/ ٣٧ الحلية) أيضاً من قول كعب الأحبار ، وفي إسناده : إسحاق بن بشر - أبو حذيفة - مجمع على تركه ، وقد اتهم بالكذب ، وقال ابن المديني : كذاب (المغني ٥٤٥) .

كعب الأحبار هو : كعب بن ماتع الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، قدم المدينة من اليمن في أيام عمر ابن الخطاب ﷺ ، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يُحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ، ويحفظ عجائب ، ويأخذ السنن عن الصحابة ، وكان خبيرا بكتب اليهود . له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة (سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢ - ١٣) .

(٣) **صحيح:** أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠) ابن ماجه (٣٧٩٢) ، البخاري (٣٤٤ خلق أفعال العباد) ، ابن حبان (٢٣١٦ موارد) الحاكم (١/ ٤٩٦) ، البيهقي (١/ ٢٩١ - ٥٠٩ - ٥١٠ شعب الإيمان) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . من طريق إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن كريمة بنت الحسحاس عنه به ومن طريقه أيضا عن أم الدرداء ، وهي الصغرى عنه به . قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ويحتمل أن يكون عند إسماعيل عن كريمة وعن أم الدرداء معًا وهذا من الأحاديث التي علقها البخاري ولم يصلها في موضع آخر من كتابه - يعني الصحيح - ا.هـ (فتح ١٢/ ٥٠٩) .

ورواية الحاكم من حديث أبي الدرداء ﷺ مرفوعاً (١/ ٤٩٦) ، وإسنادها على شرط البخاري ومسلم ، وقال الحافظ ابن حجر (١٢/ ٥٠٩ فتح الباري) ، أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ . ا.هـ ، ولم يذكر أحد عن هذا الحديث أنه عن أبي الدرداء ﷺ ، وقد عزاه صاحب الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية ، واسمه محمد المديني برقم (١٢١) لابن حبان من حديث أبي الدرداء ﷺ وليس كما قال ، وأيضـًا برقم (٤٠٤) لابن النجار من حديث أبي الدرداء ﷺ أيضًا ولم يسبقه له أحد . والله أعلم .

كنتُ له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا »[(١)] ، ولا يعبر عن هذا المعنى بأتم من هذه العبارة ولا أحسن ولا ألطف منها ، وإيضاح هذه العبارة يزيدها[٢١/ أ] جفاءً وخفاءً .

والمقصود : إنما هو ذكرُ الصبرِ بالله ، وإن العبدَ بحسب نصيبه من معية الله له يكون صبرهُ ، وإذا كان الله معه أمكنه أن يأتيَ من الصبر بما لا يأتي به غيره .

قال أبو علي : فاز الصابرون بعز الدارين ؛ لأنهم نالوا من الله معيته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦]

وهاهنا سر بديع وهو : أن من تعلقَ بصفةٍ من صفاتِ الله تعالى أدخلته تلك الصفةُ عليه وأوصلته إليه ، والرب تعالى هو الصبور بل لا أحدَ أصبرُ على أذى سمعه منه ، وقد قيل : إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود : « تخلَّقْ بأخلاقي ؛ فإن مِنْ أخلاقي إني أنا الصبورُ »[(٢)] ، فالرب تعالى يحب أسماءَه وصفاته ، ويحب مقتضى صفاته وظهور آثارها في العبد ، فإنه تعالى جميلٌ يحب الجمالَ ، عفوٌّ يحب أهلَ العفو ، كريمٌ يحب أهلَ الكرم ، عليمٌ يحب أهلَ العلمِ ، وتر يحبُّ أهل الوتر ، قويٌّ والمؤمن القوي أحبُّ إليه من المؤمن الضعيف ، صبور يحب الصابرين ، محسن يحب المحسنين ، شكور يحب الشاكرين ، وإذا كان سبحانه يحب المتَّصِفِين بآثار صفاته فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصافِ ؛ فهذه المعية الخاصة عبر عنها بقوله : « كنتُ له سمعًا ، وبصرًا ، ويدًا ومؤيدًا ».

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه البيهقي (٥٧٧ الأسماء والصفات) البغوي (٥/ ١٢٤٩ شرح السنة) من حديث أنس ابن مالك ﷺ مرفوعًا وفي إسناده : عمر بن سعيد الدمشقي .
قال النسائي : ليس بثقة ، وقال مسلم : ضعيف الحديث (ميزان ٣/ ١٩٣- ١٩٤) وصدقه بن عبد الله السمين . الدمشقي (ضعيف - تقريب ٢٩٠٨) ، وهشام الكناني ، ولم أجد له ترجمة ، وفي إسناد البيهقي : الحسن بن يحيى (الخشن) عن صدقة بن عبد الله عن هشام الكناني عن أنس به ، قال النسائي : ليس بثقة (١٥٠ الضعفاء) ، قال الدارقطني : متروك (١٩٠ الضعفاء) ، قال ابن حجر : صدوق كثير الغلط (تقريب ١٢٩١) .

(٢) **لم أجده مسندًا**: فيض القدير (١/ ٤٦٥ - ٥/ ٣٦٣) .

فصل

وزاد بعضهم قسمًا ثالثًا من أقسام الصبرُ : وهو الصبر مع الله ، وجعلوه أعلى أنواع الصبر ، وقالوا : هو الوفاءُ ، ولو سُئل هذا عن حقيقة الصبر مع الله لما أمكنه أن يفسره بغير الأنواع الثلاثة التي ذُكِرت ، وهي : الصبرُ على أقْضِيَتِهِ ، والصبر على أوامِرِه ، والصبر عن نواهِيهِ ، فإن زعم أن الصبر مع الله هو الثبات معه على أحكامه يدورُ معها حيث دارت ؛ فيكون دائمًا مع الله لا مع نفسه فهو مع الله بالمحبة والموافقةِ ، فهذا المعنى حقٌّ ولكن مداره [٢١/ب] على الأنواع المتقدمة على الصبر ، فإن زعم أن الصبر مع الله هو الجامع لأنواع الصبر فهذا حق ، ولكن جعله قسمًا رابعًا من أقسام الصبر غير مستقيم .

واعلم أن حقيقة الصبر مع الله هو بثبات القلب بالاستقامةِ معه ، وهو أن لا يروغَ عنه روغانَ الثعالب ها هنا وها هنا ، فحقيقةُ هذا هو الاستقامة إلى الله وعكوفُ القلب عليه .

وزاد بعضهم قسمًا آخرًا من أقسامه ، وسماه : الصبر فيه . وهذا أيضًا غير خارج عن أقسام الصبر المذكورة ولا يعقل من الصبر فيه معنى غير معنى الصبر له ، وهذا كما يقال : فعلت في الله ولله ، كما قال خبيب ﵁ :

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَـهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَـارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وقد قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وقال : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ [الحج : ٧٨] ، وفي حديث جابر : ((**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَحْيَا أَبَاهُ وَقَالَ تَمَنَّ ، قَالَ : يَا رَبِّ أَنْ تُرْجِعَنِي إِلَى الدُّنْيَا حتَّى أُقْتَلُ فِيكَ مَرَّةً ثَانِيَةً**))[1] ، وقال ﷺ : ((**وَلَقَدْ**

(١) حسن لغيره : الترمذي (٣٠١٠) ، ابن ماجه (١٩٠) ، أحمد (٣/ ٣٦١) ، ابن جرير (٤/ ١١٤ تفسير) ، عبد بن حميد (١٠٣٩) ، الحاكم (٢/ ١٢٠) من حديث جابر ﵁ مرفوعًا . في إسناده : موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير ابن الفاكه قال : سمعت طلحة بن خراش قال : سمعت جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - فذكره .
موسى بن إبراهيم - كان ممن يخطئ (٧/ ٤٤٩ الثقات لابن حبان) قال الحافظ بن حجر : صدوق - يخطئ ٦٩٣٢ تقريب) . طلحة بن خراش . قال الأزدي : روى عن جابر مناكير ، وذكره أبو موسى في ذيل معرفة الصحابة ، وبين أن حديثه مرسل . قال ابن حجر : وفي سنن ابن ماجه من طريق موسى بن إبراهيم : سمعت طلحة بن خراش ابن عم جابر ا.هـ (تهذيب التهذيب ٥/ ١٥) قلت : لعل الوهم من موسى بن إبراهيم . وأخرجه أحمد (٣/ ٣٦١) ، والطبري (٤/ ١١٤ تفسير) ، والحاكم (٢/ ١٢٠) من طريق عبد الله بن محمد بن =

أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ »[1] .

وهذا يفهم منه معنيان :

أحدهما : أن ذلك في مرضاته وطاعته وسبيله ، وهذا فيما يفعله الإنسان باختياره ؛ كما في الحديث « **تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ** »[2] .

والثاني : أنه بسببه وفي جهته حصل ذلك ، وهذا فيما يصيبه بغير اختياره ، وغالبُ ما يأتي قولهم ذلك في الله في هذا المعنى ، فتأمل قوله ﷺ : « **وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله** » ، وقول خبيب : « وذلك في ذات الإله » ، وقول عبد الله بن حرام : « حَتَّى أُقتَل فيكَ » وكذلك قوله : ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، فإنه يترتب عليه الأذى فيه سبحانه . وليست في هاهنا للظرفية ولا لمجرد السببية وإن كانت السببية هي أصلها ، فانظر إلى قوله : « فِي نَفْسِ المؤمنِ مائةٌ من الإبلِ »[3] ، وقوله : « **دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ** »[4] ، كيف تجد فيه معنى زائدًا على السببية . وليست في للوعاء في [٢٢/ أ] جميع معانيها ، فقولك : فعلت هذا في مرضاتك ، فيه معنى زائد على قولك : فعلته لمرضاتك ، وأنت إذا قلت : أوذيت في الله ، لا يقوم مقام هذا اللفظ قولك : أوذيت لله ، ولا بسبب الله ، وإذا فهم المعنى طوي حكم العبارة .

= عقيل عنه به . عبد الله بن محمد بن عقيل . ضعفه النسائي ، وأبي حاتم ، وأبي بكر بن خزيمة وعلى بن المديني ويحيى بن معين وقال حنبل بن إسحاق عن أحمد : ابن عقيل منكر الحديث ، وقال الحاكم أبو أحمد : كان أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم يحتجان بحديثه ، ليس بذاك المتين المعتمد . وقال الجوزجاني : تُوُقِّفَ عنه ، عامة ما يرويه غريب (تهذيب الكمال ٤/ ٢٧٥ - ١٧٦) .

(١) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢٤٧٢) ، ابن ماجه (١٥١) ، ابن حبان (٢٥٢٨ موارد) ، أحمد (٣/ ١٢٠) ، عبد ابن حميد (١٣١٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٩٠٥) .

(٣) **مشهور** : أخرجه النسائي (٨/ ٦٠) ، مالك (٤٣ كتاب العقول - ١ الموطأ) من حديث عمرو بن حزم ﷺ كتابًا مرفوعًا ، قال الحاكم : وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة ، لا من حيث الإسناد ، بل من حيث الشهرة (تلخيص الحبير ٤/ ١٨) . في إسناده : أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم عن جده (مرسل) وهو من الثقات (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٨) .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٣١٨) ، مسلم (٦١٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

والمقصود : أن الصبرَ في الله إنْ أريدَ به هذا المعنى فهو حقٌّ ، وإن أريد به معنى خارج عن الصبر على أقضيةِ الله ومراده وأوامرِه ، وعن نواهيه وله وبه لم يحصل ، فالصابرُ في الله كالمجاهِدِ في الله ، والجهاد فيه لا يخرج عن معنى الجهاد به وله ، والله الموفق .

وأما قول بعضهم : الصبرُ لله غناءٌ ، والصبرُ بالله بقاءٌ ، والصبرُ في الله بلاءٌ ، والصبر مع الله وفاءٌ ، والصبر عن الله جفاءٌ ، فكلامٌ لا يجبُ التسليمُ لقائلِه ؛ لأنه ذكر ما سنح له وتصوره ، وإنما يجب التسليمُ للنقل المصدَّقِ عن القائل المعصوم .

ونحن نشرح هذه الكلمات :

أما قوله : الصبر لله غناء ، فإن الصبرَ لله بترك حظوظ النفس ومراداتها لمراد الله ، وهذا أشق شيء على النفس وأصعبه ، فإن قطع المنازعة التي بين النفس وبين الله بحيث يسير منها إلى الله شديدٌ جدًّا على النفس ، بخلاف السفر من النفس إلى الآخرة فإنه سهلٌ كما قال الجنيد : المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل - يعني على المؤمن - وهُجرانُ الخلقِ في جنْبِ الحق شديدٌ ، والمسير من النفس إلى الله صعبٌ شديدٌ ، والصبر مع الله أشدُّ .

وأما قوله : والصبر بالله بقاء ؛ فلأن العبدَ إذا كان بالله هان عليه كل شيء ، وتحمل الأثقال ولم يجدْ لها ثقلًا ، فإنه إذا كان بالله لا بالخَلْقِ ولا بنفسه كان لقلبه وروحِه وجودٌ آخر وشأنٌ آخر غير شأنِه إذا كان بنفسه وبالخلقِ ، وفي هذه الحال لا تجد عناءَ الصبرِ ولا مرارتَه ، وتنقلب مشاقُّ التكليف له نعيمًا وقرة عين ؛ كما قال بعض الزهاد : عالجتُ قيامَ الليل عشرين سنةً ثم تنعَّمتُ به عشرين سنةً ، ومن كانت قرةُ عينه في الصلاة لم يجدْ لها مشقةً وكلفةً . [٢٢/ب]

وأما قوله : والصبر في الله بلاء ؛ فالبلاءُ فوق العناء ، والصبر فيه فوق الصبر له وأخص منه ؛ كما تقدم ، فإن الصبرَ فيه بمنْزلةِ الجهادِ فيه وهو أشقُّ من الجهادِ له ، فكل مجاهِدٍ في الله وصابرٍ في الله مجاهد له وصابرٌ له من غيرِ عكسٍ ، فإنَّ الرجلَ قد يجاهدُ ويصبرُ لله مرة فيقع عليه اسمُ من فعل ذلك لله ، ولا يقعُ عليه اسم من فعل ذلك في الله ، وإنما يقع على من انغمسَ في العدو والجهادِ والصبرِ ودخلَ الجنةَ .

وأما قوله : « والصبرُ مع الله وفاءٌ » ؛ فلأن الصبرَ معه هو الثباتُ معه على أحكامِهِ ، وألا يزيغَ القلبُ عن الإنابةِ ، ولا الجوارحُ عن الطاعة ؛ فيعطي المعيةُ حقَّها من التوفية ؛ كما قال تعالى عن خليله : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] ؛ أي : وفى ما أُمر به بصبرِه مع الله على أوامرِه .

وأما قوله : « والصبر عن الله جفاء » فلا أجفى وأعظمُ ممن صبرَ عن معبودِهِ وإلهه ومولاه الذي لا مولى له سواه ، ولا حياةَ له ولا صلاحَ ولا نعيمَ إلا بمحبته والقربِ منه وإيثار مرضاته على كل شيء ، فأيُّ جفاءٍ أعظمُ من الصبرِ عنه .

وهذا معنى قول من قال : الصبرُ على ضربين : صبر العابدين وصبر المحبين ، فصبرُ العابدين أحسنه أن يكون محفوظًا ، وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضا ، كما قيل .

يَبِينُ يَوْمَ الْبَيْنِ أَنَّ اعْتِزَامَهُ عَلَى ‌ ‌ ‌ ‌ الصَّبْرِ مِنْ إِحْدَى الظُّنُونِ الكَوَاذِبِ

وقال الآخر :

وَلَمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالبُكَا ‌ ‌ ‌ ‌ أَجَابَ البُكَا طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ

قالوا : ويدل عليه أن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ورسول الله ﷺ إذا وعد وفى ، ثم حمله الوَجْدُ على يوسفَ والشوقُ إليه أن قال : ﴿ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ فلم يكن عَدَمُ صبره عنه منافيًا لقوله ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ فإن الصبرَ الجميلَ هو الذي لا شكوى معه ، ولا ينافيه الشكوى إلى الله سبحانَهُ وتعالى ، فإنه قد قال : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ والله تعالى أمر رسوله بالصبر الجميل [٢٣/ أ] ، وقد امتثل ما أمرَه به وقال : « اللهمَّ إليكَ أشكُو ضعفَ قوَّتي وقلةَ حِيلَتي » . الحديث(١) .

وأما قول بعضهم : « إن الصبرَ الجميلَ أن يكونَ صاحبُ المصيبةِ في القوم لا يُدْرَى من هو » فهذا من الصبرِ الجميلِ ؛ لا أن من فَقَدَهُ فقدَ الصبرَ الجميلَ ، فإن ظهورَ أثرِ المصيبةِ على العبدِ مما لا يمكن دفعُه ألبتة ، وبالله التوفيق .

---

(١) ضعيف: سبق تخريجه .

وزاد بعضهم في الصبر قسمًا آخر وسمّاه الصبرُ على الصبرِ ، وقال : هو أن يستغرقَ في الصبرِ حتى عجز الصبرُ عن الصبرِ ؛ كما قيل :

صَابَرَ الصَّبرَ فَاسْتَغَاثَ بِهِ الصَّبرُ فَصَاحَ المُحِبُّ بِالصَّبرِ صَبرًا

وليس هذا خارجًا عن أقسام الصبر ، وإنما هو المرابطةُ على الصبرِ ، والثباتُ عليه ، والله أعلم .

الباب الحادي عشر
في الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام

كلُّ أحدٍ لا بد أن يصبرَ على بعضِ ما يكرهُ إما اختيارًا وإما اضطرارًا ، فالكريم يصبرُ اختيارًا لعلمه بحُسنِ عاقبة الصبر ، وأنه يُحمدُ عليه ويذمُّ على الجزَعِ ، وأنه إن لم يصبر لم يَرُدّ الجزَعُ عليه فائتًا ، ولم ينْزع عنه مكروهًا ، وأن المقدورَ لا حيلةَ في دفْعِهِ ، وما لم يقدَّر لا حيلةَ في تحصيلِهِ ، فالجزَعُ خرق ضرُّهِ أقربُ من نفعِهِ ، قال بعض العقلاء : العاقل عند نزولِ المصيبةِ يفعلُ ما يفعله الأحمق بعد شهر ؛ كما قيل :

وَأَنَّ الأمـرَ يُفضِي إلى آخرَ فَيصـيرُ آخِـرُهُ أوَّلاً

فإذا كان آخرُ الأمرِ الصبرَ ، والعبدُ غيرُ محمودٍ ، فما أحسن بِه أن يستقبِلَ الأمرَ في أوله بما يستدبره الأحمقُ في آخره .

وقال بعض العقلاء : من لم يصبر صبرَ الكلامِ سَلا سلوَ البهائمِ .

فالكريم ينظر إلى المصيبةِ ، فإن رأى الجزَعَ يردُّها ويدفعُها فهذا قد ينفعه الجزعُ ، وإن كان الجزعُ لا ينفعه فإنه يجعلُ المصيبةَ مصيبتَين .

فصل

وأما اللئيمُ فإنه يصبرُ اضطرارًا ؛ فإنه يحومُ حولَ ساحةِ الجزع [٢٣/ب] فلا يراها تجدي عليه شيئًا فيصبرُ صبرَ الموثَقِ للضَّرْبِ ، وأيضًا فالكريمُ يصبرُ في طاعة الرحمن ، واللئيم يصبرُ في طاعَةِ الشيطانِ ؛ فاللئامُ أصبرُ الناس في طاعةِ أهوائِهم وشهواتهم وأقلُّ

الناسِ صبرًا في طاعةِ ربهم . فيصبر على البَذْلِ في طاعة الشيطان أتمَّ صبرٍ ، ولا يصبرُ في طاعةِ الله في أيسرِ شيءٍ ، ويصبرُ على تحمُّل المشاقِّ لهوى نفسِه في مرضاةِ عدوِّه ، ولا يصبرُ في أدنى المشاقِّ في مرضاةِ ربِّه ، ويصبرُ على ما يقال في عِرْضِه في المعصية ، ولا يصبرُ على ما يُقال في عرضِهِ إذا أُوذي في الله ، بل يَفِرُّ من الأَمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ خشيةَ أن يتكَلَّمَ في عرضِهِ في ذاتِ الله ، ويبذل عرضَه في هوى نفسِه ومراده صابرًا على ما يقال فيه ، وكذلك في هوى نفسِه ومرادِه ، فهو أصبرُ شيءٍ على البذل في طاعة الشيطان ! ومراد النفس وأعجز شيءٍ عن الصبرِ على ذلك في مراد الله ، وهذا أعظمُ اللؤمِ ، فلا يكون صاحبُه كريمًا عند الله ، ولا يقومُ مع أهلِ الكرمِ إذا نُودي بهم يومَ القيامة على رؤوسِ الأشهادِ ، ليعلمَ أهلُ الجمعِ من أولى بالكرمِ اليوم ... أين المتقون ؟.

الباب الثاني عشر
في الأسباب التي تعين على الصبر

لما كان الصبرُ مأمورًا به جعل الله سبحانه له أسبابًا تعين عليه وتوصل إليه ، وكذلك ما أمرَ الله سبحانه بأمر إلا أعان عليه ونصبَ له أسبابًا تمدُّه وتعينُ عليه ، كما أنه ما قدّر داء إلا وقدَّرَ له دواء وضمنَ الشفاءَ باستعمالِه .

فالصبرُ وإن كان شاقًّا كريهًا على النفوسِ فتحصيلُه ممكنٌ ، وهو يتركب من مفردين : العلمِ والعملِ ، فمنهما تُرَكَّبُ جميعُ الأدويةِ التي تداوى بها القلوبُ والأبدانُ ، فلا بد من جزء عِلْميٍّ وجزء عملي ، فمنهما يُرَكَّبُ هذا الدواء الذي هو أنفعُ الأدويةِ .

فأما الجزءُ العلمي فهو إدراكُ ما في المأمورِ من الخيرِ والنفع واللَّذةِ والكمالِ ، وإدراكُ ما في المحظور من الشَّرِّ والضرَر والنَّقْصِ ، فإذا أدرك هذين العلمين كما ينبغي أضاف إليهما العزيمةَ الصادقةَ والهمَّةَ [٢٤/ أ] العاليةَ والنَّخْوةَ والمروءةَ الإنسانيةَ وضم هذا الجزءَ إلى هذا الجزءِ ، فمتى فعل ذلك حَصَل له الصبرُ وهانت عليه مشاقُّه وحليت له

مرارتُه وانقلب ألمهُ لذّة ، وقد تقدَّمَ : أن الصبرَ مصارعةُ باعثِ العقلِ والدينِ لباعث الهوى والنفس ، وكل متصارعين أردنا أن يتغلَّبَ أحدهما على الآخر ، فالطريق فيهُ تقوية من أراد أن تكونَ الغلبةُ له وضعف الآخَرُ كالحال مع القوةِ والمرضِ سواء ، فإذا قوي باعثُ شهوةِ الوقاع المحرم وغلب بحيث لا يملك معها فرجه ، أو يملكه ولكن لا يملك طرْفَه ، أو يملكه ولكن لا يملك قَلْبَه ، بل لا يزالُ يحدثه بها هناك ويعدُه ويُمنيه ويصرفُه عن حقائق الذّكرِ والتفكرِ فيما ينفعه في دنياه وآخرتِهِ .

فإذا عَزَم على التداوي ومقاومةِ هذا الداء فليضعفه أولًا بأمورٍ .

أحدها : أن ينظرَ إلى مادةِ قوةِ الشهوةِ فيجدها من الأغذيةِ المحركة للشهوة إما بنوعِهَا أو بكمّيتها وكثرتها ؛ فليحسمَ هذه المادة بتقليلها ، فإن لم تنحسمْ ؛ فليبادر إلى الصوم فإنه يُضيقُ مجاري الشَّهوةِ ويكسر حدَّتها ، ولا سيّما إذا كان أكله وقت الفطر مُعتدلًا .

الثاني : أن يجتنبَ مُحرِّكَ الطلبِ وهو النَّظرُ ، فليقصر لجامَ طرفِهِ ما أمكنه ، فإن داعي الإرادةِ والشهوةِ إنما يهيجُ بالنظرِ ، والنَّظرُ يحرِّكُ القلبَ بالشهوةِ ، وفي المسند عنهﷺ : « النظرُ سهمٌ من سهامِ إبليسَ »[1] ، وهذا السهم يشرده إبليسُ نحو القلبِ ولا يصادف جُنَّةً دونه ، وليست الجُنَّةُ إلا غض الطرفِ أو التحيّز والانحرافِ عن جهةِ الرمي ؛ فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوسِ الصُّوَرِ ، فإذا لم تقف على طريقِها أخطأك السهم ، وإن نصبت قلبَك غرضًا فيوشك أن يقتُلَه سهمٌ من تلك السهامِ المسمومةِ .

الثالث : تسليةُ النفسِ بالمباحِ المعوِّضِ عن الحرام ، فإن كلَّ ما يشتهيه الطبعُ ففيما

---

(١) **ضعيف جدًا** : أخرجه الطبراني (١٠/ ٢١٤ - ١٠٣٦٢ كبير) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا ، والحاكم (٤/ ٣١٣) من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ مرفوعًا .

وفي الإسنادين : عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث . الواسطي (أبو شيبة) ضعيف (تقريب ٣٧٩٠) . وفي إسناد الطبراني : عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وهو (ثقة) وقد اختلف في سماعه من أبيه عبد الله بن مسعود ﷺ (تهذيب التهذيب ٦/ ٢١٥) وفي إسناد الحاكم : إسحاق بن عبد الواحد القرشي (متروك) (المغني ٥٧١) .

قلت : ولم أقف عليه في مسند أحمد ولعله في مسند آخر . والله أعلم .

أباحه الله سبحانه غنيةٌ عنه ، وهذا هو الدواء النافعُ في حقِّ أكثرَ الناسِ ؛ كما أرشدَ إليه النبي ﷺ .

فالدواء الأول : يشبهُ قطعُ العلفِ عن الدّابةِ الجموحِ ، وعن الكلبِ الضاري ؛ لإضعافِ قوتها .

والدواء الثاني : يشبه تغييب اللحمِ عن الكلبِ والشعيرِ عن البهيمةِ لئلا تتحرك نفوسها له عند المشاهدَةِ .

والدواء الثالث : يشبه إعطاؤها من الغذاءِ ما يميل إليه طبعها بحسب الحاجة ؛ لتبقى معه القوةُ ؛ فتطيع صاحبها ، ولا تغلبه بإعطائها الزيادةَ على ذلك .

الرابع : التفكيرُ في المفاسدِ الدنيوية المتوقعةِ من قضاء هذا الوَطَر ، فإنه لو لم يكن جَنَّةٌ ولا نارٌ لكان في المفاسد الدنيويَّةِ ما ينهي عن إجابةِ هذا الداعي ، ولو تكلَّفنا عدها لفات الحصْرَ ، ولكن عينَ الهوى عمياءُ .

الخامس : الفكرة في مقابيح الصورةِ التي تدعوه نفسُه إليها إن كانت معروفةً بالإجابة له ولغيره ؛ فتنفر نفسه أن تشرب من حوضٍ تَرِدْه الكلابُ والذئابُ ؛ كما قيل :

سَأَتْرُكُ وَصْلَكُم شَرَفًا وَعِزًّا ... لخِسَّةِ سَـائِرِ الشُّرَكَاءِ فِيـهِ
إذَا كَثُرَ الذُّبَابُ عَلَى طَعَامٍ ... رَفَعْتُ يَدِي ونَفْسِي تَشْتَهِيهِ

وقال آخر :

وتُجْتَنِبُ الْأُسُودُ وُرُودَ مَاءٍ ... إِذَا كَانَ الْكِلَابُ يَلَغْنَ فِيهِ

وليذكر مخالَطَة ريقه ريق كلِّ خبيثٍ وريقهُ الداءُ الدَّوي ، فإن ريقَ الفاسقِ داءٌ ؛ كما قيل :

تَسَلَّ يَا قَلْبُ عَنْ سَمْحٍ بِمُهْجَتِهِ ... مُبَـذلٌ كُـلُّ مَنْ يَلْقَـاهُ يَعْرِفُـهُ
كَالمَـاءِ أَيُّ صَـيْدٍ يَأْتِيـهِ يَنْهَلُـهُ ... وَالغُصْـنُ أَيُّ نَسِيمٍ مَـرَّ يَعْطِفُـهُ [٢٥/أ]
وَإِنْ حَـلَا رِيقُهُ فَاذْكُـرْ مَـرَارَتَهُ ... فِـي فَـمِ أَبْخَـرٍ يَجْنِيـهِ ويَرْشُـفُهُ

ومن له أدنى نخوةٍ ومروءةٍ يأنفُ لنفسِهِ من مواصلةِ مَنْ هذا شأنُه ، فإن لم تُجبه نَفْسُه

عن الإعراضِ ورضيَ بالمشاركةِ فلينظرْ إلى ما وراء هذا اللونِ والجمالِ الظاهرِ من القبائحِ الباطنةِ ، فإن من مَكّن من نفسِه فعل القبائح فنفسُه أقبحُ من نفوسِ البهائم ، فإنه لا يرضى لنفسِه بذلك حيوانٌ من الحيواناتِ أصْلًا إلا ما يحكى عن الخنْزيرِ ، وأنه ليس في الحيوانات لوطي سواه ، فقد رضيَ هذا الممكن من نفسِهِ أن يكون بمنْزلةِ الخنْزيرِ ، وهذا القبحُ يغطي كلَّ جمالٍ وملاحةٍ في الوجهِ والبَدَنِ ، غير أن حبكَ الشيء يُعمي ويُصِم .

وإن كانت الصورةُ أنثى فقد خانت الله ورسولَه وأهلَها وبعلها ونفسَها وأورثتْ ذلك لمن بعدها من ذريتها ، فلها نصيبٌ من وزرهم وعارِهم ، ولا نسبة لجمالِ صورتها إلى هذا القبحِ ألبتة .

وإذا أردتَ معرفةَ ذلك فانظر إلى القُبحِ الذي يعلو وجهَ أحدِهما في كِبَرِه ، وكيف يقلبُ الله سبحانه تلك المحاسنِ قبائح حتى تعلو الوحشةُ والقبحُ وجهَه ؛ كما قيل شعرًا .

لَوْ فَكَّرَ العاشقُ في مُنْتَهَى حُسنِ الَّذي يَسبيه لم يَسبِه

وتفصيل هذه الوجوه يطول جداً ، فيكفي ذكر أصولها .

فصل

وأما تقوية باعث الدين ؛ فإنه يكون بأمور .

أحدها : إجلالُ الله تبارك وتعالى أن يُعصى وهو يَرى ويَسمع ، ومن قام بقلبه مشهدُ إجلالِه لم يطاوعْه قلبُه لذلك ألبتة .

الثاني : مشهدُ محبته سبحانه ؛ فيتركُ معصيتَه محبةً له ، فإن المحبَّ لمن يُحبُّ مُطيعُ ، وأفضلُ التركِ تركُ المحبين ، كما أن أفضلَ الطاعَةِ طاعةَ المحبين ، فبين تَرْكِ المحبِّ وطاعتِهِ وتركِ من يخافُ العذابَ وطاعتِهِ بونٌ بعيدٌ .[٢٥/ب]

الثالث : مشهدُ النّعمة والإحسانِ ؛ فإن الكريمَ لا يقابلُ بالإساءَةِ من أحسنَ إليه ، وإنما يفعلُ هذا لئامُ الناسِ ، فليمنعهُ مشهدُ إحسانِ الله تعالى ونعمته عن معصيتِهِ حياءً منه أن يكونَ خيرُ الله وإنعامه نازلًا عليه ومخالفتُه ومعاصيه وقبائحُه صاعدةً إلى ربِّه ، فَمَلَكٌ ينْزل بهذا ومَلَكٌ يَعْرُجُ بهذا فأقبح بها من مقابلةٍ .

الرابع : مشهدُ الغضبِ والانتقامِ ؛ فإن الربَّ تعالى إذا تمادى العبدُ في معصيتِهِ غَضِبَ ، وإذا غَضِبَ لم يَقُمْ لغضبِهِ شيءٌ فضلًا عن هذا العبدِ الضعيفِ .

الخامس : مشهد الفواتِ ، وهو : ما يفوتُهُ بالمعصيةِ من خيرِ الدنيا والآخرةِ ، وما يحدثُ له بها من كل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا ويزول عنه من الأسماء الممدوحة شرعًا وعقلًا وعرفًا ، ويكفي في هذا المشهد أن يشهد فوات الإيمان الذي أدنى أدنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا وما فيها بأضعاف مضاعفة ، فكيف يبيعه بشهوة تذهب لذتها وتبقى تَبعتُها ، تذهب الشَّهْوَة وتبقى الشقوة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : ((**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**))[1] .

قال بعض الصحابة : يُنْزعُ منه الإيمانُ حتى يبقى على رأسِهِ مثل الظُّلَّة ؛ فإن تابَ عاد إليه . وقال بعض التابعين : ينْزعُ عنه الإيمانُ كما ينزع عنه القميصُ فإن تابَ لبسَهُ . ولهذا روي عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري[2] : ((**الزُّنَاةُ فِي التَّنُّورِ عُرَاةٌ ؛ لِأَنَّهُمْ تَعَرَّوا مِنْ لِبَاسِ الْإِيمَانِ ، وَعَادَ تَنُّورُ الشَّهْوَةِ الَّذِي كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ تَنُّورًا ظَاهِرًا يُحْمَى عَلَيْهِ بِالنَّارِ**)) .

السادس : مشهدُ القهر والظفر ؛ فإنَّ قهرَ الشهوةِ والظفرَ بالشيطانِ له حلاوةٌ ومسرةٌ وفرحةٌ عند من ذاقَ ذلك أعظم من الظَّفَرِ بعدُوه من الآدميين وأحلى موقعًا وأتم فرحةً ، وأما عاقبتُه فأحمدُ عاقبةً [٢٦/أ] ، وهو كعاقبةِ شربِ الدواءِ النافعِ الذي أزال داءَ الجسدِ ، وأعادَه إلى صحتِه واعتدالِه .

السابع : مشهد العِوَضِ ، وهو : ما وَعَد الله سبحانه من تعويضٍ بمن كف نفسه وترك المحارمَ لأجلِهِ ، ونهى نفسَه عن هواها ، وليوازنه بين العوضِ والمعوضِ ، فأيُّهما كان أولى بالإيثارِ اختارَه وارتضاهُ لنفسِه .

الثامن : مشهدُ المعيّة ، وهو نوعان : معيَّةٌ عامةٌ . ومعيةٌ خاصةٌ .

---

(١) **صحيح** : البخاري (٢٤٧٥) ، مسلم (٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٢) **صحيح** : البخاري (٧٠٤٧) مطولًا من حديث سمرة بن جندب ﷺ مرفوعًا .

فالعامة : إطلاعُ الربِّ تعالى عليه ، وكونه بعينه لا يخفى عليه حالُه ، وقد تقدم هذا .

والمقصود هنا : المعية الخاصة ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ؛ فهذه المعية الخاصة خير له وأنفعُ في دنياه وآخرته من قضاء وطرِه ونيل شهوتِه على التمامِ من أوّلِ عمرِه إلى آخره ، فكيف يُؤْثرُ عليها لذةً مُنَغَّصَةً مُنَكَّدَةً في مدةٍ يسيرةٍ من العمر إنما هي كأحلامِ نائمٍ أو كظلٍّ زائلٍ .

التاسع : مشهد المغافصة والمعالجة وهو : أن يخافَ أن يغافِصَه الأجل ؛ فيأخذه الله على غِرّة ؛ فيحال بينه وبين ما يشتهي من لذات الدنيا وبينه وبين ما يشتهي من لذات الآخرة ، فيا لها من حسرةٍ ما أمرّها وما أصعبَهَا ، ولكن ما يعرِفُها إلا من جَرَّبها ، وفي بعض الكتب القديمة : يا من لا يأمنُ على نفسِهِ طرفةَ عينٍ ولا يتم له سرور يوم ، الحذرَ الحذرَ .

العاشر : مشهدُ البلاءِ والعافيةِ ؛ فإن البلاءَ في الحقيقةِ ليس إلا الذنوب وعواقبها ، والعافيةُ المطلقةُ هي الطاعاتُ وعواقبُها ، فأهلُ البلاءِ هُم أهلُ المعصيةِ وإن عوفيت أبدانُهم ، وأهلُ العافيةِ هم أهل الطاعَةِ وإن مَرِضَت أبدانهم .

وقال بعض أهل العلم في الأثر المروي : « إذا رأيتم أهلَ البلاءِ فاسألوا الله العافيةَ »[1] فإن أهلَ البلاءِ المبتلون بمعاصي الله ﷻ والإعراض والغفلة عنه ، وهذا وإن كان [٢٦/ ب] أعظم البلاء فاللفظُ يتناول أنواعَ المبتلين في أبدانهم وأديانهم ، والله أعلم .

الحادي عشر : أن يُعَوِّدَ باعثَ الدينِ وداعيه مصارعًا لداعي الهوى ومقاومًا له على التدريج قليلًا قليلًا حتى يدرك لذَّةَ الظَّفَرِ ؛ فتقوى حينئذٍ همته ، فإن من ذاقَ لذَّةَ شيءٍ قويت همتُه في تحصيله ، والاعتياد لممارسةِ الأعمالِ الشاقةِ تزيدُ القوى التي تصدر عنها

---

(١) **ضعيف جدًا** : أخرجه الخطيب (١٢/ ١٦١ تاريخ) . أخبرني الحسن بن غالب قال : سمعت عباس الآجري يقول : سئل الشبلي عن قول النبي ﷺ فذكره . الحسن بن غالب بن المبارك أبو على البغدادي المقرئ - ليس بثقة (ميزان ١/ ٥١٠)(لسان الميزان ٢/ ٣٠١) (المغني ١٤٦١) .

تلك الأعمالُ ، ولذلك تجد قوى الحمَّالِين وأرباب الصنائعِ الشاقَّةِ تتزايد بخلاف البزاز والخياط ونحوهما ، ومن ترك المجاهدةَ بالكليةِ ضَعُفَ فيه باعثُ الدِّين وقوي فيه باعثُ الشهوة ، ومن عَوَّدَ نفسَه مخالفةَ الهوى غلبه متى أراد .

الثاني عشر : كفُّ الباطل عن حديثِ النفسِ ، وإذا مرت به الخواطرُ نفاها ولا يؤويها ويساكنها ، فتصير مُنى ، وهي رؤوس أموال المفاليس ، ومتى ساكن الخواطر صارت أماني ، ثم تقوى فتصير هموما ، ثم تقوى فتصير إرادات ، ثم تقوى فتصير عزمًا يقترن بها المراد ، فدفعُ الخاطرِ الأول أسهلُ وأيسرُ من دفعِ أثرِ المقدورِ بعد وقوعه وترك معاودته .

الثالث عشر : قطعُ العلائقِ والأسبابِ التي تدعوه إلى موافقةِ الهوى ، وليس المراد أن لا يكون له هوى ، بل المراد أن يصرف هواه إلى ما ينفعُه ويستعملُه في تنفيذ مراد الربِّ تعالى ، فإن ذلك يدفعُ عنهُ شرَّ استعماله في معاصيه ، فإن كلَّ شيءٍ من الإنسانِ يستعمله لله فإن الله يقيه شرَّ استعماله لنفسه وللشيطان ، وما لا يستعمله لله استعمله لنفسه وهواه ولا بُدَّ .

فالعلمُ إن لم يكنْ لله كان للنفسِ والهوى . والعملُ إن لم يكنْ لله كان للرّياءِ والنفاقِ . والمال إن لم ينفقْ لله أنفق في طاعة الشيطانِ والهوى . والجاهُ إن لم يستعمل الله استعمله صاحبه في هواه وحظوظه . والقوة إن لم يستعملها في أمر الله استعمَلَتْهُ في معصيتِهِ .

فمن عوَّدَ نفسَه العملَ لله لم يكن عليه أشق من العمل لغيره ، ومن [٢٧/ أ]عوّد نفسه العمل لهواه وحظه لم يكن عليه أشق من الإخلاص والعمل لله ، وهذا في جميع أبوابِ الأعمال ، فليس شيء أشق على المنفقِ لله من الإنفاق لغيره ، وكذا بالعكس .

الرابع عشر: صرفُ الفكرِ إلى عجائبِ آيات الله التي ندب عبادَه إلى التفكُّرِ فيها ، وهي : آياته المتلوَّة وآياته المخلوقة ، فإذا استولى ذلك على قلبه دفع عنه محاضرة الشيطانِ ومحادثته ووساوسه ، وما أعظم غبن من أمكنه أن لا يزال محاضر الرحمن وكتابه ورسوله وأصحابه ، فرغب عن ذلك إلى محاضرة الشيطانِ من الإنس والجان ، فلا غبن يعدل هذا الغبنِ ، والله المستعان .

الخامس عشر : التفكر في الدنيا وسرعةُ زوالِها وقُربَ انفصالها ، فلا يرضى لنفسِه أن يتزوَّدَ منها إلى دارِ بقائِه وخلوده أخسَّ ما فيها وأقلَّه نفعًا إلا ساقط الهمَّةِ دنيءُ المروءةِ ميِّتُ القلب ، فإن حسرتَه تشتدُّ إذا عاين حقيقةَ ما تزودهَ وتبين له حقيقة عدم نفعِه له ، فكيف إذا كان زاده ما يعذَّبُ به ويناله بسببِه غايةُ الألم ، بل إذا تزود ما ينفعه وترك ما هو أنفع له منه كان ذلك حسرةً عليه وغُبْنًا .

السادس عشر : تعرضه إلى مَن القلوب بين أصبعيه ، وأَزِمَّة الأمورِ بيديه ، وانتهاء كل شيء إليه على الدوام ، فلعله أن يصادفَ أوقاتِ النفحات ؛ كما في الأثر المعروفِ : « إنَّ لله في أيامِ دهركم نفحات ؛ فتعرَّضُوا لنفحاتِهِ ، وسلوا الله أن يَسْتُرَ عوراتِكم ، ويُؤَمِّنَ رَوعَاتِكم »(1).

ولعله في كثرةِ تعرضه أن يصادفَ ساعةً من الساعاتِ التي لا يُسأَلُ الله فيها شيئًا إلا أعطاه ، فمن أُعطى منشور الدعاءِ أُعطي الإجابة ، فإنّه لو لم يُرِد إجابتَه لما ألهمه دعاءه ؛ كما قيل :

لَوْ لَمْ تُرِدْ نَيْلَ مَا أَرْجُـو وَأَطْلُبُهُ ... مِنْ جُودِ كَفِّكَ مَا عَوَّدْتَنِي الطَّلَبَا

ولا يستوحش من ظاهرِ الحالِ ، فإن الله سبحانه يعاملُ عبدَه [٢٧/ ب] معاملة من ليس كمثله شيء في أفعاله ، كما ليس كمثله شيء في صفاته ، فإنه ما حَرَمه إلا ليعطيه ، ولا أمرضَه إلا ليشفيه ، ولا أفقره إلا ليُغنيه ، ولا أماته إلا ليحييه ، وما أخرج أبويه من

---

(١) **ضعيف** : أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٧ الفرج) ، الطبراني (٧٢٠ كبير) ، أبو نعيم (٣/ ١٩٠ حلية) ، مسند الشهاب (١/ ٤٢٧ للقضاعي) ، البيهقي (١٥٠ الأسماء والصفات) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعا . ابن أبي الدنيا ، خرجه من حديث أبي هريرة ﷺ ، والإسناد إلى الصحابي عنه جميعهم واحد ، في الإسناد : عيسى بن موسى بن محمد بن إياس بن بكير ، قال أبو حاتم : ضعيف : (الجرح والتعديل ٦/ ٢٨٥) والخطأ عند ابن أبي الدنيا يحمل على ضعف الإسناد من تحت عيسى بن موسى ، فقد جاء من طريق رويم بن يزيد ثنا الليث بن سعد عنه به ، قال ابن حجر : روى عن الليث حديثًا منكرًا لا أخبره بجرح ولا تعديل . قال العراقي في ذيل الميزان عن النباتي في الحافل (لسان الميزان ٢/ ٥٧٨) . قلت : فالجمل على رويم بن يزيد ا.هـ .

وأخرجه الطبراني (٦٢٣٩ الأوسط ، ٥١٩ كبير) من حديث محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ مرفوعًا . وفي إسناده راويان مبهمان .

الجنة إلا ليعيدهما إليها على أكملِ حال ؛ كما قيل : يا آدمُ لا تجزعْ من قولي لك اخرجْ منها ، فلك خلقتها وسَأُعيدُكَ إليها .

فالربُّ تعالى ينعمُ على عبده بابتلائه ، ويعطيه بحرمانِهِ ، ويصحبُه بسقمه ، فلا يستوحش من حالة تسوؤه أصلًا إلا إذا كانت تغضبُه عليه ، وتبعدهُ منه .

السابع عشر : أن يعلمَ العبدُ أن فيه جاذبين متضادين ، ومحنته بين الجاذبين : جاذب يجذبه إلى الرفيقِ الأعلى ؛ ليكون من أهل عليين . وجاذب يجذبه إلى أسفلِ سافلين .

فكلما انقادَ مع الجاذبِ الأعلى صعد درجةً حتى ينتهي إلى حيث يليقُ به من المحلِّ الأعلى ، وكلما انقادَ إلى الجانب الأسفل نزل درجةً حتى ينتهي إلى موضعه من سجين ، ومتى أراد أن يعلمَ هل هو مع الرفيقِ الأعلى أو الأسفل ، فلينظر أين هو ومع من هو في هذا العالم ، فإن الروح إذا فارقت البدنَ تكون في الرفيق الذي كانت منجذبة إليه في هذه الدنيا فهو أولى بها ، فالمرءُ مع من أحبَّ طبعًا وعقلًا وجزاءً ، وكلُّ مهتمٍّ بشيء فهو منجذبٌ إليه وإلى أهله بالطبع ، وكل امرئ يصبو إلى من يناسبه ، وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٨٤] ؛ فالنفوسُ العلويةُ تنجذب بذاتها وهممها وأعمالها إلى أعلى ، والنفوسُ السافلةُ إلى أسفلَ .

الثامن عشر : أن يعلمَ العبدُ أن تفريغَ المحلِّ شرطٌ لنُزول غيثِ الرحمةِ ، وتنقيته من الدَّغل شرطٌ لكمالِ الزَّرع ، فمتى لم يُفَرَّغ المحل لم يصادفْ غيثُ الرحمةِ محلًّا فارغًا قابلًا ينْزل فيه ، وإن فرَّغه حتى أصابه غيثُ الرحمةِ لكنه لم ينقه من الدَّغَلِ لم يكن الزرعُ زرعًا كاملًا بل ربما غلب الدَّغَلُ على الزرعِ فكان الحُكْمُ له [٢٨/ أ] ، وهذا كالذي يُصلحُ أرضَه ، ويهيئها لقبولِ الزَّرعِ ، ثم يودعُ فيها البذورَ ، وينتظرُ نزولَ الغيثِ ، فإذا طهَّر العبدُ قلبه وفرغه من إرادات السوءِ وخواطره ، وبذر فيه بذر الذِّكر والفِكْرِ والمحبَّةِ والإخلاصِ ، وعرَّضَه لهبات رياحِ الرَّحمةِ ، وانتظرَ نزول غيث الرحمة في أوانه كان جديرًا بحصول المغل ، وكما يقوى الرجاء لنزول الغيث في وقته كذلك يقوى الرجاءُ لإصابةِ نفحاتِ الرحمنِ جلّ جلاله في الأوقاتِ الفاضلةِ والأحوالِ الشريفةِ ، ولا سيما إذا اجتمعت الهِمَمُ ، وتساعدت القلوبُ ، وعَظُم الجمعُ ؛ كجمعِ عرفةَ ، وجَمعِ

الاستسقاءِ ، وجَمْعِ أهلِ الجمعة ، فإنَّ اجتماعَ الهممِ والأنفاسِ أسبابٌ نصَبها الله تعالى مقتضية لحصول الخيرِ ونزول الرحمة كما نصب سائر الأسباب مفضية إلى مسبباتها ، بل هذه الأسباب في حصولِ الرحمةِ ؛ أقوى من الأسبابِ الحسيةِ في حصول مسبِّباتها ، ولكنَّ العبدَ بجهلهِ يغلبُ عليه الشاهدُ على الغائبِ والحس على العقل ، ولظلمه يُؤْثر ما يحكمُ به هذا ويقتضيه على ما يحكمُ به هذا ويقتضيه ، ولو فَرّغ العبدُ المحلَّ وهيأه وأصلحه لرأى العجائبَ ، فإن فضلَ الله لا يردُّه إلا المانعُ الذي في العبدِ ، فلو أزال ذلك المانعُ لسارعَ إليه الفضلُ من كل صوبٍ ، فتأمل حالَ نهرٍ عظيمٍ يسقي كلَّ أرضٍ يمرُّ عليها فحصلَ بينه وبين بعضِ الأرضِ المعطشةِ المجدبةِ سَكْرٌ وسَدٌّ كثيفٌ ؛ فصاحب الأرض يشكو عطش أرضه وجدبها والنهْرُ إلى جانب أرضِه .

التاسع عشر : أن يعلمَ العبدُ أن الله سبحانه خلقه لبقاءٍ لا فناءَ له ، ولعزٍّ لا ذلَّ معه ، وأمنٍ لا خوفَ فيه ، وغَناءٍ لا فقرَ معه ، ولذة لا ألمَ معها ، وكمالٍ لا نقصَ فيه ، وامتحنه في هذه الدار بالبقاءِ الذي يُسرِعُ إليه الفَنَاء ، والعِزَّ الذي يقارنه الذُّلُّ [٢٨/ ب] ويعقبُه الذُّلُّ ، والأمن الذي معه الخوف وبعده الخوف ، وكذلك الغناء واللذّة والفرحة والسرور والنعيم الذي هنا مشوب بضدِّه ؛ لأنه يتعقبه ضده ، وهو سريعُ الزوال ، فغلطُ أكثر الناس في هذا المقام إذ طلبوا النَّعيمَ والبقاءَ والعزَّ والملكَ والجاه في غير محلِّه ؛ ففاتهم في محلِّه ، وأكثرهم لم يظفر بما طلبه من ذلك ، والذي ظَفِر به إنما هو متاعٌ قليلٌ ، والزوالُ قريبٌ ؛ فإنه سريعُ الزوالِ عنه .

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءوا بالدعوةِ إلى النعيم المقيم والملك الكبير ، فمن أجابهم حصلَ له ألذُّ ما في الدنيا وأطيبه ، فكان عيشُه فيها أطيب من عيش الملوكِ فمن دونهم ، فإن الزهدَ في الدنيا مُلكٌ حاضرٌ ، والشيطانُ يحسدُ المؤمنَ عليه أعظمُ حسدٍ ، فيحرصُ كلَّ الحرصِ على أن لا يصلَ إليه ، فإن العبدَ إذا ملك شهوتَه وغضَبَه فانقادا معه لداعي الدين فهو الملكُ حقًّا ؛ لأن صاحبَ هذا المُلكِ حُرٌّ ، والمِلكُ المنقادُ لشهوتِهِ وغَضبِهِ عبدُ شهوتِهِ وغضبِهِ ، فهو مسخَّرٌ مملوكٌ في زي مالكٍ ، يقودُه زمامُ الشهوةِ والغضبِ ؛ كما يقادُ البعيرُ .

فالمغرورُ المخدوعُ يقع نَظَره على المُلْكِ الظاهرِ الذي صورته مُلكٌ وباطنه رقٌّ ، وعلى الشهوة التي أولُها لذةٌ وآخرُها حسرةٌ .

والبصير الموفَّقُ يعبر نظَره من الأوائلِ إلى الأواخرِ ، ومن المبادِئ إلى العواقِب ، وذلك فَضْلُ الله يؤتيه من يشاءُ ، والله ذو الفضلِ العظيم .

العشرون : أن لا يغتَرَّ العبدُ باعتقادِه أنَّ مجردَ العلمِ بما ذكرنا كافٍ في حصول المقصودِ ، بل لا بُدَّ أن يضيفَ إليه بذل المجهود في استعمالِهِ واستفراغِ الوسْعِ والطاقةِ فيه ، وملاكُ ذلك الخروج عن العوائدِ ؛ فإنها أعداءُ الكمالِ والفلاحِ ، فلا أفلحَ من استمرَّ مع عوائِدِه أبدًا ، ويستعينُ على الخروجِ عن العوائدِ بالهربِ من مظان الفتنةِ والبُعدِ عنها ما أمكنه ، وقد [٢٩/ أ] قال النبي ﷺ : « **مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ** »(١) ، فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه .

وهاهنا لطيفةٌ للشيطانِ لا يتخلص منها إلا حاذقٌ ، وهي : أن يُظهرَ له في مظانِّ الشَّرِّ شيئًا من الخيرِ ، ويدعوه إلى تحصيله ، فإذا قَرُبَ منه ألقاه في الشَّبَكَةِ ، والله أعلم .

الباب الثالث عشر
في بيان أن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال

فالعبد ما دام مكلفًا لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال :

فإنه بين أمر يجبُ عليه امتثالُه وتنفيذهُ ، ونهيٌ يجبُ عليه اجتنابُه وترْكُه ، وقدَرٍ يجري عليه اتفاقًا ، ونعمةٍ يجب شكر المنعم عليها ، وإذا كانت هذه الأحوالُ لا تفارِقُه ؛ فالصبرُ لازمٌ له إلى المماتِ ، وكلُّ ما يلقى العبدُ في هذه الدار لا يخلو من نوعين :

أحدهما : يوافق هواه ومرادَه .

---

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٣١٩) ، أحمد (٤/ ٤٣١) ، الحاكم (٤/ ٥٣١) من حديث عمران بن حصين ﷺ مرفوعًا .

والآخر: يخالفُه وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما .

أما النوع الموافق لغرضه ؛ فكالصِّحةِ ، والسلامةِ ، والجاهِ ، والمالِ وأنواع الملاذِّ المباحَةِ ، وهو أحوجُ شيءٍ إلى الصبر فيها من وجوه .

أحدها: أن لا يركن إليها ، ولا يغترّ بها ، ولا تحمله على البَطرِ والأشَرِ ، والفرح المذموم الذي لا يحبُّ اللهُ أهلَه .

الثاني: أن لا ينهمكَ في نيلِها ، ويبالغَ في استقصائها ؛ فإنها تنقلب إلى أضدادها ، فمن بالغَ في الأكلِ والشُّربِ والجماع انقلب ذلك إلى ضدِّه ، وحُرِم الأكلَ والشُّربَ والجماعَ .

الثالث: أن يصبرَ على أداءِ حقِّ الله فيها ، ولا يُضَيِّعُه ؛ فَيُسْلَبُها .

الرابع: أن يصبرَ عن صَرْفِها في الحرام فلا يُمكِّن نَفْسَه من كلِّ ما يريدُه منها ، فتوقعه في الحرامِ ، فإن احترز كلَّ الاحترازِ أوقعته في المكروه ، ولا يصبر مع السَّراءِ إلا الصِّدِّيقون .

قال بعض السلف: البلاءُ يصبرُ عليه المؤمن والكافر ولا يصبرُ على العافيةِ إلا صديق [٢٩/ ب] وقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : ابتُلينا بالضرَّاءِ فصَبَرْنا ، وابتُلينا بالسرّاءِ فلَمْ نصبرْ))[1].

ولذلك حذَّر اللهُ عبادَه من فتنةِ المال والأزواج والأولاد ؛ فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤]

وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثيرٌ من الناسِ أنها عداوة البغضاء والمحادة ، بل إنما هي عداوة المحبة الصادة للآباء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم ، والصدقة ، وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر ؛ كما في جامع الترمذي من حديث إسرائيل : حدثنا

---

(١) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢٤٦٤) عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ موقوفًا .

سماك عن عكرمة عن ابن عباس[١] وسأله رجل عن هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا النبي ﷺ ، فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله ﷻ هذه الآية .

قال الترمذي : هذا حديث حسنٌ صحيح .

وما أكثر ما يفوت العبد من الكمال والصلاح والفلاح بسبب زوجتِهِ وولدِهِ ، وفي الحديث : « الولَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ »[٢]. وقال الإمام أحمد : حدثنا زيدُ بن الحباب حدثني حسين[٣] بن واقد قال : حدثني عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي يقول : كان رسول الله ﷺ يخطبنا ؛ فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ؛ فنَزل رسول الله ﷺ عن المنبر ؛ فحملهما ؛ فوضعهما بين يديه ، ثم قال : « **صَدَقَ اللهُ** ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ **نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى**

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٣١٧) من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا . سماك عن عكرمة خاصة مضطربة ، فكان ربما يلقن (تقريب ٢٦١٨).

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجة (٣٦٦٦) ، أحمد (٢/ ١٧٢) ، الحاكم (٣/ ١٦٤) من حديث يعلى العامري ﷺ مرفوعًا ، وفي إسناده : عبد الله بن عثمان بن خثيم . وثقه ابن معين مرة ، ومرة قال : ليس بالقوى ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وقال النسائي مرة : ثقة ، وقال مرة : ليس بالقوى ، وقال ابن معين : أحاديثه ليست بالقوية (المغني ٣٢٦٠)(تهذيب التهذيب ٥/ ٣١٥)(وسعيد بن أبي راشد : مجهول تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦) ، وله طرق أخرى لا تصلح شواهد عند أبي يعلى (١٠٣٢) ، والبزار (٨١٩٢ كشف الأستار) من حديث أبي سعيد ، وفي إسناده : محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى . ضعفه شعبة والقطان وابن معين والنسائي والدارقطني وأبو أحمد الحاكم . من قبل سوء حفظه (المغني ٥٧٢٦) . عطية بن سعد العوفي : مجمع على ضعفه (المغني ٤١٣٩) ، وأخرج البزار (٨١٩٢ كشف الأستار) ، والحاكم (٣/ ٢٩٦) من حديث الأسود بن خلف بن عبد يغوث ﷺ مرفوعًا . وفي إسناده : عبد الله بن عثمان بن خثيم عن محمد بن الأسود بن خلف عنه به ، ومنهم من يروى . ابن خثيم عن أبي الزبير عن محمد بن الأسود (ولم يصرح بالسماع) (الجرح والتعديل ٧/ ٢٠٦) . محمد بن الأسود ابن خلف (لا يعرف ميزان ٣/ ٤٦٧) والحمل في هذا الإسناد من قبل عبد الله بن عثمان بن خثيم . قال ابن المديني : ابن خثيم منكر الحديث . وكأن على بن المديني خُلق للحديث (قاله النسائي ٥/ ٢٤٨ المجتبى) .

(٣) في المخطوط (زيد) وهو تصحيف .

قَطَعْتُ حَدِيثِي ، وَرَفَعْتُهُمَا »[1] . وهذا من كمال رحمته ﷺ ولطفه بالصغار وشفقته عليهم ، وهو تعليمٌ منه للأمَّةِ الرحمةِ والشفقة واللُّطف بالصغار .

وإنما كان الصبرُ على السرّاءِ شديدًا ؛ لأنه مقرون بالقُدرة ، والجائع [٣٠/ أ] عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره ، وكذلك الشَّبَق عند غيبَةِ المرأة أصبر منه عند حضورِها .

وأما النوع الثاني : المخالفُ للهوى فلا يخلو إما أن يرتبطَ باختيارِ العبدِ ؛ كالطاعاتِ والمعاصي ، أو لا يرتبط ، أو يرتبط أولهُ باختيارِه كالمصائب ، أو لا يرتبط ولكن لا اختيارَ له في أوليته بعد الدخول فيه ، فها هنا ثلاثةُ أقسام :

أحدها : ما يرتبطُ باختيارِه ، وهو : جميع أفعالِه التي توصفُ بكونها طاعة أو معصية .

فأما الطاعةُ فالعبدُ محتاجٌ إلى الصبرِ عليها ؛ لأن النفسَ تنفر بطبعها عن كثيرٍ من العبودية ، أما الصلاة فَلِمَا في طبعِها من الكَسَل وإيثارِ الراحةِ ولا سيما إذا اتفق مع ذلك قسوةُ القلب ورَيْنُ الذنب ، والميلُ إلى الشهوات ، ومخالطةُ أهل الغفلةِ ، فلا يكاد العبدُ مع هذه الأمور وغيرها أن يفعلَها ، وإنْ فعلَها مع ذلك كان متكلفًا غائب القلب ذاهلًا عنها طالبًا لفراقها كالجالس إلى الجيفةِ ، وأما الزكاة فلما في طبع النفس من البُخْلِ والشُّحِّ ، وكذلك الحج والجهاد للأمرين جميعًا .

ويحتاج العبد ههنا إلى الصبر في ثلاثة أحوال .

أحدها : قبل الشروع فيها بتصحيح النية والإخلاص ، وتجنب دواعي الرياء والسمعةِ وعقد العزمِ على توفية المأمور به حقه .

---

(١) **صحيح** : أبو داود (١١٠٩) ، الترمذي (٣٧٧٤) ، النسائي (٣/ ١٠٨) ، ابن ماجه (٣٦٠٠) ، أحمد (٥/ ٣٥٤) من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ مرفوعًا . وفي إسناده : حسين بن واقد (ثقة . له أوهام . قريب ١٣٤٩) . **قلت** : وهذا ليس من أوهامه . قال ابن حبان : كل منكر عنده ، عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما . أي أيوب بن خوط الذي يروى عنه . ضعيف ، وليس بأيوب السختياني ، وهو ثقة ، إنما هو أيوب بن خوط وليس بأيوب السختياني (تهذيب الكمال ٢/ ٢٠٥) . قلت : وهذا بعيد عنه ، فسلم لنا صحة الحديث بإذن الله وله الحمد والمنة .

الحالة الثانية : الصَبرُ حال العمل ، فيلازم العبدُ الصبرَ عن دواعي التقصير فيه والتفريط ، ويلازم الصبرَ على استصحاب ذكرِ النِّيةِ وعلى حضور القلب بين يدي المعبود ، وأن لا ينساه في أمره ، فليس الشأن في فعل المأمور بل الشأنُ كلُّ الشأنِ أن لا ينسى الآمرَ حال الإتيان بأمره يكون مستصحبًا لذكره في أمره ، فهذه عبادة العبيد المخلصين لله ، فهو محتاجٌ إلى الصبرِ على توفيةِ العبادةِ حقَّها بالقيام بأدائها وأركانها وواجباتها وسننها ، وعلى استصحاب [٣٠/ ب] ذكرِ المعبودِ فيها وأن لا يشتغلُ عنه بعبادته فلا يعطله حضورُه مع الله بقلبه عن قيام جوارحه بعبوديته ، ولا يعطله قيام الجوارح بالعبودية عن حضورِ قلبه بين يديه سبحانه .

الحالة الثالثة : الصبر بعد الفراغ من العمل وذلك من وجوه :

أحدها : أن يصبر نفسه عن الإتيان بما يبطل عمله ، كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٤] ، فليس الشأنُ في الإتيان بالطاعة إنما الشأن في حفظِها مما يفسدها ويبطلها .

الثاني : أن يصبرَ عن رؤيتها والعجبِ بها والتكبرِ والتعاظم بها ، فإن هذا أضر عليه من كثيرٍ من المعاصي الظاهرةِ .

الثالث : أن يصبر عن نقلِها من ديوان السِّرِّ إلى ديوان العلانية ، فإن العبدَ يعملُ العملَ سرًّا فيكتب في ديوان السرِّ ، فإذا تحدثَ به نُقِل إلى ديوانِ العلانيةِ ، فلا يظن أن بساط الصبرِ انطوى بالفراغِ من العملِ .

فصل

وأما الصبرُ عن المعاصي فأمره ظاهرٌ ، وأعظمُ ما يعين عليه قطعُ المألوفات ، ومفارقة الأعوان في المجالسة والمحادثة ، وقطعُ العوائدِ ؛ فإن العادةَ طبيعة خاصةٌ ، فإذا انضافت الشهوةُ إلى العادةِ تظاهر جندانِ من جندِ إبليس على جند الله فلا يقوَى باعثُ الدين على قهرهما .

فصل

القسم الثاني: ما لا يدخلُ تحت الاختيارِ ، وليس للعبدِ حيلةٌ في دفعِه ؛ كالمصائبِ التي لا صنعَ للعبدِ فيها ، كموتِ من يعزُّ عليه ، وسرقةِ مالِه ، ومرضه ، ونحو ذلك ، وهذا نوعان :

أحدهما: ما لا صنعَ للآدمي فيه .

الثاني: ما أصابه من جهةِ آدمي مثله ؛ كالسبِّ ، والضربِ ، وغيرهما .

فالنوعُ الأولُ للعبد فيه أربعةُ مقاماتٍ :

أحدها : مقام العجزِ ، وهو : مقامُ الجزَعِ والشكوى والسَّخَطِ ، وهذا لا يفعله إلا أقل الناس [٣١/ أ] عقلًا ودينًا ومروءةً ، وهو أعظم المصيبَتين .

المقام الثاني: الصبر إما لله وإما للمروءةِ والإنسانيةِ .

المقام الثالث : مقام الرضى وهو : أعلى من مقام الصبرِ ، وفي وجوبِه نزاعٌ ، والصبرُ متفق على وجوبه .

المقام الرابع : مقام الشكرِ ، وهو أعلى من مقامِ الرضى ؛ فإنه يشهدُ البليةَ نعمةً ؛ فيشكر المبتلي عليها .

وأما النوع الثاني : وهو ما أصابه من قِبَلِ الناس فله فيه هذه المقامات ، وينضاف إليها أربعة أخر :

أحدها : مقام العفوِ والصَّفْحِ .

والثاني: مقام سلامة القلبِ من إرادة التشفي والانتقام وفراغه من ألمِ مطالعةِ الجناية كلَّ وقتٍ ، وضيقه بها .

الثالث : مقام شهود القدَرِ ، وأنّه إن كان ظالماً بإيصالِ هذا الأذى إليك ، فالذي قدَّره عليك وأجراه على يد هذا الظالمِ ليس بظالمٍ ، وأذى الناس مثل الحرِّ والبردِ لا حيلةَ في دفعه ، فالمتسخط من أذى الحر والبرد غير حازمٍ ، والكل جار بالقدر ، وإن اختلفت طرقُهُ وأسبابُهُ .

المقام الرابع : مقامُ الإحسان إلى المسيء ومقابلةِ إساءتِهِ بإحسانِك ، وفي هذا المقام من الفوائِد والمصالح ما لا يعلمه إلا الله ؛ فإن فات العبد هذا المقام العالي فلا يرضى لنفسه بأخس المقامات وأسفلها .

فصل

القسم الثالث : ما يكون ورودُه باختيارِه ، فإذا تمكَّنَ لم يكن له اختيارٌ ولا حيلة في دفعه ، وهذا كالعشقِ أولُه اختيارٌ وآخره اضطرارٌ ، وكالتعرض لأسباب الأمراض والآلام التي لا حيلةَ في دفعِها بعد مباشرة أسبابها ، كما لا حيلةَ في دفع السُّكْرِ بعد تناول المسْكِرِ ، فهذا القسم كان فرضُه الصبر عنه في أوَّلِهِ ، فلما فاته بقي فرضُه الصبر في آخره وأن لا يطيعَ داعي هواه ونفسه .

وللشيطان ههنا دسيسة عجيبة ، وهي : أنه يُخَيِّل إليه [٣١/ ب] أن نَيْل بعضَ ما منع منه قد يتعينُ عليه أو يباحُ له على سبيل التَّدَاوي ، وغايتُه أن يكونَ كالتداوي بالخمر والنَّجَاسَةِ ، وقد أجازه كثيرٌ من الفقهاءِ ، وهذا من أعظمِ الجهل ؛ فإن هذا التداوي لا يزيل الداءَ بل يزيدُه ويقوّيه ، وكم ممن تداوى بذلك ؛ فكان هلاك دينه ودنياه في هذا التداوي ، بل الدواء النافع لهذا الداء دواء الصبر والتقوى ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] وقال : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] ؛ فالصبرُ والتقوى دواءُ كلِّ داءٍ من الدين ولا يستغني أحدهما عن صاحبه .

فإن قيل : فهل يثابُ العبد على الصبر في هذا القسم إذا كان عاصيًا مفرطًا يتعاطى أسبابه ؟ وهل يكون معاقبًا على ما تولَّد منه وهو غير اختياري له ؟

قيل : نعم ، إذا صبرَ لله تعالى وندم على ما تعاطاه من السبب المحظورِ أثيب على صبره ؛ لأنه جهاد منه لنفسه وهو عمل صالحٌ والله لا يضيعُ أجرَ من أحسنَ عملًا ، وأما عقوبتُه على ما تولد منه ؛ فإنه يستحق العقوبةَ على السَّبَبِ وما تولد منه ؛ كما يعاقَبُ السكرانُ على ما جناه في حال سُكْرِه ، وإذا كان السببُ محظورًا لم يكن السكرانُ

معذورًا ، فإن الله سبحانه يعاقبُ على الأسبابِ المحرَّمةِ وعلى ما يتولد منها كما يثيب على الأسباب المأمور بها وعلى ما يتولد منها ؛ ولهذا كان من دعا إلى بدعةٍ وضلالةٍ عليه من الأوزار مثل أوزار من اتبعه(١) ؛ لأن اتباعَهم له تولَّد عن فعله ، ولذلك كان على ابن آدمَ القاتل لأخيه كِفل ذنب كلِّ قاتلٍ إلى يوم القيامة(٢) ، وقد قال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ١٣]

فإن قيل : فكيف التوبة من هذا المتولِّدِ وليس من فعله ، والإنسانُ إنما يتوبُ [٣٢/ أ] عما يتعلق باختياره .

قيل : التوبة منه بالندم عليه ، وعدم إجابةِ دواعيه وموجِباته ، وحبْسِ النفسِ عن ذلك ، فإن كان المتولَّدُ متعلقًا بالغير فتوبته مع ذلك برفعه عن الغير بحسب الإمكان ، ولهذا كان من توبة الداعي إلى البدعَةِ أن يبينَ إنما كان يدعو إليه بدعة وضلالة ، وأن الهدى في ضدِّه ؛ كما شرطه تعالى في توبة أهلِ الكتاب الذين كان ذنبُهم كتمانَ ما أنزلَ الله من البيناتِ والهدى ليُضِلّوا الناس بذلك : أن يصلحوا العملَ في نفوسِهم ، ويبينوا للناس ما كانوا يكتمونهم إياه ؛ فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾
[البقرة : ١٥٩ - ١٦٠]

وهذا كما شرط في توبة المنافقين الذين كان ذنبُهم إفسادَ قلوبِ ضعفاءِ المؤمنين ، في تحيزهم واعتصامهم باليهودِ والمشركين أعداءِ الرسولِ ، وإظهارهم الإسلامَ رياءً وسمعةً : أن يُصلحوا بدلَ إفسادِهم ، وأنْ يعتصموا بالله بدل اعتِصَامِهم بالكفّارِ من

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة ... الحديث » .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٣٣٥) ، ومسلم (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقتل نفس ظلمًا ، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمتها ، لأنه أول من سن القتل » .

أهل الكتاب والمشركين ، وأن يُخلِصوا دينَهم لله بدل إظهارهم رياء وسمعة . فهكذا تُفهمُ شرائطُ التوَبةِ وحقيقتِها ، والله المستعان .

الباب الرابع عشر
في بيان أشق الصبر على النفوس

مشَّقةُ الصبرِ بحسب قوةِ الداعي إلى الفعلِ وسهولتِهِ على العبدِ ، فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر ، وإن فُقدا معًا سَهُلَ الصبرُ عنه ، وإن وُجد أحدُهما وفُقِد الآخرُ سَهُلَ الصبرَ من وجهٍ وصَعُبَ من وجهٍ ، فمن لا داعي له إلى القتلِ والسرقةِ وشربِ المسْكرِ وأنواعِ الفواحشِ ، ولا هو سهلٌ عليه فصبْرُه عنه لمن أسهل شيء وأيسره ، ومن اشتد [٣٢/ ب] داعيةُ إلى ذلك ، وسهل عليه فعلهُ ؛ فصبرُه عنه أشق شيءٍ عليه ، ولهذا كان صبرُ السلطانِ عن الظلم ، وصبرُ الشابِّ عن الفاحشَةِ ، وصبر الغني عن تناول الشهوات واللذات عند الله بمكان . وفي ((المسند)) وغيره عن النبي ﷺ : ((عَجِبَ ربُّك مِن شابٍّ ليسَتْ له صَبوةٌ))[1].

---

(١) **إسناده ضعيف** : أحمد (٤/ ١٥١) الطبراني (١٧/ ٣٠٩ الكبير) ، أبو يعلى (١٧٤٩) ، ابن عاصم (١/ ٥٠ السنة) ، الروياني (٢٢٢ - ٢٢٧ مسند) من طريق قتيبة بن سعيد وعبد الله بن عباد العباداني وكامل بن طلحة وعبد الله بن وهب كلهم عن عبد الله بن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا . وأخرجه الروياني (٢٢٢ مسند) من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن وهب (نهشل) عن عمه (عبد الله بن وهب) أنبأنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا . وأخرجه أيضًا (٢٢٧ مسند) من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا .

قلت : مداره على عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي العافقي قاضي مصر - أبو عبد الرحمن . قال ابن حبان : كان شيخًا صالحًا ، ولكنه كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه ، ثم احترقت كتبه في سنة سبعين ومائة قبل موته بأربع سنين ، وكان أصحابنا يقولون ، إن سماع من سمع منه قبل احتراق كتبه مثل العبادلة (أي : عبد الله ابن المبارك وعبد الله بن وهب) فسماعهم صحيح ، ومن سمع منه بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء ، وكان ابن لهيعة من الكتابين للحديث والجماعين للعلم والرحالين فيه ، وقال أيضًا : قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه ، فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودًا وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيرًا ، فرجعت إلى الاعتبار فرأيته كان يدلس عن أقوام ضعفى ، عن أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات فالتزمت تلك الموضوعات به .ا.هـ

=

ولذلك استحقَّ أولئك السبعةُ المذكورون في الحديث[1] أن يظلهمُ اللهُ في ظلِّ عرْشِهِ لكمالِ صبْرِهم ومشقتِه ؛ فإنَّ صبرَ الإمامِ المتسلِّطِ على العدلِ في قِسْمِه وحُكْمِه ورضاه وغضبِه ، وصبر الشَّاب على عبادَةِ الله ومخالفةِ هواه ، وصبر الرجل على ملازمةِ المسجدِ ، وصبر المتصدِّق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضِهِ ، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمالِ

= قال عبد الرحمن بن مهدي : لا أحمل عن ابن لهيعة قليلاً ولا كثيرًا ، كتب إلى ابن لهيعة كتابًا فيه : حدثنا عمرو بن شعيب . قال عبد الرحمن : فقرأته على ابن المبارك ، فأخرجه إلى ابن المبارك من كتابه ابن لهيعة قال : حدثني إسحاق بن أبي فروة عن عمرو بن شعيب .

قلت : وفي هذا دليل عن تدليسه فإنه قد أسقط إسحاق بن أبي فروة وإسحاق (متروك - تقريب ٣٧١) . قال ابن حبان أيضاً : وأما رواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه ففيها مناكير كثير وذاك أنه كان لا يبالي ما دفع إليه قراءة سواء كان ذلك من حديثه أو غير حديثه فوجب التنكب عن رواية المتقدمين عنه قبل احتراق كتبه لما فيها من الأخبار المدلسة عن الضعفاء والمتروكين ووجب ترك الاحتجاج برواية المتأخرين عنه بعد احتراق كتبه لما فيه مما ليس من حديثه . وقال يحيى بن سعيد : قال لي بشر بن السرى : لو رأيت ابن لهيعة لم تحمل عنه حرفاً ، وقال الدارمي عن يحيى بن معين : ابن لهيعة ضعيف الحديث - المجروحين ٢/ ١٢ - ١٣) ، قال الدارقطني : يعتبر بما يروى عنه العبادلة . ابن المبارك والمقري (عبد الله ابن يزيد المكي المقري) وابن وهب (الضعفاء والمتروكين ٣٢٢) ، وعن يحيى بن سعيد : أنه كان لا يراه شيئاً (الضعفاء الصغير ١٩٠) ، وقال النسائي : ضعيف (الضعفاء والمتروكين ٣٤٦) ، وذكر ابن أبي حاتم قول يحيى بن سعيد القطان أنه كان لا يرى ابن لهيعة شيئًا (الجرح والتعديل ٥/ ١٤٦) .

قلت (محمد) : ولم يرو عنه هذا الحديث أحدًا من العبادلة إلا عبد الله بن وهب رواه عنه ابن أخيه . أحمد بن عبد الرحمن بن وهب - أبو عبيد الله المصري ، وقد استنكر عدد من أهل العلم كثرة روايته عن عمه كما في (تهذيب الكمال ١/ ٥٦ - تهذيب التهذيب ١/ ٥٤) وقال الذهبي : قال ابن عدي : رأيت شيخ مصر مجمعين على ضعفه والغرباء لا يمتنعون عن الأخذ عنه . أبو زرعة وأبو حاتم ، فمن دونهما .

قلت (محمد) : وهو أيضًا من شيخ الروياني . لم يجد الروياني بدًّا من جمع حديث ابن وهب إلا من طريقه فكانت معظم روايته عن المصريين من هذا الوجه ، وقال ابن يونس : لا تقم به حجة - (ميزان ١/ ١٤٠) . قلت (محمد) : وقد اضطرب في حديثه فرواه مرة عن عمه عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان به ، وأخرى عن عمه عن ابن لهيعة عن أبي عشانة (حي بن يومن المصري) به ، ومشرح بن هاعان المصري . لينه ابن حبان ووثقه ابن معين في رواية عثمان بن سعيد (الدارمي) (المغني ٦٢٥٧) ، وقال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٦٦٦٨) ، وأخرجه ابن المبارك (٣٤٩ الزهد) من طريق رشدين بن سعد قال : حدثني عمرو بن الحارث عن أبي عشانة المعافري أنه سمع عقبة بن عامر ﷺ يقول : فذكره موقوفًا . (رشدين بن سعد - سيأتي ترجمة بعد) .

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله ... الحديث » .

جمال الداعي ومنصبه ، وصبر المتحابين في الله على ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما ، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك إظهاره للناس من أشقِّ الصبر .

ولهذا كانت عقوبةُ الشيخِ الزاني والملكِ الكذاب والفقيرِ المختال أشدَّ العقوبة[١] لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرمات عليهم ولضعف داعيها في نفوسهم ، فكان تركهم الصبر مع سهولته عليهم عنها دليلًا على تمردهم على الله وعتوِّهم عليه .

ولهذا كان الصبرُ عن معاصي اللسانِ والفرجِ من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتهما ، فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان ؛ كالنميمة ، والغيبة ، والكذب ، والمِراءِ ، والثَّناءِ على النَّفْسِ تعريضًا وتصريحًا ، وحكايةَ كلامِ الناسِ ، (وماجرياتهم)[٢] والطعن على من يبغضُه ، ومدح من يحبه ونحو ذلك ، فتتفقُ قوةُ الداعي وتيسرُ حركة اللسانِ ، فيضعف الصبرُ ، ولهذا قال ﷺ لمعاذ : ((**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ**)) ؛ فقال : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ((**وَهَلْ** [٣٣ / أ] **يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ** ؟))[٣]

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم (قال أبو معاوية ولا ينظر إليهم) ولهم عذاب أليم . شيخ زان ، وملك كذاب وعائل مستكبر)) .
رواه من طريق وكيع وأبو معاوية عن الأعمش عن أبي حازم عنه به . قلت : زاد أبو معاوية في حديثه (ولا ينظر إليهم)) .

(٢) كذا في المخطوط .

(٣) حسن لغيره: الترمذي (٢٦١٦) ابن ماجه (٣٩٧٣) أحمد (٥/ ٢٣١) من طريق معمر بن راشد عن عاصم بن أبي النجود (ويقال : ابن بهدلة) عن أبي وائل (شقيق بن سلمة الأسدي) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا .
معمر بن راشد : ثقة ثبت فاضل ، إلا أن روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئًا ، وكذا فيما ثبت فاضل ، إلا أن روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئًا ، وكذا فيما حديث بالبصرة - تقريب (٦٧٩٩) - ، وقال يحيى بن معين : وحديث معمر عن ثابت وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب ، مضرب كثير الأوهام ، وقال أيضًا : إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري ، وابن طاوس فإن حديثه عنهما مستقيم فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا ، وما عمل في حديث الأعمش شيئًا (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٥) .
عاصم بن أبي النجود - ويقال ابن بهدلة الكوفي - أبو بكر المقرئ - صدوق له أوهام - حجة في القراءة (تقريب ٣٠٤٩) . أبو وائل - شقيق بن سلمة الأسدي - ثقة - مخضرم (تقريب ٢٨١٠) ، وقال ابن العراقي : وجدت بخط والدي (زين الدين العراقي) قال ابن طاهر : لا يعرف لأبي وائل عن معاذ رواية - تحفة التحصيل =

ولا سيما إذا صارت المعاصي اللسانيةُ معتادةً للعبدِ ، فإنه يَعْسرُ عليه الصَّبْرُ عنها ، ولهذا تجدُ الرجلَ يقومُ الليلَ ويصومُ النهارَ ، ويتورعُ عن استنادهِ إلى وسادة حريرٍ لحظة واحدة ، أو يرى نظرة بغير اختياره ذنبًا ، ولسانه يفري في أعراض الناس غيبة ونميمة ، وربما خَصّ أهلَ الصلاحِ والعلمِ بالله والدينِ ، ويتفكه في أعراضهم ويقول ما لا يعلم !.

وكثيرًا ممن تجده يتوّرعُ عن الدقائقِ من الحرامِ ، والقطرةِ من الخمرِ ، ومثل رأس الإبرةِ من النجاسةِ ، ولا يبالي بارتكابِ الفرجِ الحرامِ ؛ كما يُحكى أن رجلًا خلا بامرأة أجنبية فلما أراد مواقعتها قال : يا هذه غطي وجهك ، فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام .

وقد سألَ رجلٌ عبدَ الله بن عمر عن دم البعوض ، فقال : « انظروا إلى هؤلاء يسألوني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ »[1]. واتفق لي قريب من هذه الحكاية : لما كنتُ في حال الإحرامِ ، أتاني قوم من الأعراب المعروفين بقتل النفوسِ والإغارةِ على الأموال يسألوني عن قَتل المحرم القُمَّلَ ، فقلت : يا عجبًا لقوم لا يتورَّعون

= (٣٧٩) . وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦) من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ﷺ مرفوعًا . (شهر بن حوشب – قال النسائي : ليس بالقوي (الضعفاء والمتروكين ٢٩٤) وقال الذهبي : تابعي مشهور وثقه ابن معين وأحمد بن حنبل ، وقال أبو حاتم : ما هو بدون أبي الزبير (يعني أنه مدلس ويرسل) وقال النسائي وغيره : ليس بالقوي (المغني ٢٨٠٣) وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣ – ٢٣٧) من طريق شعبة عن الحكم (ابن عتبة) قال سمعت عروة بن النَزال أو النَزال بن عروة يحدث عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا . قال سعبة : فقلت له (أي الحكم) سمعه من معاذ ، قال : لم يسمعه منه وقد أدركه ، وقال شعبة أيضًا : قال لي الحكم : وحدثني به ميمون ابن أبي شبيب ، قال الحكم : سمعته منه منذ أربعين سنة ، وأخرجه الحاكم (٢/ ٤١٣) ، وأبو نعيم (٤/ ٤١٨ الحلية) من طريق حبيب أبي ثابت والحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا (ميمون بن أبي شبيب – قال أبو حاتم : روى عن معاذ ، مرسلًا (الجرح والتعديل ٨/ ٢٣٤) عمرو بن علي الفلاس : كان يحدث عن أصحاب النبي ﷺ ، وحدث عن عمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وأبي ذر ، وسمرة بن جندب وعبد الله بن مسعود ﷺ وليس عندنا في شيء منه يقول : سمعت ، ولم أخبر أن أحدًا يزعم أنه سمع من أصحاب النبي ﷺ ا.هـ (تحفة التحصيل ١٠٨٨) . وله شاهد عند الترمذي (٢٤٠٦) من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد (الألهاني) عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك . ضعيف .

قلت (محمد) : والحديث إسناده مسلسل بالضعفاء وسيأتي لهم ترجمة بعد .

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٤) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعًا (هما ريحانتي).

عن قتل النفوس المحرمة ، ويسألوني عن قَتْلِ القَمْلَةِ في الإحرام .

والمقصود : أن اختلافَ شدةِ الصبرِ في أنواع المعاصي وأحادها يكونُ باختلافِ داعيه إلى تلك المعصية في قوتها وضعفها .

ويذكر عن علي ﷺ أنه قال : « الصبرُ ثلاثة أنواع : صبرٌ على المصيبةِ ، وصبرٌ على الطاعةِ ، وصبرٌ عن المعصيةِ . فمَنْ صبر على المصيبةِ حتى يردَّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة . ومن صبر على الطاعة حتى يؤديها كما أمره الله كتب الله له ستمائة درجة . ومن صبر عن المعصية خوفًا من الله ورجاء ما عنده كتب الله له تسعمائة درجة »(١).

وقال ميمون بن مهران : « الصبرُ صَبْرَانِ ، فالصبرُ على المصيبة حسن ، وأفضل منه الصبر عن المعصية »(٢). وقال الفضيل في قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [الرعد : ٢٤] ، قال : صبروا على ما أمروا به ، وصبروا عما نُهوا عنه »(٣). [٣٣/ ب] وكأنه جعل الصبر على المصيبة داخلًا في قسم المأمور به ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) **إسناده ضعيف** : أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٤ الصبر) من حديث علي ﷺ مرفوعًا . حدثنا إسحاق بن إسماعيل (الطالقاني) حدثنا يحيى بن سليم الطائفي حدثنا عمر بن يونس عمن حدثه عنه به . (عمر بن يونس - شيخ ضعف ، وليس هو باليمامي (أي : عمر بن يونس بن القاسم) ذاك وثقوه . وأدرك عبد ابن حميد (ميزان ٣/ ٢٢٥) .

قلت (محمد) : عمر بن يونس بن القاسم الحنفي أبو حفص اليمامي - فإنه متأخر عن ذاك وهو من طبقة أبي حاتم الرازي ، قال ابن أبي حاتم : قال أبي : عمر بن يونس . ثقة ولم أسمع أنا منه (الجرح والتعديل ٦/ ١٤٢) أما صاحب الترجمة فهو متقدم في الطبقة .ا.هـ (عمن حدثه - لم يسم ولا يدري من هو) .

(٢) **إسناده صحيح إلى ميمون بن مهران** (الجزري) رحمه الله تعالى . ابن أبي الدنيا (١٨ الصبر) حدثنا يحيى بن يوسف الزمّي حدثنا أبو المليح (الحسن بن عُمر ، أو عَمرو بن يحيى الغزاري الرقى) عنه به .

(٣) **إسناده لا بأس به إلى الفضيل بن عياض** - أبو علي الزاهد : ابن أبي الدنيا (٢٩ الصبر) حدثنا الحسن ابن محبوب (القرشي) حدثنا أبو يزيد الرقى الفيض بن إسحاق (خادم الفضيل بن عياض) عنه به (فيض بن إسحاق الرقى خادم الفضيل بن عياض ، ذكره ابن أبي حاتم ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (الجرح والتعديل ٧/ ٨٨) .

الباب الخامس عشر
في ذكر ما ورد في الصبر من نصوص الكتاب العزيز

قال الإمام أحمد : ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعًا .

ونحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصبر ، وهي عدة أنواع :

أحدها : الأمر به ؛ **كقوله** : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [الطور : ٤٨]

الثاني : النهي عما يضاده ؛ **كقوله** : ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ **وقوله** : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٣٩]، **وقوله** : ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [القلم : ٤٨]وبالجملة ؛ فكل ما نهى عنه ؛ فإنه يضاد الصبر المأمور به .

الثالث : تعليق الفلاح به ، **كقوله** : ﴿ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ؛ فعلَّق الفلاحَ بمجموعِ هذه الأمور .

الرابع : الإخبار عن مضاعفةِ أجرِ الصابر على غيره ؛ **كقوله** : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [القصص : ٥٤] **وقوله** : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] قال سليمان بن القاسم : كلُّ عملٍ يُعرف ثوابه إلا الصبر ، **قال الله تعالى** : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال : كالماء المنهمر(١) .

الخامس : تعليقُ الإمامة في الدين به وباليقين ، **قال الله تعالى** : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] فبالصبرِ واليقينِ تنالُ الإمامةُ في الدّينِ .

السادس : ظفرهم بمعيَّة الله سبحانه ، **قال تعالى** : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

قال أبو علي الدقاق : فاز الصابرون بعزِّ الدارين ؛ لأنهم نالوا من الله معيَّتَهُ .

---

(١) **إسناده حسن إلى سليمان بن القاسم الزاهد** : ابن أبي الدنيا (٢٠ الصبر) حدثني محمد ابن إدريس (أبو حاتم الرازي) حدثنا محمد بن روح (ابن عمران الكندي) المصري حدثنا القاسم بن كثير (الإسكندراني - المصري) قال : سمعت سليمان بن القاسم (الإسكندراني الزاهد) يقول . فذكره .

السابع : أنه جمعَ للصابرين ثلاثةَ أمور لم يجمعها لغيرهم ؛ وهي : الصلاة منه عليهم ، ورحمته لهم ، وهدايته إياهم ، **قال تعالى** : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[سورة البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] ، قال بعض السلف - وقد عُزّيَ على مصيبة نالته - فقال : ما لي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبرِ عليها ثلاث خصالٍ ، كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها[٣٤/ أ]

الثامن : أنه سبحانه جعل الصبرَ عوناً وعُدَّةً ، وأمرَ بالاستعانة ؛ فقال : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ فمن لا صبرَ له لا عونَ له .

التاسع : أنه سبحانه عَلّق النصرَ بالصبرِ والتقوى ؛ **فقال تعالى** : ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥] ، ولهذا قال النبي ﷺ : ((**واعلمْ أَنَّ النصرَ مَعَ الصبرِ**))(١).

العاشر : أنه سبحانه جعل الصبر والتقوى جُنَّةً عظيمةً من كيد الأعداء ومكرهم ، فما استجن العبدُ من ذلك بجنة أعظم منهما ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ ﴾[آل عمران : ١٢٠]

الحادي عشر : أنه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم ؛ **كما قال تعالى** : ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرعد : ٢٣ - ٢٤].

الثاني عشر : أنه سبحانه أباحَ لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ، ثم أقسم قسمًا مؤكدًا غايةَ التأكيدِ أن صبرَهم خيرٌ لهم ؛ **فقال** : ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[النحل : ١٢٦] . فتأمل هـذا التأكيد بالقسم المدلول

---

(١) صحيح لشواهده : الترمذي (٢٥١٦) أحمد (١/ ٢٩٣ - ٣٠٧) ، الحاكم (٣/ ٥٤١ - ٥٤٢) البيهقي (١٠٠٠٠ - ١٠٠٠١ شعب) أبو نعيم (١/ ٣٨٩ حلية) ابن أبي الدنيا (٧ الفرج) من حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا . وأسانيده يقوى بعضها البعض ، وليس عند الترمذي (أن النصر مع الصبر) .

عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب .

الثالث عشر : أنه سبحانه رتَّبَ المغفرةَ والأجرَ الكبيرَ على الصبر والعمل الصالح ؛ **فقال** : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود : ١١] وهؤلاء ثنية الله من نوعِ الإنسانِ المذمومِ الموصوفِ باليأس والكفرِ عند المصيبةِ ، والفرحِ والفخرِ عند النعمةِ ، ولا خلاصَ من هذا الذم إلا بالصبر والعمل الصالح ، كما لا تُنالُ المغفرةُ والأجرُ الكبيرُ إلا بهما .

الرابع عشر : أنه سبحانه جعل الصبرَ على المصائبِ من عزم الأمور ؛ أي : مما يعزم عليه من الأمور التي إنما يُعزم على أجَلِّها وأشرفها ؛ **فقال** : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] ، وقال لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧]

الخامس عشر : أنه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر [٣٤/ ب] والظفر ، وهي كلمته التي سبقت لهم وهي الكلمةُ الحسنى ، وأخبر أنه إنما أنالهم ذلك بالصبر ، **فقال تعالى** : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الأعراف : ١٣٧]

السادس عشر : أنه سبحانه علق محبته بالصبر ، وجعلها لأهله ؛ فقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦]

السابع عشر : أنه سبحانه أخبر عن خصال الخير أنه لا يُلَقَّاها إلا الصابرون في موضعين من كتابه : في سورة القصص في قصة قارون ، وأن الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا ما أوتي قارون : ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص : ٨٠] وفي سورة حم السجدة ، حيث أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن ، فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوة كأنه ولي حميم ثم **قال** : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥]

الثامن عشر : أنه سبحانه تعالى أخبر أنه إنما لا ينتفع بآياته ويتعظ بها إلا الصبّارُ الشكورُ ؛ **فقال تعالى** : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] . وذكر مثل ذلك في آخر سورة لقمان : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [لقمان : ٣١] **وقال تعالى في قصة سبأ** : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ : ١٩] **وقال تعالى** : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [الشورى : ٣٢ - ٣٣]

فهذه أربعة مواضع في القرآن تدلُّ على أن آياتِ الربِّ إنما ينتفعُ بها أهلُ الصبرِ والشُّكرِ .

التاسع عشر : أنه أثنى على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره ؛ فقال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] ؛ فأطلق عليه قوله : نعم العبد بكونه وجده صابرًا ، وهذا يدل على أن من لم يصبرْ إذا ابتُلي أنه بئسَ العبدُ .

العشرون : أنه سبحانه حَكَم بالخسرانِ حكما عاما على كلِّ من لم يكن من أهلِ الحقِّ [٣٥/ أ] والصبر ، وهذا يدل على أنه لا رابحَ سواهم ؛ **فقال تعالى** : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١ - ٣]

ولهذا قال الشافعي : لو أن الناسَ أخذوا هذه الآية وفكروا فيها لوسعتهم . لذلك أنّ العبدَ كمالُه في تكميلِ قوتَيْهِ : قوّةَ العلمِ وقوة العمل ، وهما الإيمان والعمل الصالح . وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه ؛ فهو محتاجٌ إلى تكميلِ غيره ، وهو التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، وآخِيةُ ذلك كله وقاعدتُه وساقُه الذي يقوم عليه إنما هو الصبرُ .

الحادي والعشرون : أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين

قامت بهم هاتان الخصلتان ، ووصّوا غيرهم ؛ فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد : ١٧ - ١٨] وهذا حصرٌ لأصحابِ الميمنةِ فيمن قام به هذان الوصفان ، والناسُ بالنسبة إليهما أربعةُ أقسامٍ ، هؤلاء خيرُ الأقسام ، وشرهم من لا صبرَ له ولا رحمة فيه ، ويليه من له صبر ولا رحمة عنده ، ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقّةٌ ولكن لا صبرَ له .

الثاني والعشرون : أنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها : فقرنه بالصلاة ؛ **كقوله** : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] وقرنه بالأعمال الصالحة عمومًا ؛ **كقوله** : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [هود : ١١]، وجعله قرين التقوى ، **كقوله** : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ [يوسف : ٩٠] وجعله قرين الشكر ، **كقوله** : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] وجعله قرين الحق ، **كقوله** : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] وجعله قرين الرحمة ، **كقوله** : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد : ١٧] وجعله قرين الصدق ، **كقوله** : ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] وجعله سببَ محبتِهِ ومعيَّتِهِ وعونِهِ ونصره وحسن ثوابه ويكفيه بعض ذلك شرفًا وفضلًا ، والله أعلم .

الباب السادس عشر [٣٥/ ب]
في ذكر ما ورد فيه من نصوص السنة

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ : أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى على امرأةٍ تَبكي على صَبي لها ، فقال لها : ((**اتَّقِ اللهَ واصْبِرِي**)) ، فقالت : ومَا تُبَالي بمصيبتي ؟ فلمّا ذهَبَ ، قيل لها : إنه رسولُ الله ﷺ ، فأخذها مثلُ الموتِ ، فأَتَتْ بابَهُ ، فلمْ تجدْ عليه بوابين ، فقالتْ : يا رسولَ الله لَمْ أعرفْكَ . فقال : ((**إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ**)) وفي

لفظ : « عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى »(١).

وقوله : « **عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى** » مثل قوله : « **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ** »(٢) فإن مفاجآت المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمتها ، فإنْ صبرَ للصدمةِ الأُولى انكسر حدُّها ، وضعفت قوتُها ؛ فهانَ عليهِ استدامةُ الصبرِ .

وأيضًا ؛ فإن المصيبةَ تَرِدُ على القلبِ وهو غير مُوَطَّن لها فتزعجُه ، وهي الصدمةُ الأولى ، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك فقد توطَّنَ لها وعَلِم أنه لا بدَّ له منها ، فيصير صبرُه شبيهَ الاضطرار ، وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئًا جاءت تعتذر إلى رسول الله ﷺ ؛ كأنها تقول له : قد صبرت ، فأخبرها أن الصبر عند الصدمة الأولى .

ويدل على هذا المعنى ما رواه سعيد بن زُرَبي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ قال : مر النبي ﷺ بالبقيع على امرأة جاثية على قبر تبكي ، فقال لها : « **يا أَمَةَ الله اتَّقِي اللهَ واصْبِرِي** » . قالت : يا عبد الله لحزنًا ثكلى . قال : « **يَا أَمَةَ الله اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي** » قالت : يا عبد الله لو كنت مصابًا عذرتني ، قال : يا أمة الله : اصبري ، قالت يا عبد الله قد أسمعت فانصرف عني ، فمضى رسول الله ﷺ ، واتبعه رجلٌ من أصحابِهِ ، فوقف على المرأةِ فقال لها : ما قال [٣٦/ أ] لكِ الرجلُ الذاهبُ ؟ قالت : قال لي كذا وكذا وأجبته بكذا وكذا . قال : هل تعرفينه ؟ قالت : لا . قال : ذاك رسولُ الله ﷺ . قال : فوثبت مسرعة نحوه حتى انتهت إليه وهي تقول : أنا أصبرُ أنا أصبرُ يا رسولَ الله . فقال : « **الصَّبرُ عِندَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ، الصَّبرُ عِندَ الصَّدْمَةِ الأُولَى** »(٣). قال ابن أبي الدنيَا : حدثنا

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (١٢٨٣) ، مسلم (٩٢٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦١١٤) ، مسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٣) **إسناده ضعيف جدًا** : أخرجه أبو يعلى (٦٠٦٧) ابن أبي الدنيا (٥٢ الصبر) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا وفي إسناده عند أبي يعلى من طريق أبي عبيدة الناجي ، وهو بكر بن الأسود ، وعند ابن أبي الدنيا من طريق سعيد ابن زربي ، وهو أبي عبيدة البصري ، وكلاهما شديد الضعف . أبو بكر بن الأسود . قال النسائي : ليس بثقة ، وقال ابن معين : كذاب (المغني ٩٦٥) ، سعيد بن زربي . قال النسائي : ليس بثقة ، وضعفه الدارقطني ، وأبو داود (المغني ٢٣٨٩) . قلت : والمتن ثابت إنما الضعف في الإسناد .

بشر بن الوليد الكندي وصالح بن مالك قالا : حدثنا سعيد بن رزين .. فذكره . فهذا السياق يبين معنى الحديث .

قال أبو عبيد : معناه : أن كل ذي رزية فإن مصيره إلى الصبر ، ولكنه إنما يحمد على صبره عند حدة المصيبة وحرارتها .

قلت : **وفي الحديث أنواع من العلم .**

أحدها : وجوب الصبر على المصائبِ ، وأنه من التّقوى التي أُمِر العبدُ بها .

الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن شكوى المصيبةِ وشدتَها لا تسقط عن الآمر الناهي .

الثالث : تكرار الأمر والنهي مرة بعد مرة حتى تعذر الأمر إلى ربه .

الرابع : إنه احتج به على جواز زيارة القبور للنساء ؛ فإنه لم ينكر ﷺ عليها الزيارةِ وإنما أمرَها بالصبرِ ، ولو كانت الزيارةُ حرامًا لبين لها حكمَها ، وهذا كان في آخر الأمر ؛ فإن أبا هريرة إنما أسلم بعد السنة السابعة .

وأجيب عن هذا بأن رسول الله ﷺ قد أمرها بتقوى الله والصبر ، وهذا إنكار منه لحالها من الزيارة والبكاء ، ويدل عليه أنها لما علمت أن الآمرَ لها بذلك رسول الله ﷺ وهو ممن تجبُ طاعتهُ انصرفت مسرعةً . وأيضًا ؛ فأبو هريرة لم يخبر أنه شهد هذه القصة ، فلا يدل الحديثُ على أنها بعد إسلامه ، ولو شهدها فلَعْنته ﷺ لزائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[1] كان بعد هذا في مرضه الذي مات فيه .

---

(١) **إسناده صحيح** : أبو داود (٣٢٣٦) ، الترمذي (٣٢٠) ، ابن ماجه (١٥٧٥) ، أحمد (١/ ٢٢٩ - ٢٨٧ - ٣٢٤ - ٣٣٦) ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٦ - ٣/ ٣٤٤ - ٣٤٥) ابن حبان (٧/ ٣١٧٩ - ٣١٨٠ الإحسان - ٧٨٨ موارد) الحاكم (١/ ٣٧٤) الخطيب (٨/ ٧١ تاريخ بغداد) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا رواه محمد بن جعفر ويحيى بن سعيد ومحمد بن كثير ، وهاشم بن القاسم ، وحجاج بن محمد (الأعور) ووكيع بن الجراح وقتيبة ابن سعيد عن شعبة وعبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن أبي صالح . ولم يذكروا أنه مولى أم هاني (باذام) عنه به ، ورواه على بن مسلم الطوسي عن شعيب عن محمد بن جحادة عن أبي صالح مولى أم هاني عنه به . قال ابن حبان : أبو صالح هذا اسمه - ميزان - بصري - ثقة - وليس بصاحب الكلبي - ذاك اسمه - باذام (٧/ ٣١٧٩ - ٣١٨٠ الإحسان) .

وفي عدم تعريفه لها بنفسه في تلك الحال التي لا تملك فيها نفسها شفقةٌ منه ورحمةٌ بها إذ لو عرَّفَها بنفسه في تلك الحال ، فربما لم تسمع منه فَتَهلك ، وكان معصيتُها له وهي لا تعلم أنه رسولُ الله ﷺ أخفَّ من معصيتِها له لو علمت به [٣٦/ ب] ، فهذا من كمال رأفته ورحمته صلوات الله وسلامه عليه .

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبهُ مُصيبةٌ ؛ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعونَ ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي واخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا أَخْلَفَ لَهُ خيرًا مِنْهَا**)) قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أيُّ المسلمين خيرٌ من أبي سلمةَ ؛ أولُ بيت هاجرَ إلى رسول الله ﷺ ، ثم أني قلتها ، فأخلفَ اللهُ لي رسول الله ﷺ ، فأرسل إليّ حاطبَ بنَ أبي بَلْتعةَ يخطبني له ، فقلت : إنّ لي بنتًا وأنا غيورٌ ، فقال : ((**أَمَّا بِنْتُهَا فَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَها عَنْهَا ، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُذْهِبَ بِالغَيْرَةِ**))[1] فتزوجت رسول الله ﷺ .

= **قلت (محمد)** : ويؤيده أن - ميزان - أبا صالح - سمع من ابن عباس وروى عنه محمد بن جحادة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨٥ - ٣٨٦) وجزم بكونه أبو صالح مولى أم هانئ (باذام) الترمذي والحاكم وعبد الحق في الأحكام وابن القطان وابن عساكر والمنذري وابن دهية وغيرهم والله أعلم (تهذيب التهذيب - المصدر السابق) وقال ابن حجر : لم يذكر المزي (ميزان) هذا لأنه مبني على أن أبا صالح المذكور في الحديث هو (مولى أم هانئ) كما صرح بذلك (أي المزي) في الأطراف (تهذيب التهذيب - المصدر السابق) ومما يتبين لك أنهم قد اختلفوا في نسبة أبي صالح ، هل هو (ميزان) فهذا (ثقة) فبناء عليه يصح الحديث وإلى هذا جنح ابن حبان (أعني إلى أنه ميزان) ، أم هو (باذام مولى أم هانئ) وهذا فيه كلام ، ولم يسمع من ابن عباس ، وعليه يضعف الحديث ، وإلى هذا جنح فريق من أهل العلم فيما ذكرهم الحافظ ابن حجر في تهذيبه كما سبق ، والظاهر أن حجتهم أن محمد بن مسلم الطوسي عن شعيب عن محمد بن حجادة عن أبي صالح مولى أم هانئ عنه به . هو الحجة مع أن من هو أثبت منه قد ذكروه من غير أن يثبتوا أنه مولى أم هانئ بل قالوا : (عن أبي صالح عن ابن عباس) أما شعيب فلم أجده في من روى عنهم محمد بن مسلم الطوسي ولم أجده في من روى عن محمد بن حجادة ، والذي وجدته هو (شعيب ابن درهم قال ابن أبي حاتم : روى عن أبي صالح (ميزان) (الجرح والتعديل ٤/ ٣٤٤) والحمد لله قد اطمأنت نفسي إلى أن الراوي عن ابن عباس هو (أبو صالح - ميزان) وبهذا صح عندي إسناد الحديث وذكر ابن حجر - رحمه الله تعالى - له في تهذيبه يشعر بأنه وافق على أنه (ميزان - أبي صالح) والله أعلم .ا.هـ قال يحيى بن معين : ميزان بصري (ثقة مأمون) (الجرح والتعديل - ٨/ ٤٣٧) .

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (٩١٨) ، أبو داود (٣١١٩) ، ابن ماجه (١٥٩٨) ، أحمد (٦/ ٣٠٩) من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - مرفوعًا .

وعند أبي داود في هذا الحديث عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : ((**إِذَا أَصَابَ أَحَدُكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ : إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ عِندَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي ، فَأْجُرْنِي فِيهَا ، وَأَبدِلْنِي خَيرًا مِنْهَا**))[1] ؛ فلما احتضر أبو سلمة قال : اللهم أخلفني في أهلي خيرًا مني . فلما قُبض قالت أم سلمة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، عند الله أحتسب مصيبتي . فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضا عن الله إلى ما آلت إليه ، وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق على الله .

وفي جامع الترمذي ومسند أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي موسى عن رسول الله ﷺ قال : ((إِذَا مَاتَ ولدُ العبدِ قالَ الله تعالى لملائكتِهِ : قَبضتُم وَلَدَ عَبدي ، فيقولون : نَعَمْ . فيقولُ قبضتُم ثمرةَ فُؤادِهِ ، فَيقُولونَ : نعم . فيقولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فيقولون : حَمَدَكَ واسترجع . فيقولُ : ابْنُوا لعَبْدِي بيتًا في الجنةِ وسمُّوهُ بيتَ الحمدِ))[2].

وفي صحيح البخاري من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : ((**إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ** [٣٧/ أ] **ثُمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُه مِنْهُمَا الجَنَّةَ**))[3] ؛ يريد : عينيه .

---

(١) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٢) **ضعيف** : ابن المبارك (١٠٨ الزهد) ، الترمذي (١٠٢١) ، أحمد (٤/ ٤١٥) ، ابن حبان (٧٢٦ موارد) من حديث أبي موسى ﷺ مرفوعًا في إسناده - عيسى بن سنان - أبو سنان القسملي عن أبي طلحة الخولاني عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب عنه به (عيسى بن سنان : ضعيف الحديث ، وقواه بعضهم (المغني ٤٨٠١) قال الحافظ ابن حجر : لين الحديث (تقريب ٥٢٨٦) ، الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب ، قال أبو حاتم : روى عن أبي موسى ﷺ (مرسل) (الجرح والتعديل ٤/ ٤٥٩) ، وله شاهد عزاه الألباني - رحمه الله تعالى - إلى الثقفي في الثقفيات (٣/ ١٥/ ٢) السلسلة الصحيحة (١٤٠٨) من طريق عبد الحكم بن ميسرة عن سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن أبي برده بن أبي موسى عن أبي موسى ﷺ مرفوعًا . عبد الحكم بن ميسرة - أبو يحيى - قال الحافظ ابن حجر : قال الدارقطني : يحدث بها لا يتابع غليه (لسان الميزان ٣/ ٤٨١) ، قال الذهبي : عبد الحكم عن سفيان الثوري لا يعرف ، وأتى بخبر موضوع . كأنه ابن ميسرة (ميزان الاعتدال ٢/ ٤١٣) .

قلت : والحديث حسنه الألباني - رحمه الله تعالى - في الصحيحة (١٤٠٨) ، وفي النفس منه شيء ويُغفر له أن الحديث في فضائل الأعمال ، والله أعلم . (ومن ضعف الحديث فله وجه ولم يفرق سلفنا الصالح بين فضائل الأعمال والأحكام طالما لا يثبت السند إلى النبي ﷺ . ا.هـ (محمد) .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٦٥٣) الترمذي (٢٤٠٠) أحمد (٣/ ٢٨٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا ، وفي إسناد البخاري (عمرو مولى المطلب - عمرو بن أبي عمرو ، ميسرة ، مولى المطلب - ثقة - ربما =

وعند الترمذي في هذا الحديث : ((**إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلَّا الجَنَّةَ**))(١).

وفي الترمذي أيضًا عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**يَقُولُ اللهُ ﷻ : مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ ؛ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا بِدُونِ الجَنَّةِ**))(٢).

وفي سنن النسائي من حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ إِذَا ذَهَبَ بِصَفِيِّهِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ وَاحْتَسَبَ بِثَوَابٍ دُونَ الجَنَّةِ**))(٣).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : ((**يَقُولُ اللهُ ﷻ : مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنُ جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَّةَ**))(٤).

وفي صحيحة أيضًا عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابنُ عباس : أَلا أُريك امرأةً من أهلِ الجنَّةِ ؟ قلت : بلى . قال : هذه المرأةُ السوداءُ أتت النبيَّ ﷺ فقالت : يا رسولَ .

= وهم (تقريب ٥٠٧٣) وفي إسناد الترمذي (أبو ظلال هو هلال بن أبي هلال - أو ابن أبي مالك ، وهو ابن ميمون وقيل غير ذلك في اسم أبيه - ضعيف (تقريب ٧٣٣٧) ، وفي إسناد أحمد (أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني - صدوق ، قال العقيلي : في حديثه وهم (١/ ٢٩ الضعفاء الكبير) ، قال النسائي : ثقة ، وقال أحمد بن حنبل : ليس به بأس ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال الدارقطني : يعتبر به ، وقال ابن حبان في الثقات : ما أراه سمع من أنس (تهذيب التهذيب ١/ ٣٥٥ - ٣٥٦) ، وعمرو مولى المطلب تابعه أشعث بن جابر ، وأبو ظلال - هلال عن أنس ﷺ (قاله الإمام البخاري) (٥٦٥٣).

(١) **صحيح لغيره**: سبق تخريجه .

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه الترمذي (٢٤٠١) ، أحمد (٢/ ٢٦٥) ، الدارمي (٢٧٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . في إسناده (سليمان بن مهران - الأعمش . ثقة - جَبَلٌ ، ولكنه يدلس (تقريب ٢٦٠٩) . قلت : ويخشى من تدليسه وعدم تصريحه بالسماع ، ويشهد له ما قبله .

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه النسائي (٤/ ٢٣) ، ابن المبارك (١٠٦ زوائد الزهد) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا من طريق عُمر بن سعيد بن أبي حسين أن عمرو بن شعيب كتب إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين يُعزيه بابن له هلك ، فذكر في كتابه أنه سمع أباه شعيب بن محمد يحدث عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص فذكره .

قلت (محمد) : حسن بعض أهل العلم رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . فيما لم يخالف ، ويشهد له ما بعده . ا.هـ ، والحديث لم أقف عليه في سنن أبي داود التي بين يدي . والله أعلم .

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٢٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

الله إنِّي أُصرعُ ، وإني أتكشفُ ؛ فادعوا الله لي . قال : « **إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ تَعَالَى أنْ يُعَافيكِ** » . قالت : أصبر . فقالت : إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف ؛ فدعا لها(١).

وفي الموطأ من حديث عطاء بن يسار : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مرضَ العبدُ بعثَ إليهِ مَلَكين ، فقال : انْظُرا ماذا يقولُ لعوّادِهِ ، فإنْ هُو إذ جَاؤُوه حمدَ الله وأثْنَى عَلَيهِ ، رفعا ذلك إلى الله وهو أعلَمُ ، فيقول : إنّ لعبدي عليَّ إن توفيتهُ أنْ أدخلَه الجنّةَ ، وإن أنا شفيتُه أن أبدلَهُ لحمًا خيرًا من لحمِهِ ، ودمًا خيرًا من دَمِهِ ، وأنْ أُكَفِّرَ عنهُ سَيِّئَاتِهِ »(٢).

وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا جمعَ اللهُ الخلائقَ نادى منادٍ : أينَ أهلُ الصبرِ ؟ [٣٧/ ب] قال : فيقوم ناسٌ وهمْ قليلٌ فينطلقون سِراعًا إلى الجَنَّةِ ، فتلقَّاهُم الملائكةُ ، فيقولون : إنّا نَرَاكُمْ سِراعًا إلى الجَنَّةِ فمنْ أنتم ؟ فيقولون : نَحنُ أهلُ الفضْلِ . فيقولون : مَا كَانَ فضلُكُمْ ؟ فيقولون : كُنّا إِذَا ظُلِمْنَا صَبَرْنَا ، وإذا أُسيءَ إلينا عفونا ، وإذا جُهِلَ علينا حلمنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنـةَ

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٦٥٢) ، مسلم (٢٥٧٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا .

(٢) **ضعيف - مرسل** : أخرجه مالك (كتاب العين ٥٠ باب ٣ موطأ) من حديث عطاء بن يسار يرفعه . عطاء بن يسار لم يدرك النبي ﷺ . قال العراقي : رواه مالك في الموطأ من حديث عطاء بن يسار . مرسلاً ، وقال ابن عبد البر في التمهيد : رواه عباد بن كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء عن أبي سعيد الخدري ﷺ به .ا.هـ (٥/ ٢١٤٠ - ٣٣٦٨ تخريج الإحياء) . عباد بن كثير - الثقفي البصري ، قال البخاري : سكن مكة ، تركوه (الضعفاء الصغير ٢٢٧) ، وقال النسائي : كان بمكة ، متروك الحديث (الضعفاء والمتروكين ٤٠٨) ، وضعفه الدارقطني (الضعفاء والمتروكين ٣٨٤) ، وقال يحيى بن معين : ضعيف الحديث ، وليس بشيء ، وقال مرة : لا يكتب حديثه ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وفي حديثه عن الرواة إنكار ، وقال أبو زرعة : لا يكتب حديثه ، كان شيخاً صالحًا ، وكان لا يضبط الحديث (تهذيب الكمال ٤/ ٥٣) . وله طريق آخر عند الحاكم (١/ ٣٤٩) . حدثني بكير بن محمد الصيرفي بمكة ثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله (ابن مسلم الكجي) ثنا على بن المديني ثنا أبو بكر الحنفي (عبد الكريم ابن عبد المجيد) ثنا عاصم بن محمد بن زيد (العمري) عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . بنحوه .

قلت (محمد) : ليس لعاصم بن محمد بن زيد العمري رواية عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، والصحيح روايته عن عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، كما هو ثابت في كتب الرجال ، ولعله خطأ مطبعي أو وهم من أحد الرواة . (انظر تهذيب الكمال ٤/ ١٠ - ١٤٩) .ا.هـ (عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري - متروك (تقريب ٣٣٥١) .

فنعمَ أجرُ العاملين))(١).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قسم مالًا ؛ فقال بعض الناس : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : ((**رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**))(٢).

وفي الصحيحين من حديث الزُّهْري عن عروةَ عن عائشةَ - رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ : ((**مَا مِنْ مُصِيبةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا**))(٣).

وفيهما أيضًا من حديث أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((**مَا يُصِيبُ المُسْلِمُ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**))(٤).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : ((**لَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِها دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**))(٥).

وفي المسند من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((**لاَ يَزَالُ البلاءُ بِالمؤْمِنِ أو المؤمنةِ في جَسَدِهِ وفي مالِهِ وفي ولدِهِ حتَّى يلقَى اللهَ وَمَا عليهِ خطيئةٌ**))(٦).

---

(١) منكر : أخرجه أبو يعلى (٥١٦٨ المطالب العالية) ابن أبي الدنيا (٥ الصبر ٥٦ الحلم) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . مرفوعاً ، وفي إسناده (العزرمي - محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان ، أو ابن ميسرة ، قال أحمد بن حنبل : ترك الناس حديثه (المغني ٥٧٩٤) .

(٢) صحيح : البخاري (٣١٥٠) ، مسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا .

(٣) صحيح : البخاري (٥٦٤٠) ، مسلم (٢٥٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٤) صحيح : البخاري (٥٦٤١ - ٥٦٤٢) ، مسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٥) صحيح : مسلم (٢٥٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٦) صحيح لشواهده : الترمذي (٢٣٩٩) ، أحمد (٢/ ٢٨٧ - ٤٥٠) ، ابن حبان (٦٩٧ موارد) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . في إسناده : محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص (صدوق - له أوهام (تقريب ٦١٧٨) وقال يحيى بن معين : كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من رأيه ثم يُحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ (تهذيب الكمال ٦/ ٤٦٠) .

قلت (محمد) : وهذا من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قلت : ويشهد له ما مضى وما سيأتي .

وفي الصحيح من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال قلت : يا رسول الله : أي الناس أشدُّ بلاءً ؟ قال : « **الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** »[(١)].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك وعكًا شديدًا [١٣٨/ أ] . قال : فقلت : يا رسولَ الله إنكَ لتوعكُ وعكًا شديدًا . قال : « **أَجَلْ ، إِنِّي لَأُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ** » . قلت : إن لك لأجرين . قال : « **نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنْهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ الْيَابِسَةُ وَرَقَهَا** »[(٢)].

وفي الصحيحين أيضًا من حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت : « ما رأيتُ الوجَعَ على أحدٍ أشدَّ منه على رسولِ الله ﷺ »[(٣)].

وفي بعض المسانيد مرفوعًا : « **إِنَّ الرَّجُلَ لتكُونُ لَهُ الدَّرَجَةُ عِندَ اللهِ لَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ**

---

(١) **صحيح لشواهده** : الترمذي (٢٣٩٨) ، ابن ماجه (٤٠٢٣) ، أحمد (١/ ١٧٢) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا ، في إسناده عاصم بن أبي النجود – القارئ ، قال النسائي : ليس بحافظ ، وقال الدارقطني : في حفظه شيء (المغني ٢٩٩٥) ، له شواهد عنه ، الترمذي (٣٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ ، أحمد (٦/ ٣٦٩) من حديث فاطمة أخت حذيفة رضي الله عنها ، وله طريق آخر عند ابن حبان (٦٩٨ موارد) أيضًا من حديث سعد ابن أبي وقاص ﷺ من طريق إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جرير بن عبد الحميد عن العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد ﷺ مرفوعًا ، وفيه إسحاق بن إسماعيل تكلم في سماعه من جرير بن عبد الحميد وحده ، والمسيب والد العلاء عن سعد ، مرسل (١٠/ ١٥٣ تهذيب التهذيب) ثم ساق سندين بعده إسناد حديث الباب وإسناد آخر من طريق قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن عاصم بن أبي النجودبه ، وأيضا أخرجه الحاكم (١/ ٤٠-٤١) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا « وسيأتي الكلام عليه » ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بهشام بن سعد . ثم له شواهد كثيرة ، ولحديث عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه طرق يتبع ويذاكر بها ، وقد تابع العلاء بن المسيب ، عاصم بن بهدلة على روايته عن مصعب بن سعد ا.هـ ، ثم ساق متابعة لجرير ابن عبد الحميد من طريق خالد بن عبد الله الطحان أبو الهيثم عن العلاء بن المسيب به .

(٢) **صحيح** : البخاري (٥٦٤٨) ، مسلم (٢٥٧١) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا .

(٣) **صحيح** : البخاري (٥٦٤٦) ، مسلم (٢٥٧٠) من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلَاءٍ فِي جِسْمِهِ فَيَبْلُغُها بِذَلِكَ))[1].

ويروى عن عائشة عنه ﷺ : ((إذا اشتكى المؤمنُ أخلَصَهُ ذلك من الذنوبِ كما يُخلِّصُ الكيرُ الخبثَ من الحديدِ))[2].

وفي صحيح البخاري من حديث خَبّاب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ؟ فقال : ((قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا ، ثُمَّ يُؤتَى بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحمِهِ وَعَظْمِهِ مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَالله لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حِضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))[3].

وفي لفظ للبخاري : أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةٍ في ظل الكعبةِ - وقد لقينا من المشركين شدَّةً - فقلت : ألا تدعـو اللهَ ؟ فقعد وهو مُحمر وجهُه ؛ فقال : ((لَقَـدْ كَانَ

---

(١) **حسن لغيره** : أبو يعلى (٦٠٩٥ مسند) ابن حبان (٦٩٣ موارد) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا في إسناده ، يحيى بن أيوب بن أبي زرعة عن أبي زرعة البجلي - ضعفه ابن معين ، وقال مرة : ليس به بأس (المغني ٦٩٣١) وله شاهد في المطالب العالية (٢٦٩١) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما- مرفوعًا ، وفي إسناده الحجاج بن أرطأة (صدوق - كثير الخطأ والتدليس (تقريب ١١٢٢) قلت : ولم يصرح بالسماع ، وله شاهد عند أبي داود (٣٠٩٠) من طريق محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده مرفوعًا (قال الذهبي : لا يعرف من هؤلاء ٣/ ٥١٢ ميزان الاعتدال) وقال ابن حجر : مجهول (تقريب ٥٨٣٩) وآخر عند البيهقي (٧/ ١٦٤ - ٩٨٥٦ الشعب) من حديث أبي فاطمة ﷺ ، وفي إسناده ابن أبي فاطمة (كذاب - المغني ٧٨٥١) قلت : تسقط هذه الرواية ويبقى الحديث صالح ا.هـ .

(٢) **ضعيف** : الأدب المفرد (٥٠٥) عبد بن حميد (١٤٨٥) ابن حبان (٦٩٥ موارد) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن جبير بن أبي صالح عن الزهري عن عروة به ، وعند ابن حبان وعبد بن حميد ، ابن أبي ذئب عن الزهري عن عروة به وليس فيه ، جبير بن أبي صالح . قلت : جبير بن أبي صالح لا يدري من هو ؟ (المغني ١٠٩٧) ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب . قال يعقوب بن أبي شيبة : ابن أبي ذئب - ثقة - صدوق - غير أن روايته عن الزهري خاصة تكلم فيها بعضهم بالاضطراب (تهذيب التهذيب (٩/ ٣٠٣) ، والصحيح عندي إثبات الواسطة بين ابن أبي ذئب وبين الزهري ، وربما ابن أبي ذئب هو الذي أسقط جبير بن أبي صالح ، ورواه عن الزهري ولم يصرح أنه سمعه منه .ا.هـ

(٣) **صحيح**: البخاري (٣٦١٢) ، أبو داود (٢٦٤٩) ، أحمد (٥/ ١١٠) من حديث خباب بن الأرت ﷺ مرفوعًا .

الرَّجُلُ لَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحمِهِ وَعَظْمِهِ مَا يَصُدُّه ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ »[1].

وقد حمل بعض أهل العلم قولَ خباب : « شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فَلَمْ يَشْكُنَا »[2] على هذا المحمل . وقال : شكوا إليه حرَّ الرمضاءِ الذي كان يصيبُ [٣٨/ ب] جباهَهم وأكفَّهم من تعذيب الكفّار فلم يُشكِهم ، وإنما دلهم على الصبر .

وهذا الوجه أنسب من تفسير من فسر ذلك بالسجود على الرَّمضاءِ .

واحتج به على وجوب مباشرة المصلي بالجبهة لثلاثة أوجه :

أحدهما: أنه لا دليلَ في اللفظ على ذلك .

الثاني: أنهم قد أخبروا أنهم كانوا مع النبي ﷺ؛ فكان أحدهم إذا لم يستطعْ أن يسجدَ على الأرضِ بسط ثوبَه فسجد عليه ، والظاهر أن هذا يبلغه ويعلم به وقد أقرَّهم عليه .

الثالث : أن شدة الحر في الحجاز تمنع مباشرة الجبهةِ والكفِّ للأرضِ ، بل يكاد يشوي الوجهَ والكفَّ فلا يتمكن من الطمأنينة في السجود ، ويذهب خشوعُ الصلاةِ ، ويتضررُ البدنُ ، ويتعرَّضُ للمرضِ ، والشريعة لا تأتي بهذا .

فتأمل رواية خباب لهذا والذي قبله واجمع بين اللفظين والمعنيين والله أعلم ، ولا تستوحش من قوله : فلم يشكنا ، فإنه هو معنى إعراضه عن شكايتهم وإخباره لهم بصبر من قبلهم ، والله أعلم .

وفي الصحيح من حديث أسامة بن زيد قال : أرسلت بنت النبي ﷺ إليه : أن ابنا لي احتضر فأتنا ، فأرسل يقري السلام ويقول : « إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ » فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ؛ فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال ، فرفع الصبي إلى رسول الله ، فأقعده في حجره ونفسه تُقَعْقِعُ كأنها شن ، ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ قال : « هَـٰذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا

---

(١) **صحيح** : البخاري (٣٨٥٢) من حديث خباب ﷺ مرفوعًا .

(٢) **صحيح** : مسلم (٦١٩) ، ابن ماجه (٦٧٥) النسائي (١/ ٢٤٧) من حديث خباب ﷺ مرفوعًا .

يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ »[1].

وفي سنن النسائي عن ابن عباس قال : احتضرت بنت لرسول الله ﷺ صغيرة ، فأخذها رسول الله ﷺ وضمها إلى صدره ثم وضع يدَه عليها وهي بين يدي رسول الله ﷺ فبكت أم أيمن ، فقلت [٣٩/ أ] لها : أتبكينَ ، ورسول الله عندك ؟ فقالت : ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي ، فقال رسول الله ﷺ : « **إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ** » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « **المُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ ﷻ** »[2].

وفي صحيح البخاري من حديث أنس ﷺ قال : اشتكى ابنٌ لأبي طلحة فمات وأبو طلحةَ خارجٌ ، فلما رأت امرأتُه أنه قد مات هيأت شيئًا وسجَّته في جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلامُ ؟ قالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ؛ فظن أبو طلحة أنها صادقة ، فبات معها ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ، فصلى مع رسول الله ﷺ ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منهما ، فقال رسـول الله ﷺ : « **لَعَـلَّ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا** »[3] قال ابن عيينـة : فقال رجل

---

(١) **صحيح** : البخاري (١٢٨٤) ، مسلم (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) **صحيح لغيره** : النسائي (٤/ ١٢) ، ابن حبان (٧٤٦) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا ، وفي إسناده ، أبو الأحوص (سلام بن سليم الحنفي) عن عطاء بن السائب عن عكرمة عنه به ، سلام بن سليم (أبو الأحوص) ثقة متقن ، وعطاء بن السائب تغير واختلط ، وقال الدارقطني : اختلط ولم يحتجوا به في الصحيح (أي البخاري ومسلم) ولا يحتج من حديثه إلا بما رواه الأكابر . شعبة ، والثوري ، ووهيب ، ونظراؤهم وأما ابن علية والمتأخرون ففي حديثهم نظر ا.هـ ، فيحصل لنا من مجموع كلامهم أن سفيان الثوري وشعبة وزهيرًا وزائدة وحماد بن زيد وأيوب عنه (أي عن عطاء) صحيح ، من عاداهم يتوقف فيه إلا حماد بن سلمة ، فاختلف قولهم ، والظاهر أنه سمع منه مرتين (أي قيل : الاختلاط وبعده ، فلم يميز حديثه ، وبهذا يكون (أبو الأحوص) ممن يتوقف في حديثه عن عطاء بن السائب . وله شاهد عند أحمد (٢/ ٣٦١) والبزار (٧٨١ كشف الأستار) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو (مولى المطلب) عن المقبري (كيسان أبي سعيد) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ((قال الله ﷻ : إن المؤمن عندي بمنْزلة كل خير يحمدني وأنا أنزع نفسه من بين جنبيه)) (إسناده حسن) وله شاهد آخر عند أحمد (١/ ٢٦٨) . من طريق أبي إسحاق (إبراهيم محمد الفزاري) عن عطاء ابن السائب عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا . أبو إسحاق الفزاري : هو من طبقة ابن علية والمتأخرين الذي في حديثهم نظر عن عطاء بن السائب ، والله أعلم .

(٣) **صحيح** : البخاري (١٣٠١ - ٥٤٧٠) ، مسلم (٢١٤٤ - فضائل الصحابة) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا .

من الأنصار : فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن .

وفي موطأ مالك عن القاسم بن محمد قال : هلكت امرأةٌ لي فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني ، فقال : إنه كان في بني إسرائيل رجلٌ فقيه عابد مجتهد ، وكانت له امرأةٌ وكان بها معجبًا ، فماتت فوَجِدَ عليها وَجْدا شديدًا حتى خلا في بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس ، فلم يكنْ يدخلُ عليه أحدٌ ، ثم أن امرأة من بني إسرائيل سمعت به فجاءته فقالت : إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها ، ليس يجزيني إلا أن أشافهَهُ بها ، فذهب الناس ولزمت الباب فأخبر ، فأذن لها ، فقالت : أستفتيك في أمرٍ . قال : وما هو ؟ قالت : إني استعرت من جارة لي حليًا فكنت ألبسه وأعيره زمانًا ، ثم إنهم أرسلوا إليّ فيه أفأرده إليهم ؟ قال : نعم والله . قالت : إنه مكث عندي زمانًا . فقال : ذلك[٣٩/ ب] أحقُّ لردك إياه . فقالت له : يرحمُك الله أفتأسفُ على ما أعاركَ اللهُ ثم أخذَهُ منكَ وهو أحقُّ به منك ؟ فأبصرَ ما كان فيه ، ونفعهُ الله بقولِها[١].

وفي جامع الترمذي عن شيخ من بني مرة قال : قدمت الكوفة فأخبرت عن بلال ابن أبي بردة فقلت : إن فيه لمعتبرًا ؟ فأتيته وهو محبوس في داره التي كان بنى ، وإذا كل شيء منه قد تغير من العذاب والضرب ، وإذا هو في قشاش ، فقلت له : الحمد لله يا بلالُ ، لقد رأيتك تمرُّ بنا وأنت تمسكُ أنفَك من غير غُبارٍ وأنت في حالتك هذه فكيف صبرُك اليوم ؟ فقال لي : ممن أنت ؟ فقلت : من بني مرة بن عباد . قال : ألا أحدثُك حديثًا عسى أن ينفعَكَ اللهُ به ؟ قلت : هات . قال : حدثني أبو بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يصيبُ عبدًا نكبةٌ فما فوقَها أو دونها إلا بذنب ، وما يغفره الله أكثر » قال : وقرأ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن

---

(١)**إسناده صحيح إلى محمد** . مالك (باب ١٤ - ٤٣ موطأ) من سرد محمد بن كعب القرظي قوله .

قلت : لعله مما حفظه من كتب أهل الكتاب ، ومحمد بن كعب بن سليم (القرظي) من خلفاء الأوس ، وكان أبوه من سبى قريظة وهو (ثقة) وقد بين هو أن هذا من الإسرائيليات في قوله (إنه كان في بني إسرائيل) وهو لم يكن معاصر لهم بل هو مما قرأه من كتبهم (راجع تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤٠) .

كَثِيرٍ﴾[الشورى : ٣٠][1].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي أن نبيًّا من الأنبياء ضربَه قومُه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : ((**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**))[2]. فتضمنت هذه الدعوة العفو عنهم ، والدعاء لهم ، والاعتذار عنهم ، والاستعطاف بقوله لقومي .

وفي الموطأ من حديث عبد الرحمن بن القاسم قال : قال رسول الله ﷺ : ((**لِيُعَزِّ** المسلمين في مصائبهم المصيبةُ بي))[3].

وفي الترمذي من حديث يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**))[4]. [٤٠/أ]

قال الترمذي : كان شعبة يرى أن الشيخ ابن عمر .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ((**مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**))[5].

---

(١) **ضعيف** : الترمذي (٣٢٥٢) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا . في إسناده عبيد الله بن الوازع عن شيخ من بني مرة عن أبي بردة عنه به ، عبيد الله بن الوازع (مجهول . تقريب ٤٣٤٠) والشيخ من بني مرة (مبهم) .

(٢) **صحيح** : البخاري (٣٤٧٧) ، مسلم (١٧٩٢) في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا .

(٣) **منقطع** : مالك (باب ١٤ - ٤١ موطأ) عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ قال : فذكره . عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر (لم يدرك النبي ﷺ ولد في حياة عائشة - رضي الله عنها - وهي أخت جده محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ قال المزي : الرضى ابن الرضى (تهذيب الكمال ٤ / ٤٥٧) .

(٤) **صحيح** : الترمذي (٢٥٠٧) ابن ماجه (٤٠٣٢) أحمد (٢/ ٤٣ - ٥/ ٣٦٥) الأدب المفرد (٣٨٨) من طريق ابن أبي عدي (محمد بن إبراهيم ، ويقال هو إبراهيم أبو عمرو البصري) عن شعبة عن سليمان الأعمش عن يحيى ابن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ مرفوعًا . والإسناد للترمذي . قال ابن أبي عدي : كان شعبة يرى أنه ابن عمر - رضي الله عنهما - . قلت (محمد) : وقد وقع التصريح بأنه في رواية آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا . كما في الأدب المفرد . أما عنعنة الأعمش فقد كفانا رواية شعبة بن الحجاج عنه .ا.هـ

(٥) **صحيح**: سبق تخريجه .

وفي بعض المسانيد عنه ﷺ أنه قال : ((قال الله ﷻ : إذا وجَّهتُ إلى عبدٍ من عبيدي مصيبةً في بدنِهِ أو مالِهِ أو ولدِه ثم استقبلَ ذلك بصبرٍ جميلٍ استحييت منه يومَ القيامة أن أنصبَ له ميزانًا أو أنشرَ له ديوانًا))[١].

وفي جامع الترمذي عنه ﷺ : ((**إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى ، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ**))[٢].

وفي بعض المسانيد عنه ﷺ : ((إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا صبَّ عليه البلاءُ صبًّا))[٣].

---

(١) **موضوع** : اللآليء المصنوعة (٢/ ٣٣٢) من طريق يعقوب بن الجهم الأردي عن عمرو بن جرير عن عبد العزيز ابن زياد عن أنس ﷺ مرفوعًا . في إسناده عبد العزيز بن زياد (قال أبو حاتم : مجهول - الجرح والتعديل ٥/ ٣٨٢) ولم يسمع من أنس وإنما سمع من قتادة . عمرو بن جرير (كذبه أبو حاتم ، قال الدارقطني ، متروك الحديث (لسان الميزان ٤/ ٤١٢) ، يعقوب بن الجهم (اتهمه ابن عدي بالوضع ، المغني ٩١٨٧) .

(٢) **حسن لغيره** : الترمذي (٢٣٩٣) ابن ماجه (٤٠٣١) ابن حبان (٣٤٢ موارد) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا في إسناده سعد بن سنان ويقال : سنان بن سعد عنه به (صدوق له أفراد تقريب ٢٢٢٨) . قال الذهبي : ضعفوه أي حديثه عن أنس ولم يترك (المغني ٢٣٤٤) له طريق آخر عند أحمد (٥/ ٤٢٩) من طريق ابن أبي عمرو عن عاصم بن غمر بن قتادة عن محمود بت لبيد مرفوعًا ، عمرو بن أبي عمرو(مولى المطلب) لينه يحيى بن معين ، وقال أحمد : ما به بأس ، ووثقه غيره ، وقال أبو داود : ليس بالقوي (المغني ٤٦٨٦) قال بن حجر : (ثقة- ما وهم تقريب ٥٠٧٣)٠ محمود بن لبيد قال أبو حاتم : لا يعرف له صحبة وقال البخاري : له صحبة (الجرح والتعديل ٨/ ٢٨٩) قلت : ولم يصرح البخاري في تاريخه (٤/ ١/ ٤٠٢) بأن له صحبة ، وقال المزي : ولد في حياة النبي ﷺ ولم يصح له رؤية ولا سماع من النبي ﷺ وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث (تهذيب الكمال-٧/ ٥٤) **قلت (محمد)** : وجل روايته عن الصحابة ا.هـ

(٣) **ضعيف جدًّا** : ابن أبي الدنيا (٢٢٤ المرض والكفارات) حدثني أحمد بن بجير ، حدثنا موسى بن داود ، حدثنا بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله إذا أحب عبدًا ، وأراد أن يصافيه ، صب عليه البلاء صبا ، وثجه عليه ثجًا ، فإذا دعا العبد قال : يا رباه ! قال الله : لبيك عبدي ، لا تسألني إلا أعطيتك ، إما أن أعجله لك ، وإما أن أدخره لك)) .

بكر بن خنيس : زاهد - قال الدارقطني : متروك وقال النسائي وغيره : ضعيف وقال أبو حاتم : صالح - ليس بالقوي وقال ابن معين : لا بأس به إلا أنه يروي عن الضعفاء - وقال مرة : ليس بشيء ميزان (١/ ٣٥٣ المغني ٩٧٣) ، يزيد بن أبان - قال النسائي وغيره : متروك (المغني ٧٠٨٣) .

وعنه الطبراني (٧٦٩٧ الكبير) والبيهقي (٩٨٠١ شعب) من طريق عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((إن الله ﷻ يقول للملائكة : انطلقوا إلى عبدي فصبوا عليه البلاء صبًّا ، فيحمد الله ، فيرجعون فيقولون : صببنا عليه البلاء صبًّا كما أمرتنا ، فيقول ارجعوا فإني أحب أن أسمع صوته)) (ضعيف) .

عفير بن معدان الحضرمي- قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، يكثر الرواية عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن =

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ : أن رسول الله ﷺ دخل على امرأة فقال : « **مالَكِ تُرَفْرِفِينَ ؟** » فقالت : الحُمَّى ، لا باركَ اللهُ فيها . قال : « **لاَ تَسُبِّي الحُمَّى فإنها تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبثَ الحَدِيدِ** »[1].

ويذكر عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ وُعِكَ ليلةً فصبرَ ورضِيَ عن الله تعالى خرجَ من ذنوبِهِ كيومِ ولدتُه أمُّه »[2].

وقال الحسن: إنه ليكفر عن العبد خطاياهُ كُلَّها بحُمّى ليلة[3].

وفي المسند وغيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، قال : دخلت على النبي ﷺ وهو محمومٌ ، فوضعت يدي من فوق القطيفةِ فوجدتُ حرارةَ الحمَّى ، فقلت : ما أشد حماك يا

= النبي ﷺ. ما لا أصل له ، لا يُشتغل بروايته ، وقال يحيى بن معين : لا شيء وقال مرة : ليس بشيء ، وعن حُصين : ضعيف الحديث ، وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين : ليس بثقة ، وقال الجوزجاني : قلت ليحيى ابن معين : عفير بن معدان تضمه إلى أبي مهدي ؟ قال : هو قريب منه أحاديث سليم بن عامر تلك من أين وقع عليها ؟! وقال أبو داود : شيخ صالح - ضعيف وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه وقال أبو أحمد بن عدي : وعامة روايته غير محفوظة (تهذيب الكمال ٥/ ١٩١) .

(١) **صحيح**: مسلم (٢٥٧٥) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا .

(٢) **ضعيف جدًّا - مرسل**: ابن أبي الدنيا (٨٣ المرض والكفارات ١٨٠ الصبر ٨٥ الرضا) من طريق زافر بن سليمان (الإيادي - القُهُسْتاني) عن إسماعيل بن إبراهيم (ابن ميمون الصائغ) عن أبي سفيان عن سالم (ابن عبد الله الخياط) عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . (زافر بن سليمان - وثقه جماعة وضعفه آخرون - المغني ٢١٥٤) وقال أبو أحمد بن عدي : كأن أحاديثه مقلوبة الإسناد مقلوب المتن ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه ، ويكتب حديثه مع ضعفه (تهذيب التهذيب ٣/ ٣٠٤) . (إسماعيل بن إبراهيم بن ميمون - قال البخاري : سكتوا عنه - المغني ٦٢٩ - لسان الميزان ١/ ٤٣٦) . (أبو سفيان - قال أبو حاتم : مجهول - الجرح والتعديل ٩/ ٣٨٢) . (سالم بن عبد الله الخياط البصري - قال يحيى ابن معين : لا يسوي فلسًا وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي . يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال الإمام أحمد : ما أرى به بأسًا ، وقال ابن عدي : ما أرى بعامة ما يرويه بأسًا - تهذيب الكمال ٣/ ٩٨) . (الحسن بن أبي الحسن البصري - لم يسمع من أبي هريرة ﷺ ولم يره - تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣) .

(٣) **منكر**: ابن أبي الدنيا (٢٨المرض والكفارات) من طريق عمر بن المغيرة عن حوشب عن الحسن قوله .
(عمر بن المغيرة - قال البخاري : منكر الحديث - مجهول - ميزان ٣/ ٢١٨) . (حوشب بن مسلم الثقفي) كان من كبار أصحاب الحسن (تهذيب الكمال ٢/ ٣٢٣) ، قال الذهبي : لا يدرى من هو . قال الأزدي : ليس بذاك (ميزان ١/ ٦٠٥) .

رسول الله . قال : ((**إِنَّا كَذَلِكَ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ عَلَيْنَا الوَجَعُ ، لِيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ**)) قال : قلت : يا رسول الله فأيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً ؟ قال : ((**الْأَنْبِيَاءُ**)) قلت : ثم من ؟ قال : ((**الصَّالِحُونَ ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُبتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعَبَاءَ فَيَجُوبُهَا فَيَلْبَسُهَا ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُبْتَلَى بِالْقُمَّلِ حَتَّى** [٤٠/ ب] **يَقْتُلَهُ الْقُمَّلُ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ**))(١) وقال عقبة بن عامر الجهني : قال رسول الله ﷺ: ((**لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا وَهُوَ يُخْتَمُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا مَرِضَ الْمُؤْمِنُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا رَبَّنَا عَبْدُكَ فُلَانٌ قَدْ حَبَسْتَهُ عَنِ الْعَمَلِ ، فَيَقُولُ الرَّبُّ : تَعَالَوا اخْتِمُوا لَهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ أَوْ يَمُوتَ**))(٢).

وقال أبو هريرة ﷺ : إذا مرضَ العبدُ المسلمُ نُودي صاحبَ اليمينِ أن أجرِ على عبدي صالح ما كان يعمل وهو صحيحٌ ، ويقال لصاحبِ الشمال أقصرْ عن عبدي ما دامَ في وثاقي . فقال رجل عند أبي هريرة : يا ليتني لا أزال ضاجعًا . فقال أبو هريرة : كره العبدُ الخطايا .

ذكره ابن أبي الدنيا(٣).

وذكر أيضًا عن هلال بن يساف قال : كنا قعودًا عند عمار بن ياسر فذكروا الأوجاع ،

---

(١) **صحيح لشواهده**: ابن ماجه (٤٠٢٤) الأدب المفرد (٥١٠) الحاكم (٤/ ٣٠٧) أبو نعيم (١/ ٤٥٣ الحلية) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا ، وأخرجه أحمد (٣/ ٩٤ وأيضًا ٣٣٦ الزهد) من طريق معمر بن راشد عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا .

قلت : الظاهر من إسناد أحمد أن زيد رواه عن مبهم أما إسناد ابن ماجه وغيره فيه بيان أن المبهم عرف ، والراويان عن زيد بن أسلم هما معمر بن راشد وهو ثقة ، وهشام بن سعد (صدوق - له أوهام) إلا أنه أثبت الناس في زيد بن أسلم (تهذيب الكمال ٧/ ٤٠٢) ، فالحديث عندي هو حديث هشام ، وللحديث شواهد للفقرة الأولى منه سبق تخريجه

(٢) **إسناده حسن**: أحمد (٤/ ١٤٦) الطبراني (١٧/ ٢٨٤ - ٧٨٢ كبير) الحاكم (٤/ ٣٠٩) ابن أبي الدنيا (١٢ المرض والكفارات) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا في إسناده - عبد الله ابن لهيعة روى عنه عبد الله بن المبارك (روايةابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرها - تقريب ٣٥٥٧) ، وضعفه بعض أهل العلم (مطلقًا) .

(٣) **إسناده منقطع**: ابن أبي الدنيا (١٤ المرض والكفارات) عن طريق حسان بن عطية عن أبي هريرة ﷺ قوله حسان بن عطية لم يسمع من أبي هريرة ﷺ . سئل الأوزاعي : حسان بن عطية عن من ؟ قال : مثل حسان كنا نقول له عن من! .

قلت (محمد) : وذكره ابن حبان في طبقة أتباع التابعين ، فدل على أنه لم يصح عنده سماعه من أحد من الصحابة ا.هـ. قاله ابن العراقي (تحفة التحصيل ١٧٥) .

فقال أعرابيٌّ : ما اشتكيت قط ، فقال عمار : « ما أنتَ منّا ، أو لستَ منا ، إن المسلمَ يُبتلَى ببلاءٍ فَتُحَطُّ عنه ذنوبُه كما يُحطُّ الورقُ من الشَّجرِ ، وإن الكافِرَ - أو قال الفاجر - يُبتلى ببليةٍ فمثلُه مثل البعير إن أطلق لم يدرِ لم أُطْلِق وإن عُقِلَ لم يدرِ لم عُقِل » (١).

وذكر عن معمر الأزدي قال : « كنا إذا سمِعْنا من ابن مسعود شيئًا نكرهه سكتنا حتى يفسره لنا ، فقال لنا ذات يوم : ألا إن السقيم لا يكتبُ له أجرٌ ، فساءنا ذلك وكَبُرَ علينا ، فقال : ولكن يكفِّر به الخطيئة . فسرَّنا ذلك وأعجبنا » (٢).

وهذا من كمال علمه وفقهه ﷺ ؛ فإنَّ الأجرَ إنما يكون على الأعمال الاختيارية ومما تولد منها ؛ كما ذكر الله سبحانه النوعين في آخر سورة التوبة في قوله في المباشر للإنفاق وقطع الوادي ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ﴾ ، وفي المتولد من إصابة الظمأِ والنصبِ والمخمصةِ في سبيله وغيظ الكفار ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ [التوبة : ١٢٠] ، فالثواب مرتبط بهذين النوعين ، وأما الأسقام والمصائب فإن ثوابها تكفير الخطايا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ... ﴾ [الشورى : ٣٠]

---

(١) **إسناده منقطع إلى عمار بن ياسر** ﷺ : ابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٢ مصنف) ابن أبي الدنيا (١٥ المرض والكفارات) .
قال ابن أبي شيبة - رحمه الله تعالى - حدثنا غندر ((محمد بن جعفر)) عن شعبة عن بعض أصحابه عن الحكم بن عتيبة عن ربيع بن عميلة عن عمار بن ياسر ﷺ موقوفًا . وقال ابن أبي الدنيا - رحمه الله تعالى - حدثنا ابن حميل (أحمد) حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا شعبة عن الحكم (ابن عتيبة الكندي) عن ربيعة (ربيع) بن عميلة ، قال شعبة : قلت : أسمعته منه ؟ قال (أي الحكم بن عتيبة) : حدثني هلال بن يساف ، أو بعض أصحابنا عنه (أي عن ربيع بن عميلة) قال : فذكره موقوفًا . على عمار بن ياسر ﷺ .
قلت (محمد) : رجاله ثقات غير الانقطاع بالشك وإبهام بعض أصحاب شعبة بن الحجاج .

(٢) **صحيح - موقوفًا** : ابن أبي الدنيا (١٦ المرض والكفارات) من طريق عبد الله بن المبارك حدثنا المسعودي (عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة) عن جامع بن شداد (أبو صخر الكوفي) عن تميم بن سلمة (السلمي الكوفي) قال : قال أبو عمر الأزدي (عبد الله بن سخبرة) فذكره . (المسعودي - مختلط ، ولم يتكلم أحد في رواية عبد الله بن المبارك عنه ، أهي قبل الاختلاط أو بعده . والله أعلم) . وله شواهد عند ابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٢ مصنف) حدثنا أبو معاوية (محمد بن خازم - الضرير) عن الأعمش (سليمان بن مهران) عن عمارة (ابن عمير التيمي الكوفي) عن أبي عمار (عريب بن حميد الهمداني الكوفي) عن عمرو بن شرحبيل (أبو ميسرة) قال : قال عبد الله (ابن مسعود ﷺ) فذكره . موقوفًا (إسناد صحيح) .

والنبي ﷺ إنما قال في المصائب : ((**كَفَّرَ اللهُ بها مِنْ خَطَايَاهُ**))[١]، كما تقدم ذكر ألفاظه ﷺ . وكذا قوله : ((المرضُ حِطَّةٌ))[٢] ، فالطاعات ترفع الدرجات ، والمصائب تحط السيئات ، ولهذا قال النبي ﷺ : ((**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبْ مِنْهُ**))[٣] ، وقال ﷺ : ((**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهه فِي** [٤١/ أ] **الدِّينِ**))[٤] ، فهذا يرفعه ، وهذا يحط خطاياه .

وقال يزيد بن ميسرة : ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَمْرَضُ الْمَرَضَ وَمَا لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ عَمَلِ خيرٍ ، فَيُذَكِّرُهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بَعْضَ مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ ، فَيَخْرُجُ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلَ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنَ الدَّمْعِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ فَيَبْعَثُهُ اللهُ إِنْ بَعَثَهُ مُطَهَّرًا أَوْ يَقْبِضُهُ إِنْ قَبَضَهُ مُطَهَّرًا))[٥] ولا يرد على هذا

---

(١) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٢) **إسناده ضعيف** : أخرجه أحمد (١/ ١٩٥) والحاكم (٣/ ٢٦٥) من طريق جرير بن حازم وواصل مولى أبي عيينة عن بشار بن أبي سيف عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن عياض بن غطيف قال : دخلنا على أبي عبيدة بن الجراح ﷺ نعوده وامرأته تحيفة جالسة عند رأسه وهو مقبل بوجهه على الجدار فقلنا لها : كيف بات أبو عبيدة الليلة ؟ قالت : بات بأجر فأقبل علينا بوجهه فقال : إني لم أبت بأجر ثم قال : ألا تسألوني عما قلت ؟ فقلنا : ما أعجبنا ما قلت ، فنسألك عنه ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من أنفق نفقة في سبيل الله فبسبع مائة ، ومن أنفق على نفسه وأهله أو عاد مريضاً أو ما زاد ، فالحسنة بعشر أمثالها والصوم جنة ما لم يخرقها ، ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة)) .

الإسناد عند أحمد فيه سقط بين بشار وعياض ، والإسناد عند النسائي (٤/ ١٦٧) بمتن مختصر .

بشار بن أبي سيف - مقبول - تقريب ٦٧٥ ، وذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (أي مستور الحال) (الجرح والتعديل ٢/ ٤١٥) (عياض بن غطيف ويقال : غطيف بن الحارث - الشامي - والصحيح غطيف بن الحارث - قال أتينا أبا عبيدة بن الجراح ، روى عنه الوليد بن عبد الرحمن وسليم بن عامر - ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (أي مستور الحال) (الجرح والتعديل ٦/ ٤٠٨) ، وقال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٥٣٥٣) .

(٣) **صحيح** : البخاري (٥٦٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٤) **صحيح** : البخاري (٧١) مسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ مرفوعًا .

(٥) **إسناده حسن إلى يزيد بن ميسرة** : ابن أبي الدنيا (١٧ المرض والكفارات) أبو نعيم (٥/ ٢٧٣ الحلية) من طريق عبد الله بن المبارك أخبرنا إسماعيل بن عياش (الحمصي) حدثني أبو سلمة الحمصي (سليمان ابن سليم الكناني الكلبي) عن يحيى بن جابر (ابن حسان الطائي القاضي) عنه به . (إسماعيل بن عياش - أبو عتبة ، عالم أهل حمص ، صدوق في حديث أهل الشام ، مضطرب جدًا في حديث أهل الحجاز . قال أحمد : ما روى عن الشاميين صحيح وما روى عن الحجازيين فليس بصحيح . وقال ابن حبان : لا يحتج به ، وضعفه النسائي . ووثقه يحيى بن معين (المغني ٦٩٧) وقال الحافظ ابن حجر : صدوق في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم (تقريب ٤٧٨) .

قلت : (محمد) : وهذا من روايته عن أهل بلده .ا.هـ .

حديث أبي موسى الأشعري ﷺ في ثواب من قبض اللهُ ولدَه وثمرةَ فؤاده بأن يبني له بيتًا في الجنة ، ويسميه بيت الحمد[1] ، وإنما نال ذلك البيت بحمد الله واسترجاعه . وذلك عمل اختياري ولذلك سمي بيت الحمد .

وقال زيادُ بن زياد مولى ابن عباس : وعن أصحاب النبي ﷺ قال : دخلنا على النبي ﷺ وهو موعوك ، أي : محموم ، فقلنا : أح أح بآبائِنَا وأمهاتنا يا رسولَ الله ما أشدّ وعكك . قال : ((**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ تَضْعِيفًا**)) ، قال : قلنا سبحان الله . قال : ((**أَفَعَجِبْتُمْ ، إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ**)) قلنا : سبحان الله . قال : ((**أَفَعَجِبْتُمْ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيَقْتُلُهُ الْقُمَّلُ**)) قلنا : سبحان الله . قال : ((**أَفَعَجِبْتُمْ إِنْ كانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ**))[2]. أح : بالحاء المهملة ، وهو المعروف من كلامهم ، ومن قال الخاء المعجمة ؛ فقد غلط .

وذكر النسائي عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة قالت : أتيت النبي ﷺ في نسوةٍ نعودُه ، فإذا بسقاء معلقة يقطر ماؤها عليه من شدة ما كان يجد من الحُمّى ، فقلنا : لو دعـوت الله يا رسول الله أن يذهبها عنك . فقال : ((**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ، ثُـمَّ**

---

(١) **حسن لغيره** : سبق تخريجه .

(٢) **صحيح لشواهده** : ابن أبي الدنيا (٥ المرض والكفارات) من طريق يحيى بن سليم الطائفي حدثنا إسماعيل بن كثير عن زياد بن (ميسرة) أبي زياد مولى ابن عياش (عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي ﷺ) عن بعض أصحاب النبي ﷺ مرفوعًا . (يحيى بن سليم الطائفي - قال النسائي : ليس به بأس ، وهو منكر الحديث عن عبيد الله ابن عمر ، وقال أبو حاتم : شيخ صالح ، محله الصدق ، ولم يكن بالحافظ ، ويكتب حديثه ، ولا يحتج به ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث ، وقال أبو بشر الدولابي : ليس بالقوى ، وقال يحيى بن معين : ثقة ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه : يحيى بن سليم ، كذا وكذا ، والله إن حديثه - يعني فيه شيء ، وكأنه لم يحمده - (تهذيب الكمال ٨/ ٤٨) وقال النسائي أيضاً : ليس بالقوى (الضعفاء والمتروكين ٦٣٣) وقال الساجي : أخطأ في أحاديث رواها عن عبيد الله بن عُمر (مقدمة الفتح ص ٤٧٤) .

قلت : كأنهم أنكروا عليه روايته عن عبيد الله بن عمر ، وليس هذا من روايته عنه والحديث له شواهد منها ما سبق . ا.هـ . (زياد بن أبي زياد - ميسرة - المخزومي - ثقة عابد - تقريب ٢٠٦٤) . قلت : لم يذكر أحدًا من أهل العلم أن روايته مرسلة ولا يضر إبهام الصحابي لأن الصحابة كلهم عدول .ا.هـ

الَّذِينَ يلُونهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يلُونهُمْ))[١].

وقال مسروقٌ : قالت عائشةَ - رضي الله عنها - : ما رأيتُ أحدًا أشد وجعًا مِنْ رسولِ الله [٢] ﷺ .

كان يشَدُّ عليه إذا مَرِض حتى أنه ربما يمكث خمس عشرة لا ينام ، وكان يأخذه عرقُ الكلية وهو الخاصرة ، فقلنا : يا رسول الله لو دعوت الله فيكشف عنك . قال : ((إنا معاشر [٤١/ ب] الأنبياءِ يشَدَّدُ علينا الوجعُ ليكفِّرَ عنّا))[٣].

---

(١) **إسناد حسن** : النسائي (٦ كتاب الطب) أحمد (٦/ ٣٦٩) من حديث فاطمة بنت اليمان العبسية - أخت حذيفة رضي الله عنها مرفوعًا . في إسناده : أبو عبيدة بن حذيفة (قال أبو حاتم : لا يسم ٩/ ٤٠٣ - ٤٠٤ الجرح والتعديل) ووثقه العجلي (٥٠٤ الثقات) ووثقه ابن حبان (٥/ ٥٩ الثقات) وقال ابن حجر : مقبول (٨٢٢٥ تقريب) والمتن له شواهد ذكرت من قبل .

(٢) **صحيح** : البخاري (٥٦٤٦) مسلم (٢٥٧٠) الترمذي (٢٣٩٧) ابن ماجه (١٦٢٢) النسائي (٨ الطب) احمد (٦/ ١٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) **إسناده ضعيف** : ابن أبي الدنيا (٩ المرض والكفارات) حدثنا إبراهيم ، حدثني يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثني محمد بن عبد الرحمن (ابن نوفل - أبو الأسود المدني - يتيم عروة) عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : كان رسول الله ﷺ يشدد عليه إذا مرض الحديث) . يحيى بن بكير ، هو : يحيى عبد الله بن بكير - القرشي المخزومي - أبو زكريا المصري - قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وكان يفهم هذا الشأن ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ، وقال أبو داود : سمعت يحيى بن معين يقول : أبو صالح أكثر كُتبا ، ويحيى بن بكير ، أحفظ منه ، وقال الساجي : قال ابن معين : سمع يحيى بن بكير الموطأ بعرض حبيب كاتب الليث وكان شر عرض ، وكان يقرأ على مالك خطوط الناس ويصفح ورقتين ثلاثة . قال يحيى : وسألني عنه أهل مصر فقلت : ليس بشيء ، وقال الساجي : هو صدوق ، روى عن الليث فأكثر ، وقال ابن عدي : كان جار الليث بن سعد ، وهو أثبت الناس فيه وعنده عن الليث ما ليس عند أحد ، وقال مسلمة بن قاسم : تكلم فيه لأن سماعه من مالك إنما كان يعرض حبيب ، وقال الخليلي : كان ثقة ، وتفرد عن مالك بأحاديث ، وقال البخاري في تاريخه الصغير : ما روى ابن بكير عن أهل الحجاز في التاريخ ، وقال البخاري في تاريخه الصغير : ما روى ابن بكير عن أهل الحجاز في التاريخ ، فإني أرويه ، وقال ابن قانع : ثقة (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٣٧ - ٢٣٨) وقال الذهبي : وما أدرى ما لاح للنسائي منه حتى يضعفه ، وقال مرة ليس بثقة ، وهذا جرحٌ مردود ، فقد احتج به الشيخان ، وما علمت له حديثاً منكراً حتى أرُده ا.هـ (سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٦٨) وقال ابن حجر : بعد ذكره لقول البخاري في تاريخه الصغير : وهذا يدلك على أنه (أي البخاري) ينتقي حديث شيوخه ولهذا ما أخرج عنه مالك سوى خمسة أحاديث مشهورة متابعة ، ومعظم ما أخرج عنه الليث ا.هـ (مقدمة الفتح ص ٤٧٥) وقال أيضًا : ثقة في الليث ، وتكلموا في سماعه من مالك (تقريب ٧٥٧٠) . (عبد الله بن لهيعة - المصري - سبق ترجمته) .

وفي المسند والنسائي من حديث أبي سعيد قال : قال رجل : يا رسول الله أرأيت هذه الأمراض التي تصيبُنا ماذا لنا بها ، قال : ((**كَفَّارَاتٌ**)) ، فقال أبي بن كعب : يا رسول الله ، وإن قلت . قال : ((**شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا**)) ، قال : فدعا أبي بن كعب على نفسه عند ذلك أن لا يفارقه الوعك حتى يموت ، ولا يشغله عن حجٍّ ، ولا عمرةٍ ، ولا جهادٍ في سبيل الله ، ولا صلاةٍ مكتوبةٍ في جماعةٍ . قال : فما مَسَّ رجلٌ جلدَهُ بعدَها إلا وجدَ حَرَّها حتى مات(١).

وقال عبد الله بن عمر : قال رسول الله ﷺ : ((إن العبدَ إذا كانَ على طريقةٍ حسنةٍ من العبادةِ ثم مرضَ قِيلَ للملَكِ الموكَّلِ به : اكتبْ له مثل عملِهِ إذا كانَ طلقًا حتَّى أُطلقَهُ أو أَكفتَهُ إِليَّ))(٢). يقال : ناقة طُلُق - بضم الطاء واللام - إذا حل عقالها . ويقال : كفته إليه إذا ضمه إليه . ذكره ابن أبي الدنيا .

وذكر أيضًا عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ : ((إنَّ اللهَ ليجربُ أحدَكم وهو أعلمُ به ، كما يجربُ أحدَكم ذهبَهُ بالنارِ ، فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز ، فذلك الذي نجاه الله من السيئات ، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك ، فذلك الذي شك بعضَ الشَّكِّ ، ومنهم من يخرجُ كالذهبِ الأسودِ فذلك الذي قد افتتن))(٣).

---

(١) **صحيح**: النسائي (١٥ الطب) أحمد (٣/ ٢٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا.

(٢) **ضعيف**: عبد الرزاق (٢٠٣٠٨ مصنف) أحمد (٢/ ٢٠٣) ابن أبي الدنيا (٢٦ المرض والكفارات) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا . في إسناده معمر بن راشد عن عاصم بن أبي النجود عن خيثمة بن عبد الرحمن عنه به . معمر عن عاصم بن أبي النجود - سبق له تخريجه . خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة - ثقة - وكان يرسل (تقريب ١٧٦٣ أحد كبار التابعين ، قال أحمد بن حنبل : لم يسمع من عبد الله بن مسعود شيئًا . روى عنه الأسود عن عبد الله ، وقال أبو حاتم : لم يسمع من ابن مسعود ، وقال أبو زرعة : خيثمة بن عبد الرحمن عن عمر - مرسل (تحفة التحصيل لابن العراقي ٢٤٣) قلت : ولم يصرح بالسماع ومثله يخشى عنعنة ا.هـ ، وله طريق آخر مرسل عند أحمد (٢/ ١٥٩ - ١٩٤ - ١٩٨) والأدب المفرد (٥٠٠) والحاكم (١/ ٣٤٨) من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- مرفوعًا . في إسناده : القاسم بن مخيمر عنه به ، القاسم بن مخيمر - ثقة فاضل (تقريب ٥٤٨٦) قال ابن معين : لم نسمع أنه سمع من أحد من أصحاب النبي ﷺ (تحفة التحصيل لابن العراقي ٨٤٦)(تهذيب الكمال ٦/ ٨٧) .

(٣) **ضعيف**: ابن أبي الدنيا (٢٧ المرض والكفارات) الطبراني (٧٦٩٨ الكبير) الحاكم (٤/ ٣١٤) من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعًا ، وفي إسناده : عقـير بن معدان . قال أبو حاتم : هو ضعيف الحديث ، يكثر الرواية عن سليم =

وذكر أيضًا من مراسيل الحسن البصري عن النبي ﷺ قال : ((إنّ الله ليكفِّر عن المؤمنِ خطاياه كلَّها بحمّى ليلةٍ))[(١)]. قال ابن أبي الدنيا قال ابن المبارك : هذا من الحديث الجيد .

قال : ((وكانوا يرجون في حمى ليلةٍ كفارةَ ما مضى من الذنوبِ))[(٢)].

وذكر عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل على رجل وهو يشتكي فقال : ((قل اللهمَّ إني أسألُكَ تعجيلَ عافيتِكَ ، وصبرًا على بليَّتِكَ ، وخروجًا من الدنيا إلى رحمتِكَ))[(٣)].

= ابن عامر عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ بالمناكير وما لا أصل له – لا يشغل بروايته (الجرح والتعديل ٧/ ٣٦) ، وأيضًا : أبو زيد أحمد بن عبد الرحيم الحوطي . قال ابن القطان : لا يعرف حاله (لسان الميزان ١/ ٢٢٩ – ٧/ ٥١) .

(١) **منكر – ومرسل** : ابن أبي الدنيا (٢٨ المرض والكفارات) البيهقي (٩٨٦٥ شعب) من طريق عُمر بن المغيرة الصغاني عن حوشب (ابن مسلم) عن الحسن (البصري) يرفعه . عمر بن المغيرة : قال البخاري : منكر الحديث – مجهول (ميزان ٣/ ٢١٨) وذكره ابن أبي حاتم ، قال سألت أبي عنه فقال : شيخ (الجرح والتعديل ٦/ ١٣٦) . (حوشب بن مسلم الثقفي – أبو بشر صاحب الطيالسة – لا يدرى من هو ، قال الأردي : ليس ذاك (ميزان ١/ ٦٠٥) وذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (الجرح والتعديل ٣/ ٢٨١) .

(٢) **ضعيف** : البيهقي (٩٨٦٧ شعب) الترمذي (٢٠٨٩) من قول الحسن البصري – رحمه الله تعالى – في إسناده : هشام بن حسان عن الحسن (ثقة – من أثبت الناس في ابن سرين – وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال لأنه كان يرسل عنها (تقريب ٧٢٧٨) .

(٣) **ضعيف جدًا** : ابن أبي الدنيا (٣٠ المرض والكفارات) من طريق يوسف بن عطية (الصفار – أبو سهل البصري) قال : عادني أبو الحكم وأنا مريض فحدثني أنه دخل هو وثابت (البناني) على أنس بن مالك ﷺ فأخبرهم أنس أن رسول الله ﷺ دخل على رجل وهو يشتكي فقال : فذكره .

يوسف بن عطية – الصفار – مجمع على ضعفه ، وقال النسائي : متروك ، وقال الفلاس : ما علمت كان يكذب (المغني ٧٢٤٥) وقال الحافظ ابن حجر : متروك (تقريب ٧٨٦٦) . أبو الحكم : لعله سيار – أبو الحكم العنْزي الواسطي ، ويقال : البصري ، والله أعلم . وله طريق آخر عند ابن أبي الدنيا (٦٨ الصبر) ابن حبان (٢٤٣٧ موارد) الحاكم (١/ ٥٢٢) من طريق عمرو بن أبي سلمة (التنيسي) عن زهير بن محمد (التميمي – المروزي) عن هشام ابن عروة عن أبيه (عروة الزبير) عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : أتى جبريل ﷺ – النبي ﷺ وقال : إن الله ﷻ يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات فإن الله معطيك إحداهن : اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك ، أو صبرًا على بليتك ، أو خروجًا من الدنيا إلى رحمتك . عمرو بن أبي سلمة (التنيسي) ثقة ، وقال أبو حاتم (لا يحتج به ، وقال الساجي : ضعيف (المغني ٤٦٦٢) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق – له أوهام (تقريب ٥٠٣٣) .

زهير بن محمد – التميمي – المروزي – ثقة – له غرائب – ضعفه ابن معين – وقال البخاري : روى أهل الشام عنه مناكير (المغني ٢٢١٨) وقال النسائي : ضعيف ، وقال في موضع آخر : ليس بالقوي ، وقال في موضع آخر : ليس به بأس ، وعند عمرو بن أبي سلمة عنه مناكير ، وذكره أبو زرعة في أسامي الضعفاء (تهذيب الكمال ٣/ ٣٧) .

وقالت عائشة – رضي الله عنها – : قال رسول الله ﷺ : « إن الحُمّى تحطُّ الخطايا كما تحطُّ الشجرةُ ورَقَها »[1].

وقال أبو هريرة وقد عاد مريضًا فقال له : إن رسول الله ﷺ قال : « إن اللهَ ﷻ يقول : هي ناري أسلطُها على عبدي المؤمن في الدنيا ؛ لتكونَ حظَّه من النارِ في الآخرةِ »[2].

وقال مجاهد[3] : الحمى [٤٢/ أ] حظ كل مؤمن من النار ، ثم قرأ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] ، وهذا لم يرد به مجاهد تفسير

---

(١) **منكر** : ابن أبي الدنيا (٣٢ المرض والكفارات) حدثنا هاشم بن الوليد (الهروي – أبو طالب) حدثنا عبد الوهاب ابن عطاء (الخفاف – أبو نصر العجلي) عن عمر بن قيس (المكي – أبو حفص – المعروف بسَنْدل) عن عبد الرحمن بن القاسم (ابن محمد بن أبي بكر الصديق – أبو محمد الرضى) عن أبيه عن عائشة رضي الله عنهما مرفوعًا . عبد الوهاب ابن عطاء الخفاف – صدوق – ربما أخطأ (تقريب ٤٢٥٣) . عمر بن قيس المكي – المعروف بسندل – متروك (تقريب ٤٩٤٩) قال الذهبي : هالك – تركوا حديثه (المغني ٤٥٢٧) .

(٢) **ضعيف جدًا** : ابن جرير الطبري (١٦/ ٨٣ – ٨٤) حدثني عمران بن بكار الكلاعي (ابن راشد البراد الحمصي المؤذن) قال ثنا أبو المغيرة (عبد القدوس بن الحجاج الخولاني – الحمصي) قال ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم (السلمي الدمشقي) قال ثنا إسماعيل بن عبيد الله (ابن المهاجر – أبو عبد الحميد الدمشقي) عن أبي صالح (الأشعري) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . عبد الرحمن بن يزيد بن تميم – السلمي . قال البخاري : روى عنه أهل الكوفة ، أبو أسامة (حماد بن أسامة) وحسين الجعفي ، فقالوا : عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وقال : أُخبرت عن مروان عن الوليد بن مسلم أنه قال : لا ترووا عنه فإنه كذاب (الضعفاء الصغير ٢١٠) . قال النسائي : متروك الحديث ، شامي ، روى عنه أبو أسامة ، وقال الوليد بن مسلم : هو كذاب (الضعفاء والمتروكين ٣٦٣) ، وقال الدارقطني : عبد الرحمن بن يزيد بن تميم – شامي ، أبو أسامة (حماد بن أسامة) يغلط في نسبه ، يروى عن الزهري ، وإسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر الدمشقي وإسماعيل هذا ثقة (الضعفاء والمتروكين ٣٣٦) ، وأخرجه الترمذي (٢٠٨٨) ابن ماجة (٣٤٧٠) أحمد (٢/ ٤٤٠) ابن أبي شيبة (٣/ ٢٢٩ مصنف) . ابن أبي الدنيا (١٩ المرض والكفارات) من طريق أبو أسامة (حماد بن أسامة) عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر (الأردي – أبو عتبة الشامي الداراني) عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . حماد بن أسامة القرشي مولاهم ، الكوفي ، أبو أسامة – مشهور بكنيته ، ثقة ثبت ، ربما دلس ، وكان بآخره يحدث من كتب غيره (تقريب ١٤٧٦) قال موسى بن هارون وأبو بكر بن أبي داود وابن أبي حاتم وأبو داود ويعقوب بن سفيان وأبو زرعة وأبو حاتم : أن عبد الرحمن ابن يزيد الذي روى عنه أبو أسامة ليس بابن جابر ، وإنما هو ابن تميم (تهذيب الكمال ٤/ ٤٨٨ إلى ٤٩٠) وأيضًا الدارقطني في العلل (١٠/ ٢١٩) .

(٣) **ضعيف**: ابن جرير (١٦/ ٨٣ تفسير) من قول مجاهد في إسناده : يحيى بن يمان (قال أحمد : ليس بحجة ، وقال ابن معين والنسائي : ليس بالقوي وقال ابن عياش : ذاك ذاهب الحديث ، وقال ابن نمير : كان سريع الحفظ ، =

الورود الذي في القرآن ، فإن السياق يأبى حمله على الحمى قطعًا ، وإنما مراده أن الله سبحانه وعد عباده كلهم بورود النار ، فالحمى للمؤمن تكفر خطاياه فيسهل عليه الورود يوم القيامة ، فينجو منها سريعًا ، والله أعلم ، ويدل عليه حديث أبي ريحانة عن النبي ﷺ: « الحُمَّى كير جهنمَ ، وهي نصيبُ المؤمنُ من النَّارِ »[1].

وقد قال أنس ﷺ : قال رسول الله ﷺ: « مثلُ المؤمنِ إذا بَرَأَ وصَحَّ من مرضِهِ كمثل البردةِ تقع من السماء في صفائها ولونها »[2] ذكره ابن أبي الدنيا .

وذكرأيضًا عن أبي أمامة يرفعه : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصْرَعُ صَرْعَةً مِنْ مَرَضٍ إِلَّا بُعِثَ

= سريع النسيان ، وقال ابن المديني : صدوق - فلج فتغير حفظه (ميزان ٤/ ٣٧٩) فلج - أي : شُل - الفالج - شلل يصيب أحد شقي الجسم طولاً) ، وله طريق من حديث أنس ﷺ مرفوعاً (الطبراني ٧٥٣٦ الأوسط) وفي إسناده : عبيس بن ميمون (قال أبو حاتم : ضعيف - منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : هو ضعيف الحديث (الجرح والتعديل ٧/ ٣٤) ، وقال أحمد والبخاري : منكر الحديث ، وقال ابن معين وأبو داود : ضعيف ، وقال الفلاس : متروك . وقال ابن حبان : يروى عن الثقات الموضوعات (ميزان ٣/ ٢٨) ، وله طريق من حديث عائشة رضي الله عنهما مرفوعًا (البزار ١/ ٣٦٤ كشف الأستار) ، وفي إسناده : هشيم بن بشير عن المغيرة بن مقسم . قال محمد بن سعد : كان ثقة - كثير الحديث - ثبت يدلس كثيراً ، فما قال في حديثه ، أخبرنا فهو حجة ، وما لم يقل فيه أخبرنا ليس بشيء (تهذيب الكمال ٧/ ٤٢١) قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي يقول : لم يسمع هشيم من واحد منهما - يعني ، مغيرة - وخالد وأبو إسحاق - العلل ومعرفة الرجال ١/ ٣١٤) ، وقال ابن حجر : ثقة - ثبت - كثير التدلس والإرسال الخفي (تقريب ٧٣٠٠) .

(١) **إسناده ضعيف**: التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ١- ٦٣) ابن أبي الدنيا (٢١ المرض والكفارات) من حديث أبي ريحانة ﷺ مرفوعًا في إسناده الأشعث بن عبد الله بن جابر الحداني عن شهر بن حُوشب عنه به قال العقيلي في حديثه : وهم (١/ ٢٩ الضعفاء) أيضًا شهر بن حوشب - تابعي مشهور - وثقه ابن معين وأحمد بن حنبل ، وقال أبو حاتم : ما هو بدون أبي الزبير (أي في التدليس) وقال النسائي وغيره : ليس بالقوي (المغني ٢٨٠٣) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - كثير الإرسال والأوهام (تقريب ٢٨٢٤) ، وله طريق آخر عند أحمد (٥/ ٢٥٢) من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعًا ، وفي إسناده أبو الحصين (الفلسطيني) عن أبي صالح الأشعري عنه به . أبو الحصين الفلسطيني - مجهول (تقريب ٤٠٤٨) (تهذيب التهذيب ١٠/ ٧٥) أبو صالح الأشعري : سبق له ترجمة .

(٢) **منكر**: الترمذي (٢٠٨٦) العقيلي (٤/ ٣١٨ الضعفاء الكبير) ابن حبان (١/ ٣٥٤ المجروحين) ابن أبي الدنيا مرفوعًا . في إسناده : الوليد بن محمد المُوقَّري (متروك - تقريب ٧٤٤٢) ، وفي إسناد ابن حبان : سفيان بن محمد الفزاوي عن ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أنس ﷺ مرفوعًا . سفيان بن محمد الفزاوي - قال ابن عدي : كان يسرق الحديث ٣/ ٤١٩ الكامل) .

مِنْهَا طَاهِرًا))[١].

وذكر عنه ﷺ : ((مثلُ المؤمنِ حين يصيبُه الوعكُ مثل الحديدةِ تدخلُ النارَ ، فيذهبُ خبثُها ، ويبقى طيبُها))[٢].

وذكر أيضًا عنه ﷺ : ((إنّ العبدَ إذا مرضَ أوحَى اللهُ إلى ملائكتِهِ : يا ملائكتي أنا قَيَّدْتُ عبدي بقيدٍ من قُيودي ، فإن أقبضُه أغفرُ له وإن أعافه فجسدٌ مغفورٌ لا ذنبَ له))[٣].

وذكر عن سهل بن أنس الجهني عن أبيه عن جده قال : دخلت على أبي الدرداء في مرضه فقلت : يا أبا الدرداء إنا نحب أن نصح ولا نمرض ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن الصّداعَ والمليلة لا يزالان بالمؤمنِ وإن كان ذنبُهُ مثل أحدٍ حتى لا يدعان عليه من ذنبهِ مثقالَ حبَّةٍ من خردلٍ))[٤]. المليلة : فعلية من التململ ،

---

(١) **إسناده حسن** : الطبراني (٧٤٨٥ كبير) ابن أبي الدنيا (٢٣ المرض الكفارات) ابن عساكر (٢٠/ ٧٦ تاريخ دمشق) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ مرفوعًا . عن طريق خالد بن يزيد بن صبيح عن سالم بن عبد الله المحاربي عن سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي أمامة الباهلي ﷺ مرفوعًا . سالم بن عبد الله المحاربي - أبو عبد الله قاضي دمشق . قال أبو حاتم : صالح الحديث (الجرح والتعديل ٤/ ١٨٥) .

(٢) **إسناده ضعيف** : البزار (٧٥٦ كشف الأستار) الحاكم (١/ ٧٣ - ٣/ ٤٣١) ابن أبي الدنيا (٢٤ المرض والكفارات) من حديث عبد الرحمن بن أزهر ﷺ مرفوعًا . في إسناده : عبيد الله بن عبد الرحمن بن السائب عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر عنه به . عبيد الله بن عبد الرحمن بن السائب - مستور الحال - ذكره ابن أبي حاتم (٥/ ٣٢٣ الجرح والتعديل) بدون جرح ولا تعديل ، وأيضًا البخاري (٣/ ١- ٣٩٠ التاريخ الكبير) . عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن أزهر - مستور الحال ٦/ ١٥ الجرح والتعديل - ٣/ ٢ - ٤٤ التاريخ الكبير للبخاري) .

(٣) **ضعيف** : الطبراني (٦٩٩ - ٧٠١ كبير) الحاكم (٤/ ٣١٣) البيهقي (٩٩٢٣ شعب) ابن أبي الدنيا (٢٥ المرض والكفارات) من حديث أبي أما ﷺ مرفوعًا . في إسناده : عفير بن معدان عن سليم بن عامر عنه به . الإسناد سبق ترجمته . وله شاهد عند أحمد (٤/ ١٢٣) من طريق راشد بن داود الصنعاني (أبو المهلب) عن أبي الأشعث الصنعاني (شراحيل بن آدة) عن شداد بن أوس ﷺ مرفوعًا . ((إن الله ﷻ يقول : إني إذا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ، ويقول الرب ﷻ : أنا قيدت عبدي وابتليته واجروا له كما كنتم تجرون له وهو صحيح))(ضعيف) . راشد بن داود الصنعاني : قال ابن معين : ليس به بأس ، وقال دحيم : هو ثقة عندي ، وقال البخاري : فيه نظر ، وقال الدارقطني : ضعيف . لا يعتبر به (تهذيب الكمال ٢/ ٤٤٥) .

(٤) **ضعيف** : أحمد (٥/ ١٩٨) ابن أبي الدنيا (٤١ المرض والكفارات) من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب على سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن جده عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعًا . (عبد الله بن لهيعة - سبق له ترجمة) (سهل بن معاذ - شامي نزل مصر - قال ابن معين : ضعيف (تهذيب الكمال ٣/ ٣٢٦) ، وقال ابن حجر : لا =

وأصلها من الملة التي يخبز فيها .

وقالت أم سلمة عن النبي ﷺ : « ما ابتلى اللهُ عبدًا ببلاءٍ وهو على طريقةٍ يكرهُها إلا جعل اللهُ ذلك البلاءَ كفارةً وطهورًا ما لم ينْزل ما أصابه من البلاء بغير الله ، أو يدعو غير الله في كشفه »[١]. [٤٢/ ب]

وقال عطية بن قيس : مرِض كعبٌ فعاده رهطٌ من أهلِ دمشق فقالوا : كيف تجدك يا أبا إسحاق ؟ قال : بخيرٍ ، جسد أُخذَ بذنبه إن شاء ربُّه عذَّبَه وإن شاء رَحِمَهُ ، وإن بعثَهُ بعثه خلقًا جديدًا لا ذنب له[٢].

= بأس به إلا في روايات زبان (ابن فائدة) عنه (تقريب ٢٦٦٢) . وأخرجه ابن أبي الدنيا (٤٢ المرض والكفارات) حدثنا القاسم بن هاشم (السمسار) حدثنا على بن عياش المحصي حدثنا الليث بن سعد حدثنا يزيد ابن أبي حبيب وغيره قال : قال رسول الله ﷺ فذكره . (معضل) . وله طريق آخر عند أبي يعلى (٦١٥٠ مسند) من طريق محمد ابن أبي حميد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً . (محمد بن أبي حميد ، وهو حماد بن أبي حميد . قال البخاري : منكر الحديث ، وقال أحمد بن حنبل أحاديثه مناكير ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث ، وقال يحيى بن معين : ضعيف - ليس حديثه بشيء (تهذيب الكمال ٦/ ٢٨٨) . موسى ابن وردان (أبو عمر المصري) صدوق ربما أخطأ (تقريب ٧٠١٣) ، وله طريق آخر عند البيهقي (٩٩٠٣ - ٩٩٠٤ الشعب) من طريق هانيء بن المتوكل الأسكندراني ومحمد بن خلاد الأسكندراني عن ضمام بن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . (هانيء بن المتوكل) قال ابن حبان : كان تدخل عليه المناكير وكثرت فلا يجوز الاحتجاج به بحال (المجروحين ٣/ ٩٧) . (محمد بن خلاد بن هلال الأسكندراني) قال ابن يونس : يروى المناكير (المغني ٥٤٧٦) . (ضمام بن إسماعيل المصري) قال الحافظ ابن حجر : قرأت بخط الذهبي أنه قرأ بخط الضياء ضمام ابن إسماعيل عن موسى بن وردان متروك قاله الدارقطني ، نقله عنه البرقاني (تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٩) .

(١) **موضوع** : ابن أبي الدنيا (٤٣ المرض والكفارات) حدثنا يعقوب بن عبيد حدثنا هشام بن عمار حدثني يحيى بن حمزة حدثنا الحكم بن عبد الله (ابن سعد الأيلي) أنه سمع المطلب بن عبد الله بن حنطب المحزومي يحدث أنه سمع أبا هريرة ﷺ يحدث ، قال : دخلت على أم عبد الله بنت أبي ذئب ، عائذاً لها من شكوى ، فقالت : يا أبا هريرة ، إني دخلت على أم سلمة رضي الله عنهما أعودها من شكوى ، فنظرت إلى قرحة في يدي فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكرته . (الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي - قال الإمام أحمد : أحاديثه كلها موضوعة ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال السعدي وأبو حاتم : كذاب ، وقال النسائي والدارقطني وجماعة : متروك الحديث ، وقال البخاري : كان ابن المبارك ، يوهنه ، ونهى أحمد عن حديثه ، وقال أيضاً : تركوه (ميزان الاعتدال ١/ ٥٦٢) .

(٢) **ضعيف إلى كعب الأحبار** : ابن أبي الدنيا (٤٤ المرض والكفارات) أبو نعيم (٥/ ٤٠٢ الحلية) تهذيب الكمال (٦/ ١٧٠) عن كعب الأحبار قوله . في إسناد ابن أبي الدنيا : أبو بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس عنه به . (أبو بكر ابن أبي مريم - سبق له ترجمة) وفي إسناد أبو نعيم - بقية بن الوليد ثنا محمد بن زياد الألهاني عنه به . بقيه بن الوليد - صدوق كثير التدليس عن الضعفاء (تقريب ٧٣٩) . قال سفيان بن عيينة : لا تسمعوا من بقية ما كان في سُنّة ،=

وقال سعيد بن وهب : دخلنا مع سلمان الفارسي على رجل من كِنْدَة نعودُه فقال سلمان : « إن المسلمَ يُبتلى فيكون كفارة لما مضى ، ومُسْتَعْتَبًا فيما بقي ، وإن الكافرَ يُبتلى فمثلُه كمثلِ البعيرِ أُطلِق فلم يدرِ لم أُطلقَ ، وعُقِلَ فلم يدرِ لم عُقِلَ »[(١)].

وذكر أيضًا عن أبي أيوب الأنصاري قال : عاد رسول الله ﷺ رجلًا من الأنصار ، وأكب عليه ؛ فسأله ؛ فقال : يا نبيَّ الله ما غمضت منذ سبع ، فقال رسول الله ﷺ : « أي أخي اصبرِ أي أخي اصبر ، تخرجُ منكَ ذنوبك كما دَخَلْتَ فيها » ، وقال : قال رسول الله ﷺ : « ساعاتُ الأمراضِ يُذهبنَ ساعات الخطايا »[(٢)].

وفي النسائي من حديث أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال لأعرابي : « هَلْ أخذتْكَ أُمُّ مِلْدَم ؟ » . قال : يا رسولَ الله ، ما أم مِلْدَم ؟ قال : « حَرٌّ يكونُ بين الجلدِ والدَّمِ » قال : ما وجدت هذا . قال : « يا أعرابيُّ هل وجدت هذا الصداعُ ؟ » قال : يا رسول الله وما

= واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره (تهذيب الكمال ١/ ٣٦٨) ، وفي إسناد تهذيب الكمال (أبو الصباح - عبد الغفور الواسطي عن همام عنه به) . قال البخاري : تركوه ، وقال ابن عدي : ضعيف منكر الحديث ، وقال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث ، وقال يحيى بن معين : ليس حديثه بشيء (ميزان ٢/ ٤٩٥) ، وقال النسائي : متروك الحديث ٣٨٩ الضعفاء والمتروكين) .

(١) **إسناد صحيح إلى سلمان الفارسي** ﷺ : الأدب المفرد (٤٩٣) ابن أبي الدنيا (٤٥ المرض والكفارات) أبو نعيم (١/ ٢٦٥ الحلية) البيهقي (٩٩١٤ - ٩٩١٥ الشعب) من طريق شعبة عن الأعمش عن عمارة بن عمير التيمي عن سعيد بن وهب (الهمداني - الخيواني) عنه به .

(٢) **ضعيف جدًا** : ابن أبي الدنيا (١٣٤ المرض والكفارات)من طريق الهيثم بن الأشعث السلمي حدثني فضال بن جبير الغداني عن بشير بن عبد الله بن أبي أيوب الأنصاري عن أبيه عن جده . مرفوعًا . (الهيثم بن الأشعث) قال العقيلي : يخالف في حديثه ، ولا يصح إسناده (الضعفاء الكبير ٤/ ٣٥١) ، وقال الذهبي : مجهول (المغني ٦٧٩٢) . (فضال بن جُبير - أبو المهند) قال ابن عدي : أحاديثه غير محفوظة ، وقال الكتاني عن أبي حاتم : ضعيف الحديث (المغني ٤٩٠٥) بشير بن عبد الله بن أبي أيوب : مجهول (ميزان ٢/ ٢٨٨) ، وله طريق آخر عند أبي الدنيا (١٢ الفرج) من طريق قُران بن تمام عن أبي بشر الحلبي عن الحسن البصري عن النبي ﷺ بلفظ (ساعات الأذى) قُران بن تمام (سبق له ترجمة) . أبو بشر الحلبي : لا يعرف (تهذيب التهذيب ١٢/ ٢١ - ١١٩) الحسن بن أبي الحسن - يسار - البصري . قال الدارقطني : مراسيله فيها ضعف (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٠) قال الحافظ ابن حجر : ثقة فقيه فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيرًا ويدلس ، قال البزار : كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم ، فيتجوز ، ويقول : حدثنا وخطبنا ، يعني قومه الذين حدّثوا وخطبوا بالبصرة ، وهو رأس الطبقة الثالثة (تقريب ١٢٣٠) .

الصداع ؟ قال : « عرقٌ يضربُ على الإنسانِ في رأسِهِ » قال : ما وجدت هذا . فلما ولى قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أحبَّ أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهلِ النارِ فلينظرْ إلى هذا »(١).

وقالت أم سُلَيم : مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال : « يا أُمَّ سُليم أتعرفين النارَ والحديدَ وخبَثَ الحديدِ ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « فأبشري يا أمَّ سُلَيم ، فإنكِ إن تخلصي من وجعك هذا تخلصي منه كما يُخلِّصُ الحديدُ من النارِ من خَبَثِه »(٢).

وخرج بعضُ الصحابةِ زائرًا لرجل من إخوانه ، فبلغه أنه شاكٍ قبلَ أن يدخلَ عليه فدخل عليه فقال : أتيتُك زائرًا وأتيتك عائدًا ومبشرًا . قال : كيف جمعت هذا ؟ قال : خرجتُ وأنا أريدُ زيارتك فبلغني شكاتُك فصارت عيادةً ، وأبشرك [٤٣/ أ] بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال : « إذا سبقتْ للعبدِ من الله منْزلةٌ لم يبلغها - أو قال لم ينَلْها - بعلمه ابتلاه الله في جسده أو في ولده أو في ماله ثم صبره حتى يبلغه المنْزلةَ التي

---

(١) **ضعيف**: النسائي (١٧ الطب) أحمد (٢/ ٣٣٢) الأدب المفرد (٤٩٥) البزار (٧٧٨ كشف الأستار) ابن حبان (٧٠٣ موارد) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا في إسناده محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عنه به . قال ابن أبي خيثمة : سُئل ابن معين عن محمد بن عمرو فقال : كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من روايته ، ثم يحدث به مرة أُخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة . وقال الجوزجاني (إبراهيم بن يعقوب) ليس بالقوى في الحديث ، ويشتهي حديثه (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٦) قال الحافظ ابن حجر : صدوق - له أوهام (تقريب ٦١٧٨) وله شاهد عند أحمد (٢/ ٣٦٦) من طريق أبي معشر (نجيح بن عبد الرحمن السندي) عن سعيد (ابن المسيب) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . نجيح بن عبد الرحمن السندي : ضعيف (تقريب ٧٠٩١) .

قلت (محمد) : ولعل الحديث هو حديث محمد بن عمرو بن علقمة ! المدني ، والدليل على ذلك أن أبا معشر ممن روى عن محمد بن عمرو ، قال ابن حبان : كان ممن اختلط في آخر عمره وبقي قبل أن يموت سنتين في تغير شديد لا يدري ما يحدث به ، فكثر المناكير في روايته من قبل اختلاطه فبطل الاحتجاج به .ا.هـ (المجرحين ٣/ ٦٠) .

(٢) **إسناده ضعيف** : ابن أبي الدنيا : (٣٣ المرض والكفارات) الخطيب (٣/ ٤١٠ تاريخ بغداد) من طريق عيسى بن سنان (أبو سنان القسملي الفلسطيني) عن جبلة بن أبي الأنصاري عن أم سليم الأنصارية رضي الله عنهما مرفوعًا .

أبو سنان (عيسى بن سنان الفلسطيني) ضعفه أحمد وابن معين ، وهو ممن يكتب حديثه على لينه ، وقواه بعضهم يسيرًا ، وقال العجلي : لا بأس به . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي (ميزان ٣/ ٣٠١) وقال النسائي : ضعيف ، وقال ابن خراش : صدوق ، وقال في موضع آخر : في حديثه نكرة ، وقال أبو زرعة : مخلط - ضعيف الحديث ، وهو شامي قدم البصرة ، فكتبوا عنه ، وقال مرة : لين الحديث وقال يعقوب بن سفيان الفارسي : لين الحديث (تهذيب الكمال ٥/ ٥٤٦) جبلة بن أبي الأنصاري : لم أقف له على ترجمة ، ولعله جبلة بن عطية الفلسطيني ، والله أعلم .

سبقت له من الله ﷻ »[١].

وقال الحسن وذكر الوجع : أما والله ما هو بشرٍّ أيام المسلمِ أيام نوِّرتْ له فيها مراحِلُهُ ، وذَكَر فيها ما نَسِيِ من مَعَادِهِ ، وكَفَّر بها عنه خطاياه [٢].

وقال بعض السلف : لولا مصائبُ الدنيا لوردنا القيامة مفاليسَ [٣].

وقال أنس بن مالك ﷺ : انتهى رسول الله ﷺ إلى شجرة فهزَّها حتى سقطَ من ورقها ما شاء الله ثم قال : « المصائبُ والأوجاعُ في إحباطِ ذنوبِ أمتي أسرع مني في هذه الشجرةِ »[٤].

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة ﷺ يرفعه : « ما من مسلمٍ إلا وكَّلَ اللهُ به ملكين من ملائكته لا يفارقانِهِ حتى يقضيَ الله في أمره بإحدى الحسنيين إما بموتٍ وإما بحياةٍ ؛

---

(١) **ضعيف** : أبو داود (٣٠٩٠) أحمد (٥/ ٢٧٢) ابن أبي الدنيا (٣٩ المرض والكفارات) أبو يعلى (٩٢٣ مسند) من طريق محمد بن خالد السلمى عن أبيه عن جده وكان لجده صحبة عن النبي ﷺ به . محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده : مجهول (تقريب ٥٨٣٩) ، وله شواهد سبق تخريجها .

(٢) **إسناده ضعيف إلى الحسن البصري** : أحمد (١٥٨٥ الزهد) من طريق يزيد بن هارون عن بن المبارك ، وله شاهد عند ابن أبي الدنيا (٥٥ - ١٤٥ المرض والكفارات) من طريق يزيد بن هارون عن مبارك فضالة عنه به . (مبارك ابن فضالة) ضعفه أحمد والنسائي ، وقال أبو زرعة : يدلس ، وقال أبو داود وأبو حاتم : إذا قال حدثنا ، فهو ثقة (المغني ٥١٦٥) .

قلت (محمد) : وهو لم يصرح بالتحديث ، وقد تابعه ابن المبارك عند أحمد في الزهد ولعله خطأ في لفظة (ابن) وابن المبارك وهو (عبد الله) ليس له رواية عن الحسن بن أبي الحسن البصري والحديث هو حديث المبارك بن فضالة عن الحسن والله أعلم .ا.هـ .

(٣) **إسناد ضعيف جدًّا إلى إبراهيم المقريء** : البيهقي (٩٩٩٣ شعب) من قول إبراهيم المقريء : لم أقف له على ترجمة . في إسناده : محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان عن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المولد عنه به . محمد بن عبد الله : صوفي - متهم - طعن فيه الحاكم ، ولأبي عبد الرحمن السلمي عنه عجائب وبلايا (المغني ٥٧٢٣) قلت : وهذا من عجائبه ، روى عنه أبو عبد الرحمن السلمي ا.هـ إبراهيم بن المولد : ما رواه هي حكايات عن الصوفية (شذرات الذهب ٢/ ٣٦٢) .

(٤) **ضعيف** : أبو يعلي (٤٢٩٩) ابن أبي الدنيا (٥٧ المرض والكفارات) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا في إسناده : جابر بن يزيد بن الحارث الجُعفي عن زياد بن عبد الله النميري البصري عنه به . جابر الجُعفي : مشهور عالم ، وقد وثقه شعبة والثوري وغيرهما ، وقال أبو داود : ليس عندي بالقوي ، وقال النسائي : متروك ، وكذبه بعضهم ، وقال ابن معين : لا يكتب حديثه (المغني ١٠٧٩) . زياد النميري : ضعيف (تقريب ٢٠٧٥) .

فإذا قال له العُوَّادُ : كيف تجدك ؟ قال : أحمدُ اللهَ أجدني ، والله محمود بخير ، قال له الملكان : أبشر بدم هو خيرٌ من دمِك وصحةٍ هي خير من صحَّتِك . وإن قال : أجدني مجهودًا في بلاءٍ شديدٍ قال له الملكان مجيبين له أبشرْ بدمٍ هو شرٌّ من دمِكَ وببلاء هو أطولُ من بلائِكَ))[1].

ولا يناقضُ هذا قول النبي ﷺ في وجعه ((**وَارَأْسَاهُ**))[2] وقول سعد : يا رسول الله قد اشتدَّ بي الوجعُ وأنا ذو مال[3] وقول عائشة : وارأساه[4] فإن هذا إنما قيل على وجه الإخبار لا على وجه الشكوى إلى العُوّادِ فإذا حمد المريض الله ثم أخبر بعلتِهِ لم تكن شكوى منه وإن أخبر بها تبرمًا وتَسَخُّطًا كان شكوى منه فالكلمة الواحدة قد يُثابُ عليها وقد يعاقَبُ بالنيةِ والقصْدِ .

وقال ثابت البناني : انطلقنا مع الحسن إلى صفوان بن محرز نعوده فخرج إلينا ابنُه وقال هو مبطونٌ لا تستطيعون أن تدخلوا عليه فقال الحسن : إنّ أباكَ إن يؤخذ اليومَ من لحمِهِ ودمِهِ فيؤجر فيه خيرٌ من أن يأكلَه الترابُ[5].

---

(١) **منكر** : ابن أبي الدنيا (٤٧ المرض والكفارات) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . وفي إسناده : أبو عقيل (يحيى ابن المتوكل العُمري - صاحب بهية) . قال ابن حبان : منكر الحديث - ينفرد بأشياء ليس لها أصول من حديث النبي ﷺ لا يسمعها الممعن في الصناعة إلا لم يرتب أنها معمولة (المجروحين ٣/ ١١٦) . قال أحمد : واهي الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال غير واحد : ضعيف (المغني ٧٠٣٩) ، قال الحافظ ابن حجر : ضعيف (تقريب ٧٦٢٣) .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٦٦٦) من حديث القاسم بن محمد قال : قالت عائشة - رضي الله عنها- (وارأساه) فقال رسول الله ﷺ : ((ذاك لو كان وأنا حيّ فأستغفر لك ، وأدعو لك)) فقالت عائشة- رضي الله عنها- ((واثكلياه)) والله إني لأظنك تحب موتي ، ولو كان ذلك ، لظللت آخر يومك مُعرِّسا ببعض أزواجك . فقال النبي ﷺ : ((بل أنا وارأساه ، لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهدَ ... الحديث)) .

(٣) **صحيح** : البخاري (١٢٩٥) مسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ .

(٤) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٥) **صحيح بمجموع طرقه** : صحيح إلى الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: أحمد (١٤٤٣ الزهد) ابن سعد (٧/ ١٤٨ الطبقات الكبرى) (ابن أبي الدنيا ٥٠ المرض والكفارات) إسناد أحمد من طريق مؤمل بن إسماعيل القرشي (أبو عبد الرحمن البصري) حدثنا ثابت عنه به . مؤمل بن إسماعيل : صدوق - مشهور - وثق ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : في حديثه خطأ كثير (المغني ٥٤٨) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - سيء الحفظ (تقريب ٧٠١٩) . **قلت (محمد)** : وتابعه حماد بن سلمة عن ثابت به . عند ابن سعد وابن أبي الدنيا ا.هـ .

وقال ثابت [٤٣/ ب] أيضا دخلنا على ربيعة بن الحارث نعودُه وهو ثقيل فقال إنه مَن كان في مثل حالتي هذه ملأت الآخرةُ قلبَه وكانت الدنيا أصغرَ في عينيه من ذباب(١).

ويذكر عن أنس عن النبي ﷺ قال : « إِذَا مرِضَ العبدُ ثلاثةَ أيامٍ خرجَ من ذنوبِهِ كيومِ ولدتهُ أمُّه »(٢).

ويذكر عنه ﷺ : « لا تردُّ دعوةُ المريضِ حتى يبرأَ »(٣).

وذكر ابن أبى الدنيا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ جالسا فتبسَّم فقلنا يا رسول الله مم تبسمت ؟ قال : « تعجبًا للمؤمنِ من جزعِهِ من السقمِ ولو كانَ

---

(١) **إسناده صحيح إلى ربيعة بن الحارث** رضي الله عنه : ابن أبي الدنيا (٥١ المرض والكفارات) حدثنا زيد بن أخرم (الطائي النبهاني - أبو طالب البصري) حدثنا أبو داود (سليمان بن داود الطيالسي) حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت (البناني) عنه به .

(٢) **منكر** : ابن أبي الدنيا (٦١ المرض والكفارات) الطبراني (١/ ١٨٨ الصغير) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا . من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عنه به (إبراهيم بن الحكم بن أبان) قال البخاري : سكتوا عنه ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء - ليس بثقة ، وقال أحمد بن حنبل : في سبيل الله دراهم أنفقاها في الذهاب إلى عدن ، إلى إبراهيم بن الحكم بن أبان ، وقال أيضاً : لم يكن به بأس وقت ما رأينا ، أظنه كان حديثه يزيد بعدنا ، ولم يحمده ، وقال النسائي : ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، وقال أبو زرعة : ليس بالقوى . هو عندي : ضعيف ، وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : ساقط ، وقال ابن عدي : وبلاؤه ما ذكره ، أنه كان يوصل المراسيل عن أبيه ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه (تهذيب الكمال ١/ ١٠٧) .

(٣) **منكر** : ابن أبي الدنيا (٧٠ المرض والكفارات) من طريق سويد بن سعيد عن عبد الرحيم بن زيد (ابن الحواري العمي - أبو زيد البصري) عن أبيه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا . سويد بن سعيد الحدثاني ، شيخ مسلم ، محدث نبيل ، له مناكير ، قال أبو حاتم : صدوق ، وقال أحمد : متروك ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال البخاري : عمي وكان يقبل التلقين ، وقواه الدارقطني (المغني ٢٧٠٦) . عبد الرحيم بن زيد بن الحواري العمي - قال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وقال الجوزجاني : غير ثقة ، وقال أبو زرعة : واهي ، ضعيف جداً ، وقال أبو حاتم : ترك حديثه . منكر الحديث . كان يفسد أباه ، يحدث عنه بالطامات ، وقال البخاري : تركوه ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ولا مأمون ، ولا يكتب حديثه (تهذيب الكمال ٤/ ٤٩٥) .(زيد بن الحواري - أبو الحواري العمي) ضعيف (تقريب ٢١٢٠) ، وله شاهد عند البيهقي (١٠٠٢٨ الشعب) من طريق هلال بن عبد الرحمن الحنفي عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا « عودوا المريض ومردهم فليدعوا الله لكم ، فإن دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور » (هلال بن عبد الرحمن الحنفي) قال العقيلي : منكر الحديث (الضعفاء الكبير ٤/ ٣٥٠) . (عطاء بن أبي ميمونة) تابعي ، صدوق ، وثقوه . قال أبو حاتم : لا يحتج به (المغني ٤١٢٩) .

يعلمُ ماله في السّقمِ أحبَّ أن يكونَ سقيمًا حتى يلقى الله » ثم تبسم ثانية ورفع رأسه إلى السماء فقلنا : يا رسول الله مم تبسمت ورفعت رأسَك إلى السماء ؟ قال : « عجبتُ من ملكين نزلا من السماءِ يلتمسان عبدًا مؤمنًا كان في مصلاه يصلى فلم يجداه ، فعرجَا إلى الله فقالا : يا رب عبدُك فلان المؤمنُ كنا نكتُب له من العملِ في يومٍ وليلة كذا وكذا فوجدناه قد حبسته في حبالك فلم نكتبْ له شيئًا من عمله فقال : اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمله في يومه وليلتِهِ ولا تنقصوا منه شيئًا فعلَيَّ أجر ما حبسته وله أجرُ ما كان يعمل »[1].

ويذكر عنه ﷺ : « من وُعكَ ليلةً فصَبر ورضى بها عن الله ﷻ خَرَجَ من ذنوبه كهيئةِ يومَ ولدتْهُ أمُّه »[2].

ومن مراسيل يحيى بن أبي كثير قال : فَقَدَ رسولُ الله ﷺ سلمانَ فسألَ عنهُ فأُخبرَ أنه عليلٌ ، فأتاه يعودُه فقال : « شفى اللهُ سَقَمَكَ ، وعظَّم أجْرَكَ ، وغفرَ ذنبكَ ، ورزقك العافيةَ في دينِكَ وجسمِكَ إلى منتهى أجلِكَ ، إنّ لكَ من وجَعِكَ خلالًا ثلاثا : أما الأولى فتذكرةٌ من رَبِّكَ يذكرُك بها ، وأما الثانيةُ فتمحيصٌ لما سلفَ من ذنوبك ، وأما الثالثةُ فادعُ بما شئت فإن المبتلى مُجابُ الدّعوةِ »[3].

---

(١) **منكر** : أبو داود الطيالسي (٣٤٥ - ٣٤٦ مسند) ابن أبي الدنيا (٧٥ المرض والكفارات) البيهقي (٩٩٣٧ - ٩٩٣٨ شعب) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا . في إسناده : محمد بن أبي حميد عن عون بن عبد الله « ابن عتبة بن مسعود- ابن عم عبد الله بن مسعود » عن أبيه به• محمد بن أبي حميد وهو حماد بن أبي حميد وحماد لقبه قال أحمد : أحاديثه مناكير ، وقال يحيى بن معين : ضعيف ليس أحاديثه بشيء ، وقال البخاري منكر الحديث ، قال النسائي : ليس بثقة (تهذيب الكمال -٦/ ٢٨٩)

(٢) **ضعيف** : سبق تخريجه .

(٣) **مرسل - ضعيف** : ابن عساكر (٢١/ ٤١٧ تاريخ دمشق) من طريق يحيى بن أبي كثير ، أرسله عن النبيﷺ بلفظ « إن لك من وجعك خلالًا ثلاثًا ... الحديث) . قال يحيى بن سعيد (القطان) : مُرسلات يحيى بن أبي كثير ، شبه الريح (تهذيب الكمال ٨/ ٨١) أما الفقرة الأولى : إسنادها ضعيف جدًّا ، الطبراني (٦١٠٦ كبير) ابن السني (٥٤٨ عمل اليوم والليلة) الحاكم (١/ ٥٤٩) ابن عساكر (٢١/ ٤١٧ تاريخ دمشق) ابن أبي الدنيا (٣١ المرض والكفارات) من طريق شعيب بن أبي راشد عن عمرو ابن خالد الهمداني عن أبي هاشم عن زاذان عن سلمان الفارسي ﷺ مرفوعًا وإسناد الطبراني - محمد بن سليمان بن أبي داود عن عمرو بن خالد به ، وإسناد الحاكم - =

وقال زياد بن الربيع : قلت لأبي بن كعب آية من كتاب الله قد أحزنتني قال : ما هي ؟ قلت : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء : ١٢٣] . قال : ما كنت أراك إلا أفقه ما أرى [٤٤/ أ] إن المؤمن لا تصيبه عثرةُ قدمٍ ، ولا اختلاجُ عِرْقٍ إلا بذنبٍ وما يعفو الله عنه أكثر (١).

وسُئلتْ عائشةُ عن هذه الآية ؛ فقالت : ما سألني عنها أحدٌ منذ سألتُ رسولَ الله ﷺ فقال النبيُّ ﷺ : « يا عائشةُ هذه معاقبةُ الله تعالى لعبدِهِ بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكةِ وانقطاعِ الشسيع حتى البضاعة يضعُها في كُمّه فيفقدُها فيفزعُ لها فيجدُها في ضبنِهِ ، حتى إن المؤمنَ ليخرجُ من ذنوبِهِ كما يخرجُ الذهبُ الأحمرُ من الكير »(٢) ضبن الإنسان : ما تحت يده ، فيقال : اضبن كذا إذا حمله تحت يده .

= سقط منه عمرو بن خالد وهو خطأ (شعيب بن أبي راشد) قال أبو حاتم : حدث بثلاثة أحاديث بإسناد واحد عن عمرو بن خالد - منكرة . قال أيضًا : شيخ مجهول (الجرح والتعديل ٤/ ٣٤٦) . (عمرو بن خالد) متروك - ورماه وكيع بالكذب (تقريب ٥٠١١) .

(١) **صحيح - موقوفًا** : ابن جرير (٥/ ١٨٧ تفسير) ابن أبي الدنيا (١٠٠ المرض والكفارات) البيهقي (٩٨١٤ الشعب) من طريق قتادة عن يزيد بن عبد الله (ابن الشخير) عن الربيع بن زياد عن أُبي بن كعب ﷺ موقوفاً . وأخرجه ابن جرير (٢٥/ ٢١ تفسير) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول . فذكره (معضل) ، وأخرجه ابن كثير (٤/ ١١٦ تفسير) من طريق إسماعيل بن مسلم (المكي العبدي) عن الحسن هو البصري قال : في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ قال : لما نزلت قال رسول الله ﷺ فذكره . إسماعيل بن مسلم - أبو إسحاق - أصله بصري سكن مكة - ضعيف الحديث (تقريب ٤٨٩) . الحسن بن أبي الحسن البصري . قال الدارقطني : مراسيله فيها ضعف (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٠) ، وأخرجه الطبراني (٢/ ١٠٣ الصغير) من طريق محمد بن كثير حدثنا محمد بن فضيل عن الصلت بن بهرام عن أبي وائل (شقيق بن سلمة) عن البراء بن عازب ﷺ مرفوعًا . محمد بن فضيل - لم أجده في من روى عن الصلت بن بهرام ، والصحيح ، محمد بن الفضل بن عطية - أبو عبد الله الكوفي ، والرادي عنه هو محمد بن كثير - أبو يوسف الصنعاني ، نزيل الميصيصة ، ومحمد بن الفضل بن عطية هو ممن روى عن الصلت بن بهرام كما جاء في ترجمة محمد بن الفضل بن عطية ، والله أعلم . محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي الصنعاني - صدوق كثير الغلط (تقريب ٦٢٤٢) محمد بن الفضل بن عطية العبدي - كذبوه (تقريب ٦٢١٦) .

(٢) **إسناده ضعيف**: الترمذي (٢٩٩١) أحمد (٦/ ٢١٨) أبو داود الطيالسي (١٦٨٩ مسند) ابن جرير الطبري (٣/ ٩٩ تفسير) من حديث عائشة- رضي الله عنها- مرفوعًا . في إسناده : علي بن زيد بن جدعان عن أمية بنت عبد الله أنها سألت عائشة- رضي الله عنها- فذكرته مرفوعًا . علي بن زيد بن جدعان - ضعيف (تقريب ٤٧٢٤) .=

وقال وهب بن منبه : لا يكونُ الرجلُ فقيهًا كاملَ الفقهِ حتى يَعُدَّ البلاءَ نعمةً ويعدَّ الرخاءَ مُصيبةً ، وذلك أن صاحبَ البلاءِ ينتظرُ الرخاءَ ، وصاحبَ الرخاءِ ينتظر البلاءَ [1].

وفي بعض كتب الله سبحانه وتعالى: إن الله ليصيبُ العبدَ بالأمرِ يكرهُهُ وأنه ليحبه لينظر كيف تضرعه إليه[2].

وقال كعب : أجدُ في التوراةِ : لولا أن يحزنَ عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابةٍ من حديدٍ لا يصدعُ أبدًا [3].

= أمية بنت عبد الله - مجهولة - تفرد عنها علي بن زيد بن جدعان (ميزان ٤/ ٥٦٤) . وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا . عند أبي داود (٣٠٩٣) وفي إسناده - أبو عامر الخزاز (صالح بن رستم المزني) وثقه أبو داود ، ولينه ابن معين وأبو حاتم (المغني ٢٨٢٥) قال الحافظ بن حجر : صدوق - كثير الأخطاء (تقريب ٢٨٥٥) وشاهد آخر عند مسلم (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً وفي إسناده : ابن مُحَيْص ، قال الإمام مسلم : هو عمر بن عبد الرحمن بن مُحَيْص - من أهل مكة ، قال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٤٩٢٨) ، وله شاهد عند ابن حبان (١٧٣٤ - ١٧٣٥ موارد) من حديث أبي بكر الصديق ﷺ مرفوعًا ، ومن حديث عائشة رضي الله عنهما مرفوعًا ، وفي إسناد أبي بكر : أبو بكر بن أبي زهير الثقفي ، قال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٧٩٥٦) . وفي إسناد عائشة : يزيد بن أبي يزيد - الرِّشْك . قال أبو أحمد الحاكم : ليس بالمتين عندهم (المغني ٧١٦٤) ، وقال الحافظ ابن حجر : ثقة عابد وهم من لينة (تقريب ٧٧٨٣) قلت : المتن ثابت بمجموع هذه الطرق ولا غبار عليه ا.هـ

(١) **إسناده ضعيف** : إلى وهب بن منبه من هذا الوجه : ابن أبي الدنيا (٩٣ المرض والكفارات) ابن عساكر (٦٣/ ٣٩٢ تاريخ دمشق) من طريق أبي شهاب (عبد ربه بن نافع - الحناط الكوفي) عن ليث (ابن أبي سليم) عن رجل عن وهب بن منبه . قوله ، عبد ربه بن نافع - أبو شهاب الأضغر الحناط : صدوق يهم (تقريب ٣٧٨١) . ليث بن أبي سليم : قال ابن معين والنسائي : ضعيف (المغني ٥١٢٧) عن رجل - مبهم ، وله شاهد عند أحمد (٢١٩٢ الزهد) حدثنا إبراهيم بن خالد (الصنعاني المؤذن) حدثني أمية بن شبل (الصنعاني) عن عثمان بن مردويه (أبو عمرو الصنعاني) عن وهب بن منبه . ((إن من كان قبلكم كان إذا أصاب أحدهم البلاء عده رخاء وإذا أصابه رخاء عده بلاء)) إسناد حسن ، وله شاهد آخر عند ابن المبارك (١٠٢ زوائد الزهد) ابن أبي الدنيا ٨١ الشكر) أبو نعيم (٧/ ٥٨ الحلية) عن عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري (ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة) .

(٢) **إسناده صحيح** إلى كردوس بن هانيء ويقال التغلبي أو الثعلبي : ابن أبي الدنيا (٩٤ المرض والكفارات) أبو نعيم (٤/ ٢٠٠ الحلية) البيهقي (١٠٠٣١ الشعب) من طريق منصور بن المعتمر عن شقيق بن سلمة - أبو وائل - عن كردوس (وجدت في الإنجيل إذ كنت أقرؤه :) فذكره . كردوس بن هانيء التغلبي - مقبول (تقريب ٥٦٢٧) قال شقيق بن سلمة : كان يقرأ الكتب (يعني كتب أهل الكتاب (تهذيب الكمال ٦/ ١٦٥) .

(٣) **إسناده صحيح إلى كعب الأحبار** : ابن أبي الدنيا (١٠٣ المرض والكفارات) أبو نعيم (٥/ ٤١٨ الحلية) من طريق =

وقال معروف الكرخى : إن الله ليبتلي عبده المؤمن بالأسقام والأوجاعِ فيشكو إلى أصحابه فيقول الله تبارك وتعالى : وعزَّتي وجلالي ما ابتليتكَ بهذه الأوجاعِ والأسقامِ إلا لأغسِلَكَ من الذنوبِ فلا تَشكين [١].

وذكر ابنُ أبى الدنيا أن رجلا قال : يا رسول الله ما الأسقام ؟ قال : « أَوَ مَا سَقِمْتَ قط ؟ » قال : لا . فقال : « قم عنَّا فلستَ منا »[٢].

وعن بعض أصحاب ابن مسعود[٣] وقد اشتدت به العلةُ ، فدخل عليه بعضُ أصحابه يعودونه وأهلُه يقولون له : نفسي فداكَ ، ما نطعمك ما نسقيك ؟ فأجابها بصوتٍ ضعيفٍ : بَلِيت الحراقيف وطالت الضجعةُ ، والله ما يسرني أن الله نقصني منه قلامة ظُفْرٍ [٤].

وطَلَّقَ خالدُ بن الوليدِ امرأةً ثم أحسن عليها الثناءَ ، فقيل له : يا أبا سليمان لأي شيء طلقتها ؟ قال : ما طلقتُها لأمرٍ رابني منها ولا ساءني ، ولكن لم يصبْها عندي بلاءٌ [٥].

= عفان بن مسلم وأبو ربيعة الإيادي عن حماد بن سلمة عن ثابت بن أسلم البُناني وحميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني ومطرف بن عبد الله عنه به .

(١) **في إسناده من لم أعثر له على ترجمة** : ابن أبي الدنيا (١٨٠ المرض والكفارات) حدثنا أبو بكر البصري قال : قال معروف (الكرخي) فذكره من قوله .

(٢) **ضعيف** : ابن أبي الدنيا (١٩٩ المرض والكفارات) أبو داود (٣٠٨٩) البيهقي (٩٩١٦ شعب) واللفظ لابن أبي الدنيا من طريق أبي منظور عن عمه عن عامر أخي الخضر (عامر الرامي) مرفوعاً به . (أبو منظور عن عمه) لا يدري من هو (المغني ٧٧٥٦) وقال الحافظ ابن حجر : مجهول (تقريب ٣١١٠) عامر الرامي صحابي ، له حديث يُروى بإسناد مجهول (تقريب ٨٣٨٩) .

(٣) هو سويد بن شعبة كما في مصادر التخريج وهو من أصحاب عبد الله بن مسعود .

(٤) **إسناده ضعيف** : ابن المبارك (٤٦٣ الزهد) أحمد (٢٠٩٣ الزهد) ابن سعد (٦/ ٢٠٣ الطبقات الكبرى) ابن أبي الدنيا (١٧٨ – ١٨٥ الصبر ٢٠٠ المرض والكفارات) عن سويد بن مثعبة أو شعبة من قوله في إسناده – أبو حيان – يحيى بن سعيد بن حيان التيمي الكوفي عن أبيه عنه به (وليس فيه عبد الله بن مسعود) (سعيد بن حيان التيمي – قال ابن القطان : مجهول – ووثقه العجلي وابن حيان : لم يذكر من روى عنه غير ابنه – يحيى – أبو حيان (تهذيب التهذيب ٤/ ١٩) .

(٥) **منكر** : ابن أبي الدنيا (٢٠٦ المرض والكفارات) البيهقي (٩٩١٧ الشعب) من طريق أحمد بن عمران الأخنسي سمعت يحيى بن سعيد حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم به . (أحمد بن عمران الأخنس – أبو عبد الله – قال البخاري : كان ببغداد يتكلمون فيه ، منكر الحديث – العقيلي (الضعفاء الكبير ١/ ١٢٦) ، وقال أبو زرعة : كوفي تركوه ، وتركه أبو حاتم – سماه البخاري (محمد) فقيل : هما واحد (ميزان ١/ ١٥١) .

ويذكر عنه ﷺ ما ضربَ على مؤمنٍ عِرْقٌ إلا كتَبَ اللهُ له به حسنة وحطَّ به عنه به سيئة ورفع له به درجةً [١].

ولا ينافي هذا ما قدمناه من أن المصائبَ مكفِّراتٌ [٤٤/ ب]لا غير ، لأن حصولَ الحسنةِ إنما هو بصبره الاختيارى عليها وهو عمل منه .

وعاد رجل من المهاجرين مريضا فقال : إن للمريض أربعًا : يرفعُ عنه القلمُ ويكتبُ له من الأجرِ مثل ما كان يعمل في صحته ، ويتبعُ المريض كلَّ خطيئةٍ من مفصلٍ من مفاصله فيستخرجها ، فإن عاش عاش مغفوراً له وإن مات مات مغفورًا له ، فقال المريض : اللهم لا أزالُ مضطجعًا[٢].

وفي المسند عنه ﷺ: « والذي نفسي بيدِهِ لا يقضي اللهُ للمؤمنِ قضاءً إلا كان خيرًا له : إن أصابته سراءُ شَكَر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراءُ صَبَر فكان خيرًا له ، وليس ذلك إلا للمؤمن » .

وفي لفظ : « **إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ عَجِيبٌ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ** »[٣].

---

(١) ضعيف: الطبراني (٢٤٨١ الأوسط) الحاكم (١/ ٣٤٧) ابن أبي حاتم (١/ ٣٥٨ علل) من حديث عائشة- رضي الله عنها- مرفوعًا . في إسناده : عمران بن زيد التغلبي عن عبد الرحمن بن القاسم عن سالم بن عبد الله عنها به . قال أبو حاتم : هذا إسناد مضطرب ، وعمران هو (أبو يحيى الطويل) كوفي - ليس بالقوي - يكتب حديثه (العلل ١/ ٣٥٨) قال الحافظ ابن حجر : لين (تقريب ٥١٤٦) . سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - قال البخاري : لم يسمع من عائشة (تهذيب الكمال ٣/ ٩٧) .

(٢) **في إسناده مبهم:** ابن أبي الدنيا (٢١٢ المرض والكفارات) حدثنا أحمد بن بشر بن أبي عبيد الله السلمى (أحمد بن أبي عبيد الله واسمه بشر السليمي الأزدي - أبو عبد الله الوراق) حدثنا عبد الله بن داود (الخريبي) عن جعفر بن برقان عن يحيى بن أبي هشام عن رجل من أهل الشام . أن قومًا عادوا مريضًا وفيهم رجل من المهاجرين فقال المهاجر : فذكره . (يحيى بن أبي هشام : لم أجد من اسمه يحيى روى عنه جعفر بن برقان غير يحيى بن راشد بن مسلم ويكنى أبو هشام ، وكان جعفر يقول حدثنا يحيى أبو هشام كما ذُكر عن ابن حبان في تهذيب الكمال (٨/ ٣١ - ٣٢ ، وهو شامي . قال أبو زرعة : ثقة (تهذيب الكمال المصدر السابق) . رجل من أهل الشام : مبهم .

(٣) **اللفظ الأول:** لم أقف عليه ، واللفظ الثاني : صحيح . مسلم (٢٩٩٩) أحمد (٤/ ٣٣٢) الطبراني (٧٣١٦ كبير) الدارمي (٢٧٧٣) ابن حبان (٢٨٩٦ صحيح) من حديث صهيب ﷺ مرفوعًا . النسائي (١٠٩٠٦ كبرى) أبو داود الطيالسي (١/ ١٧١ - ٢٠٨ مسند) عبد بن حميد (١٣٩ - ١٤٣ مسند) أحمد (١/ ١٧٣) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا .

الباب السابع عشر
في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم في فضيلة الصبر

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيعٌ عن مالكٍ بن مغول عن أبي السفر قال : مرضَ أبو بكر ﷺ فعادوه فقالوا : ألا ندعو لك الطبيبَ ؟ فقال : قد رآني الطبيب . قالوا : فأي شيء قال لك ؟ قال : إني فعال لما أريد [١].

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ : وجَدْنَا خيرَ عيشِنَا بالصبرِ [٢].

---

(١) **إسناده منقطع** : أحمد (٥٨٦ الزهد) من قول أبي السفر في إسناده : مالك بن مغول عنه به . مالك بن مغول : ثقة (تقريب ٦٤٣٩) قلت : وروايته عن أبي السفر عند مسلم والترمذي ، وإنما تكلموا في روايته عن عكرمة (تحفة التحصيل ٩٧٨) أبو السفر : اسمه سعيد بن يُحْمِد : ثقة (تقريب ٢٤٠٥) . قلت : وروايته لأبي بكر بعيدة فإن وفاة عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة (أبو بكر الصديق ﷺ) سنة ثلاثة عشر ، ووفاة سعيد بن يحمد سنة أربع وأربعين ومائتين أو ثلاث وأربعين ، فالفرق شاسع وعليه فهو لا يدرك القصة . ا.هـ

(٢) **إسناده منقطع** : أحمد (٦١٠ الزهد) ابن المبارك (٩٩٧ الزهد) أبو نعيم (١/ ٨٦ الحلية) من قول عمر بن الخطاب ﷺ في إسناده : الأعمش (سليمان بن مهران) عن مجاهد (ابن جبر) عنه به . الأعمش : ثقه - حافظ - ورع لكنه يدلس (تقريب ٢٦٠٩) قال الترمذي : قلت لمحمد - يعني البخاري : يقولون لم يسمع الأعمش من مجاهد إلا أربعة أحاديث ؟ فقال : ريح ليس بشيء ، لقد عددت له أحاديث كثيرة نحواً من ثلاثين أو أقل أو أكثر . يقول فيها : حدثنا مجاهد . ا.هـ (تحفة التحصيل ٣٤٣ لابن العراقي) . (مجاهد بن جبر : ذكر ابن أبي حاتم من طريق أبي داود الطيالسي يقول : كنا عند شعبة فجاء الحسن بن دينار ، فقال شعبة : ههنا يا أبا سعيد فجلس فقال : حدثنا حميد بن هلال عن مجاهد سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول ، فجعل شعبة يقول : سمع عمر !؟ فقام الحسن ومر (الجرح والتعديل ٣/ ١١) **قلت** : والحسن بن دينار : متروك (المغني ١٣٩٩) وسماع مجاهد من عمر بن الخطاب ﷺ لا يثبت . وعزاه الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣١٠) للحاكم من رواية مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر ﷺ . ولم أجده في المستدرك . والله أعلم .

سعيد بن المسيب بن حزن : أحد العلماء الأثبات ، والفقهاء الكبار . اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل ، وقال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه (تقريب ٢٣٨٨) . قال يحيى بن سعيد القطان ، وأبو حاتم ويحيى ابن معين وابن أبي حاتم : لم يثبت لسعيد بن المسيب سماع من عمر بن الخطاب ﷺ ، وقال الإمام أحمد : رأى سعيد عمر وسمع منه ، وإذا لم يقبل سعيد عن عمر فمن يقبل ، وقال يحيى ابن معين : قد رأى عمر ، وكان صغيرًا ، قيل له : هو يقول : ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر فقال : ابن ثمان سنين يحفظ شيئًا (تحفة التحصيل ٣٢٣) .

وقال أيضًا: أفضلُ عيشٍ أدركناه بالصبرِ ، ولو أن الصبرَ كان من الرجالِ كان كريمًا [(١)].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : ألا إنّ الصبرَ من الإيمانِ بمنْزلةِ الرأسِ من الجسدِ ، فإذا قُطع الرأسُ بارَ الجسد ، ثم رفع صوته فقال : ألا إنه لا إيمانَ لمن لا صبرَ له . وقال : الصبر مطية لا تكبو [(٢)].

وقال الحسن : الصبرُ كَنْزٌ من كنوزِ الخيرِ لا يعطيه اللهُ إلاّ لعبدٍ كريم عنده[(٣)].

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز : ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً فانتزعَها منه فعاضه مكانَها الصبرَ إلا كان ما عوّضه خيرا مما انتزعه منه[(٤)].

وقال ميمون بن مهران : ما نالَ [٤٥/ أ] أحدٌ شيئًا من جسيم الخيرِ نبيٌّ فمن دونه إلا بالصَّبرِ[(٥)].

وقال سليمان بن القاسم : كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠]، قال : كالماء المنهمر [(٦)].

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كلَّ وقتٍ فينظر فيها ، وفيها : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨]

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت[(٧)].

---

(١) **إسناده ضعيف**: ابن أبي الدنيا (٦ الصبر) من قول عمر ﷺ في إسناده : ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عنه به . ليث بن أبي سليم : اختلط جداً ولم يميز حديثه فترك (تقريب ٥٦٧٦) . أبو عبيد بن عبد الله بن مسعود : الراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه (تقريب ٨٢٢٧) ، والفقرة الأخيرة لها شاهد عند ابن أبي الدنيا (٤٧ الصبر) من قول ربيعة الجُرشي : لو كان الصبر من الرجال كان كريماً . إسناده حسن إلى ربيعة الجُرشي .

(٢) **إسناده ضعيف جدًا**: ابن أبي الدنيا (٨ الصبر) من قول علي بن أبي طالب ﷺ موقوفًا . في إسناده : السري بن إسماعيل (متروك – تقريب ٢٢١١) .

(٣) **إسناده صحيح إلى الحسن البصري**: ابن أبي الدنيا (١٦ الصبر) من قول الحسن البصري .

(٤) **إسناده صحيح إلى عمر بن عبد العزيز**: ابن أبي الدنيا (٢٢ الصبر) البيهقي (١٠٠٣٨ شعب) من قول عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – .

(٥) **إسناده صحيح إلى ميمون بن مهران**: ابن أبي الدنيا (١٩ الصبر) من قول ميمون بن مهران .

(٦) **إسناده صحيح إلى سليمان بن القاسم**: ابن أبي الدنيا (٢٠ – ٥٨ الصبر) من قول سليمان بن القاسم .

(٧) **إسناده منقطع**: ابن أبي الدنيا (٧ الصبر) عن عمر بن الخطاب ﷺ موقوفًا . في إسناده : الأصمعي – عبد الله بن قريب =

وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال : سحابةٌ ثم تنقشعُ .

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة : ٢٤] لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رءوسا [1].

وقيل للأحنف بن قيس : ما الحِلمُ ؟ قال : أن يصبرَ على ما يكره قليلًا [2].

وقال وهب : مكتوبٌ في الحكمةِ : قِصرُ السَّفَهِ النصب ، وقصرُ الحِلِم الراحةُ ، وقصرُ الصبرِ الظفرُ [3]. قصرُ الشيءِ وقصاراه : غايته وثمرتُه .

وقدم عروةُ بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمدٌ ، وكان من أحسن الناس وجهًا ، فدخل يومًا على الوليدِ في ثيابٍ وشيء وله غديرتان وهو يضربُ بيده ، فقال الوليد : هكذا يكون فتيان قريش ؛ فعانه فخرج من عنده متوسنًا فوقع في اصطبلِ الدوابِ ، فلم تزل الدوابُّ تطأه بأرجلِها حتى مات .

ثم إن الأكلة وقعت في رجل عُروة ، فبعث إليه الوليد الأطباء فقالوا : إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلك ، فعزمَ على قطعِها ، فنشروها بالمنشار ، فلما صار المنشارُ إلى القصبةِ وضع رأسَه على الوسادة ساعةً فغُشي عليه ثم أفاق والعرَقُ يتحدَّرُ على

= عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عنه به . الأصمعي : صدوق سنيّ (تقريب ٤١٩٦) قلت : بين وفاة عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما (سنة ثلاث وسبعين) ووفاة الأصمعي - عبد الملك بن قريب (خمس عشرة ومائتين) بُعد كبير ، فمن أين السماع ا.هـ

(١) **منقطع** : ابن كثير (٣/ ٤٧٩ تفسير) قال ابن بنت الشافعي (أحمد بن محمد بن بنت الشافعي) قرأ أبي على عمي أو عمي على أبي سُئل سفيان (ابن عيينة) عن قول علي ﷺ : الصبر من الإيمان بمنْزله الرأس من الجسد ، قال : ألم تسمع قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ فذكره من قوله : سفيان بن عيينة لم يدرك علي ابن أبي طالب ﷺ .

(٢) **ذكره بلاغًا ولم يسنده إلى الأحنف بن قيس** : ابن أبي الدنيا (٧٢ الحلم) من قول الأحنف بن قيس - رحمه الله تعالى ، وهو في فقرة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد (١/ ٣٠٧) ((يا غلام . ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ... الحديث)) سبق تخريجه .

(٣) **إسناده حسن إلى وهب بن منبه** : ابن أبي الدنيا (٧١ الحلم) حدثني أبو عبد الرحمن الأزدي (عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد - عبدان) عن إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عنه به .

وجهه وهو يهلِّلُ ويكبرُ ، فأخذها وجعل يقلبها في يده ثم قال : أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بها إلى حرامٍ ولا إلى معصيةٍ ولا إلى [٤٥/ ب] ما لا يرضي الله . ثم أمر بها فَغُسِلَت وطُيِّبت ولُفَّت في قطيفة ، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين .

فلما قدم من عند الوليد المدينةَ تلقَّاه أهلُ بيتِه وأصدقاؤه يعزّونه ، فجعل يقول : لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولم يزد عليه . ثم قال : لا أدخلُ المدينةَ ، إنما أنا بها بين شامت بِنَكْبة أو حاسدٍ لنعمةٍ ، فمضى إلى قصره بالعقيق فأقام هنالك . فلما دخل قصره قال له عيسى بن طلحة : لا أبا لشانيك ، أرني هذه المصيبة التي نعزيك فيها ، فكشف له عن رُكبتِهِ ، فقال له عيسى : أما والله ما كنّا نعدك للصِّراعِ ، قد أبقى الله أكثرك : عقلَك ولسانَك وسمعك وبصرَك ويديك وإحدى رجليك فقال له : يا عيسى ، ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به .

ولما أرادوا قطعَ رجلِهِ قالوا له : لو سقيناك شيئا كيلا تشعر بالوجَعِ ، فقال : إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارض أمره ؟ وسئل ابنه هشام : كيف كان أبوك يصنع برجلِهِ التي قطعت إذا توضأ ؟ فقال : كان يمسح عليها [1].

---

(١) **أسانيده ضعيفة** : البيهقي (٩٩٧٨ شعب) أبو نعيم (٢/ ٢٠٣ حلية) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٣) ابن أبي الدنيا (١٣٩ المرض والكفارات) في إسناده : عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن هشام بن عروة عنه به . عامر بن صالح الزبيري : متروك (تقريب ٣٠٩١) ، له طريق آخر عند أبو نعيم (٢/ ٢٠٢ حلية) من طريق أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب به ، وأيضًا (٢/ ٢٠٤) مثله . أبو الحسن المدائني - قال العجلي : كان بالبصرة ، فلم أرى أحداً كتب عنه شيء ١٩٣١ الثقات) يعني أنه مجهول الحال . مسلمة بن محارب : مستور (٤/ ١ - ٧ التاريخ الكبير للبخاري) (٨/ ٢٦٦ الجرح والتعديل) وله طريق آخر ابن أبي الدنيا (١٤٠ المرض والكفارات) من طريق محمد بن الحسين (البرجلاني - صاحب كتب الزهد) حدثني محمد بن الحكم بن رزين حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن نافع (ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير) عن أبيه . قال : قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ، فذكر مثله . (محمد بن الحكم بن رزين - لم أعثر على ترجمته) . والد عبد الله بن نافع - نافع بن عبد الله بن الزبير بن العوام - روى عنه ابنه - ذكره ابن حبان في ثقات التابعين - واستدركه الهيثمي على الحسيني ، وذكره ابن أبي حاتم - ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا - يعني مجهول الحال (تعجيل المنفعة ١٠٩٣) ، وله طريق آخر عند ابن أبي الدنيا (١٣٥ المرض والكفارات) حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم (النيسابوري) حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري أن عروة بن الزبير ﷺ لما وقعت الأكلة في رجله ، فقيل له : ألا ندعو لك طبيبًا ؟ ... القصة مختصرًا ولم يذكر فيها ما ذكره ابن القيم - رحمه الله تعالى - (إسنادها صحيح) ، =

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبدُ الصمد حدثنا سلام قال : سمعت قتادةَ يقول : قال لقمان وسأله رجل : أي شيء خير ؟ قال : صبر لا يتبعُه أذى . قال : فأيُّ الناسِ خير ؟ قال : الذي يرضى بما أُوتي . قال : فأي الناس أعلم ؟ قال : الذي يأخذ من علم الناس إلى علمه . قيل : فما خير الكثير : من المال أو من العلم ؟ قال : سبحان الله ! بل المؤمن العالِم الذي إن ابتغى عنده خير وجد ، وإن لم يكن عنده كف نفسه ، وبحسب المؤمن أن يكفَّ نفسه[1].

وقال حبان بن أبي جبلة : من بث فلم يصبر[2] ورواه ابن أبي الدنيا مرفوعا إلى النبي ﷺ وإن صح ؛ فمعناه إلى المخلوق ، لا مَن بثَّ إلى الله .

وقال حبان بن أبي جبلة أيضـًا في قوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ قال : لا شـكوى فيه[3]

= وله طريق آخر عند ابن أبي الدنيا (١٤٢ المرض والكفارات) حدثني سليمان بن منصور حدثني أبو عروة الزهري من ولد يحيى بن عروة (محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير) قال كان عروة بن الزبير بالشام عند الوليد بن عبد الملك فخرج من عنده محمد ابنه فضربته البغلة فمات ... القصة بنحو ما ذكره ابن القيم - رحمه الله تعالى -. أبو عروة الزهري (محمد ابن يحيى بن عروة بن الزبير - ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا : مجهول الحال (الجرح والتعديل ٨/ ١٢٣) ، وله طريق آخر عند ابن أبي الدنيا (١٤١ المرض والكفارات) جزء منها ، وفي إسنادها - أبو المطرف المغيرة بن مطرف - لم أعثر له على ترجمة .

(١) **إسناد المصنف إلى قتادة صحيح ولم أقف عليه بهذا الإسناد** : وله شاهد مقارب له إلا لفظه (قال صبر لا يتبعه أذى) عند أحمد (٥٣٨ الزهد) من طريق عبد الوهاب حدثنا أيوب عن كتاب أبي قلابة عن لقمان .فذكره .

(٢) لم أقف على قول حبان بن أبي جبلة . والمرفوع لم أقف عليه من مصنفات ابن أبي الدنيا التي بين أيدينا ، وهو عند ابن جرير الطبري (١٣/ ٣٢ تفسير) إسناده ضعيف جدًّا مع الإرسال . في إسناده : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - الإفريقي عن مسلم بن يسار - أبو عثمان الطنبري مرسلًا إلى النبي ﷺ . عبد الرحمن بن زياد - مشهور جليل ، ضعفه ابن معين والنسائي ، وقال الدارقطني : ليس بالقوى ، ووهاه أحمد بن حنبل (المغني ٣٥٦٦) مسلم بن يسار - المصري - مقبول (تقريب ٦٦٤٢) .

(٣) **ضعيف مرسل** : ابن جرير (١٢/ ٩٩ تفسير) ابن أبي الدنيا (١١٠ الصبر) ابن كثير (٢/ ٤٨٣ تفسير) في إسناده : هشيم بن بشير - السلمي قال : أخبرني يحيى بن عبد الرحمن الكناني - أبو شيبة المصري عن حبان بن أبي جبلة أن النبي ﷺ سُئل فذكره . هشيم بن بشير : ثقة ثبت - كثير التدليس والإرسال الخفي (تقريب ٧٣٠٠) قلت : مثله يلزم بالتصريح بالسماع من أول إسناده إلى آخره .ا.هـ . حبان بن أبي جبلة : ثقة (تقريب ١٠٧٤) قلت : ولم يدرك النبي ﷺ ، بل هو لا يسمع من ابن عباس - رضي الله عنهما- . قال العراقي : حبان بن أبي جبلة عن ابن عباس . قال أحمد بن حنبل : لا ينبغي أن يكون سمع منه . قيل له : هُشَيمًا يقول فيه عنه : سمعت ابن عباس قال : لا ينبغي (تحفة التحصيل ١٥٣) قلت : فأين هو من النبي ﷺ .

ورفعه ابن أبي الدنيا أيضا . وقال مجاهد : فصبر جميل في غير جزع[١]. وقال عمرو بن قيس : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ، قال الرضا بالمصيبة والتسليم[٢].

وقال بعض السلف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ لا شكوى فيه [٣].

وقال همام عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤] . قال : كظم على الحزن فلم يقل إلا خيرا [٤]. وقال يحيى بن المختار عن الحسن : الكظيم : الصبور[٥] ، وقال همام عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي : كَمَدَ أي كَمَدُ الحُزْنِ [٦].

وقال الحسن : ما جرعتين أحب إلى الله من جرعة مُصيبةٍ موجعةٍ محزنةٍ ردَّها صاحبُها بحسنِ عزاءٍ وصبرٍ ، وجرعةِ غيظٍ ردَّها بِحلْمٍ [٧].

وقال عبد الله بن المبارك : أخبرنا عبد الله بن لهيعة عن عطاء بن دينار أن سعيد بن جبير قال : الصبرُ اعترافُ العبدِ لله بما أصاب منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه ، وقد

---

(١) **إسناد حسن إلى مجاهد بن جبر :** ابن جرير (١٢/ ٩٩ تفسير) من قول مجاهد .

(٢) **إسناده حسن إلى عمرو بن قيس المُلائي :** ابن أبي الدنيا (١١٦ الصبر) من قول عمرو بن قيس .

(٣) **ضعيف منقطع :** سبق تخريجه .

(٤) **إسناد حسن إلى قتادة :** ابن جرير (١٣/ ٢٧ تفسير) من قول قتادة بن دعامة رحمه الله تعالى ، من طريق عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عنه به . ولم أجد من طريق همام عن قتادة .

(٥) **إسناده ضعيف إلى الحسن :** ابن أبي الدنيا (١١٧ الصبر) من قول الحسن - رحمه الله تعالى - في إسناده : محمد بن عبد الملك الواسطي الكبير ، أبو إسماعيل عن يحيى بن المختار عن الحسن به . محمد عبد الملك الواسطي ، قال ابن حبان : يعتبر حديثه إذا بين السماع فإنه كان مدلسًا (تهذيب التهذيب ٩/ ٣١٨) ، وقال الحافظ بن حجر : مقبول (تقريب ٦٠٩٢) . يحيى بن المختار - الصنعاني - مستور (تقريب ٧٦٣٢) .

(٦) **لم أقف عليه بهذا الإسناد :** وأخرجه ابن جرير (١٣/ ٢٧ تفسير) من قول الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى (إسناده ضعيف) في إسناده : جويبر بن سعيد الأزدي - أبو القاسم (راوي التفسير) عنه به . قال الحافظ ابن حجر : ضعيف جدًا (تقريب ٩٩٠) .

(٧) **لم أجده بهذا اللفظ :** وأخرجه ابن المبارك (٦٧٢ الزهد) ما من جرعة أحب إلى الله ﷻ من جرعة كظمها رجل ، أو جرعة صبر على مصيبة .**إسناده ضعيف مرسل :** من طريق معمر عن رجل عن الحسن عن النبي ﷺ . في إسناده : رجل مبهم ، والحسن سبق له ترجمة .

يجزع الرجل وهو يتجلَّد لا يرى منه إلا الصبر(١) .

فقوله : اعتراف العبد لله بما أصاب منه كأنه تفسير قوله ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٦] فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه مالكه بما يريد . وقوله : واحتسابه عند الله كأنه تفسير لقوله : ﴿ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أي : نرد عليه ، فيجزينا على صبرنا ، ولا يضيعُ أجرَ المصيبةِ . وقوله : وقد يجزعُ الرجلُ وهو متجلد [٤٦/ ب]؛ أي : ليس الصبر بالتجلد ، وإنما هو حبس القلب عن التسخُّطِ على المقدورِ ، ورد اللسان عن الشّكوى ، فمن تجلَّد وقلبُه ساخط على القَدَرِ ، فليس بصابرٍ .

وقال يونس بن يزيد : سألت ربيعةَ بن أبي عبد الرحمن : ما منتهى الصبر ؟ قال : أن يكونَ يومَ تُصيبه المصيبةُ مثله قبل أن تصيبَه(٢).

وقال قيس بن الحجاج في قول الله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾ [المعارج : ٥] قال : أن يكونَ صاحبُ المصيبةِ في القومِ لا يُعرفُ من هو(٣).

وكان شَمَر إذا عزى مُصابًا قال : اصبر لما حكم ربُّك .

وقال أبو عقيل : رأيت سالم بن عبد الله بن عمر بيده سوط وعليه إزار في موت واقد ابن عبد الله بن عمر لا يَسمَعُ صارخةً ينالها بالسوط إلا ضربها .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن جعفر بن مهران قال : قالت امرأة من قريش :

أَمَا وَالَّذِي لَا خُـلْدَ إِلَّا لِوَجْهِهِ ... وَمَنْ لَيْسَ فِي الْعِزِّ المَنِيعِ لَهُ كُفْـوُ
لَئِنْ كَانَ بِذْرُ الصَّبرِ مُرًّا مَذَاقُـهُ ... لَقَـدْ يَجْتَنِى مِنْ غِبِّهِ الثَّمَرُ الحُـلْوُ

---

(١) إسناده ضعيف مرسل: ابن المبارك (١١١ الزهد – زوائده) من قول سعيد بن جبير رحمه الله تعالى . عبد الله بن لهيعة : سبق له ترجمة . عطاء بن دينار – الهذلي أبو الريان : روايته عن سعيد بن جبير (مرسلة) (تهذيب الكمال ٥/ ١٦٦) .

(٢) إسناده حسن إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن: المعروف بربيعة الرأي . ابن أبي الدنيا (١١٤ الصبر) من قول ربيعة – رحمه الله تعالى –.

(٣) في إسناده من لم أجد له ترجمة: ابن أبي الدنيا (١١٥ الصبر) من قول قيس بن الحجاج رحمه الله تعالى . من طريق عبد الرحمن بن القاسم حدثني سعد بن عبد الله المعافري عن عبد الأعلى بن الحجاج عن أخيه قيس بن الحجاج . سعد بن عبد الله المعافري : لم أعثر له على ترجمة . عبد الأعلى بن الحجاج : ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (الجرح والتعديل ٦/ ٢٨) .

قال وأنشدني عمرو بن بكير :

صَبَرْتُ وَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ ... وَهَلْ جَزَعٌ يُجْدي عَلَيَّ فَأَجْزَعُ
مَلَكْتُ دُمُوعَ الْعَيْنِ حَتَّى رَدَدْتُهَا ... إِلَى نَاظِرِي فَالْعَيْنُ فِي الْقَلْبِ تَدْمَعُ

قال وأنشدني أحمد بن موسى الثقفي :

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ أَمْسُ قَدْ جَزَعَتْ ... مِنْ أَنْ تَنُوبَ نَوَائِبُ الدَّهْرِ
لَا تَجْزَعِي يَا خَوْلُ وَاصْطَبِرِي ... إِنَّ الْكِرَامَ بُنُوا عَلَى الصَّبْرِ

قال : وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل التيمي : أن رجلا عزى رجلا على ابنه [٤٧/ أ] فقال : إنما يستوجب على الله وعده من صبر لله بحقِّه ، فلا تجمع إلى ما أصبت به من المصيبة الفجيعة بالأجر ، فإنها أعظَمُ المصيبتين عليك ، وأنكى الرَّزِيَّتَيْنِ لك ، والسلام .

وعزَّى ابنُ السماك رجلا فقال : عليك بالصبرِ فبه يعملُ من احتسبَ وإليه يَصيرُ من جَزَع .

وقال عمر بن عبد العزيز : أما الرضى فمنْزلةٌ عزيزةٌ أو منيعةٌ ولكن جعلَ اللهُ في الصَّبر معولًا حسنًا . ولما مات عبدُ الملك ابنه صلى عليه ثم قال : رحمك الله لقد كنت لي وزيرًا ، وكنت لي مُعينًا . قال : والناس يبكون وما يقطرُ من عينه دمعةٌ .

وأصيب مُطَرِّفٌ بن عبد الله بابن له ، فأتاه قوم يعزونه فخرج إليهم أحسن ما كان بشرًا ، ثم قال : إني لأستحي من الله أن أتضعضَعَ لمصيبةٍ .

وقال عمرو بن دينار : قال عبيد بن عمير : ليس الجزعُ أن تدمعَ العينُ ويحزنَ القلبُ ، ولكنّ الجزعَ القولُ السَّيىءُ والظنُّ السيِّءُ .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني الحسن بن عبد العزيز الجَرَوي قال : مات ابن لي نفيسٌ فقلت لأمه : اتقِ الله واحتَسِبيه واصبري . فقالت : مصيبتي أعظمُ من أن أفسدَها بالجزعِ .

قال ابن أبي الدنيا : وأخبرني عمرو بن بكير عن شيخ من قريش قال : مات الحسن ابن الحصين أبو عبيد الله بن الحسن ، وعبيد الله يومئذ قاض على البصرة وأمير فكَثُرَ من يعزِّيه فتذاكروا ما يتبين به جَزَعُ الرجلِ من صبرِه فأجمعوا أنه إذا تَرَك شيئا مما كان يصنعه

فقد جَزِع .

وقال خالد بن أبى [٤٧/ ب]عثمان القرشي : كان سعيدُ بن جبيرٍ يعزيني على ابني فرآني أطوفُ بالبيتِ متقنِّعًا فكشف القناعَ عن رأسي وقال : الاستكانةُ من الجزَعِ .

فصل

وأما قولُ كثيرٍ من الفقهاءِ من أصحابنا وغيرهم لا بأس أن يجعلَ المصابُ على رأسه ثوبا يعرف به قالوا : لأن التعزيةَ سُنَّةٌ وفي ذلك تيسير لمعرفته حتى يعزى ففيه نظر وأنكره شيخنا .

ولا ريب أن السلف لم يكونوا يفعلوا شيئا من ذلك ، ولا نقل هذا عن أحد من الصحابة والتابعين ، والآثار المتقدمة كلها صريحة في رد هذا القول وقد كره إسحق بن راهويه أن يترك لبسَ ما عادته لبسه وقال : هو من التَّسَلُّبِ

وبالجملة ؛ فعادتهم أنهم لم يكونوا يغيروا شيئًا من زيهم قبل المصيبة ، ولا يتركوا ما كانوا يعملونه ؛ فهذا كله مناف للصبر ، والله سبحانه أعلم .

الباب الثامن عشر
في ذكر أمور تتعلق بالمصيبة من البكاء والندب وشق الثياب ودعوى الجاهلية ونحوها

فمنها البكاء على الميت :

ومذهب أحمد وأبى حنيفة : جوازه قبل الموت وبعده ، واختاره أبو إسحاق الشيرازى ، وكرهه الشافعيُّ وكثير من أصحابه بعد الموت ، ورخصوا فيه قبل خروج الروح ، واحتجوا بحديث جابر بن عتيك : أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبدالله بن ثابت فوجده قد غلب ، فصاح به فلم يجبه ، فاسترجع وقال : « غلبنا عليك يا أبا الربيع » ؛ فصاح النسوة وبكين فجعل ابن عتيك [٤٨/ أ] يسكِّتهن ، فقال رسول الله ﷺ : « دعهن

فإذا وجب فلا تبكين باكية » قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : « الموت » . رواه أبو داود والنسائي(١).

قالوا : وفي الصحيحين من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – : أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ** »(٢) . وهذا إنما هو بعد الموت ، وأما قبله ؛ فلا يسمى ميتا .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – : أن رسول الله ﷺ لما قدم من أُحد سمع نساء بني عبد الأشهل يبكين على هلكاهن ، فقال : « **لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ** » فجئن نساء الأنصار ؛ فبكين على حمزة عنده ، فاستيقظ فقال : « **وَيْحَهُنَّ أَتَيْنَ هَاهُنَا يَبْكِينَ حَتَّى الآنَ ، مُرُوهُنَّ فَلْيَرْجِعْنَ وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ** »(٣) . رواه الإمام أحمد .

وهذا صريح في نسخ الإباحة المتقدمة .

والفرق بين ما قبل الموتِ وبعدَه : أن قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذرًا ، فإذا مات انقطع الرجاءُ وأبرم القضاءُ فلا ينفع البكاءُ .

قال المجوِّزونَ : قال جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –: أصيب أبي يومَ أحد فجعلت أبكى فجعلوا ينهونني ورسول الله ﷺ لا ينهاني ، فجعلت عمّتي فاطمة تبكى ،

(١)**إسناده ضعيف** : الموطأ (باب ٣٦ رقم ٣٦) أبو داود (٣١١١) النسائي (٤/ ١٣) الحاكم (١/ ٣٥٢) ابن حبان (١٦١٦ موارد) من حديث جابر بن عتيك ﷺ مرفوعًا . في إسناده : عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك عن عتيك بن الحارث عنه به . عتيك بن الحارث : ما روى عنه سوى سبطه عبد الله بن عبد الله المدني (المغني ٤٠٠٥) قال الحافظ بن حجر : مقبول (تقريب ٤٤٣٩) قلت : قول ابن حجر – رحمه الله تعالى –: مقبول ، يعني إن توبع وإلا فلين – أي ضعيف .

(٢)**صحيح** : البخاري (١٢٨٦) مسلم (٩٢٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣)**صحيح** : ابن ماجه (١٥٩١) أحمد (٢/ ٤٠ – ٨٤) الحاكم (٣/ ١٩٧) الطبراني (٢٩٤٤ كبير) من حديث عبد الله ابن عمر – رضي الله عنهما – مرفوعًا ، وأخرجه أبو يعلى (٣٥٧٦ – ٣٦١٠ مسند) الحاكم (١/ ٣٨١) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا (إسناده صحيح) ، وأخرجه الطبراني (١٢٠٩٦ كبير) من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما – مرفوعًا . (صحيح لشواهده) .

فقال النبي ﷺ : « تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ ، مَا زَالَتِ المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ »(١). متفق عليه .

وفي الصحيحين أيضا عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : اشتكى سعدُ بن عبادة شكوى له ؛ فأتاه النبي ﷺ يعودُه مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد [٤٨/ ب] بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ؛ فلما دخل عليه وجدَه في غشية فقال : « **قَدْ قَضَى ؟** » قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى رسول الله ﷺ ، فلما رأى القوم بكاءه بكوا ، فقال : « **أَلَا تَسْمَعُونَ ، إِنَّ اللهَ لَا يُعذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا** » ، وَأشار إلى لسانِهِ ، « **أَوْ يُرْحَمُ** »(٢).

وفي الصحيحين أيضا من حديث أسامه بن زيد ﷺ : أن رسول الله ﷺ انطلق إلى إحدى بناته ولها صبيٌّ في الموتِ ، فَرُفع إليه الصبيُّ ونفسه تُقَعْقِع كأنها شِنّة ، ففاضت عيناه ، فقال سعد ﷺ : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « **هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَها اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَماءَ** »(٣).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال : ماتت رقيةُ ابنةُ رسول الله ﷺ فبكت النساءُ ، فجعل عمر ﷺ يضربهن بسوطه ، فقال النبي ﷺ : « دَعْهُنّ يا عمرُ يبكينَ ، وإيّاكُنَّ ونعيقَ الشيطانِ » ثم قال : « إنه مهما كانَ من العينِ ومن القلبِ فمن الله ومن الرحمةِ ، وما كان من اليدِ واللسانِ فمن الشيطان »(٤).

وفي المسند أيضا عن عائشة – رضي الله عنها – أن سعد بن معاذ ﷺ لما مات حضره رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – قالت : فوالذي نفسي بيده إني لأعرفُ

---

(١) **صحيح** : البخاري (١٢٤٤) مسلم (٢٤٧١) من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– مرفوعًا .

(٢) **صحيح** : البخاري (١٣٠٤) مسلم (٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٤) قال الذهبي : هذا حديث منكر ، أحمد (١/ ٢٣٨ – ٣٣٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا . في إسناده : على زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عنه به . على بن زيد : سبق له ترجمة . يوسف بن مهران : ليس الحديث ، لم يرو عنه إلا على بن زيد بن جدعان (تقريب ٧٨٧٩) .

بكاءَ أبي بكر من بكاء عمر وأنا في حجرتي[(١)].

وفي المسند أيضا عن أبي هريرة ﷺ قال : مُرَّ [٤٩/ أ]على النبي بجنازةٍ يُبكى عليها وأنا معه ومعه عمر بن الخطاب فانتهر عمر اللاتي يبكين عليها فقال النبي ﷺ: « دَعْهُنَّ يا ابنَ الخطابِ فإنَّ النفسَ مصابةٌ وَإنَّ العينَ دامعةٌ والعهدُ قريبٌ »[(٢)].

وفي جامع الترمذي عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : أخذ النبي ﷺبيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق إلى ابنه إبراهيم فوجده يجودُ بنفسه فأخذه النبي ﷺفوضعه في حِجْرِه فبكى فقال له : أتبكي أو لم تكن نهيتَ عن البكاء ؟ قال : « لا ، ولكن نهيت عن صوتينِ أحمقينِ فَاجِرَيْن : صوتٍ عند مصيبةٍ خمْشُ الوجوه ، وشقُّ جيوبٍ ، ورنّة الشيطان » قال الترمذي هذا حديث حسن[(٣)].

---

(١) **إسناد ضعيف**: أحمد (٦/ ١٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وهي فقرة من قصة سعد بن معاذ ﷺ يوم الخندق وإصابته بالسهم في أكحله حتى انفجرت وغذا الدم منه . في إسناده : محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص عن أبيه عن جده عنها به . محمد بن عمرو ، قال يحيى بن معين : ما زالو يتقون حديثه ، وقال مرة : ثقة ، وقال الجوزجاني وغيره : ليس بالقوي (المغني ٥٨٧٩) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - له أوهام (تقريب ٦١٧٨) . عمر بن علقمة : مستور (الجرح والتعديل ٦/ ٢٥١) ، وقال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٥٠٧٠) ، وقصة إصابة سعد بن معاذ رضي الله عنه عند البخاري (٤٦٣ - ٤١٢٢) ومسلم (١٧٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها وليس فيها ذكر هذه الزيادة .

(٢) **إسناد ضعيف**: ابن ماجه (١٥٨٨) النسائي (٤/ ١٩) أحمد (٢/ ١١٠ - ٢٧٣ - ٣٣٣ - ٤٠٨) ابن حبان (٧٤٧ موارد) الحاكم (١/ ٣٨١) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا . رواه على بن حجر وسليمان بن داود عن إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حلحلة ووهيب بن كيسان كلهم عن محمد بن عمرو بن عطاء بن عياش عن سلمة بن الأزرق عنه به . سلمة بن الأزرق : قال الذهبي : لا يعرف حديثه (ميزان ٢/ ١٤٨) وقال الحافظ ابن حجر : قال ابن القطان : لا يعرف حاله ، ولا أعرف أحدًا من المصنفين في كتاب الرجال ذكره (تهذيب التهذيب ٤/ ١٤١) ، وقال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٢٤٧٥) قلت : تفرد ، وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان عن محمد بن عمرو بن عطاء عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بإسقاط (سلمة بن الأزرق) وروايته لا ترفع رواية هؤلاء . وحديثه أخرجه ابن ماجه (١٥٨٧) الحاكم (١/ ٣٨١) .

(٣) **إسناده ضعيف**: الترمذي (١٠٠٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا في إسناده : محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلة عن عطاء بن أبي رباح عنه به . محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلة : صدوق إمام - سيئ الحفظ ، وقد وثق . قال شعبة : ما أريت أسوأ من حفظه ، وقال القطان : سيئ الحفظ جدًّا ، وقال ابن معين : ليس بذاك ، وقال النسائي وغيره : ليس بالقوي ، وقال الدارقطني : رديء الحفظ - كثير الوهم - وقال الحاكم - أبو =

وقد صح عنه أنه ﷺ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله[١] وصح عنه أنه ﷺ قبل عثمان بن مظعون حتى سالت دموعه على وجهه[٢] وصح عنه أنه نعى جعفر وأصحابه وعيناه تذرفان[٣] وصح عن أبى بكر الصديق ﷺ أنه قبل النبي وهو ميت وبكى[٤].

= أحمد : عامة أحاديثه مقلوبة (المغني ٥٧٢٦) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - سيئ الحفظ جدًّا (تقريب ٦٠٧١) ، وله شاهد عزاه الألباني رحمه الله تعالى إلى المختارة للمقدمة (١٣١/ ١) وأبو بكر الشافعي في الربعيات (٢/ ٢٢/ ١) في الصحيحة (٤٢٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . وفي إسناده : محمد بن يونس الكديمي عن الضحاك بن مخلد عن شبيب بن بشر عنه به . محمد بن يونس الكريمي : هالك ، قال ابن حبان وغيره : كان يضع الحديث (المغني ٦١١٢) . شبيب بن بشر البجلي عن أنس ، قال أبو حاتم وغيره : لين الحديث (المغني ٢٧٣٥) ولهذا الشاهد طريق آخر عند البزار (٧٩٥ كشف الأستار) ، وليس فيه محمد بن يونس وهو أيضًا من طريق ، شبيب بن بشر عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ : ((صوتان ملعونان ، صوت مزمار عند نعمة ، وصوت ويل عند مصيبة)) قلت : وليس فيه ذكر للرنة ، وأراها لم تدخل تحت صفة المزمار والله أعلم . وأراها مشهورة في أفراح الناس فإذا فعلت بين النساء فلا بأس بها ، أما الفقرتان الآخرتان فلها شواهد كثيرة نهى عنها النبي ﷺ في أحاديث كلها صحيح مثل التي سبقت وأيضًا ، حديث المعازف ((**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**)) البخاري (٥٥٩٠) .

(١) **صحيح لشواهده** : مسلم (٩٧٦) أبو داود (٣٢٣٤) النسائي (٤/ ٩٠) ابن ماجة (١٥٧٢) أحمد (٢/ ٤٤١) الحاكم (١/ ٣٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . في إسناده : يزيد بن كيسان - اليشكري عن أبي حازم - سلمة بن دينار عنه به . يزيد بن كيسان - أبو منين اليشكري - وثقه النسائي . وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وقال يحيى بن سعيد القطان : هو صالح وسط ، ليس ممن يُعتمد عليه (ميزان ٤/ ٤٠١) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - يخطيء (تقريب ٧٧٥٧) . له شاهد عند أحمد (٥/ ٣٥٥) ابن حبان (٧٩١ موارد) ابن جرير (١١/ ٣١ تفسير) الحاكم (١/ ٣٧٦) ابن كثير (٢/ ٤٠١ تفسير) من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ مرفوعًا . في إسناده (زبيد الأيامى) وقيس بن مسلم الجدلي عن محارب بن دثار وعلقمة بن مرثد عن سليمان بن بريده عنه به ، وله شاهد عند أحمد (٥/ ١٤٩) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعًا . في إسناده : أفلت بن خليفة عن جسرة بنت دجاجة العامرية عنه به . وله شاهد عند ابن حبان (٧٩٢ موارد) الحاكم (٢/ ٣٣٦) ابن كثير (٢/ ٤٠١ تفسير) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا . في إسناده : أيوب بن هانيء عن مسروق بن الأجدع عنه به (أيوب بن هانيء) صدوق - فيه لين (تقريب ٦٣٤) .

(٢) **ضعيف** : أبو داود (٣١٦٣) الترمذي (٩٨٩) ابن ماجه (١٤٥٦) أحمد (٦/ ٤٣) الحاكم (١/ ٣٦١ - ٣/ ١٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها . في إسناده : عاصم بن عبيد الله بن عاصم عن القاسم بن محمد عنها به . في إسناده : عاصم بن عبيد الله بن عاصم عن القاصم بن محمد عنها به . (عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب) ضعيف (تقريب ٣٠٦٠) .

(٣) **صحيح** : البخاري (٣٧٥٧ من حديث أنس ﷺ .

(٤) **صحيح** : البخاري (١٢٤١ - ١٢٤٢) من حديث عائشة -رضي الله عنها- .

فهذه اثنتا عشرة حجة تدلُّ على عدم كراهة البكاءِ فتعين حملُ أحاديثِ النبي ﷺ عن البكاء الذي معه نَدْبٌ ونياحةٌ ، ولهذا جاء في بعض ألفاظ حديث عمر : الميت يعذَّبُ ببعضِ بكاءِ أهلِه عليه[1] ، وفي بعضها يعذب بما نيح عليه[2].

وقال البخاري في صحيحه: قال عمر : دعهن يبكين على أبى سليمان يعنى : خالد بن الوليد ﷺ ما لم يكن نَقْعٌ أو لقلقة[3] والنقع : التراب على الرأس ، واللقلقة : الصوت .

وأما دعوى النَّسخِ في حديث حمزة فلا يصح إذ معناه : لا يبكين على هالك [٤٩/ ب] بعد اليوم من قتلى أحد ، ويدل على ذلك أن نصوصَ الإباحةِ أكثرُها متأخرةٌ عن غزوة أُحدٍ منها حديث أبى هريرة إذ إسلامه وصحبته كانا في السنة السابعة ، ومنها البكاء على جعفر وأصحابه وكان استشهادهم بالسنة الثامنة . ومنها البكاء على زينب ، وكان موتها في السنة الثامنة أيضا ، ومنها البكاء على سعد بن معاذ ﷺ وكان موته في الخامسة ، ومنها البكاء عند قبر أمه ﷺ وكان عام الفتح في الثامنة .

وقولهم: إنما جاز قبل الموت حذرا بخلاف ما بعد الموت .

جوابه: أن الباكي قبل الموت يبكى حزنًا وحزنه بعد الموت أشد فهو أولى برخصة البكاء من الحالة التي يرجى فيها وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله : « **تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّب وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ** »[4].

---

(١) **صحيح**: البخاري (١٢٨٦) مسلم (٩٢٧) من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعًا .

(٢) **صحيح**: البخاري (١٢٩٢) مسلم (٩٢٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا .

(٣) **إسناده منقطع**: البخاري معلقًا (٣٣ كتاب الجنائز ، باب ما يُكره من النياحة على الميت) البخاري (١/ ١٢٨ - ١٣٥ التاريخ الأوسط) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٩) عن عمر بن الخطاب ﷺ . في إسناده : الأعمش (سليمان ابن مهران) عن شقيق بن سلمة عنه به . (الأعمش) سبق له ترجمة . قال الإمام أحمد : الأعمش لم يسمع من أبي وائل . يعني شقيق بن سلمة (تحفة التحصيل ٣٤٣ لابن العراقي) .

(٤) **صحيح**: البخاري (١٣٠٣) مسلم (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا .

فصل

وأما الندب والنياحة فنصَّ أحمدُ على تحريمهما قال في رواية حنبل : النياحةُ معصيةٌ وقال أصحاب الشافعي وغيرهم : النوحُ حرامٌ وقال ابن عبد البر : أجمعَ العلماءُ على أن النياحةَ لا تجوزُ للرجالِ ولا للنساءِ .

[وقال بعض المتأخرين من أصحاب أحمد يكره تنزيها وهذا لفظ أبي الخطاب في الهداية](١) وقال : ويكرهُ الندبُ ، والنياحةُ ، وخمشُ الوجوه ، وشقُّ الجيوبِ والتَّحفي .

والصواب : القول بالتحريم لما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ وَدَعَى بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ »(٢).

وفي الصحيحين أيضا عن أبي بُردة ﷺ قال : وجع أبو موسى وجعا [٥٠/ أ] فَغُشِيَ عليه ورأسُه في حجر امرأة من أهله [فصاحت امرأةٌ من أهلِهِ](٣) فلم يستطعْ أن يرد عليها شيئا فلما أفاق قال : أنا بريء مما بريء منه رسولُ الله ﷺ فإن رسولَ الله ﷺ بريء من الصالِقَةِ والحالِقةِ والشّاقةِ(٤).

وفي الصحيحين أيضا عن المغيرة بن شعبة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيهِ »(٥).

وفي الصحيحين أيضا عن أم عطية قالت : أخذ علينا رسولُ الله ﷺ في البيعة ألا ننوح فما وفَّتْ منا امرأة إلاّ خمسُ نسوةٍ(٦).

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي قال : « المَيِّتُ يُعَـذَّبُ

(١) زيادة في المطبوع .
(٢) **صحيح** : البخاري (١٢٩٤) مسلم (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا .
(٣) زيادة في المطبوع .
(٤) **صحيح** : البخاري (١٢٩٦) مسلم (١٠٤) من حديث أبي موسى ﷺ مرفوعًا .
(٥) **صحيح** : البخاري (١٢٩١) مسلم (٩٣٣) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ مرفوعًا .
(٦) **صحيح** : البخاري (١٣٠٦) مسلم (٩٣٦) من حديث أم عطية - رضي الله عنها - .

فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيهِ »[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري ﷺ : أن النبي ﷺ قال : « **أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ** » وقال : « **النَّائِحَةُ : إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ** »[٢].

وفي سنن أبي داود عن أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبايعات – رضي الله عنهن – قالت : كان فيما أَخَذ علينا رسولُ الله ﷺ في المعروفِ الذي أُخِذ علينا أن لا نعصيه فيه : أن لا نَخْمُش وجهًا ولا ندعو ويلًا ولا نَشُقَّ جيبًا ولا ننفشَ شعرا [٣].

وفي مسند الإمام أحمد عن أنس قال : أخذ النبيُّ ﷺ على النساءِ [٥٠/ ب] حين بايعهن أن لا يَنُحن فقلن يا رسولَ الله إنّ نساءً أسعدننا في الجاهلية فنسعدهن في الإسلام فقال : « لا إِسْعَادَ في الإسلامِ »[٤].

وقـد تقدم قوله : « ما كان من اليد واللسان فمن الشيطان »[٥] ، وقوله : « نهيت عن

---

(١) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٢) **صحيح** : مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ مرفوعًا .

(٣) **إسناد منقطع** : أبو داود (٣١٣١) من حديث امرأة من المبايعات . في إسناده : الحجاج عامل لعمر بن عبد العزيز حدثني أسيد بن أبي أسيد عنها به . الحجاج هو ابن صفوان بن أبي يزيد : صدوق (تقريب ١١٣١) . قال الحافظ ابن حجر : وقال الأزدي وحده : ضعيف (تهذيب التهذيب (٢/ ٢٠٢) أيضًا المغني (١٣٢١) . أسيد بن أبي أسيد : قال ابن أبي حاتم : (البراد) وأسم أبي أسيد يزيد (الجرح والتعديل ٢/ ٣١٧) ، وقال المزي : أظنه غير البراد ، فإن البراد ليس له شيء عن الصحابة ، وإن يَكُنْهُ فإن روايته عن المرأة منقطعة ويُشبِهُ حينئذ أن يكون حجاج الذي روى عنه ، حجاج بن صفوان . والله أعلم (تهذيب الكمال ١/ ٢٦٤) . قال الحافظ ابن حجر معلقاً على كلام المزي : قلت بل هو هو (تقريب ٥١٧) قلت : وعليه فالحديث منقطع وله شاهد من حديث أم عطية رضي الله عنها . سبق .

(٤) **إسناده ضعيف** : أحمد (٣/ ١٩٧) ابن حبان (٧٣٨ موارد) النسائي (٤/ ١٦) واللفظ له من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . وفي إسناده : معمر بن راشد عن ثابت البناني عنه به . معمر بن ثابت – وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب – مضطرب كثير الأوهام (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٥) .

(٥) **ضعيف** : سبق تخريجه .

صوتين أحمقين فاجرين : صوتٍ عند مصيبةٍ وخمْش وجوهٍ وشق جيوبٍ ورنّةِ شيطانٍ »(١).

وفي مسند الإمام أحمدَ من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال : « الميت يعذبُ ببكاءِ الحي إذا قالت النائحةُ : واعضداه واناصراه واكاسياه ، جبذ الميت وقيل له : أنت عضدها ؟! أنت ناصرها ؟! أنت كاسيها(٢) ؟! » .

وفي صحيح البخاري عن النعمان بن بشير ﷺ قال : أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أختُه عَمرة تبكي وتقول واجبلاه واكذا واكذا ، تعدد عليه فقال حين أفاق : ما قلت لي [شيئا](٣) إلا قيل لي أنت كذلك فلما مات لم تبكِ عليه(٤).

وكيف لا تكون هذه الخصال محرمة وهي مشتملة على التسخطِ على الربِّ ﷻ وفعل ما يناقضُ الصبرَ ، والإضرارَ بالنفس : من لطم الوجهِ ، وحلقِ الشعرِ ونتفه ، والدعاء عليها بالويل والثبور ، والتظلُّمِ من الله سبحانه ، وإتلافِ المالِ بشقِّ الثيابِ وتمزيقها ، وذكر الميت بما ليس فيه ، ولا ريب أن التحريمَ الشديدَ ثبت ببعض هذا [٥١/ أ] وقال المبيحون لمجرد الندب والنياحة مع كراهتهم له : قد روى حرب عن واثلة بن الأسقع وأبي وائل ﷺ أنهما كانا يسمعان النوحَ ويسكتان .

قالوا : وفي الصحيحين(٥) عن أم عطية - رضي الله عنها - قالت : لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [الممتحنة: ١٢] إلى قوله : ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ كان منها النياحة ، فقلت : يا رسول الله إلا آل فـلان

(١) **إسناده ضعيف** : سبق تخريجه .

(٢) **إسناده ضعيف والفقرة الأولى لها شاهد** : أحمد (٤/ ٤١٤) الروياني (٥٢١ - ٥٢٢ مسند) واللفظ لهما . الترمذي (١٠٠٣) مختصر على الفقرة الأخيرة . كلهم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا . في إسناده : أسيد بن أبي أسيد البراد عن موسى بن أبي موسى الأشعري عنه به . أسيد بن أبي أسيد . قال الدارقطني : يعتبر به (تهذيب التهذيب ١/ ٣٤٤) قال الحافظ ابن حجر : صدوق (تقريب ٥١٦) . موسى بن أبي موسى : مقبول (تقريب ٧٠٠٥) . شاهد الفقرة الأولى عند البخاري (١٢٩٠) مسلم (٩٢٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا .

(٣) زيادة في المطبوع .

(٤) **صحيح** : البخاري (٤٢٦٧) من قول النعمان بن بشر ﷺ .

(٥) **صحيح** : مسلم (٩٣٧) من حديث أم عطية رضي الله عنها مرفوعًا .

فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بدَّ لي من أن أسعدهم فقال : ((**إِلَّا آلَ فُلَانٍ**)) .

وفي رواية لها[١] أنها قالت : بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيئًا ونهانا عن النياحة ، فقبضتْ امرأةٌ منا يدها فقالت : فلانةُ أسعدتني فأنا أريدُ أن أجزيها [قالت][٢] فما قال لها شيئا ، فذهبت فانطلقت ثم رجعت فبايعها رسول الله ﷺ .

قالوا : وهذا الإذن لبعضهن في فعلِه يدل على أن النَّهي عنه تنْزيه لا تحريم ، ويتعين حمله على المجرد من تلك المفاسد جمعا بين الأدِلَّةِ .

قال المحرِّمون : لا تُعارضُ سُنَّةُ رسولِ الله ﷺ بأحدٍ من الناس كائنًا من كان ، ولا تضرب سنته بعضها ببعض ، وما ذكرنا من النصوص صحيحةٌ صريحةٌ لا تحتمل تأويلًا وقد انعقد عليها الإجماعُ وأما المرأةُ التي قال لها : إلا آل فلان ، والمرأة التي سكت عنها فذلك خاص بها لوجهين : أحدهما : أنه قال لغيرهما لما سألته ذلك : ((لا إسعاد في الإسلام)) والثاني أنه أطلق لهما ذلك وهما حديثتا عهد في الإسلام [٥١/ ب] وهما لم يميزا بين الجائز من ذلك وبين المحرم ، وتأخيرُ البيانِ عن وقت الحاجة لا يجوز ، فعلِمَ أن الحكم لا يعدوهما إلى غيرهما .

فصل

وأما الكلمات اليسيرةُ إذا كانت صدقًا لا على وجه النوْحِ والتسخُّطِ فلا تُحَرَّم ولا تنافي الصبر الواجب ، نص عليه أحمد في مسنده من حديث أنس : أن أبا بكر ﷺ دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضعَ فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال : وانبياه واخليلاه واصفياه[٣].

---

(١) صحيح : البخاري (٤٨٩٢) من حديث أم عطية رضي الله عنها موقوفًا في حكم المرفوع .

(٢) زيادة في المطبوع .

(٣) ضعيف : أحمد (٦/ ٣١) الترمذي (٣٠٥ رقم ٣٧٤ الشمائل) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وليس فيه أنس ﷺ في إسناده : عبد الملك بن حبيب الأزدي - أبو عمران الجوني عن يزيد بن بابنوس عنه به . (يزيد بن بابنوس) لا يرى عنه سوى إنسان - يعني أبو عمران - (المغني ٧٠٨٦) قال أبو حاتم : مجهول (تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٦) قال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٧٦٨٤) .

وفي صحيح البخاري عن أنس أيضا [قال](١) لما ثقل [على](٢) النبي ﷺ جعل يتغشَّاه الكربُ فقالت فاطمة : واكرب أبتاه ، فقال : « لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوم » فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دُفن قالت فاطمة : يا أَنَسُ أطابت أنفسُكم أن تحثو على رسول الله ﷺ الترابَ(٣). وقال رسول الله ﷺ : « وَإِنَّا بِفِراقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ »(٤).

وهذا ونحوه من القول الذي ليس فيه تَظَلُّمٌ للمقدورِ ولا تَسَخُّطٌ على الربِّ ولا اسخاطٌ له ، فهو كمجرَّدِ البُكاءِ .

فصل

وأما قول النبي ﷺ : « أَنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِالنِّيَاحَةِ عَلَيْهِ »(٥) فقد ثبت عنه من رواية عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، والمغيرة بن شعبة ﷺ وروى نحوه عنه عمران [٥٢/أ] ابن حصين ، وأبي موسى - رضي الله عنهما - فاختلفت طرق الناس في ذلك :

فقالت فرقة : يتصرفُ الله في خلقِهِ بما يشاء ، وأفعال الله لا تعلل ولا فرق بين التعذيب بالنوح عليه والتعذيب بما هو منسوب إليه ؛ لأن الله خالقُ الجميع ، والله تعالى يؤلمُ الأطفالَ والبهائمَ والمجانين بغير عمل .

وقالت فرقة : هذه الأحاديثُ لا تصحُّ عن رسول الله وقد أنكرتها عائشةُ أمُّ المؤمنين - رضي الله عنها - واحتجت بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٦٤ ، الإسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨ ، الزمر : ٧]

ولما بلغها روايةُ عمر وابنه قالت : إنكم لتحدثون عن غير كاذبينِ ولا مُتهميْنِ ولكن

(١) زيادة في المطبوع .
(٢) زيادة في المطبوع .
(٣) **صحيح**: البخاري (٤٤٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا .
(٤) **صحيح**: سبق تخريجه .
(٥) **صحيح**: سبق تخريجه .

السمع يخطئ[١] وقالت إنما مر النبي ﷺ على قبر يهودي فقال : « **إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ يُعَذَّبُ وَأَهْلُه يَبْكُونَ عَلَيه** »[٢] وفي رواية متفق عليها عنها[٣] إنما قال رسول الله ﷺ : « **إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه** » ، وقالت حسبكم القرآن : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ وقالت فرقة أخرى منهم المُزَنِيُّ وغيره : إن ذلك محمولٌ على من أوصى به إذا كانت عادتهم ذلك وهو كثير في أشعارهم كقول طرفَةَ :

إِذَا متُّ فَانعيني بما أنا أهله وشُقِّي على الجيبِ يا ابنةَ مَعْبَدِ

وقول لَبيد [يخاطب ابنتيه حينما حضرته الوفاة][٤] :

فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمتُمَا وَلَا تَخمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعر [٥٢/ ب]
وَقُولَا هُو المَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الأَمِينُ وَلَا غَدَرَ
إِلَى الحَولِ ثُمَّ اسْم السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ

وقالت طائفةٌ : هو محمولٌ على من سُنَّته وسُنَّةُ قومِهِ ذلك ، إذا لم ينههم عنه ؛ لأن ترك نهيه دليلٌ على رضاه به ، وهذا قول ابنِ المبارك وغيرِه .

قال أبو البركات ابن تيمية : وهو أصح الأقوال كلها ؛ لأنه متى غَلَب على ظَنّه فعلُهم له ولم يوصهم بتركِهِ فقد رضي به وصار كمن تركَ النهيَ عن المنكرِ مع القدرة عليه ، فأما إذا أوصاهم بتركه فخالفوه فالله أكرم من أن يعذبه بذلك ، وقد حصل بذلك العملُ بالآية مع إجراءِ الخبر على عمومه في أكثر الموارد .

وإنكارُ عائشةَ - رضي الله عنها - لذلك بعد روايةِ الثقاتِ لا يُعَوَّلُ عليه ، فإنهم قد يحضرون ، ما لا نحضره ويشهدون ما نغيب عنه ، واحتمال السهو والغلط بعيد ، خصوصا في حق خمسة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم .

(١) **صحيح** : البخاري (١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩) مسلم (٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣١ ، ٩٣٢) أبو داود (٣١٢٩) الترمذي (١٠٠٦) ابن ماجه (١٥٩٥) النسائي (٤/ ١٧ - ١٨ - ١٩) أحمد (٦/ ٤٠ - ١٠٧) من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا .
(٢) **صحيح** : سبق تخريجه .
(٣) **صحيح** : سبق تخريجه .
(٤) زيادة في المطبوع .

وقوله في اليهودي لا يمنع أن يكون قد قال ما رواه عنه هؤلاء الخمسة في أوقات أُخر ، ثم هي محجُوجةٌ بروايتها عنه أنه قال : « **إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه** »[١] فإذا لم يتمنع زيادةُ الكافرِ عذابًا بفعل غيره مع كونه مخالفاً لظاهر الآية لم يمتنع ذلك في حقِّ المسلم إنّ اللهَ سبحانه كما لا يظلمُ عبدَه المسلم لا يظلمُ عبده الكافرَ ، والله أعلم .

فصل

ولا تحتاجُ هذه [٥٣/ أ] الأحاديث إلى شيءٍ من هذه التَّكلُّفاتِ ، وليس فيها بحمد الله إشكالٌ ولا مخالفةٌ لظاهر القرآن ولا لقاعدة من قواعد الشرع ، ولا تتضمن عقوبة الإنسان بذنب غيره ، فإن النبي ﷺ لم يقل : إن الميت يُعاقَبُ ببكاء أهله عليه ونوحهم وإنما قال : إنه يعذب بذلك ولا ريب أن ذلك يؤلمه ويعذبه والعذاب هو الألم الذي يحصل له وهو أعم من العقاب والأعم لا يستلزم الأخص وقد قال النبي ﷺ : « **السَّفَرُ قطعةٌ مِنَ العذابِ** »[٢] وهذا العذاب يحصل للمؤمن والكافر حتى إن الميت ليتألم بمن يعاقب في قبره في جواره ويتأذى بذلك كما يتأذى الإنسان في الدنيا بما يشاهده من عقوبة جاره ، فإذا بكى أهل الميت عليه البكاء المحرَّمَ وهو البكاءُ الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، والبكاءُ على الميت عندهم اسم لذلك وهو معروفٌ في نَظْمِهم ونثرهم تألم الميت بذلك في قبرِه ، فهذا التألم هو عذابُه بالبكاءِ عليه وهذه طريقة شيخنا في هذه الأحاديث وبالله التوفيق .

(١) صحيح : سبق تخريجه .
(٢) صحيح : البخاري (١٨٠٤) ، مسلم (١٩٢٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

الباب التاسع عشر
في أن الصبر نصف الإيمان

وأن الأعمال نصفان: نصف صبر ، ونصف شكر .

قال غير واحدٍ من السلف : « الصبر نصفُ الإيمان » .

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : الإيمان نصفان : نصفُ صبرٍ ونصف شكرٍ[1]

ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ في سورة إبراهيم [٥]وفي سورة حم عسق [٢٣]وفي سورة سبأ [١٩]وفي سورة لقمان [٣١]وقد ذكر لهذا التنصيف اعتبارات :

أحدها : أن الإيمان اسمٌ لمجموع القولِ [٥٣/ ب] والعملِ والنيةِ ، وهى ترجع إلى شطرين فعلٍ وتركٍ ، فالفعلُ هو العمل بطاعة الله وهو حقيقة الشكر ، والترك هو الصبر عن المعصية ، والدين كله في هذين الشيئين فعل المأمور ، وترك المحظور .

فالاعتبار الثاني : أن الإيمان مبني على ركنين : يقين وصبر ، وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ولكن بلفظ « الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله » . موقوف : إسناده صحيح ، الطبراني (٩/ ١٠٧ الكبير) من قول عبد الله بن مسعود ﷺ . في إسناده : محمد بن علي بن زيد الصائغ عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي ظبيان عن علقمة عنه به . وروى مرفوعاً ولا يصح أخرجه أبو نعيم (٥/ ٣٨ حلية) والقضاعي في مسنده (١/ ١٢٦) من طريق محمد بن خالد المخزومي عن سفيان الثوري عن زبيد بن الحارث اليامي عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا . محمد بن خالد المخزومي – عن سفيان . قال ابن الجوزي : مجروح (لسان الميزان ٥/ ١٧٢) ، وفي نفس المصدر ، قال الحافظ بن حجر بعد إيراده لهذا الحديث : قال الحافظ أبو على النيسابوري : هذا حديث منكر لا أصل له من حديث زبيد ولا من حديث الثوري . **قلت** : والمتن الذي ذكره ابن القيم – رحمه الله تعالى – جاء بإسناد آخر (ضعيف جدا) عزاه الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة (٦٢٥) للخرائطي (١/١٢٩ كتاب فضيلة الشكر من مجموع (٩٨) ، والديلمي (١/ ٢/ ٣٦١ مسند الفردوس) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا « الإيمان نصفان ، نصف في الصبر ، ونصف في الشكر » في إسناده : يزيد بن أبان الرقاشي عنه به . يزيد بن أبان : سبق ترجمته .

وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] فباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهى والثواب والعقاب ، وبالصبر ينفذ ما أمر به ويكف نفسه عما نهى عنه ، ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهى أنه من عند الله وبالثواب والعقاب إلا باليقين ، ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور وكف النفس عن فعل المحظور إلا بالصبر ، فصار الصبر نصف الإيمان والنصف الثاني الشكر بفعل ما أمر به وبترك ما نهى عنه .

الاعتبار الثالث : أن الإيمان قول وعمل ، والقول قول القلب واللسان ، والعمل عمل القلب والجوارح .

وبيان ذلك : أن من عرف بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنا ، كما قال عن قوم فرعون : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤] وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٨] وقال موسى لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء : ١٠٢] [٥٤/ أ] فهؤلاء حصل لهم قول القلب ، وهو المعرفة والعلم ، ولم يكونوا بذلك مؤمنين ، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا بل كان من المنافقين ، وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة فيُحِبُّ الله ورسوله ، ويوالى أولياء الله ويعادى أعداءه ، ويستسلم بقلبه لله وحده ، وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا ، وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به ، فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه وهى : ترجع إلى علم وعمل ، ويدخل في العمل كف النفس الذي هو متعلق النهى ، وكلاهما لا يحصل إلا بالصبر فصار الإيمان نصفين : أحدهما : الصبر ، والثاني : ما تولد عنه من العلم والعمل .

الاعتبار الرابع : النفس لها قوتان : قوة الإقدام ، وقوة الإحجام ، وهي دائما تتردد بين أحكام هاتين القوتين ، فَتُقْدِمُ على ما تحبه ، وتُحْجِمُ عما تكرهه ، والدين كله إقدام وإحجام ، إقدامٌ على طاعة الله وإحجام عن معصية الله ، وكل منهما لا يمكن حصوله إلا بالصبر .

الاعتبار الخامس : أن الدين كله رغبة ورهبة ، فالمؤمن هو الراغب والراهب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] وفي الدعاء عند النوم الذي رواه البخاري في صحيحه « **اللَّهُم إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِليكَ وَوَجَّهْتُ** [٥٤/ ب] **وَجْهِي إِلَيكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيكَ ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيكَ** »[١] ، فلا تجد المؤمن أبدًا إلَّا راغبًا راهبًا ، والرغبةُ والرهبةُ لا تقوم إلا على ساقِ الصبرِ ، فرهبتُه تحملُه على الصبر ورغبته تقودُه إلى الشكر .

الاعتبار السادس : إن جميع ما يباشرُه العبدُ في هذه الدار لا يخرج عما ينفعه في الدنيا والآخرة ، أو يضره في الدنيا والآخرة ، أو ينفعه في إحدى الدارين ويضره في الأخرى ، وأشرف الأقسام أن يفعل ما ينفعه في الآخرة ويترك ما يضره فيها ، وهو حقيقة الإيمان ، ففعل ما ينفعه هو الشكر ، وترك ما يضره هو الصبر .

الاعتبار السابع : أن العبد لا ينفك من أمر يفعله ، ونهي يتركُه ، وقَدَرٌ يجرى عليه ، وفرضه في الثلاثةِ الصبرُ والشكرُ ، ففعل المأمور هو الشكر ، وترك المحظور والصبر على المقدور هو الصبر .

الاعتبار الثامن : إن العبد فيه داعيان داع يدعوه إلى الدنيا وشهوتها ولذاتها وداع يدعوه إلى الدار الآخرة وما أعد فيها لأوليائه من النعيم المقيم ، فعصيانُ داعي الشّهوة والهوى هو الصبر ، وإجابة داعي الله والدار الآخرة هو الشكر .

الاعتبار التاسع : أن الدين [٥٥/ أ] مداره على أصلين : العزم والثبات ، وهما

---

(١) صحيح : البخاري (٦٣١٥) ، مسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب ﷺ مرفوعًا .

الأصلان المذكوران في الحديث الذي رواه أحمد والنسائي عن النبي ﷺ : « اللَّهمَّ إنّي أَسألُكَ الثَّباتَ في الأمرِ ، والعزيمةَ عَلَى الرُشدِ »[1] ، وأصل الشكر صِحَّةُ

(١) إسناده ضعيف : الترمذي (٣٤٠٧) النسائي (٣/ ٥٤) أحمد (٤/ ١٢٤) ابن حبان (٢٤١٦ موارد) من حديث شداد بن أوس ﷺ مرفوعًا . في إسناده : سعيد بن إياس الجريري عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عنه به ، ورواه أيضًا : سعيد بن إياس الجريري عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن رجل من بني حنظلة عنه به وبالإسناد الأول : روى عن سعيد بن إياس - حماد بن سلمة عنه ، وبالإسناد الثاني : روى عن سعيد بن إياس - يزيد بن هارون وسفيان الثوري عنه ، وروى عن سفيان الثوري - أبو أحمد الزبيري (محمد بن عبد الله بن الزبير) سعيد بن إياس الجريري : ثقة - اختلط بآخره قبل موته بثلاث سنين (تقريب : ٢٢٦٤) . روى عنه بعد الاختلاط - يزيد بن هارون ، وابن المبارك ، وابن أبي عدي ، وكلما روى عنه مثل هؤلاء الصغار فهو مختلط ، إنما الصحيح : حماد بن سلمة ، وسفيان الثوري وشعبة وابن علية وعبد الأعلى من أصحهم سماعاً قبل أن يختلطَ بثمان سنين (تهذيب التهذيب ٤/ ٧) . أبو أحمد الزبيري - محمد بن عبد الله بن الزبير : ثقة ثبت إلا أنه يخطئ في حديث الثوري (تقريب ٦٠٠٧) ، وله شاهد عند أحمد (٤/ ١٢٣) أيضًا من حديث شداد بن أوس ﷺ مرفوعًا في إسناده : الأوزاعي - عبد الرحمن ابن عمرو - عن حسان بن عطية كان شداد بن أوس ، فذكره . في قصة . الأوزاعي : لم يسمع عبد الله ابن أبي زكريا الخزاعي وهو من الرابعة . مات سنة تسع عشرة ومائة (تحفة التحصيل ٥٩٠) قلت : وحسان بن عطية المحاربي من نفس الطبقة . مات بعد العشرين ومائة .أ.هـ حسان بن عطية المحاربي : ذكره ابن حبان في طبقة أتباع التابعين ، فدل على أنه لم يصح عنده سماعه من أحد من الصحابة (تحفة تحصيل ١٧٥) . قلت : وسياق الحديث يدل على عدم سماعه ا.هـ. وله شاهد عند الحاكم (١/ ٥٠٨) أيضًا من حديث شداد بن أوس ﷺ مرفوعًا ، في إسناده : أبو الحسن - محمد بن سنان القزاز - عن عمر ابن يونس بن القاسم اليمامي ثنا عكرمة بن عمار . قال : سمعت شداد أبا عمار يحدث عن شداد بن أوس فذكره أيضًا في قصة مختلفة عن قصة حسان بن عطية . محمد بن سنان القزاز - أبو الحسن - رماه بالكذب . أبو داود وابن خراش (المغني ٥٦٠٤) . شداد بن عبد الله القرشي - أبو عمار - ثقة - يرسل (٢٧٥٠ تقريب) وله شاهد عند أبي نعيم (١/ ٣٣٣-٣٣٤ الحلية من طريق سليمان بن عبد الرحمن « أبو أيوب الدمشقي » ابن بنت شرحبيل بن مسلم : حدثنا إسماعيل بن عياش - أبو عتبة - الحمصي) حدثني محمد بن يزيد الرحبى - الدمشقي - عن أبي الأشعث الصنعاني - شرحبيل بن آده - عن شداد ابن أوس ﷺ قال : قال لي النبي ﷺ : « يا شداد إذا رأيت الناس قد اكتنَزوا الذهب والفضة فاكتنزوا هؤلاء الكلمات ، اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ... الحديث » محمد بن يزيد الدمشقي الرحبي : مجهول الحال - ذكر ابن أبي حاتم . ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (الجرح والتعديل ٨/ ١٢٧) . وله شاهد عند أبي نعيم أيضًا (١/ ٣٣٣ الحليلة) من طريق سويد بن عبد العزيز (ابن نمير السلمي - أبو محمد الدمشقي) حدثنا الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو) عن حسان بن عطية عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم عن شداد بن أوس ﷺ مرفوعًا « إذا كنز الناس الدنانير والدراهم ، فاكتنزوا هؤلاء الكلمات ، اللهم إني أسألك الثبات ... الحديث » . سويد بن عبد العزيز بن نمير الدمشقي - قال البخاري : في حديثه نظر لا يحتمل ، وقال أحمد : متروك الحديث ، وقال النسائي وغيره : ضعيف (المغني ٢٧٠٨) ، =

العزيمةِ ، وأصلُ الصَّبر قُوّةُ الثَّباتِ ، فمتى أُيِّدَ العَبْدُ بعزيمةٍ وثباتٍ ، فقد أُيِّدَ بالمعونة والتوفيق .

الاعتبار العاشر : أن الدين مبنى على أصلين : الحق والصبر ، وهما المذكوران في قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] ولما كان المطلوب من العبد هو العمل بالحق في نفسه وتنفيذه في الناس ، وكان هذا هو حقيقة الشكر لم يمكنه ذلك إلا بالصبر عليه ، فكان الصبر نصف الإيمان [والله سبحانه وتعالى أعلم][1] .

= وقال يحيى بن معين والنسائي أيضا : ليس بثقة ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، وقال حديثه نظر ، وقال محمد بن سعد : كان يروى أحاديث منكرة (تهذيب الكمال ٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠) وله شاهد آخر عند أبي نعيم أيضًا (١/ ٣٣٤ الحلية) من طريق محمد بن أبي معشر (ابن نجيح بن عبد الرحمن السِّندي) حدثنا أبي نجيح بن عبد الرحمن السِّندي - أبو معشر المدني ، حدثنا محمد بن عبد الله الشعيثي (ابن مهاجر العقيلي - أبو عبد الله الدمشقي) عن شداد بن أوس ﷺ مرفوعا . بمثل حديث مسلم بن مشكم . نجيح ابن عبد الرحمن أبو معشر السِّندي - قال ابن معين : ليس بالقوى ، كان أمياً يُتقى من حديثه المسند ، وقال أحمد : كان بصيرًا بالمغازي ، وقال ابن مهدي : تعرف وتنكر ، وقال النسائي والدارقطني : ضعيف ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال ابن معين أيضاً : ليس بشيء (المغني ٦٦٠١) . محمد بن عبد الله ابن مهاجر الشعيثي - قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، ليس بالقوي ، يكتب حديثه ، ولا يحتج به ، وقال دحيم : كان ثقة وكان قديما يروى عن مكحول (الجرح والتعديل ٧/ ٣٠٤) ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ، وما حكى عنه شجاع بن أبي نصر أنه لقى أربعة من أصحاب النبي ﷺ ، فقال : لقيت الحارث بن بدل ، فقال : لم يدرك من أصحاب النبي ﷺ أحدًا (تحفة التحصيل ٩٢٦) ، وروى موقوفًا أيضًا عند أبي نعيم (١/ ٣٣٢ الحلية) من طريق سليمان بن موسى (الأشدق - الدمشقي) أن شداد بن أوس ﷺ قال يومًا : هاتوا السفرة نعبث بها . قال : فأخذوها عليه ، قال : انظروا إلى أبي يعلى ما جاء منه ، فقال : أي بني أخي إني ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مزمومة مخطومة قبل هذه فتعالوا حتى أحدثكم ودعوا هذه وخذوا خيرا منها . فذكره موقوفا بزيادة . سليمان بن موسى الأشدق الدمشقي - من أصحاب مكحول ، ومكحول لم يلق أبا هريرة ولا شداد بن أوس - قاله الدارقطني (تحفة التحصيل ١٠٥٨) ، وسليمان بن موسى الأشدق . قال أبو حاتم : محله الصدق ، وفي حديثه بعض الاضطراب ولا أعلم أحدًا من أصحاب مكحول أفقه منه ولا أثبت منه ، وقال البخاري : عنده مناكير ، وقال النسائي : أحد الفقهاء ، وليس بالقوى في الحديث ، وقال في موضع آخر : في حديثه شيء (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٢٦) .

(١) زيادة في المطبوع .

الباب العشرون
في بيان تنازع الناس في الأفضل بين الصبر والشكر

حكى أبو الفرج ابن الجوزي في ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الصبر أفضل .

والثاني : أن الشكر أفضل .

والثالث : أنهما سواء كما قال عمر بن الخطاب ﷺ : لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت(١) ، ونحن نذكر ما احتجت به كل فرقة ، وما لها وعليها في احتجاجها بعون الله وتوفيقه .

قال الصابرون : قد أثنى الله سبحانه على الصبر وأهله ومدحه وأمر به وعلق عليه خير الدنيا والآخرة ، وقد ذكره الله في كتابه في نحو تسعين موضعا ، وقد تقدم من النصوص والأحاديث ما فيه وفي فضله ما يدل على أنه أفضل من الشكر ، ويكفي في فضله قوله ﷺ : « **الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ** »(٢) فذكر ذلك في معرض تفضيل الصبر ورفع درجته [٥٥/ ب] على الشكر ، فإنه ألحق الشاكر بالصابر وشبهه به ، ورتبة المشبه به أعلى من رتبة المشبه وهذا كقوله :

---

(١) **منقطع** : سبق تخريجه .

(٢) **صحيح لغيرة** : الترمذي (٢٤٨٦) ابن ماجه (١٧٦٤) أحمد (٢/ ٢٨٣) ابن حبان (٩٥٢ موارد) الحاكم (١/ ٤٢٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا من طريق . محمد بن معن الغفاري ، وعمر بن محمد المقدمي ، والزهري ، عن عبد الله بن عبد الله الأموي ، ومعن بن محمد الغفاري ، عن حنظلة بن علي الأسلمي ، وسعيد المقبري عنه به ، وله شاهد عند ابن ماجه (١٧٦٥) الدارمي (٢٠٢٣) أحمد (٤/ ٣٤٣) الحاكم (٤/ ١٣٦) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي وسليمان بن بلال ، عن محمد بن عبد الله بن أبي حرة عن عمه حكيم بن أبي حُرة عن سنان بن سنة ﷺ مرفوعاً ، وحديث سليمان عن محمد بن عبد الله بن أبي حرة ، عن عمه حكيم ، عن سلمان الأغر عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . وفي العلل لابن أبي حاتم (٢/ ١٢) سأل عنهما أبو زرعة فقال : حديث الدراوردي أشبه (يعني بالصواب) .

« مُدمِنُ الخَمْرِ كعابِدِ الوثن »[1] ونظائر ذلك .

قالوا : وإذا وازنا بين النصوص الواردة في الصبر ، والواردة في الشكر ، وجدنا

---

(١) **إسناده ضعيف** : ابن ماجه (٣٣٧٥) التاريخ الكبير (١/ ١٢٩ للبخاري) العلل المتناهية (١١١٧ لابن الجوزي) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . في إسناده : محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه ذكوان أبو صالح عنه به ، وعند البخاري في التاريخ الكبير ، ترجمة محمد بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ (١/ ١٢٩) قال لنا إسماعيل : حدثني أخي عن سليمان (أراه ابن بلال) عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن عبد الله عن أبيه قال النبي ﷺ : « **مدمن الخمر كعابد وثن** » وقال لي فروة : حدثنا محمد بن سليمان عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ مثله . ولا يصح حديث أبي هريرة ﷺ في هذا .ا.هـ محمد بن سليمان بن الأصبهاني ، قال النسائي : ضعيف ، وقال أبو حاتم : لا بأس به ولا يحتج به ، وقال ابن عدي : مضطرب الحديث ، ومقدار ماله قد أخطأ في غير شيء منه (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٠١) محمد بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ . قال أبو حاتم : مجهول (الجرح والتعديل ٧ / ٣٠٩) ، وله طرق أُخرى عند أحمد (١/ ٢٧٢) ابن حبان (١٣٧٩ موارد) أبو نعيم (٩/ ٢٦٥ حلية) ابن أبي حاتم (٢/ ٢٦ - ٣٧ العلل) من طريق عبيد الله بن موسى وأحمد بن يونس وأحمد بن المقدام وأسود بن عامر عن إسرائيل وعبد الله بن خراش والحسن بن صالح عن حكيم بن جبير وثوير والعوام ابن حوشب ومحمد بن المنكدر عن سعيد بن جبير ، قال محمد بن المنكدر ، حُدثت . كلهم عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن** » وفي لفظ آخر « **من لقي الله وهو مدمن خمر كان كعابد وثن** » . وصحح أبو حاتم من هذه الروايات رواية عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ مرفوعًا ثم قال ابن أبي حاتم : قال أبي : حديث حكيم عندي أصح ، قال : قلت لأبي : فحكيم بن جبير أحب إليك أو ثوير ؟ ، فقال : ما فيهما إلا ضعيفٌ غال في التشيع . قلت : فأيهما أحب إليك ؟ قال : هما متقاربان .ا.هـ (العلل لابن أبي حاتم ٢/ ٢٥-٢٦) قلت : حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير ، فيه رفض ، ضعفه غير واحد ، ومشاه بعضهم ، وحسن أمره ، وهو مقل (المغني ١٦٨٥) ثوير بن أبي فاختة - ضعفوه ، وكذبه سفيان الثوري (المغني ١٠٦٩) أما عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن سعيد بن جبير به . عبد الله بن خراش : ضعيف ، وأطلق عليه ابن عمار : الكذب (تقريب ٣٢٨٨) ، وله شاهد آخر عند ابن أبي حاتم (٢/ ٣٦ العلل) من طريق المؤمل بن إسماعيل عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعًا مثل حديث الباب . المؤمل بن إسماعيل . قال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : من حديثه خطأ كثير (المغني ٦٥٤٨) ، وشاهد آخر عند ابن حبان (١/ ٣٢٠ - ٣٢٢ المجروحين) من طريق سعيد بن خالد الخزاعي وسعيد بن محمد بن أبي موسى المدني عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعا مثله . سعيد بن خالد الخزاعي ، عن محمد بن المنكدر - ضعفه أبو زرعة ، أيضا ، وقال البخاري : فيه نظر (المغني ٢٣٧٢) سعيد بن محمد بن أبي موسى عن ابن المنكدر . قال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به ، ووهاه ، أبو حاتم (المغني ٢٤٤٧) .

نصوص الصبر أضعافها ، ولهذا لما كانت الصلاةُ والجهادُ أفضلَ الأعمالِ كانت الأحاديث فيهما أكثر من الأحاديث في سائر الأبواب فلا تجد الأحاديث النبوية في باب أكثر منها في باب الصلاة والجهاد .

قالوا: وأيضا ؛ فالصبر يدخل في كل باب بل في كل مسألة من مسائل الدين ولهذا كان من الإيمان بمنْزلة الرأس من الجسد[1].

قالوا وأيضا؛ فالله سبحانه وتعالى عَلَّق على الشكر الزيادة فقال : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧]وعلق على الصبر الجزاء بغير حساب .

وأيضا ؛ فإنه سبحانه أطلق جزاء الصابرين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وأيضًا فإنه سبحانه أطلق جزاء الشاكرين فقال : ﴿ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران ١٤٤] : وقيد جزاء الصابرين بالإحسان فقال : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٦]

قالوا: وقد صح عن النبي ﷺأنه قال : « **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ** »[2] وفي لفظ : « **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ لَهُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا** »[3] قال الله تعالى : « **إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّه لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ** »[4] وما ذاك إلا لأنه صبر النفس ومنعها من شهواتها كما في الحديث نفسه « **يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ** [٥٦/ أ]**وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي** »[5] ولهذا قال النبي ﷺلمن سأله عن أفضل

(١) **ضعيف جدًا**: سبق تخريجه .

(٢) **صحيح**: البخاري (١٩٠٤) ، مسلم (٣٠ باب فضل الصيام ١٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٣) **صحيح**: مسلم (٣٠ باب فضل الصيام ١٦٤) النسائي (٤/ ١٦٢) أحمد (٢/ ٤٤٣) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٤) **صحيح**: سبق تخريجه .

(٥) **صحيح**: البخاري (٧٤٩٢) ، مسلم (٣٠ باب فضل الصيام ١٦٤) النسائي (٤/ ١٦٣) أحمد (٢/ ٣٩٣) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

الأعمال : « عَلَيكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عَدْلَ لَهُ »(١) ولما كان الصبرُ حَبْسَ النفس عن إجابة داعي الهوى وكان هذا حقيقةُ الصوم ؛ فإنه حَبْسُ النفس عن إجابة داعي شهوة الطعام والشراب والجماع ، فُسِّر الصبر في قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[البقرة : ٤٥] أنه : الصوم ، وسُمِّي شهر رمضان : شهر الصبر .

وقال بعض السلف : الصومُ نصفُ الصبرِ ، وذلك أن الصبر حَبْسُ النفس عن إجابة داعي الشهوة والغضب ، فالنفسُ تشتهى الشَّيءَ لحصول اللذة بإدراكه

---

(١) قال الحاكم : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ، وكذا صححه ابن حبان وفيه خلاف النسائي (٤/ ١٦٥) أحمد (٥/ ٢٤٩) ابن حبان (٨/ ٢٤٢٦) الإحسان ٩٢٩ موارد) الروياني (١١٧٥ - ١١٧٦ مسند) الحاكم (١/ ٤٢١) أبو نعيم (٥/ ١٩٩ - ٧/ ١٩٠ حلية) تهذيب الكمال (٨/ ٤٤٢) من حديث أبي أمامة الباهلي (صدى بن عجلان) ﷺ مرفوعًا من طريق . شعبة وهشام بن حسان ، رواه شعبة عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن أبي نصر الهلالي عن رجاء بن حيوة عنه به . وورواه هشام عن مهدي بن ميمون وواصل مولي بن عيينة عن محمد بن عبد الله ابن أبي يعقوب عن رجاء بن حيوة به ، ولم يذكر فيه : أبو نصر الهلالي قال ابن حبان (٨/ ٢٤٢٦ الإحسان) أبو نصر هذا ، هو (حميد بن هلال) ولست أنكر أن يكون ، محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب . سمع هذا الخبر بطوله عن رجاء بن حيوة ، وسمع بعضه عن حميد بن هلال ، فالطريقان محفوظان .ا.هـ ، وقال الحاكم (١/ ٤٢١) هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ، ومحمد بن أبي يعقوب هذا الذي كان شعبة إذا حدث عنه يقول : حدثني سيد بني تميم ، وأبو نصر الهلالي هو حميد بن هلال العدوي .ا.هـ ، وقال أبو نعيم (٥/ ١٩٩ حلية) ، وأبو نصر ، يشبه أن يكون ، يحيى بن أبي كثير : لأنه قد روى عن رجاء بن حيوة ، ويحتمل أن يكون . على بن أبي حملة ، فإنه يكنى : أبا نصر .ا.هـ . قلت : وقد أخرجه أبو نعيم (٧/ ١٩١ حلية) من طريق الطبراني ، ومحمد بن الحسن قالا : حدثنا بشر بن موسى حدثنا عمر بن سهل المازني حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب عن أبي نصر حميد بن هلال عن رجاء بن حيوة به ، فصرح به أن أبا نصر هو حميد ابن هلال كما زعم ابن حبان والحاكم . عمر بن سهل المازني ، قال العقيلي : عن شعبة ، يخالف في حديثه (الضعفاء الكبير ٣/ ١٧٠) ، وقال الذهبي : لين ، لكن أبو زرعه قال : صدوق (المغني ٤٤٨٢) وقال الحافظ ابن حجر : صدوق يخطئ (تقريب ٤٩٠٤) ولم يذكر أحدًا من أصحاب كتب الرجال أن أبا نصر الهلالي ، هو حميد بن هلال ما قاله إلا ابن حبان والحاكم وخالفهما أبو نعيم . فقال : أنه يحيى بن أبي كثير أو على بن أبي حملة .ا.هـ أبو نصر الهلالي : مجهول (تقريب ٨٤٠٧) محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب التميمي . ذكر المزي أنه ، روى عن رجاء بن حيوة وأبي نصر الهلالي ، ثم قال في روايته عن أبو نصر : على خلاف فيه (تهذيب الكمال ٦/ ٣٩٢) وأيضًا ابن أبي حاتم (٧/ ٣٠٨ الجرح والتعديل) قال النسائي : ويحيى بن معين وأبو حاتم : ثقة .

وتغضب لنفرتها من المؤلم لها ، والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط ، وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب ، ولكن من تمام الصوم وكماله صبر النفس عن إجابة داعي الأمرين ، وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح ، وهو قوله : « **إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَجْهَلْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ أَحَدٌ سَابَّهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ** »(١) فأرشد النبي ﷺ إلى تعديل قوى الشّهوةِ والغضَب ، فإنَّ الصائمَ ينبغي له أن يحتمي من إفسادهما لصومه ، فهذه تُفْسِدُ صومَه وهذه تُحْبِطُ أجرَه ، كما قال في الحديث الآخر « **مَنْ لم يَدَعْ قَولَ الزُّورِ والعَمَلَ به ، فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ** »(٢).

قالوا: ويكفي في فضل الصبر على الشكر قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١١]فجعل فوزهم جزاء صبرهم ، وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩]ولا شيء يعدل معيته لعبده كما قال بعض العارفين : [٥٦/ ب]ذهب الصابرون بخير الدنيا والآخرة لأنهم نالوا معية الله ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] وهذا يتضمن الحراسة والكَلاَءةَ والحفظ للصابر لحكمه ، وقد وعد الصابرين بثلاثة أشياء كل واحد منها خير من الدنيا وما عليها وهى : صلواته تعالى عليهم ، ورحمته لهم ، وتخصيصهم بالهداية في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٧] وهذا مفهم لحصر الهدى فيهم ، وأخبر أن الصبر من عزم الأمور في آيتين من كتابه ، وأمر رسوله ﷺ أن يَتَشَبَّه بصبر أولى العزم من الرسل وقد تقدم ذكرُ ذلك .

قالوا: وقد دلَّ الدليلُ [على](٣) أنَّ الزُّهدَ في الدنيا والتقلُّل منها ما أمكن أفضل

---

(١) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٢) **صحيح** : البخاري (١٩٠٣) أبو داود (٢٣٦٢) الترمذي (٧٠٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٣) زيادة في المطبوع .

من الاستكثار منها ، والزهد فيها حال الصابر ، والاستكثار منها حال الشاكر .

قالوا : وقد سئل المسيح صلوات الله وسلامه عليه عن رجلين مرا بكنْز فتخطاه أحدهما ولم يلتفت إليه ، وأخذه الآخر وأنفقه في طاعة الله تعالى أيهما أفضل ؟ فقال : الذي لم يلتفت إليه وأعرض عنه أفضل عند الله .

قالوا: ويدل على صحة هذا أن النبي ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فلم يأخذها ، وقال : ((بل أجوعُ يومًا وأشبَعُ يومًا))(1) ولو أخذها لأنفقها كلها في مرضاة الله وطاعته ، فآثر مقام الصبر عنها والزهد فيها .

قالوا: وقد عُلِمَ أن الكمال [٥٧/ أ] الإنساني في ثلاثة أمور : علوم يعرفها ، وأعمال يعمل بها ، وأحوال ترتب له على علومه وأعماله .

وأفضل العلم والعمل والحال: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعمل بمرضاته وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء ، فهذا أشرف ما في الدنيا وجزاؤه أشرف ما في الآخرة .

وأجلُّ المقاصدِ معرفة الله ومحبته ، والأنس بقربه والشوق إلى لقائه ، والتنعم بذكره وهذا أجلُّ سعادة الدنيا والآخرة ، وهذا هو الغاية التي تطلب لذاتها ، وإنما يشعر العبد تمام الشعور بأن ذلك عين السعادة إذا انكشف له الغطاء ، وفارق الدنيا ودخل الآخرة وإلا فهو في الدنيا وإن شعرَ بذلك بعضَ الشعور ، فليس شعورُه به كاملًا للمعارضاتِ التي عليه والمِحَن التي امتُحِنَ بها ، وإلا فليست السعادةُ في الحقيقة سوى ذلك ، وكل العلوم والمعارف تبعُ لهذه المعرفة ،

---

(1) **ضعيف**: الترمذي (٢٣٤٧) أحمد (٥/ ٢٥٤) ابن المبارك (١٩٦ الزهد - زوائد) أبو نعيم (٨/ ١٤٠ حلية) الطبراني (٧٨٣٥ كبير) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ . في إسناده : عبيد الله بن زحر عن على ابن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن عنه به . عبيد الله بن زحر . قال الذهبي : مختلف فيه ، وهو إلى الضعف أقرب ، ضعفه أحمد ، وقال النسائي : لا بأس به (المغني ٣٩٢٢ ، علي بن يزيد الألهاني - ضعفوه ، وتركه الدارقطني (المغني ٤٣٥٨) القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الدمشقي - قال أحمد بن حنبل : روى عنه على بن يزيد أعاجيب ، وما أراها إلا من قبل القاسم ، وقال ابن حبان : كان يروى عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات (المغني ٤٩٩٧).

مرادةٌ لأجلها ، وتفاوت العلوم في فضلها بحسب قرب إفضائها إلى هذه المعرفة وبُعدِها ، فكل علم كان أقربَ إفضاءً إلى العلم بالله وأسمائِه وصفاتِه فهو أعلى مما دونَهُ ، وكذلك حالُ القلب ، فكل حال كان أدنى إلى المقصودِ الذي خُلِق له فهو أشرفُ مما دونَهُ ، وكذلك الأعمالُ فكلَّ عملٍ كان أقربَ إلى تحصيلِ هذا المقصود كان أفضلُ من غيره ، فلهذا كانت الصلاةُ والجهادُ من أفضل الأعمال أو أفضلها لقُربِ إفضائها إلى هذا [٥٧/ ب] المقصود .

وهكذا يجب أن يكون ، فإن كلما كان الشيءُ أقربَ إلى الغايةِ كان أفضلَ من البعيد عنها ، فالعمل المُعِدُّ للقلبِ المُهَيِّيءُ له لمعرفة الله وأسمائِه وصفاتِه ومحبتِه وخوفِه ورجائه أفضلُ مما ليس كذلك ، وإذا اشتركت عدَّةُ أعمالٍ في هذا الإفضاء فأفضلها أقرُبها إلى هذا المقصود ، ولهذا اشتركت الطاعاتُ في هذا الإفضاء فكانت مطلوبةً لله واشتركت المعاصي في حَجْبِ القلبِ وَقَطْعِه عن هذه الغايةِ فكانت مَنهيا عنها ، وتأثير الطاعات والمعاصي بحسب درجاتها .

وهاهنا أمر ينبغي التَّفَطُّن له ، وهو أنه قد يكون العملُ المعينُ أفضل في حق شخص وغيره أفضل منه في حق غيره : فالغني الذي له مال كثيرٌ ، ونفسه لا تسمح ببذلِ شيءٍ منه ، فصدقته وإيثارُه أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلةً .

والشجاع الشديد البأس الذي يهاب العدو سطوته ، وقوفه في الصف ساعة ، وجهاده أعداء الله ، أفضل له من الحج والصوم والصدقة والتطوع .

والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام ، وطرق [٥٨/ أ] الخير والشر مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله ، وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح .

وَوَليُّ الأمرِ الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده ، جلوسه ساعة للنظر في المظالم ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وإقامة الحدود ، ونصر المحق ، وقمع المبطل ، أفضل من عبادة سنين من غيره .

ومن غلبت عليه شهوة النساء فصومه له أنفع وأفضل من ذكر غيره وصدقته .

وتأمل تولية النبي ﷺ لعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما من أمرائه وعماله ، وترك تولية أبى ذر ﷺ بل قال : « **إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ** »[1] وأمره وغيره بالصيام وقال : « عَلَيكَ بالصوم فإنه لا عِدْلَ لَهُ »[2] وأمر آخر بأن : « **لَا يَغْضَبُ** »[3] وأمر آخر بأن : « **لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله** »[4] ومتى أراد الله بالعبد كمالا وفقه لاستفراغ وسعه فيما هو مستعد له قابل له قد هُيِىءَ له ، فإذا استفرغ وُسَعه فيه برز على غيره ، وفاق الناس فيه وصار كما قيل :

مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ   لَـهُ طَرِيقٌ إِلَى الْعَلْيَـاءِ مُخْتَصَرٌ

وهذا كالمريض الذي يشكو وجع البطن مثلا [٥٨/ ب] إذا استعمل دواء ذلك الداء انقطع به ، وإذا استعمل دواء وجع الرأس لم يصادف داءه ، فالشح المطاع مثلا من المهلكات ، ولا يزيله صيام مائة عام ولا قيام ليلها ، وكذلك داء اتباع الهوى والإعجاب بالنفس لا يلائمه كثرة قراءة القرآن ، واستفراغ الوسع في العلم والذكر والزهد ، وإنما يزيله إخراجه من القلب بضده .

ولو قيل : أيما أفضل الخبز أو الماء ؟ لكان الجواب : أن هذا في موضعه أفضل . وهذا في موضعه أفضل .

وإذا عرفت هذه القاعدة فالشكر ببذل المال عمل صالح يحصل به للقلب حال وهو زوال البخل والشح بسبب خروج الدنيا منه ، فتهيأ لمعرفة الله ومحبته

---

(١) **صحيح** : مسلم (١٨٢٦) أبو داود (٢٨٦٨) النسائي (٦/ ٢٥٥) أحمد (٥/ ١٨٠) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعًا .

(٢) فيه خلاف : سبق تخريجه .

(٣) **صحيح** : البخاري (٦١١٦) الترمذي (٢٠٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٤) **صحيح** : الترمذي (٣٣٧٥) ابن ماجه (٣٧٩٣) أحمد (٤/ ١٨٨) ابن حبان (٢٣١٨ موارد) الحاكم (١/ ٤٩٥) من حديث عبد الله بن بسر ﷺ مرفوعًا . من طريق عمرو بن قيس الكندي السكوني الحمصي عنه به .

فهو دواء للداء الذي في القلب يمنعه من المقصود .

وأما الزاهد ، فقد استراح من هذا الداء والدواء وتوفرت قوته على استفراغ الوسع في حصول المقصود .

ثم أوردوا على أنفسهم سؤالا ، فقالوا : فإن قيل : فقد حثَّ الشَّرعُ على الأعمال ، وانفصلوا عنه بأن قالوا : [٥٩/ أ] الطبيب إذا أثنى على الدواءِ لم يَدُل على أن الدواء يراد لعينه ولا أنه أفضلُ من الشفاء الحاصل به ، ولكن الأعمال علاجٌ لمرض القلوب ومرضُ القلوب مما لا يشعر به غالبا ، فوقع الحثُّ على العملِ المقصود وهو شفاء القلب فالفقير الآخذُ لصدقتك يستخرجُ منك داءَ البخل كالحجام يستخرجُ منك الدَّمَ المُهلِكَ .

قالوا : وإذا عُرِف هذا عُرِفَ أن حال الصابر حال المحافظ على الصحة والقوة وحال الشاكر حال المتداوي بأنواع الأدوية لإزالة مواد السقم .

فصل

قال الشاكرون : لقد تعديتم طوركم وفضلتم مقاما غيره أفضل منه ، وقدمتم الوسيلة على الغاية ، والمطلوب لغيره على المطلوب لنفسه ، والعمل الكامل على الأكمل والفاضل على الأفضل ، ولم تعرفوا للشكر حقه ولا وفيتموه مرتبته .

وقد قرن تعالى ذكره الذي هو المراد من الخلق بشكره وكلاهما هو المراد بالخلق والأمر ، والصبر خادم لهما ووسيلة إليهما ، وعون عليهما ، قال تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢][٥٩/ ب]

وقرن سبحانه الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروه وآمنوا به فقال تعالى : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [النساء : ١٤٧] أي : إن وفيتم ما خُلِقتُم له ، وهو الشكر والإيمان ، فما أصنعُ بعذابكم بعد هذا .

وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٣]

وقسم الناس إلى شكور وكفور ، فأبغضُ الأشياء إليه الكفرُ وأهلُه وأحبُّ الأشياء إليه الشكر وأهله ، قال تعالى في الإنسان : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٣] وقال نبيه سليمان عليه السلام : ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : ٤٠]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] **وقال** [٦٠ / أ] **تعالى** : ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧]

وهذا كثير في القرآن يقابل سبحانه بين الشكر والكفر ، فهو ضده ، **قال تعالى** : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

والشاكرون : هم الذين ثبتوا على نعمة الإيمان ، فلم ينقلبوا على أعقابهم ، وعلق سبحانه المزيد بالشكر ، والمزيد منه لا نهاية له ، كما لا نهاية لشكره .

وقد وقف سبحانه كثيرا من الجزاء على المشيئة كقوله : ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾ [التوبة : ٢٨] وقوله في الإجابة : ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ [الأنعام : ٤١] وقوله في الرزق : ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ وقوله في المغفرة : ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ١٢٩] وقوله في التوبة : ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ [التوبة : ١٥] وأطلق جزاء الشكر إطلاقا حيث ذكر ، كقوله : ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٥]

ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر ، وأنه أجل المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى في [٦٠/ ب] قطع الناس عنه ، فقال : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧] وقد وصف الله سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] وذكر الإمام أحمد - رحمه الله - عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع رجلا يقول : اللهم اجعلني من الأقلين فقال : ما هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن الله قال : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود : ٤٠]

وقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ ، وقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡ ﴾ [ص : ٢٤] ، فقال عمر ﷺ صدقت[1].

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر فقال : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ [الإسراء : ٣] وفي تخصيص نوح هاهنا بالذكر وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به ؛ فإنه أبوهم الثاني ، فإن الله تعالى لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلًا إلا من ذريته ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] فأمر الذرية [٦١/ أ] أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر ، فإنه كان عبدًا شكورا .

وقد أخبر سبحانه إنما يعبده من يشكره ، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال : ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٢]

وأمر عبده موسى ﷺ أن يتلقى ما آتاه من النبوة والرسالة والتكليم بالشكر ، فقال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] وأول وصية وصى

---

(١) **ضعيف** : أحمد (٥٩٢ الزهد) عن عمر بن الخطاب ﷺ في إسناده علي بن زيد بن جدعان عنه به . علي ابن زيد لم يدرك عمر ﷺ ، سبق له ترجمة .

الله بها الإنسان بعد ما عقل عنه الشكر له وللوالدين ، فقال : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤]

وأخبر أن رضاه في شكره ؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧] وأثنى سبحانه على خليله إبراهيم بشكر نعمه فقال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل : ١٢٠- ١٢١] فأخبر سبحانه عنه بأنه أمة ، أي : قدوة يؤتم به في الخير وأنه قانتا لله ، والقانتُ : هو المطيعُ المقيم على طاعته ، والحنيف : هو المقبل على الله المعرضُ عما سواه ثم ختم له بهذه الصفات بأنه شاكر لأنعمه ؛ فجعل الشكر غاية خليله ﷺ .

وأخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من خلقه وأمره ، بل [٦١/ ب] هو الغاية التي خلق عبيده لأجلها فقال : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨] فهذا غاية الخلق وأما غاية الأمر فقال : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] ، فيجوز أن يكون قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ تعليلا لقضائه لهم بالنصر ولأمره لهم بالتقوى ، ولهما معا ، وهو الظاهر ، فالشكر غايةُ الخلق والأمر ، وقد صرح سبحانه بأنه غاية أمره وإرساله الرسول في قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ۝ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾
[البقرة : ١٥١-١٥٢]

قالوا : فالشكر مراد لنفسه ، والصبر مراد لغيره ، والصبر إنما حُمد لإفضائه وإيصاله إلى الشكر ، فهو خادم الشكر ، وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ

أنه قام حتى تفطرت قدماه ، فقيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! قال : « **أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا** »[١]. وثبت في المسند « والترمذي » أن النبي ﷺ قال لمعاذ : « **وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ [٦٢/ أ] وَشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِك** »[٢].

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا أبو معاوية وجعفر بن عون ، عن هشام بن عروة عن ابن المنكدر قال : كان من دعاء النبي ﷺ « **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** »[٣].

قال وحدثنا محمود بن غيلان حدثنا المؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمه حدثنا حميد الطويل عن طلق بن حبيب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لا تبغيه خونا في نفسها ولا في ماله »[٤].

---

(١) **صحيح**: البخاري (١١٣٠) ، مسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ مرفوعًا .

(٢) **صحيح**: أبو داود (١٥٢٢) النسائي (٣/ ٥٣) أحمد (٥/ ٢٤٥) ابن حبان (٢٣٤٥ موارد) الحاكم (١ / ٢٧٣) أبو نعيم (١/ ٣٠٥ حلية) ولم أقف عليه عند الترمذي ! من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا .

(٣) **الإسناد إلى محمد بن المنكدر صحيح وهو لم يدرك النبي ﷺ**: ابن أبي الدنيا (٤ الشكر) عن محمد بن المنكدر قوله ، والحديث أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩) قال : قرأت على أبي قرة الزبيدي (موسى بن طارق) عن موسى بن عقبة ، عن أبي صالح السمان (ذكوان) وعطاء بن يسار أو أحدهما عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . فذكره . وعند الحاكم (١/ ٤٩٩) من طريق خارجة بن مصعب السرخسي عن موسى بن عقبة عن محمد ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا . فذكره . قلت : في إسناد أحمد ، موسى بن طارق : ثقة - يغرب (تقريب ٦٩٦٧) وفي إسناد الحاكم ، خارجه بن مصعب - أبو الحجاج السرخسي : متروك ، وكان يدلس عن الكذابين ، ويقال : أن ابن معين كذبه (تقريب ١٦٠١) .

(٤) **إسناد ضعيف**: ابن أبي الدنيا (٣٤ الشكر والصبر) الطبراني (١١٢٧٥ كبير - ٧٣٥١ الأوسط) أبو نعيم (٣/ ٧٧ حلية) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا . في إسناده : المؤمل بن إسماعيل العدوي عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن طلق بن حبيب عنه به . المؤمل بن إسماعيل العدوي : صدوق مشهور . وثق . وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : في حديثه خطأ كثير (المغني ٦٥٤٨) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - سيئ الحفظ (تقريب ٧٠١٩) وقال محمد بن نصر المروزي : إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقف ويتثبت فيه لأنه كان سيئ الحفظ - كثير الخطأ (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨١) .

وذكر أيضًا من حديث القاسم بن محمد عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها وما علم الله من عبده ندامة على ذنب إلا غفر الله له قبل أن يستغفره وإن الرجل يشترى الثوب بالدينار فيلبسه فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له[1].

وقد ثبت في صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال : « **إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأْكُلُ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا** »[2] فكان هذا الجزاء العظيم الذي هو أكبر أنواع الجزاء [٦٢/ ب] كما قال تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة : ٧٢] في مقابلة شكره بالحمد .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن صالح حدثنا أبو زهير يحيى بن عطارد القرشي عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يرزقُ الله عبدًا الشُكرَ فيحرمه الزيادَة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ »[3]

---

(١) **ضعيف جدًا** : ابن أبي الدنيا (٤٧ الشكر) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا . في إسناده : هشام ابن زياد عن أبي الزناد عن القاسم بن محمد عنها به . هشام بن زياد - أبو المقدام - متروك (تقريب ٧٢٨١) وله طريق آخر عند الحاكم (١/ ٥١٤) من طريق محمد بن جامع العطار ثنا السكن ابن أبي السكن البرجمي ثنا الوليد بن أبي هشام عن القاسم بن محمد عنها به . قال الحاكم : هذا حديث لا أعلم في إسناده أحدًا ذكر بجرح ولم يخرجاه ، وخالفه الذهبي وقال : بل قال ابن عدي : محمد بن جامع العطار ، لا يتابع على أحاديثه .ا.هـ . محمد بن جامع العطار . قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وقال أبو زرعة : ليس بصدوق (الجرح والتعديل ٧/ ٢٢٣) .

(٢) **صحيح** : مسلم (٢٧٣٤) الترمذي (١٨١٦) أحمد (٣/ ١٠٠ - ١١٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا .

(٣) **قال الذهبي** : وهو مرسل ، لا ، بل معضل . ابن أبي الدنيا (٣ الشكر) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٣) من طريق عبد الله بن صالح (كاتب الليث) ثنا أبو زهير يحيى بن عطارد القرشي عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ فذكر . في السير ، قال إبراهيم بن ديزل : حدثنا خلف بن الوليد أبو المهنى حدثنا الليث بن سعد عن عبد الله بن صالح ، عمن أخبره ، يرفع الحديث إلى النبي ﷺ . فذكره . قال ابن ديزل : ثم لقيت أبا صالح فقال : أنا حدثت الليث بهذا ، قلت فمن حدثك ؟ قال : يحيى بن عطارد بن مصعب عن أبيه قال رسول الله ﷺ . قال الذهبي : وهو مرسل ، لا ، بل معضل . عبد الله بن صالح - كاتب الليث - مكثر ، صالح الحديث . له مناكير والصحيح أن البخاري روى عنه في الصحيح وروى عنه ابن معين .=

وقال الحسن البصري: إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا[1] ، ولهذا كانوا يسمون الشكر الحافظ ، لأنه يحفظ النعم الموجودة والجالب ؛ لأنه يُجلِبُ النِّعمَ المفقودة .

وذكر ابن أبى الدنياعن على بن أبى طالب ﷺ أنه قال لرجل من همذان : إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر متعلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن ، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد[2].

وقال عمر بن عبد العزيز: قيدوا نعم الله بشكر الله[3] ، وكان يقال : الشكر قيد النعم ، وقال مطرف بن عبد الله : لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبتلى فأصبر[4] .

وقال الحسن: أكثروا ذكر هـذه النعم ، فإن ذكرها شكر[5] وقـد أمر الله تعالى

= قال أبو زرعة : كان حسن الحديث . وقال الفضل الشعراني : ما رأيته إلا يحدث أو يسبح . وقال ابن عدي : هو عندي مستقيم الحديث وله أغاليط ، وقال أبو حاتم : لم يكن يكذب . وأما الحافظ جزرة فقال : كان يكذب ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال غيره : ضعيف (المغني ٣٢١٨) . يحيى بن عطارد بن مصعب . لم أقف له على ترجمة إلا في من روى عنهم عبد الله بن صالح كاتب الليث . والله أعلم ، وله شاهد عنده المقدسي (١٧ الترغيب في الدعاء) من طريق ورقاء عن ثابت عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ((من ألهم خمسة لم يحرم خمسة ... ومن ألهم الشكر لم يحرم الزيادة) (إسناده حسن) . ورقاء هو ابن عمر اليشكري : صدوق . في حديث عن منصور لين (تقريب ٧٣٩٢) .

(١) **إسناده حسن** ابن أبي الدنيا (١٧ الشكر) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالى . في إسناده : مبارك ابن فضالة عنه به . مبارك بن فضالة . قال أبو بكر المروذي عن أحمد بن حنبل : ما روى عن الحسن يحتج به (تهذيب الكمال ٧/ ٢٧) .

(٢) **معضل** ابن أبي الدنيا (١٨ الشكر) قال : حدثني محمد بن إدريس (أبو حاتم الرازي . قال : يروى عن علي ﷺ فذكره . قلت : بين محمد بن إدريس وعلى بن أبي طالب : مفاوز .

(٣) **إسناده ضعيف** ابن أبي الدنيا (٢٧ الشكر) أبو نعيم (٥/ ٣٧٤ حلية) البيهقي (٤٢٢٦ شعب) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قوله . في إسناده : عبد الله بن خراش ثنا يزيد بن يزيد عنه به . عبد الله ابن خراش : ضعفه أبو زرعة ، وأبو حاتم والبخاري (تهذيب الكمال ٤/ ١٢٠) .

(٤) **إسناده صحيح إلى مطرف بن عبد الله بن الشخير** أحمد (١٣٥٥ - ١٣٥٩ الزهد) ابن أبي الدنيا (٢٨ الشكر) من قول مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى .

(٥) **إسناده ضعيف إلى الحسن البصري** ابن المبارك (١٤٣٤ الزهد) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن قال : فذكره . مبارك بن فضالة : سبق له ترجمة .

نبيه ﷺ أن يحدث بنعمة ربه فقال : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ والله تعالى يحب من عبده أن يرى عليه أثر نعمته ، فإن ذلك شكرها بلسان الحال .

وقال علي بن الجعد : سمعت سفيان الثوري يقول : إن داود عليه الصلاة والسلام قال : الحمد لله حمدا كما ينبغي لكرم وجه ربي عز جلاله [٦٣/ أ] فأوحى الله إليه : يا داود أتعبت الملائكة[١] ، وقال شعبة : حدثنا المفضل بن فضالة عن أبى رجاء العطاردي قال : خرج علينا عمران بن الحصين وعليه مطرف خز لم نره عليه قبل ولا بعد ، فقال : إن رسول الله ﷺ قال : ((**إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَته عَلَى عَبْدِهِ**))[٢] وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : ((**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصدَّقُوا فِي غَيرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىَ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**))[٣].

---

(١) **إسناده حسن إلى سفيان الثوري** : ابن أبي الدنيا (٣٧ الشكر) قال : حدثنا علي بن الجعد : سمعت سفيان الثوري وذكر داود النبي ﷺ . فذكره .

(٢) **صحيح لما بعده** : أحمد (٤/ ٤٣٨) ابن أبي الدنيا (٥٠ الشكر) من حديث عمران بن حصين ﷺ مرفوعًا .
في إسناده : روح بن عبادة ثنا شعبة عن الفضيل بن فضالة (رجل من قيس) عن أبي رجاء العطاردي عنه به . الفضيل بن فضالة – قال علي بن المديني : لا نعرف أحداً روى عن هذا الشيخ غير شعبة ، وقال ابن معين : ثقة (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٨) .

(٣) **صحيح لما قبله** : الترمذي (٢٨١٩) الجملة الأخيرة فقط . النسائي (٥/ ٧٩) ابن ماجة (٣٦٠٥) الجملة الأولى فقط . أحمد (٢/ ١٨٢) الحاكم (٤/ ١٣٥) ابن أبي الدنيا (٥١ الشكر) واللفظ لهم من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا . همام بن يحيى : ثقة مشهور . قال أبو حاتم : ثقة في حفظه شيء ، وكان القطان لا يرضى حفظه ، وقال أحمد بن حنبل : كان يحيى بن سعيد (القطان) لا يستخف همامًا ، وما رأيت أسوأ رأياً في أحد منه . في حجاج بن أرطأة ، ومحمد بن إسحاق وهمام ، لا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم (المغني ٦٧٦٩) . قتادة بن دعامة : ثقة حافظ – لكنه يدلس (المغني ٥٠٢٩) . قلت : ولم يصرح بالسماع . عمرو بن شعيب : مختلف فيه ، وحديثه حسن وفوق الحسن . قال يحيى القطان : إذا روى عنه ثقة فهو حجة ، وقال أحمد : ربما احتججنا به ، وقال البخاري : رأيت أحمد وإسحاق وأبا عبيد وعامة أصحابنا يحتجون به فمن الناس بعدهم ؟ قلت : (أي الذهبي) : ومع هذا القول فلم يحتج به في صحيحه ، وقال ابن معين : ليس بذاك ، وهو ثقة في نفسه ، إنما بُلي بكتاب أبيه عن جده ، وقال أبو زرعة : إنما أنكروا عليه أنه روى صحيفة كانت عنده ، وقال أحمد : ربما وجس في القلب منه ، وله مناكير (المغني ٤٦٦٣) .

وذكر شعبة، عن أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئة فقال: « **هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ ؟** » قال: قلت: نعم. قال: « **مِنْ أَيِّ الْمَالِ ؟** » قلت: من كل المال قد آتاني الله من الإبل والخيل والرقيق والغنم، قال: « **فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ** »(١). وفي بعض المراسيل: إن الله يحبُ أن يَرى أَثَر نعمته على عبدِه في مأكلِه ومشرَبه(٢).

وروى عبد الله بن يزيد المقرئ؛ عن أبى معمر، عن بكر بن عبد الله، يرفعه!! من أُعطى خيرًا فُرؤى عليه سُمّى حبيب الله [٦٣/ ب] مُحَدثا بنعمة الله، ومن أعطىَ خيرًا ولم يُرَ عليه سمى بغيضَ الله معاديا لنعمة الله (٣).

وقال فضيل بن عياض: كان يقال من عرفَ نعمة الله بقلبه وحمده بلسانِه لم يستتم ذلك حتى ترى عليه الزيادة يقول الله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٤) وقال: مِن شُكْر النِّعمة أن يُحدِّث بِها، وقد قال تعالى: « يا ابن آدم، إذا كنت تتقلب في نعمتي وأنت تَتَقَلَّبُ في معصِيَتى فاحذرني لأصرعك بين معاصي، يا

---

(١) **إسناده صحيح**: أبو داود (٤٠٦٣) الترمذي (٢٠٠٦) النسائي (٨/ ١٩٦) أحمد (٣/ ٤٧٣) ابن أبي الدنيا (٥٢ الشكر) من حديث مالك بن نضلة ﷺ مرفوعًا. من طريق، زهير وسفيان وإسماعيل بن أبي خالد ومعمر وشعبة عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن أبيه مالك بن نضلة ﷺ مرفوعًا.

(٢) **إسناده ضعيف جدًا**: والمتن له شاهد من الحديث السابق. ابن أبي الدنيا (٥٣ الشكر) من طريق عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج عن على بن زيد بن جدعان قال: قال رسول الله ﷺ. فذكره. عبد المجيد بن عبد العزيز: صدوق يخطئ، أفرط ابن حبان فقال: متروك (تقريب ٤١٥١). على بن زيد بن جدعان: سبق له ترجمة.

(٣) **مرسل - ضعيف**: ابن أبي الدنيا (٥٤ الشكر) حدثني سويد بن سعيد، حدثني عبد الله بن يزيد المقرئ عن أبي معمر عن بكر بن عبد الله (المزني) يرفعه. سويد بن سعيد: صدوق في نفسه، إلا أنه عمى فصار يتلقن ما ليس من حديثه، وأفحش فيه ابن معين القول (تقريب ٢٦٨٥) بكر بن عبد الله المزني: لم يدرك النبي ﷺ فالإسناد منقطع.

(٤) **ضعيف من قول الفضيل بن عياض**: ابن أبي الدنيا (٥٦ الشكر) من طريق إبراهيم بن الأشعث عنه به. إبراهيم بن الأشعث. قال أبو حاتم: كان صاحب الفضيل بن عياض، يروى عنه الرقاق - يعزب ويتفرد، فيخطئ ويخالف (لسان العرب ١/ ٢٣).

ابن آدم اتقني وَنَم حيثُ شِئتَ[١] ، وقال الشعبي : الشُّكْرُ نصفُ الإيمانِ والصبر نصف الإيمان واليقين الإيمانُ كلُّه[٢].

وقال أبو قلابة : لا تضركم دنيا شكرتموها[٣] ، وقال الحسن : إذا أنعم الله على قوم سألهم عن الشكر ، فإذا شكروه كان قادرا على أن يزيدهم ، وإذا كفروه كان قادرا على أن يقلب نعمته عليهم عذابا[٤].

وقد ذم الله سُبحانه الكنود ، وهو : الذي لا يَشْكُرُ نِعمَهُ قال الحسن ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] يعدد المصائب وينسى النعم[٥].

وقد أخبر النبي ﷺ أن النساء أكثر أهل النار بهذا السبب ، قال : « **لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ سوءًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطّ** »[٦] [٦٤/ أ] فإذا كان هذا بترك شكر نعمة الزوج وهي في الحقيقة من الله ، فكيف بمن تَرَكَ شكر نعمة الله ؟!

يَا أَيُّهَـــا الظَـــالِمُ فِـــي فِعْلِـــهِ   وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَـى مَنْ ظَلَم
إِلَى مَـــتَى أَنْتَ وَحَـــتَّى مَـــتَى   تَشْكُو المُصِيبَاتِ وتَنْسَى النِّعَم

---

(١) **إسناده ضعيف أيضًا إلى الفضيل بن عياض** : ابن أبي الدنيا (٥٦ الشكر) بنفس الإسناد السابق .

(٢) **إسناده حسن إلى الشعبي** (عامر بن شرحبيل) ابن أبي الدنيا (٥٧ الشكر) حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب القرشي ثنا أبو عوانة عن المغيرة (ابن مقسم) عنه به .

(٣) **إسناده صحيح إلى أبي قلابة** : (عبد الله بن زيد الجرمي) ابن أبي الدنيا (٥٩ الشكر) حدثنا سريج بن يونس ثنا عبد الوهاب الثقفي عن أيوب (ابن أبي تميمة ، كيسان السختياني) عنه به .

(٤) إسناده إلى الحسن البصري صيح - بلاغ : ابن أبي الدنيا (٦٠ الشكر) حدثنا سريج ثنا روح (ابن عباده) ثنا عوف (ابن أبي جميلة العبدي) عن الحسن قال : بلغني أن الله ﷻ . فذكره .

(٥) **إسناده إلى الحسن بن أبي الحسن البصري صحيح** : ابن جرير (٣٠/ ١٨٠ تفسير) ابن أبي الدنيا (٦٢ الشكر) قال ابن جرير : ثنا وكيع ، وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خالد بن خداش ، قالا : ثنا مهدي بن ميمون عن شعيب بن الحباب عنه به . خالد بن خِدَاش - قال أبو حاتم وغيره : صدوق ، وقال ابن معين : ضعيف (المغني ١٨٤١) ، وقال الحافظ بن حجر : صدوق يخطئ (تقريب ١٦١٣) . قلت : وقد تابعه وكيع بن الجراح - ثقة حافظ (تقريب ٧٤٠٣) .

(٦) **صحيح** : البخاري (١٠٥٢) مسلم (٩٠٧) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا .

ذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبد الرحمن السلمي ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله ﷺ : « التَّحديثُ بِالنِّعَمِ شُكر ، وتَرْكُها كُفْر ، وَمَنْ لاَ يشكر القليلَ لا يشكر الكثيرَ ، وَمَنْ لا يشكُرْ النَّاسَ لاَ يشكُرُ الله : والجماعةُ بَرَكةٌ ، والفُرْقَةُ عذابٌ »[1] ، وقال مُطرف بن عبد الله : نظرت

---

(١) **إسناده ضعيف من هذا الوجه** : أحمد (٤/ ٢٧٨ - ٣٧٥) ابن أبي الدنيا (٦٤ الشكر) من طريق أبي وكيع (الجراح بن مليح) عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي (عامر بن شرحبيل) عن النعمان بن بشير ﷺ مرفوعًا . قال ابن كثير : إسناده ضعيف (٤/ ٥٢٣ تفسير) الجراح بن مليح ، والد وكيع : صدوق وقال الدارقطني : ليس بشيء (المغني ١١٠٣) ، وقال الحافظ بن حجر : صدوق يهم (تقريب ٩١٢) وأبو عبد الرحمن ليس بالسلمي كما ذكر إنما هو آخر . أبو عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : لا يشكر الله من لا يشكر الناس . روى عنه أبو وكيع ، ولا يتابع في هذا (الجرح والتعديل ٩/ ٤٠٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وله شاهد بدون والجماعة بركة ، والفرقة عذاب عند أبي داود (٤٨١١) والترمذي (١٩٥٤) ، وأحمد (٢/ ٢٥٨ - ٢٩٥ - ٣٨٨٣٠٣ - ٤٦١) ابن حبان (٢٠٧٠ موارد) من الربيع بن مسلم حدثنا محمد بن زياد عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** » قال الترمذي رحمه الله تعالى : هذا حديث حسن صحيح ، وله شاهد أيضًا عند أحمد (٥/ ٢١١ - ٢١٢) من حديث الأشعث بن قيس ﷺ مرفوعًا . مثله . روى من طريقين : الأول من طريق سلم بن عبد الرحمن النخعي وعبد الله بن شبرمة عن أبي معشر زياد بن كليب عنه به . أبو معشر (زياد بن كليب عن الأشعث بن قيس : منقطع ، ولم أقف له على رواية عن الأشعث إلا هذه ، وأبو معشر من تلاميذ إبراهيم النخعي . انظر الجرح والتعديل (٣/ ٥٤٢) وتهذيب الكمال (٣/ ٥٦) ، وإبراهيم النخعي روى عن الأشعث بن قيس ولم يسمع منه (تهذيب الكمال ١/ ٢٧٤) . قلت : ولعله أخذه عنه . والله أعلم .

والطريق الثاني : من طريق عبد الله بن شريك العامري الكوفي عن عبد الرحمن بن عدي الكندي عنه بنحوه . عبد الله بن شريك العامري : وثقه أحمد وابن معين وغيرهما ، ولينه النسائي وقال الجوزجاني : كذاب (المغني ٣٢١٥) . عبد الرحمن بن عدي الكندي : مجهول (تقريب ٣٩٤٠) ، وله شاهد آخر تفرد به أبي داود (٤٨١٣ - ٤٨١٤) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا بمعناه .
روى من طريقين ، الطريق الأول من طريق عمارة بن غزية قال : حدثني رجل من قومي عنه به . قال أبو داود : رواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر . قال أبو داود : وهو شرحبيل يعني رجلًا من قومي ، كأنهم كرهوه فلم يسموه ا.هـ.
عمارة بن غَزِيّةَ : لا بأس به (تقريب ٤٨٤٨) . شرحبيل هو : ابن سعد - أبو سعد الخطمي : ضعفه يحيى ابن معين وأبو زرعة والنسائي والدارقطني ، وقال ابن أبي ذئب : حدثنا شرحبيل بن سعد ، وكان مُتهما ، وسئل مالك بن أنس عنه فقال : ليس بثقة (تهذيب الكمال ٣/ ٣٧٣) والطريق الثاني عبد الله بن =

في العافية والشكر ، فوجدت فيهما خير الدنيا والآخرة ، ولأن أُعافى فأشكرُ أحب إلى من أن أُبتَلَى فَأَصبر[١].

ورأى بكر بن عبد الله المزني حمالا عليه حمله وهو يقول : الحمد الله أستغفر الله قال : فانتظرته حتى وضع الحِمْلَة وقلت له : أما تحسن غير هذا ؟ قال : بلى ، أحسن خيرا كثيرا ، أقرأ كتاب الله ، غير أن العبد بين نعمة وذنب ، فأحمد الله على نعمائه السابغة وأستغفره لذنوبي ، فقلت : الحمال أفقه من بكر[٢].

وذكر الترمذي [٦٤/ ب]من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال : لقد قرأتها على الجن ليلة فكانوا أحسنَ رَدًّا منكم ، كُنتُ كُلَّما أتيت على قوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ قالوا : لا بشيءٍ من نِعَمِكَ رَبنا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ[٣].

= الجراح ثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال : من أبلى بلاء فذكره فقد شكر ، وإن كتمه فقد كفره . الأعمش – سليمان بن مهران . قال البزار : لم يسمع من أبي سفيان . يعني طلحة بن نافع . شيئًا (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٤) . أبو سفيان – طلحة بن نافع القرشي – قال على بن المديني : أبو سفيان لم يسمع من جابر إلا أربعة أحاديث ، وقال فيها : أبو سفيان يكتب حديثه وليس بالقوي ، وقال أبو حاتم عن شعبة : لم يسمع أبو سفيان من جابر إلا أربعة أحاديث . قلت : (ابن حجر) لم يخرج البخاري له سوى أربعة أحاديث عن جابر وأظنها التي عناها شيخه على بن المديني منها ، حديثان في الأشربة قرنه بأبي صالح ، وفي الفضائل حديث (اهتز العرش) كذلك والرابع في تفسير سورة الجمعة قرنه بسالم بن أبي الجعد ، وقال أبو بكر البزار : هو ثقة في نفسه (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧) .

(١) **إسناده صحيح إلى مطرف بن عبد الله** : سبق تخريجه

(٢) **إسناده ضعيف إلى بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى** : ابن أبي الدنيا (٦٦ الشكر) من طريق محمد بن نشيط (العامري) عنه به . محمد بن نشيط العامري : مجهول الحال (الجرح والتعديل ٨/ ١١٠) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلًا .

(٣) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٣٢٩١) ابن أبي الدنيا (٦٩ الشكر) الحاكم (٢/ ٤٧٣) ابن كثير (٤/ ٢٦٩ تفسير) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٨) من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – مرفوعًا . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد .ا.هـ. الوليد بن مسلم – أبو العباس ، الدمشقي : ثقة =

وقال مِسْعر : لما قيل لآل داود : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ : ١٣] لم يأتِ على القوم ساعة إلا وفيهم مصل(١).

وقال عون بن عبد الله : قال بعض الفقهاء : إني رأيتُ في أمري فلم أر خيرا إلا شر معه ، إلا المعافاة والشكر ، فَرُبَّ شاكرٍ في بلاءٍ، ورب معافى غير شاكر ،

= ، لكنه كثير التدليس والتسوية (تقريب ٧٤٤٥) . زهير بن محمد - التميمي ، المروزي . قال أحمد بن حنبل : كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ، ليس هو الذي يُروى عنه بالعراق ، كأنه رجل آخر ، قلبوا اسمه - يعني لما يروون عنه من المناكير ، قال الترمذي : وسمعت البخاري يقول : أهل الشام يروون عن زهير بن محمد ، مناكير ، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة (الترمذي ٣٢٩١) .

قال أبو حاتم : محله الصدق ، وفي حفظه سوء ، وحديثه بالشام أنكر من حديث أهل العراق ، وقال ابن عدي : زهير بن محمد التميمي العنبري أبو المنذر ، سكن مكة . قال النسائي : ليس بالقوي ، وسُئل ابن عدي عن هذا الحديث فقال : سرقه جماعة ، فحدثوا به عن الوليد . منهم : سليمان بن أحمد الواسطي ، وعلى بن حميل الرقي ، وعمرو بن مالك البصري ، وبركة بن محمد الحلبي (ميزان الاعتدال ٢/ ٦٧-٦٨) ، وله طريق آخر عند ابن جرير (٢٧/ ٧٢ تفسير) ابن كثير (٤/ ٢٦٩ تفسير) ابن أبي الدنيا (٦٨ الشكر) قال ابن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى (سَنْدُولا) وعمرو بن مالك البصري قالا ثنا يحيى بن سليم الطائفي عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعا . فذكره محمد بن عباد بن موسى (سندولا) قال إبراهيم بن عبد الله بن الجُنيّد : سألت بن معين عنه ، فلم يحمده ، وقال ابن عقدة : في أمره نظر (ميزان الاعتدال ٣/ ٥٦٤) (تهذيب الكمال ٦/ ٣٦٢) عمرو بن مالك - أبو عثمان البصري الراسبيُّ الغبري . قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : كتبت عنه أيام الأنصاري ، وقال لي علي بن نصر : كان كذا ، كأنه ضعفه ولم يكن صدوقا ، وترك أبي التحديث عنه وكذلك أبو زرعة ترك الرواية عنه (الجرح والتعديل ٦/ ٢٥٩) . قال الحافظ ابن حجر : ضعيف (تقريب ٥٠٩٣) قلت : وقد سبق أن ابن عدي عده ممن سرق هذا الحديث من الوليد بن مسلم وهو من شيوخه (يحيى بن سليم الطائفي - مشهور ، وثقه ابن معين ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال أحمد : رأيته يخلط في الأحاديث فتركته (المغني ٦٩٨٧) . قال الحافظ ابن حجر : صدوق - سيئ الحفظ (تقريب ٧٥٥٢) ، وذكره العجلي في تاريخ الثقات (ص ٧٣) .

(١) **إسناده صحيح إلى مسعر بن كدام**: ابن أبي الدنيا (٧٤ الشكر) حدثنا على بن الجعد (ابن عبيد الجوهري) أخبرني مزاحم بن زفر عن مسعر قال : فذكره . له شاهد عند ابن كثير (٣/ ٥٤٥ تفسير) من طريق ابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعني ابن سليمان عن ثابت البناني قال : كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرتهم هذه الآية : اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادي الشكور .

فإذا سألتم الله فاسألوهما جميعا[1].

وقال أبو أمامه ﷺ: لبس عمر بن الخطاب ﷺ قميصا ، فلما بلغ ترقوته قال : الحمد لله الذي كساني ما أُوارى به عورتي ، وأتجمَّل به في حياتي ، ثم مَدَّ يديه فنظر إلى كلِّ شيءٍ يزيدُ على يديه فقطعه ثم أنشأ يحدث ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من لبس ثوبًا أحسبه قال جديدا ، فقال : حين يبلغ ترقوته ، أو قال : قبل أن يبلغ ركبتيه مثل ذلك ، ثم عمد إلى ثوبه الخلق فكساه مسكينًا لم يزلْ في جوارِ الله ، وفي ذمّة الله ، وفي كنفِ الله حيًّا وَمَيِّتًا حيا وميتا حيا وميتا ما بقى من ذلك الثوَب سِلْك »[2].

---

(١) **إسناده ضعيف** : ابن أبي الدنيا (٧٧ الشكر) من طريق يزيد بن هارون عن المسعودي عنه به . المسعودي – عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود . قال محمد بن عبد الله بن نمير : كان ثقة ، فلما كان بآخره اختلط ، سمع منه عبد الرحمن بن مهدي ، ويزيد بن هارون . أحاديث مختلطة (تهذيب الكمال ٤/ ٤٢٨) .

(٢) **منكر** : ابن أبي الدنيا (٧٥ الشكر) الحاكم (٤/ ١٩٣) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعاً ، وليس أبو معاوية . في إسناده : عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد (الألهاني) عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة به . عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد – قال محمد بن يزيد المستملي : سألت أبا مسهر عنه ، فقال : صاحب كل معضله ، وإن ذلك على حديثه لبيّن ، وروى عثمان بن سعيد عن يحيى (يعني : ابن معين) قال : حديثه عندي ضعيف ، وروى عباس عن يحيى : ليس بشيء ، وقال ابن المديني : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : ليس بالقوى ، وشيخه على بن يزيد : متروك ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الأثبات ، وإذا روى عن على بن يزيد . أتى بالطامات ، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله ، وعلى بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم (ميزان الاعتدال ٣/ ٦ – ٧ المجروحين ٢/ ٦٢) ، وله طريق آخر عند الترمذي (٣٥٦٠) ابن ماجة (٣٥٥٧) أحمد (١/ ٤٤) من طريق يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ (ابن زيد الجهني) عن أبي العلاء الشامي قال : لبس أبو أمامة ثوبًا جديدًا ، فلما بلغ ترقوته قال : الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي ، وأتجمل به في حياتي ، ثم قال : سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول : فذكره . أصبغ بن زيد الجهني الواسطي الوراق – شيخ ليزيد بن هارون ، قال ابن عدي : له أحاديث غير محفوظة ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به ، ووثقه الدارقطني (المغني ٧٦٨) . أبو العلاء الشامي : لا يعرف اسمه . روى عن أبي أمامة الباهلي ﷺ في القول إذا استجد ثوبًا ، وعنه أصبح بن زيد الوراق (تهذيب التهذيب ١٢/ ١٩٢) وقال أيضًا : مجهول (تقريب التهذيب ٨٢٨٤) قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وقد رواه يحيى بن أيوب عن عبيد ابن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة (٣٥٦٠) .

وقال عون بن عبد الله: لبس رجلٌ قميصًا جديدا فحمدَ الله ؛ فغفر له ، فقال رجل : لا أرجع حتى أشترى قميصًا فألبسه وأحمدُ الله [(١)].

وقال شريح: ما أصيب عبدٌ بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاثُ نِعم : ألا تكون كانت في دينه وألا تكون أعظم [٦٥/ أ] مما كانت وأنها لا بد كائنه فقد كانت[(٢)].

وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: ما قَلَّب عمرُ بن عبد العزيز بصرَه إلى نعمة أنعم الله بها عليه إلا قال : اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمَتك كفرًا أو أن أكفرها بعد أن عرفتها ، وأن أنساها ولا أثنى بها[(٣)].

وقال روح بن القاسم: تنسك رجل فقال : لا آكُلُ الخبيصَ ، لا أقومُ بشكره ، فقال الحسن : هذا أحمق ، وهل يقومُ بشكرِ الماء البارد ؟[(٤)] ، وفي بعض الآثار الإلهية : يقول الله ﷻ: ((ابن آدم ، خيرى إليك نازلٌ وشرك إليَّ صاعدٌ أَتَحَبَّبُ إليك بالنّعم ، وَتَتَبَغَّضُ إليَّ بالمعاصي ، ولا يزالُ مَلَكٌ كريم قَد عَرَج إليَّ منك بعملٍ قبيحٍ))[(٥)].

---

(١) **إسناده ضعيف جدًّا إلى عون بن عبد الله**: ابن أبي الدنيا (٧٦ الشكر) من طريق خالد بن عمرو الأموي عن مسعر بن كدام عنه به . خالد بن عمر الأموي : رماه ابن معين بالكذب ، ونسبه صالح جزرة وغيره إلى الوضع (تقريب ١٦٥٠) .

(٢) **في إسناده من لم أقف على ترجمته وباقي رجاله ثقات**: ابن أبي الدنيا (٨٠ الشكر) حدثنا المفضل ابن غسان الغلابي ثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن شريح به . المفضل بن غسان الغلابي : لم أحصل على ترجمته . أبو مُسْهر - عبد الأعلى بن مُسهر - الغساني ، ثقة فاضل (تقريب ٣٧٣٠) . سعيد بن عبد العزيز - التنوخي الدمشقي - ثقة إمام (تقريب ٢٣٥٠) .

(٣) **إسناده صحيح إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز**: ابن أبي الدنيا (٦٧ الشكر) حدثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ابن جابر (عبد الرحمن بن يزيد بن جابر) عنه به . الوليد بن مسلم : قال أبو زرعة الدمشقي ، حدثني حماد كاتب الوليد بن مسلم قال : سمعت الوليد يقول : جالست ابن جابر سبع عشرة سنة (تهذيب الكمال ٧/ ٤٨٧) .

(٤) **إسناده صحيح إلى روح بن القاسم**: أحمد (١٤٩٢ الزهد) ابن أبي الدنيا (٧٢ الشكر) من طريق ابن عُلية (إسماعيل بن إبراهيم) عنه به .

(٥) وقفت عليه وفي إسناده من لم أحصل لهم على ترجمة ، وأيضًا فيه مبهم : ابن أبي الدنيا (٤٣ الشكر) حدثني أبو علي المدائني ثنا إبراهيم بن الحسن عن شيخ من قريش يكنى أبا جعفر عن مالك بن دينار قال : =

قال ابن أبي الدنيا : حدثني أبو على قال : كنت أسمع جارًا لي يقول في الليل : « يا إلهي خيرُك عَلَيَّ نازلٌ وشرّى إليك صاعدٌ ، كم من مَلك كريم قد صَعد إليك منى بعمل قبيح ، وأنت مع غناك عنى تَتَحبَّبُ إليَّ بالنّعم ، وأنا مع فقرى إليك وفاقتي أتمقَّتُ إليك بالمعاصي ، وأنت في ذلك تَجبُرني وتَستُرني وترزُقني »[1] ، وكان أبو المغيرة إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا محمد ؟ قال : أصبحنا مُغْرَقين في النِّعم عاجزين عن الشكر ، يتحبَّبُ إلينا ربنا وهو غنى عنا ، ونتمقَّتُ إليه ونحن إليه محتاجون[2].

وقال عبد الله بن ثعلبة : يا إلهي من كرمك كأنك تطاعُ ولا تُعصى ، ومن حلمك أنك تُعصى وكأنك لا تُرى ، وأي زمن لم يعصِك فيه سكانُ أرضِك

= قرأت في بعض الكتب : إن الله ﷻ يقول : فذكره . أبو على المدائني : لم أحصل على ترجمته . إبراهيم ابن الحسن عن شيخ من قريش يكنى أبا جعفر : لم أجده ، وأخرجه أبو نعيم في ترجمة وهب بن منبه (٤/ ٣١ الحلية) وفيه زيادات . قال حدثنا أحمد بن الحسن البغدادي حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن المخزومي حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكر بن عبد الله المزني عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب ، فوجدت الله تعالى يقول : فذكره . وهب بن منبه ، قال عمرو بن علي الفلاس : كان ضعيفاً (تهذيب التهذيب ١١/ ١٦٨) . قلت : والخبر من كتب أهل الكتاب وهو من الإسرائليات (مالك بن دينار : قال الأزدي : يعرف وينكر (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٥) .

(١) ابن أبي الدنيا (٤٤ الشكر) .

(٢) **في إسناده من لم أحصل على ترجمته** : ابن أبي الدنيا (٤٥ الشكر) أبو نعيم (٦/ ٦٧ الحلية) من طريق محمد بن الحسين (البرجلاني) ثنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي حدثني صغدي بن أبي الحجراء ، كنا ندخل على المغيرة (هو ابن حبيب) فذكره . إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي . قال ابن عدي : روى مناكير ولم أرى له حديثا منكرا يحكم عليه بالضعف . قلت (ابن حجر) : قال الخليلي في الإرشاد : مات وهو شاب لا يعرف له إلا أحاديث دون العشرة يروى عنه الهاشمي يعني جعفر بن عبد الواحد أحاديث أنكروها على الهاشمي وهو من الضعفاء (يعني الهاشمي) وقال ابن عدي : يمكن أن يكون من الراوي عنه ، وقال ابن حبان في الثقات : يتقي حديثه من رواية جعفر عنه (تهذيب التهذيب ١/ ١٤٠) . صغدي ابن أبي الحجراء : لم أجده إلا في ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي ، وهو من شيوخة . (انظر تهذيب الكمال ١/ ١٢٢) .

وأنت عليهم بالخير عَوّاد[1]. وكان معاوية بن قُرّة إذا لبس ثوبًا جديدًا قال : بسم الله والحمد لله ، وقال أنس بن مالك : ما مِن عَبدٍ تَوكّل بعبادِة الله إلا غَرَّمَ الله السماوات والأرضَ - يعنى : رِزقَهُ - فجعله في أيدي بنى آدم يعملونه حتى يُدفع عنهم إليه ، فإن العبد قبله أوجب عليه الشكر وإن أباه ، وجد[٦٥/ ب] الغنى الحميد عبادًا فقراء يأخذون رزقه ويشكرون له[2].

وقال يونس بن عبيد : قال رجل لأبى تميمة : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحتُ بين نعمتين لا أدرى أيتهما أفضل : ذنوبٌ سترها اللهُ ﷻ فلا يستطيع أن يُعيِّرني بها أحد ، ومودة قذفها الله لي في قلوبِ العبادِ لا يبلغها عملي[3].

---

(١) **إسناده حسن** : إلى عبد الله بن ثعلبة ولا أدري أهو عبد الله بن ثعلبة بن صعير حليف بني زهرة وكنيته أبو محمد ، أو أبو أمامة الحارثي ، وكلاهما ثقة (انظر الجرح والتعديل ٥/ ١٩-٢٠) ابن أبي الدنيا (٤٦ الشكر) أبو نعيم (٦/ ٢٦٥ حلية) من طريق عبد الصمد بن محمد عن أبيه عنه به . عبد الصمد بن محمد بن مقاتل - العبادني : صدوق (الجرح والتعديل ٦/ ٥٢) وأبيه هو محمد بن مقاتل - أبو جعفر العباداني - أحد المشهورين بالصلاح والفضل والسنة : صدوق - عابد (تهذيب الكمال ٦/ ٥٢٥) (تقريب ٦٣١٠) .

(٢) وقفت عليه مرفوعًا من حديث أنس ﷺ وفي إسناده مشكل تفرد به ابن أبي الدنيا . ابن أبي الدنيا (٤٩ الشكر) حدثني الهيثم بن خارجة ثنا عبد ربه بن عبد الله الفلسطيني عن هلال بن يزيد المدني عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال . فذكره . عبد ربه بن عبد الله الفلسطيني : لم أجد هذا الاسم ، إنما الذي وجدته هو . فلسطين أبو عبد رب الزاهد (الجرح والتعديل ٧/ ٩٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، قال الحافظ ابن حجر : أبو عبد رب - الدمشقي الزاهد ويقال : أبو عبد ربه ، أو عبد رب العزة ، قيل اسمه عبد الجبار ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل : قسطنطين ، وقيل : فلسطين وهو غلط (مقبول - تقريب ٨٢١٥) . هلال بن يزيد المدني : لم أجده ممن روى عن أنس بن مالك ﷺ ولم أقف على ترجمته أما الذي وجدته فهو ، هلال بن زيد بن بَوْلا - أبو عِقال : يروى عن أنس بن مالك ﷺ كان ممن يروى عن أنس ابن مالك أشياء موضوعة ما حدث بها أنس قَطْ منها رواية الثقات عنه ورواية الضعفاء جميعا ، لا يجوز الاحتجاج به بحال ولا ذُكر حديثه إلا على جهة الاعتبار (المجروحين ٣/ ٨٧) قلت : ولم يذكر أحداً أن ممن روى عنه عبد ربه بن عبد الله الفلسطيني ولا فلسطين أبو عبد رب الزاهد . والله أعلم .

(٣) **إسناده ضعيف** إلى أبي تميمة (طريف بن مجالد الهجيمي) ويونس بن عبيد لم يدرك أبو تميمة) ابن أبي الدنيا (٤٠ الشكر) من طريق خالد بن خداش ثنا حماد بن زيد عن عبد الله بن عمر التغلبي عن يونس ابن عبيد به . خالد بن خداش : سبق له ترجمة . عبد الله بن عمر التغلبي : لم أجد في شيوخ حماد بن زيد أحدًا بهذ الاسم ، وقد يكون والله أعلم . عبيد الله بن عمر العمري ، هو من شيوخه . يونس بن عبيد بن دينار العبدي . قال الإمام أحمد : لم يسمع من نافع شيئًا إنما سمع من ابن نافع عن أبيه ، وقال يحيى بن =

وروى ابن أبى الدنيا عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام ﷺ أن موسى ﷺ قال : يارب ما الشُّكرُ الذي ينبغي لك ؟ قال : لا يزالُ لسانُك رَطْبا من ذكري[1].

وروى سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ﷺ قال : دعا رجل من الأنصار من أهل قُباء النبي ﷺ فانطلقنا معه ، فلما طعِمَ وَغَسلَ يديه قال : الحمدُ لله الذي يُطْعِمُ ولا يُطعَم ، منّ علينا فهدانا ، وأطعمنا وسقانا ، وكُل بلاء حَسَنٍ أبلانا ، الحمد لله غير مُوَدَّع ربى ولا مكافأ ؛ ولا مكفور ، ولا مستغنى عنه، الحمدُ لله الذي أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسى من العُرى ، وهدى من الضلالة ، وبَصّرَ من العَمَى ، وَفضَّل على كثيرٍ ممن خَلَقَ تفضيلا ، الحمد لله رب العالمين[2].

وفي مسند الحسن بن الصلاح من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أنعم الله على عبدٍ نعمَةً في أهلٍ ولا مالٍ أو ولدٍ ، فيقول : ما شاء الله ، لا

= معين وأبو حاتم : لم يسمع منه شيئًا (تحفة التحصيل ١٢٣٦) قلت : أبو تميمة مات سنة خمس وتسعين على أحد الأقوال ، ومات نافع مولى ابن عمر سنة سبع عشرة ومائة ، أو بعد ذلك ، فكيف يكون له سماع . والله أعلم .

(١) **إسناده صحيح إلى عبد الله بن سلام** ﷺ : ابن أبي الدنيا (٣٩ الشكر) عبد الله بن المبارك (٩٤٢ الزهد) من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه (كيسان) عنه به .

(٢) **صحيح لغيرة** : النسائي (٣٠٣ عمل اليوم والليلة) ابن أبي الدنيا (١٥ الشكر) ابن حبان (١٣٥٢ موارد) الحاكم (١/ ٥٤٦) أبو نعيم (٦/ ٢٦١ حلية) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

في إسناده : بشر بن منصور الباهلي السليمي عن زهير بن محمد عن سهيل عن أبيه عنه به . زهير بن محمد : سبق له ترجمة ، وأذكر هنا بأن ما روى عنه أهل الشام فإنه مناكير ، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح ، وبشر بن منصور السليمي - أبو محمد البصري ، فالحديث صحيح ، وله أصل عند البخاري (٥٤٥٨ - ٥٤٥٩) من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعًا « الحمد لله كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه ، غير مَكْفِيّ ولا مُودَّع ولا مُستَغنى عنه ربنا ».

قوة إلا بالله ، فيرى فيه آفةً دون الموتِ »[١] ، ويذكر عن عائشة - رضى الله عنها- : أن النبي ﷺ دخل عليها فرآى كسرة ملقاةً فمسحها ، وقال : يا عائشة ، أحسني جوار نعمَ الله ، فإنها قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم[٢] ذكره ابن أبي الدنيا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا صالح عن أبى عمران الجوني عن أبى الخلد قال [٦٦/أ] قرأت في مسألة داود ﷺ أنه قال : يا رب كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمك ؟ قال : فأتاه الوحي : يا داود ، أليس تعلم أن الذي بك من النعم منى ؟ قال : بلى يا رب . قال : فإني أرضى بذلك منك شكرًا[٣] ، وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو موسى الأنصاري ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز قال كان من دعاء داود سبحان مستخرج

---

(١) **ضعيف**: الطبراني (١/ ٢١٢ صغير) ابن السني (٣٥٧ عمل اليوم والليلة) ابن كثير (٣/ ٨٦ تفسير) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . في إسناده : عيسى بن عون - ابن عمرو بن حفص بن الفرافصة - عن عبد الملك بن زرارة الأنصاري عنه به . عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة ، قال الأزدي : لا يصح حديثه ... وقد ضعف الأزدي شيخه كما سيأتي (ميزان الاعتدال ٣/ ٣٠٨) ، وقال أبو حاتم : مجهول ، وقال أيضًا عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال : عيسى بن عون : ثقة (الجرح والتعديل ٦/ ٢٨٣) . عبد الملك بن زرارة : مستور (الجرح والتعديل ٥/ ٣٥٠) ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . قال الأزدي : لا يصح حدَيثه (ميزان ٢/ ٥٠٥) .

(٢) **منكر**: ابن ماجة (٣٣٥٣ ابن أبي الدنيا (٢ الشكر) من حديث عائشة رضي الله عنهما مرفوعًا في إسناده : الوليد بن محمد الموقري عن الزهري عن عروة عنها به . الوليد بن محمد الموقري : سبق له ترجمة .

(٣) **إسناده ضعيف إلى أبي الجلد**- جيلان بن فروة - أحمد (٣٧٣ الزهد) ابن أبي الدنيا (٥ الشكر) أبو نعيم (٦/ ٥٦ حلية) من طريق صالح - ابن بشير - المرُي عن أبي عمران الجوني - عبد الملك بن حبيب الأزدي - عنه به . صالح بن بشير المري . قال البخاري : منكر الحديث ١٦٥ الضعفاء الصغير) وقال النسائي : متروك الحديث (الضعفاء والمتروكين ٣٠٠) وضعفه ابن معين والدارقطني ، وقال أحمد : هو صاحب قصص ، ليس هو صاحب حديث ، ولا يعرف الحديث ، وقال الفلاس : منكر الحديث جدًّا ، وقد روى عباس عن يحيى : ليس به بأس ، لكن روى خمسة عن يحيى جَرْحَهُ ، وروى حاتم بن الليث عن عفان قال : كنا نحضر مجلس صالح ، فإذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يُفرعك أمْرهُ من حزنه وكثرة بُكائه كأنه ثكلى ، وكان شديد الخوف من الله ﷻ (ميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٣) .

الشكر بالعطاء ومستخرج الدعاء بالبلاء[١].

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثني الأعمش عن المنهال عن عبد الله ابن الحارث قال : أوحى الله إلى داود : أحبَّني وأحبّ عبادي وَحبِّبني إلى عبادي ، قال : يا ربّ هذا حبُّك وحبُّ عبادك ، فكيف أحَبِّبُكَ إلى عبادِك ؟ قال : تذكرني عندهم ، فإنهم لا يذكرون مني إلا الحَسَن[٢]. فَجَلَّ جلالُ ربِّنا وتبارك اسمُه وتعالى جدُّه وتقدَّست أسماؤه وجلّ ثناؤه ولا إله غيره .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق بن عمران قال : سمعت وَهْبًا يقول : وجدت في كتاب آل داود : بعزتي إن من اعتصمَ بي فإن كادته السماوات بمن فيهن والأرضون بمن فيهن ، فإني أجعلُ له من بين ذلك مخرجا ، ومن لم يعتصم بي فإني أقطع يديه من أسباب السماء وأخسف به من تحت قدميه الأرضَ فأجعله في الهواءِ ، ثم أَكِلُهُ إلى نفسِه ، كفى بي لعبدي مالًا إذا كان عبدي في طاعتي أعطيتُه قبل أن يسألني ، استجبت له قبل أن يَدْعُوَني وإني أعلم بحاجته التي ترفق به من نَفْسِه[٣].

---

(١) **إسناده حسن** إلى سعيد بن عبد العزيز (التنوخي ، الدمشقي) أحمد (٤٠٣ الزهد) أبو نعيم (٦/ ١٣٤ الحلية) من طريق الوليد بن مسلم عنه به . الوليد بن مسلم : سبق له ترجمة . قلت : لا تضر عدم تصريحه بالسماع من سعيد ، فإن روايته عنه عند مسلم .ا.هـ.

(٢) **لم أقف على** إسناد ابن القيم – رحمه الله تعالى – ، ووقفت عليه بإسناد آخر أحمد (٣٧٢ الزهد) صحيح إلى أبي عبد الله الجدلي . حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب قال سمعت أبا عبد الله الجدلي رحمه الله تعالى قال : أوحى الله ﷻ إلى داود ﵇ : يا داود ، أحبني وأحب من يحبني ، وحبب إليّ عبادي ، قال : يارب كيف هذا أحبك وأحب من يحبك ، فيكف أحببك إلى عبادك ؟ قال : تذكرني فلا تذكر إلا حسنًا . عطاء بن السائب : اختلط ، وسماع سفيان بن عيينة منه قديم (تهذيب الكمال ٥/ ١٧٠) . أبو عبد الله الجدلي : اسمه عبد أو عبد الرحمن بن عبد : ثقة ، رمى بالتشيع (تقريب ٨٢٠٢) .

(٣) **لم أجده في كتاب الزهد** للإمام أحمد من الكتب التي بين أيدينا ، وإسناد المصنف فيه خطأ أظنه مطبعي . عبد الرزاق بن عمران ، إنما هو عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن عمرو كما هو في إسناد الزهد لابن المبارك من طريقه قال : أخبرنا معمر عن محمد بن عمرو قال : سمعت وهب بن منبه يقول فذكره .
ابن المبارك (٣١٨ الزهد) بنحوه . أحمد (٢٩٣ الزهد) قطعة منه أبو نعيم (٤/ ٤١ من طريق ابن المبارك) وأيضًا (٤/ ٢٩ الحلية) الزهد (٣ لأبي داود) كلهم من طريق وهب بن منبه به . إسناده إلى وهب بن منبه صحيح بمجموع طرقه . وهب بن منبه : سبق له ترجمة . وهذا الأثر ، روى مرفوعا أورد الألباني =

وقال أحمد: حدثنا سيار ثنا جعفر حدثنا حفص، حدثنا ثابت قال: كان داود عليه السلام قد جَزَّأ ساعات الليل والنَّهار على أهله، فلم يكن ساعةٌ من الليل أو النهار إلا وإنسان من آل داود قائمٌ يصلي فيها، قال فعمَّهم تبارك وتعالى في هذه الآية ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ ١٣][1].

قال أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا جابر بن زيد، عن المغيرة بن عيينة قال داود: يا رب هل بات أحدٌ من خلقك الليلة أطول ذكرا لك مني؟ فأوحى الله ﷻ إليه: نعم الضفدع، وأنزل الله [٦٦/ ب] عليه ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ فقال: يا رب كيف أطيقُ شكرَك وأنت الذي تُنعِمُ عليَّ ثم ترزُقني على النّعمةِ الشّكر، ثم تزيدني نعمةً بعد نعمة، فالنِّعَمُ منك والشكر مِنك، فكيف أطيقُ شكرك؟ قال: الآن عرفتني يا داود[2].

قال أحمـد: وحدثنا عبد الرحمن حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال: قال نبي الله داود: إلهي لو أن لِكلِّ شعرةٍ منى لسانين يسبحانِك الليلَ والنّهارَ

= رحمه الله تعالى (٦٨٨ الضعيفة) وحكم عليه بالوضع، قال: أخرجه تمام الرازي في (الفوائد ٥/ ٥٨/ ٢) من طريق يوسف بن السَّفْر عن الأوزاعي عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه مرفوعًا «أوحى الله ﷻ إلى داود النبي ﷺ: يا داود! ما من عبد يعتصم بي دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيده السماوات بمن فيها إلا جعلت له من بين ذلك مخرجًا، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني، أعرف منه نيته، إلا قطعت أسباب السماء بين يديه، وأرسخت الهوى من تحت قدميه، وما من عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسـ ـلني، وغافر له قبل أن يستغفر لي». قال الألباني - رحمه الله تعالى -: وهذا موضوع، المتهم به ابن السفر. فإنه ممن يضع الحديث كما تقدم، ولعله من الإسرائيليات التي تلقاها، كعب بن مالك عن بعض مُسلمة أهل الكتاب، ثم نسبه هذا الكذاب إلى رسول الله ﷺ.ا.هـ.

(١) إسناده صحيح إلى ثابت (البُنَاني) سبق ترجمة.

(٢) **إسناده حسن إلى المغيرة**: أحمد (٣٦٢ الزهد). حدثنا عبد الرحمن - ابن مهدي - حدثنا جابر بن زيد عن المغيرة بن عيينة به. المغيرة بن عيينة - ذكر في (الجرح والتعديل ٨/ ٢٢٧) (التاريخ الكبير ١/ ٤ - ٧/ ٣٢٢). قال ابن أبي حاتم: مغيرة بن عيينة بن نهاس العجلي، وقال البخاري: المغيرة بن عيينة بن عباس، وقال ابن المبارك كما في التاريخ الكبير: ابن النحاس، والله أعلم، ذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٤٦٥). جـابر، هو ابن يزيد بن رفاعة العجلي، وليس بابن زيد، قال الحافظ ابن حجر: صـدوق (تقريب ٨٨٣).

والدهرَ ما قضيت حقَّ نعمةٍ واحدةٍ[١] ، وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى عِمران الجوني عن أبى الجلد قال : قال موسى ﷺ : يا رب كيف لي أن أشكُرَك وأصغرُ نعمة وضعتها عندي من نعمِك لا تجازى بها عملي كله ؟ قال : فأتاه الوحي أن يا موسى الآن شكرتني[٢].

قال بكر بن عبد الله :ما قال عبد قط الحمدُ لله إلا وَجَبَت عليه نعمة بقولِه الحمدُ لله ، فجزاء تلك النعمة أن يقول : الحمد لله ، فجاءت نعمةٌ أخرى فلا تنفد نعم الله[٣] ، **وقال الحسن**: سمع النبي ﷺرجلًا يقول : الحمدُ لله بالإسلام ، فقال : « إنك لتحمد الله على نعمةٍ عظيمة »[٤] ، وقال خالد بن معدان : سمعت عبد الملك بن مـروان يقول ما قال عبد كلمةً أحب إلى الله وأبلغ في الشكر عنـده

---

(١) **إسناده ضعيف إلى الحسن البصري**: أحمد (٣٦١ الزهد) أخبرنا عبد الرحمن - ابن مهدي - حدثنا الربيع ابن صبيح عنه به . الربيع بن صبيح - البصري ، عن الحسن . قال أبو زرعة : صدوق ، وضعفه النسائي ، وابن معين ، وقال مرة : ليس به بأس ، وكان يحيى بن سعيد لا يرضاه وقال الفلاس : ليس بالقوي ، وقال الساجي : ضعيف الحديث . أحسبه كان يهم ، وكان عبدًا صالحًا ، وقال أبو حاتم : رجل صالح ، والمبارك - يعني ابن فضالة - أحب إلى منه ، وقال شعبة : من سادات المسلمين (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٨) ، وقال ابن حجر : صدوق . سيئ الحفظ (تقريب ١٨٨٣) .

(٢) **إسناده ضعيف إلى أبي الجلد**- جيلان بن فروة - ابن أبي الدنيا (٦ الشكر) أحمد (٣٤٩ الزهد) أبو نعيم (٦/ ٥٦ الحلية) من طريق صالح بن بشير المُري عن أبي عمران - عبد الملك بن حبيب - عنه به . صالح ابن بشير المُري : سبق له ترجمة .

(٣) **إسناده صحيح إلى بكر بن عبد الله المزني**: ابن أبي الدنيا (٧ الشكر) حدثنا عبد العزيز بن بحر أنبأنا أبا عقيل - عبد الله بن عقيل الثقفي - عنه به . عبد العزيز بن بحر . قال ابن عدي : ليس بمعروف (لسان الميزان ٤/ ٣١) . أبو عقيل : عبد الله بن عقيل الثقفي : موثق ، وقال الغلابي عن ابن معين : منكر الحديث (تهذيب التهذيب ٥/ ٣٢٣) ، وقال الحافظ بن حجر : صدوق (تقريب ٣٤٧٥) ، وله شاهد أيضًا عند ابن أبي الدنيا (٩٩ الشكر) حدثنا حمدون بن الخليل ثنا كثير بن هشام - أبو سهل الكلابي - عن عقبة بن أبي الصهباء عنه به . رجاله ثقات إلا حمدون بن الخليل ، لم أعثر له على ترجمة .

(٤) **مرسل** : ابن أبي الدنيا (٩ الشكر) حدثنا محمد بن عبد الله المديني حدثنا المعتمر بن سليمان قال : سمعت أبا الأشهب - جعفر بن حيان - عن الحسن قال : سمع نبي الله ﷺ رجلًا يقول فذكره . الحسن البصري : سبق له ترجمة .

من أن يقول : الحمدُ لله ، الذي أنعم علينا وهدانا للإسلام(١).

وقال سليمان التيمي : إن الله سبحانه أنعم على العباد على قدره ، وكلّفهم الشُّكْرَ على قُدْرَتِهِم(٢) ، وكان الحسن إذا ابتدأ حديثه يقول : الحمد لله ، اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعَلَّمتنا ، وأنقذتنا ، وفرجت عنا ، لك الحمد بالإسلام والقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كَبَتَّ عدونا ، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وجمعت فرقتنا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا ، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث أو سر أو علانية أو خاصة أو عامة أو حي أو ميت [٦٧/ أ] أو شاهدٍ أو غائبٍ ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمدُ إذا رضيت(٣).

وقال الحسن : قال موسى : يا رب كيف يستطيع آدم أن يؤدى شكر ما صنعت إليه ؟ خلقته بيدك ، ونفخت فيه من روحك ، وأسكنته جَنتك ، وأمرت الملائكة فسجدوا له ، فقال : يا موسى عَلِم أن ذلك مني ؛ فحمدني عليه ، فكان ذلك شُكْرُ ما صنعت إليه(٤).

---

(١) **إسناده حسن إلى عبد الملك بن مروان**: ابن أبي الدنيا (١٠ الشكر) حدثني محمد بن الفرج - ابن عبد الوارث - الفراء حدثنا محمد بن الزبرقان - أبو همام - عن ثور - ابن يزيد الرحبي - عن خالد بن معدان عنه به .

(٢) **في إسناده من لم أعثر على ترجمته** : ابن أبي الدنيا (٨ الشكر) حدثنا الحسن بن الصباح ثنا أبو يحيى الذهلي قال : قال سليمان التيمي - ابن طرفان - أبو المعتمر . أبو يحيى الذهلي : لم أعثر على ترجمته .

(٣) **إسناده حسن إلى الحسن البصري** : ابن أبي الدنيا (١١ الشكر) حدثنا إسماعيل بن إبراهيم - ابن بسام البغدادي الترجماني - ثنا عبد المؤمن بن عبيد الله السدوسي - أبو عبيدة - عنه به .

(٤) **ضعيف جدًّا إلى الحسن البصري**: ابن أبي الدنيا (١٢ الشكر) حدثنا عمر بن إسماعيل الهمداني ثنا محمد ابن عبيد (الطنافسي - الكوفي) عن يوسف بن الصباغ عنه به . عمر بن إسماعيل الهمداني - ابن مجالد بن سعيد - قال يحيى بن معين : ليس بشيء ، كذاب خبيث ، ووافقه الإمام أحمد ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة - متروك الحديث ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال في موضع آخر : متروك (تهذيب الكمال ٥/ ٣٣٢ - ٣٣٣) يوسف الصباغ - ابن ميمون القرشي - قال أحمد بن حنبل : ضعيف - ليس بشيء ، قال أبو زرعة : واهي الحديث ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، منكر الحديث جدًّا ، ضعيف ، وقال البخاري : منكر الحديث جدًّا ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ، وقال الدارقطني : ضعيف (تهذيب الكمال ٨/ ٢٠١) .

وقال سعد بن مسعود الثقفي : إنما سُمي نوح عبدًا شكورًا ؛ لأنه لم يَلْبَس جديدًا ولم يأكل طعامًا إلا حَمِد الله[١] ، وكان علي بن أبي طالب ﷺ إذا خَرَج من الخلاء مَسَح بطنه بيده وقال : يا لها من نعمة لو يعلمُ العبادُ شُكْرَها[٢] ، وقال مخلد ابن الحسين : كان يقال : الشكر ترك المعاصي[٣] ، وقال أبو حازم : كل نعمة لا تُقَرِّبُ من الله فهي بلِيَّةٌ[٤] ، وقال أبو سليمان : ذِكرُ النعم يورثُ الحبَّ لله[٥] ، وقال حماد بن زيد : حدثنا ليث عن أبي بُردة قال : قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن

---

(١) **إسناده صحيح إلى سعد بن مسعود الثقفي ، وله شاهد** : ابن جرير (١٥/ ١٥ تفسير) ابن أبي الدنيا (١٤ الشكر) من طريق سفيان الثوري وأبي بكر بن عياش عن أبي حصين (عثمان بن عاصم - الأسدي - الكوفي) عن عبد الله بن سنان عنه به . سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد (الجرح والتعديل ٤/ ٩٤) . عبد الله بن سنان - كوفي . قال يحيى بن معين : ثقة (الجرح والتعديل ٥/ ٦٨) . له إسناد آخر عند ابن جرير (١٥/ ١٥ تفسير) من طريق سفيان عن التيمي - سليمان بن طرخان التيمي - أبو المعتمر - عن أبي عثمان - النهدي - عبد الرحمن بن مُل - عن سلمان الفارسي ﷺ قال : كان نوح ﷺ إذا لبس ثوبًا أو أكل طعامًا حمد الله ، فسمي عبدًا شكورًا (صحيح موقوف).

(٢) **مسلسل بالضعفاء والمتروكين** - إلى على بن أبي طالب ﷺ : ابن أبي الدنيا (١٣ الشكر) حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم (ابن بسام - أبو إبراهيم الترجماني) حدثنا حبان بن على العنْزي عن سعد - يعني ابن طريف - عن الأصبغ بن نباتة عنه به . حبان بن على العنْزي : ضعيف (تقريب ١٠٧٩) قال الدارقطني : ضعيف (الضعفاء والمتروكين ١٧٦) . سعد بن طريف الإسكاف الحنظلي : متروك ، ورماه ابن حبان بالوضع ، وكان رافضيًا (تقريب ٢٢٣١) . الأصبغ بن نباتة : متروك - رمى بالرفض (تقريب ٥٤٣).

(٣) **إسناده حسن إلى مخلد بن الحسين** (أبو محمد البصري) ابن أبي الدنيا (١٩ الشكر) . حدثني محمد بن إدريس (أبو حاتم الرازي) قال : سمعت عبده بن سليمان عنه به .

(٤) **إسناده ضعيف إلى أبي حازم** (سلمه بن دينار) ابن أبي الدنيا (٢٠ الشكر) أبو نعيم (٣/ ٢٦٦ حلية) من طريق محمد بن كثير حدثنا بعض أهل الحجاز عنه به . محمد بن كثير - أبو يُوسف المصيصي - ضعفه أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى ، وقال عبد الله بن أحمد : ذكر أبي ، محمد بن كثير المصيص . فضعفه جدًا ، وقال أبو حاتم : في حديثه بعض الإنكار ، وقال البخاري : لين جدًا ، وقال أبو داود : لم يفهم الحديث ، وقال صالح جزرة : صدوق - كثير الخطأ ، وقال الإمام أحمد أيضًا : يروى أشياء منكرة ، وقال : حدث بمناكير ليس لها أصل (ميزان الاعتدال ٤/ ١٧) .

(٥) **إسناده ضعيف إلى أبي سليمان** (سليمان بن أبي سليمان الداراني) ابن أبي الدنيا (٢١ الشكر) . حدثني محمد ابن إدريس : سمعت أحمد بن أبي الحواري سمعت عبد العزيز بن عمير (الدمشقي) عنه به . عبد العزيز بن عمير ، ويقال ابن عمر - الدمشقي - لا يعرف حاله (الجرح والتعديل ٥/ ٣٩١) قلت : والكلام حسن .

سلام فقال لي : ألا تدخل بيتا دخله النبي ﷺ وتصلي في بيت صلى فيه النبي ﷺ ونطعمك سويقًاوتمرا ؟ ثم قال : إن الله إذا جمعَ الناس غدا ذكرهم بما أنعم عليهم ، فيقول العبدُ : ما آية ذلك فيقول : آية ذلك أنك كنت في كُربة كذا وكذا فدعوتني فكشفتها ، وآية ذلك أنك كنت في سفر كذا وكذا فاستصحبتني فصحبتك قال : يذكره حتى يَذكُر فيقول : آية ذلك أنك خطبت فلانة بنت فلان وخطبها معك خطاب فزوجتك ورددتُهم[1]. يقف عبده بين يديه فيعدد عليه نعمه فبكاهم بكاء ثم قال : إني لأرجو أن لا يُقعد الله عبدًا بين يديه ، فيعذبه[2].

وروى ليث بن أبى سليم عن عثمان عن ابن سيرين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى بالنِّعَم يوم القيامة والحسنات والسيئات ، فيقول الله ﷻ لِنعْمَةٍ [٦٧/ ب] من نِعَمِه ، خُذي حقَّك من حسناتِه فما تترك له حسنة إلا ذهبت بها))[3].

وقال بكر بن عبد الله المزنى : ينْزل بالعبد الأمـر فيدعو الله فيصرف عنه ، فيأتيه

---

(١) **إسناده ضعيف إلى أبي بردة** (بن أبي موسى الأشعري) ابن أبي الدنيا (٢٢ الشكر) حدثنا عبيد الله بن عمر الجشمي ثنا حماد بن زيد ثنا ليث (ابن أبي سليم) عنه به . ليث بن أبي سليم : سبق له ترجمة .

(٢) **إسناد آخر ضعيف إلى عبد الله بن سلام** ﷺ ابن أبي الدنيا (٢٣ الشكر) عن طريق محمد بن عباد (ابن آدم الهُذلي) عن أبي أحمد الزبيري (محمد بن عبد الله بن الزبير) عن إسرائيل عن أبي إسحاق (السبيعي) عن أبي بردة (ابن أبي موسى الأشعري) عنه به . محمد بن عباد بن آدم : مقبول (تقريب ٥٩٨٠) أبو أحمد الزبيري : ثقة ثبت . إلا أنه يخطيء في حديث الثوري (تقريب ٦٠٠٧) . قلت : وهذا ليس من حديث سفيان الثوري .ا.هـ

(٣) **ضعيف جدًّا** : إسناده مسلسل بالضعفاء : ابن أبي الدنيا (٢٤ الشكر) حدثنا سويد بن سعيد ثنا صالح ابن موسى عن ليث بن أبي سليم عن عثمان عن ابن سيرين عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . سويد بن سعيد : سبق له ترجمة . صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة التيمي ، متروك (تقريب ٢٨٨٦) ، ويقال : صالح بن موسى بن عبد الله بن إسحاق بن طلحة (ميزان ٢/ ٢٣٢) ليث بن أبي سليم : سبق له ترجمه . عثمان بن رُشيد : عن أنس بن سيرين : ضعفه يحيى بن معين ، وذكره ابن حبان في الثقات قال : روى عنه عبد الصمد بن عبد الوارث ، وذكره أيضًا في الضعفاء ، فقال : منكر الحديث على قلة روايته عن أنس إن كان سمع عن أنس ، لا يجوز الاحتجاج به ، وقال البخاري : يروى عن أنس بن سيرين عن أنس - يعني ابن مالك - (لسان الميزان ٤/ ١٦٢) .

الشيطان فيضعف شكره ، يقول : إن الأمر كان أيسر مما تذهب إليه ، قال : أو لا يقول العبدُ كان الأمر أشد مما ذهبت إليه ، ولكن الله صرفه عني[1] ، وذكر ابن أبي الدنيا عن صدقة بن يسار قال : بينما داود عليه السلام في محرابه إذ مرت به ذَرّه فنظر إليها وفكر في خلقها ، وعجب منها ، وقال : ما يعبأ الله بهذه ؟ فأنطقها الله عز وجل فقالت : يا داود أتعجبك نفسك ؟ فوالذي نفسي بيده لأنا على ما آتاني الله من فضله أَشْكَرُ منك على ما آتاك الله من فضله[2].

وقال أيوب : إن من نعمةِ الله على عبده أن يكون مأمونًا على ما جاء به النبي ﷺ[3]، وقال سفيان الثوري : كان يقال : ليس بفقيه من لم يَعُدَّ البلاء نعمَةً والرخاء مصيبة[4] ، وقال زاذان : مما يجب لله على ذي النعمة بحق نعمته أن لا يتوصل بها إلى معصيته[5] ، وقال ابن أبي الدنيا أنشدني محمود الوراق .

إِذَا كَانَ شُكْرِي مِنْ نِعْمَةِ اللهِ نِعْمَةً عَـلَيَّ لَـهُ فِي مِثْلِهَـا يَجِـبُ الشُّـكْرُ

---

(١) **إسناده حسن إلى بكر بن عبد الله المزني** : ابن أبي الدنيا (٢٦ الشكر) حدثنا عبيد الله بن عمر الجشمي ثنا عون بن موسى عنه به .

(٢) **إسناده ضعيف إلى صدقة بن يسار** (الجزري) ابن أبي الدنيا (٣٥ الشكر) حدثنا محمد بن بشير الكندي ثنا عبد المجيد المكي عن أبيه عنه به . محمد بن بشير الكندي - الواعظ - تُكلِم فيه . وقال يحيى : ليس بثقة ، وقال الدارقطني : ليس بالقوي في حديثه (ميزان ٣/ ٤٧٣) ، وقال الحافظ ابن حجر : وقال البغوي : كان صدوقًا ، وقال السراج : حدثنا عبد الله بن محمد ، قال محمد بن بشير : صدوق (لسان الميزان ٥/ ١٠٨) . عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد : صدوق - يخطيء ، وكان مرجئًا ، أفرط ابن حبان فقال : متروك (تقريب ٤١٥١) . عبد العزيز بن أبي رواد - والد عبد المجيد : صدوق - عابد - ربما وهم (تقريب ٤٠٨٧) .

(٣) **إسناده صحيح إلى أيوب** : ابن أبي تميمة ، كيسان السختياني رحمه الله تعالى . ابن أبي الدنيا (٧٩ الشكر) البيهقي (٤١٤١ شُعب) من طريق محمد بن ثور عن معمر (ابن راشد) عنه به : ليس فيه النبي ﷺ

(٤) **إسناده صحيح إلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى** : ابن المبارك (١٠٢ زوائد الزهد) ابن أبي الدنيا (٨١ الشكر) من طريق عبد الله بن المبارك عنه به . وسبق تخريجه مطولًا .

(٥) **إسناده ضعيف إلى زاذان** : لم أعثر على ترجمته ، ويقال : زياد : أيضًا لم أعثر على ترجمته . ابن أبي الدنيا (٨٢ الشكر) حدثنا يونس بن محمد القرشي ثنا أبو سفيان القرشي . قال : قال زياد به يونس بن محمد - ابن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعه بن كريم القرشي -: ضعيف (تقريب ٦٤٠٧) ، وقال الذهبي : هالك . قال ابن حبان وغيره : كان يضع الحديث على الثقات (المغني ٦١١٢) .

فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُها ... وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مِنَّةٌ ... تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ

وقد روى الدراوردي ، عن عمرو بن أبى عمرو ، عن سعيد المقبري ، عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ - يعنى قال الله ﷻ - : « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ** [٦٨/ أ] **يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ** »[١].

ومر محمد بن المنكدر بشاب يغامز امرأة فقال : يا فتى ما هذا جزاء نعم الله عليك وقال حماد بن مسلمة عن ثابت قال : قال أبو العالية : إني لأرجو أن لا يهلك عبد بين اثنتين : نعمة يحمد الله عليها ، وذنب يستغفر منه[٢] ، وكتب ابن السماك إلى محمد بن الحسن حين ولى القضاء بالرقة : أما بعد ، فلتكن التقوى من بالك على كل حال وخف الله من كل نعمة أنعم بها عليك من قلة الشكر عليها مع المعصية بها ، فإن في النعمة حجة ، وفيها تبعة ، فأما الحجة بها فالمعصية بها ، وأما التبعة فيها فقلة الشكر عليها فعفى الله عنك كلما ضيعت من شكر ، أو ركبت من ذنب ، أو قصرت من حق[٣] ومر الربيع بن أبى راشد برجل به زمانة ، فجلس يحمد الله ويبكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت أهل الجنة وأهل النار

---

(١) **إسناده حسن** : أحمد (٢/ ٣٤١ - ٣٦١) البزار (١/ ٧٨١ كشف الأستار) ابن أبي الدنيا (٨٤ الشكر) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . عمرو بن أبي عمرو ، ميسرة مولى المطلب - لينه بن معين ، وقال أحمد : ما به بأس ، ووثقه غيره ، وقال أبو داود : ليس بالقوي . خرجا له في الأصول (المغني ٤٦٨٦) وقال الحافظ بن حجر : ثقة - ربما وهم (تقريب ٥٠٧٣) ، وقال العجلي : ثقة ، وينكر عليه حديث البهيمة (تاريخ الثقات ١٢٧٦) . قال أبو زرعة : ثقة ، وقال أبو حاتم : لا بأس به ، وقال النسائي : ليس بالقوى (تهذيب الكمال ٥/ ٤٤٧) ، وله شواهد ، سبق تخريجها .

(٢) **إسناده حسن إلى ثابت** : ابن أبي الدنيا (٨٨ الشكر) حدثني هارون بن سفيان - أبو سفيان يعرف بالديك - مستملي يزيد بن هارون . ثنا بن عائشة - عبيد الله بن محمد بن حفص - ثنا حماد بن سلمة عنه به .

(٣) **إسناده حسن إلى ابن السماك** (محمد بن صبيح - الواعظ) ابن أبي الدنيا (٨٩ الشكر) حدثني هارون بن سفيان حدثني عبد الله بن صالح العجلي عنه به .

فشبهت أهل الجنة بأهل العافية وأهل النار بأهل البلاء فذلك الذي أبكاني[١].

وقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : « إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْلَمَ قَدْرَ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ تَحْتَهُ وَلاَ يَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ »[٢]. قال عبد الله بن المبارك : أخبرني يحيى بن عبيد الله قال : سمعت أبي قال : سمعت أبي هريرة فذكره[٣].

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن قال : قال أبو الدرداء : مَنْ لم يَعْرِفْ نعمة الله عَلَيْهِ إِلَّا فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ وَحَضَرَ عَذَابُهُ[٤].

قال ابن المبارك : أخبرنا مالك بن أنس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ﷺ قال : سمعت عمر بن الخطاب ﷺ سلم على رجل ، فرد ﷺ ، فقال عمر للرجل : كيف أنت ؟ قال الرجل : أحمد إليك الله ، قال : هذا أردت

---

(١) **إسناده ضعيف إلى الربيع بن أبي راشد** (الزاهد العابد) ابن أبي الدنيا (٩٠ الشكر) أبو نعيم (٥/ ٩٠ - ٩١ حلية) من طريق النضر بن إسماعيل عنه به . النضر بن إسماعيل - أبو المغيرة البجلي - قال يحيى : ليس بشيء ، وقال النسائي وأبو زرعة : ليس بالقوي (ميزان ٤/ ٢٣٤) .

(٢) **إسناده ضعيف جداً** : ابن المبارك (١٤٣٣ الزهد) ابن أبي الدنيا (٩١ الشكر) من طريق يحيى بن عبيد الله به . يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمي هالك ، وقال أحمد بن حنبل : ليس بثقة (المغني ٧٠١٤) . قال الحافظ بن حجر : متروك ، وأفحش الحاكم ، فرماه بالوضع (تقريب ٧٥٨٩) . عبيد الله ابن عبد الله بن موهب ، والد يحيى ، قال أحمد : أحاديثه مناكير (المغني ٣٩٣٣) قال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٤٣٠٣) قلت : والحديث أخرجه البخاري (٦٤٩٠) مسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ، ومن باب أولى أن يُستشهد به .

(٣) **إسناده ضعيف** : سبق تخريجه .

(٤) **إسناده منقطع** : ابن المبارك (١٥٥١ الزهد) ابن أبي الدنيا (٩٢ الشكر) أبو نعيم (١/ ٢٧٠ حلية) . الحسن البصري عن أبي الدرداء : مرسل ، وقال الدارقطني : مراسيله فيها ضعف (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٨ - ٢٧٠) ، وله شاهد عند أبي نعيم (٥/ ١٥٣ الحلية) من طريق إسماعيل بن عياش الحمصي عن شرحبيل بن مسلم الشامي عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء ﷺ : « من لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه ... الحديث » إسناده حسن . إسماعيل بن عياش الحمصي ، قال ابن المديني وابن معين وأحمد بن حنبل وعمرو بن علي الفلاس وغيرهم : بأن حديثه حسن عن أهل الشام (تهذيب الكمال ١/ ٢٥٠) . شرحبيل بن مسلم الشامي : وثقه أحمد وكان يرضاه ووثقه العجلي ، وضعفه ابن معين ، وقال ابن حجر : صدوق فيه لين (تقريب ٢٧٦٥) (تهذيب الكمال ٣/ ٣٧٦) .

منك[1]. قال ابن المبارك : وأخبرنا مسعر عن علقمة بن مرثد عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : لعلنا نلتقى في اليوم مرارا يسأل بعضنا عن بعض ، ولم يرد بذلك إلا ليُحمَدَ الله ﷻ[2].

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] قال : لا إله إلا الله[3].[٦٨/ ب] وقال ابن عيينة : ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله ، قال : وأن لا اله إلا الله لهم في الآخرة كالماء البارد في الدنيا[4].

وقال بعض السلف في خطبته يوم عيد : أصبحتم زهرا وأصبح الناس غُبرا ، أصبح الناس ينسجون وأنتم تلبسون ، وأصبح الناس يعطون وأنتم تأخذون ،

---

(١) **إسناده صحيح** : الموطأ (٥ باب جامع السلام) ابن المبارك (٢٠٥ الزهد) الأدب المفرد (١١٣٢) ابن أبي الدنيا (٩٣ الشكر) .

(٢) **إسناده منقطع** : ابن المبارك (٢٠٧ الزهد) عن رجل عن علقمة بن مرثد عنه به . ابن أبي الدنيا (٩٤ الشكر) طريق مسعر بن كدام عنه به . علقمة بن مرثد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – : منقطع . قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : علقمة بن مرثد ، لم يسمع من عبد الله بن بريدة (العلل ومعرفة الرجال ١/ ٣٦٨). قلت : وبين وفاة عبد الله بن عمر ، ووفاة عبد الله بن بريدة ، بعد كبير ، فإن ابن عمر – رضي الله عنهما – مات سنة ، ثلاث وسبعين في آخرها أو ، أول التي تليها (تقريب ٣٤٨٤) وعبد الله ابن بريدة بن الحصيب – رضي الله عنهما – ، مات سنة خمس ومائة ، وقيل بل خمس عشرة ، وله مائة سنة (تقريب ٣٢٢٣) ا.هـ .

(٣) **إسناده منقطع إلى مجاهد بن جبر، وهو إمام في التفسير** . ابن جرير (٢١/ ٥٠ تفسير) ابن أبي الدنيا (٩٥ الشكر) أبو نعيم (٣/ ٣٣٥ حلية) من طريق (عبد الله) ابن أبي نجيح عنه به . عبد الله بن أبي نجيح : ثقة ، وربما دلس (تقريب ٣٦٥٥) وذكره النسائي فيمن كان يدلس ، وقال يحيى بن سعيد القطان : لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد ، وقال ابن حبان : ابن أبي نجيح نظير ابن جريج في كتاب ، القاسم بن أبي بزه عن مجاهد في التفسير ، رويا عن مجاهد من غير سماع (تهذيب التهذيب ٦/ ٥٤ – ٥٥) وقال إبراهيم بن الجنيد : قلت ليحيى بن معين : إن يحيى بن سعيد القطان ، يزعم أن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد ، وإنما أخذه من القاسم بن أبي بزة . قال ابن معين : كذا قال ابن عيينة ، ولا أدري أحق ذلك أم لا (تحفة التحصيل ٥٣٧) .

(٤) **إسناده حسن إلى سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى:** ابن أبي الدنيا (٩٦ الشكر) أبو نعيم (٧/ ٣٢١ حلية) من طريق إسحاق بن إبراهيم . قال سمعت سفيان بن عيينة فذكره . إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلي – أبو يعقوب – ثقة (تقريب ٣٣٤) .

وأصبح الناس ينتجون وأنتم تركبون ، وأصبح الناس يزرعون وأنتم تأكلون فبكى وأبكاهم[١].

وقال عبد الله بن قرط الأزدى : وكان من الصحابة على المنبر في يوم أضحى ورأى على الناس ألوان الثياب : يا لها من نعمة ما أسبغها ، ومن كرامةٍ ما أظهرها ، ما زال عن قوم شيء أشد من نعمةٍ لا يستطيعون رَدّها ، وإنما تثبت النعمةُ بشكر المنعَم عليه للمُنْعِم[٢].

وقال سلمان الفارسى ﷺ : إن رجلًا بُسِطَ له من الدنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمدُ الله ويثنى عليه ، حتى لم يكن له فِراشٌ إلا بارية ، قال : فجعل يحمد الله ويثنى عليه وبُسط لآخر من الدنيا فقال لصاحب البارية : أرأيتك أنت على ما تحمد الله ؟ قال : أحمده على ما لو أعطيت به ما أعطى الخلق لم أعطهم إياه . قال : وما ذاك ؟ قال : أرأيت بصرك ، أرأيت لسانك ، أرأيت يديك ، أرأيت رجليك[٣].

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله ، فقال له يونس : أَيَسُرُّك بِبَصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف ، قال الرجل : لا ، قال : فبيديك مائة ألف ؟

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٩٨ الشكر) بإسناد : ضعيف ، إلى الشَّرْعَبيّ . قال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق ابن داود ثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا حريز بن عثمان ، ثنا عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرشي قال : سمعت عبد الرحمن بن محمد الشرعبي يقول على المنبر ، وقد نظر إلى الناس قد صبروا وحمدوا واشتروا شراء ولبسوا ، فأقبل عليهم فقال . فذكره . إسحاق بن داود - ابن صبيح - كان صاحب مناكير (لسان الميزان ١/ ٤٠١) (تاريخ بغداد ٦/ ٣٧٣) . عبد الرحمن بن محمد الشرعبي : تصحيف ، إنما هو : عبد الله ابن مخمر الشرعبي - شامي (الجرح والتعديل ٥/ ١٧٤) ، وذكره الصغاني فيمن في صحبته نظر (تحفة التحصيل ٥١٩) روى عنه عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي (تهذيب الكمال ٤/ ٤٥٣) .

(٢) **إسناده حسن إلى عبد الله بن قُرط الأزدي** ﷺ : ابن أبي الدنيا (٩٨ الشكر) حدثني إبراهيم بن عبد الملك (القناد) ثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر (الخبائري) عنه به (إبراهيم بن عبد الملك - أبو إسماعيل القناد : صدوق - في حفظه شيء (تقريب ٢١٣) .

(٣) **في إسناده من لم أعثر له على ترجمة** : ابن أبي الدنيا (١٠٠ الشكر) حدثنا عمر بن أبي الحارث ثنا سعيد بن أشعث (السمان) أنبأنا المعتمد بن سليمان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي عثمان (عبد الرحمن بن مُل) عن سلمان الفارسي ﷺ به . عمر بن أبي الحارث : لم أعثر له على ترجمة .

قال : لا ، فبرجليك مائة ألف ؟ قال : لا ، قال : فذكره نعم الله عليه ، قال يونس : أرى عندك مئين ألوف وأنت تشكو الحاجة[1] ، وكان أبو الدرداء ﷺ يقول : الصحة الملك[2].

وقال جعفر بن محمد ﷺ : فقد أبى بغلة له فقال : إن ردها الله على لأحمدنه بمحامد يرضاها ، فما لبث أن أتى بها بسرجها ولجامها فركبها فلما [٦٩/ أ] استوى عليها وضم إليه ثيابه ، رفع رأسه إلى السماء ، فقال : الحمد لله ! لم يزد عليها : فقيل له في ذلك فقال : هل تركت وأبقيتُ شيئا ، جعلت الحمد كله لله[3] ، وروى ابن أبى الدنيا من حديث سلمة بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن جده قال : بعث رسول الله ﷺ بعثا من الأنصار ، وقال : إن سلَّمَهم اللهُ وَغَنَّمَهُمْ فَإِنَّ لله عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شُكْرًا ، قال : فَلَمْ يَلبَثُوا أَنْ غَنِموا وسَلموا ، فقال بعضهم : سمعناك تقولُ إنْ سَلَّمَهم اللهُ وغَنّمَهُمْ فَإنّ لله عَلَيَّ في ذلك شُكرًا . قال : قَدْ فَعَلْت اللَّهُمَ لكَ الحَمْدُ شُكْرًا وَلَكَ الحمد فَضْلًا[4].

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال محمد بن المنكدر لأبى حازم : يا أبا حازم ، ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير ، ما أعرفُهم وما صنعت إليهم خيرًا

---

(١) **إسناده ضعيف إلى يونس بن عبيد** ، بسبب شك الراوي : ابن أبي الدنيا (١٠١ الشكر) حدثني القاسم هاشم (السمسار البغدادي) أنه حدث عن سعيد بن عامر أو غيره من البصريين به .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ، وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ آخر : إسناده ضعيف إلى أبي الدرداء ﷺ : ابن أبي الدنيا (١٠٢ الشكر) حدثنا قاسم بن هاشم ثنا الخطاب بن عثمان الفوزي أنبأنا إسماعيل بن عياش عن شرحبيل (ابن مسلم الخولاني - الشامي) عنه به . إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم بن حامد الخولاني الشامي . شاميان ، ورواية إسماعيل عن أهل بلده صحيحة ، ومخلط في غيرهم (تقريب ٤٧٨) شرحبيل بن مسلم عن أبي الدرداء - يقال مرسل - (تحفة التحصيل ٣٧٠) . قال الذهبي : تابعي مشهور ، ضعفه ابن معين ، ووثقه أحمد (المغني ٢٧٥٦) وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - فيه لين (تقريب ٢٧٦٥) .

(٣) **إسناده ضعيف إلى جعفر بن محمد** (جعفر الصادق بن محمد بن علي الباقر رحمه الله تعالى . ابن أبي الدنيا (١٠٦ الشكر) حدثنا سوار بن عبد الله ثنا محمد بن مسعر عنه به . محمد بن مسعر . مجهول الحال - غمزة ابن عساكر ، ورد عنه الذهبي (ميزان ٤/ ٣٢) (لسان العرب ٥/ ٤٢٩) .

(٤) **إسناده ضعيف** : الطبراني (١٩/ ١٤٤ الكبير) ابن أبي الدنيا (١٠٥ الشكر) من طريق سليمان بن سالم مولى آل جحش عنه به . سليمان بن سالم مولى آل جحش - المديني - أبو الربيع - قال أبو حاتم : شيخ (الجرح والتعديل ٤/ ١٩ - ٢٠). إسحاق بن كعب بن عجرة : مجهول الحال (تقريب ٣٨٣) .

قط فقال أبو حازم : لا تظن أن ذلك من قِبَلِك ، ولكن انظر إلى الذي ذلك من قبلِهِ فاشكره[١].

وقرأ أبو عبد الرحمن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [مريم : ٩٦]

وقال علي بن الجعد : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة المَاجِشُون قال : حدثني من أصدقه : أن أبا بكر الصديق ﷺ كان يقول في دعائه : أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها والشكر لك عليها حتى ترضى ، وبعد الرضا ، والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرةُ بجميع ميسور الأمور كلها لا معسورها يا كريم[٢].

وقال الحسن : ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمدُ لله ، إلا كان ما أعطى أكثر مما أخذ[٣]. قال ابن أبي الدنيا وبلغني عن سفيان بن عيينة أنه قال : هذا خطأ لا يكون فعل العبد أفضل من فعل الله ، ثم قال : وقال بعض أهل العلم : إنما تفسير هذا أن الرجل إذا أنعم الله عليه نعمة وهو ممن يجب أن يحمده عليه عرفه ما صنع به ، فشكر الله كما ينبغي له أن يشكره فكان الحمد له أفضل . **قلت** : لا يلزم الحسن ما ذكر عن ابن عيينة ، فإن قوله : الحمد لله نعمة من الله والنعمة التي حمد الله عليها أيضًا [٦٩/ ب] نعمة من الله ، وبعض النعم أجل من بعض ، فنعمة الشكر أجل من نعمة المال والجاه والولد والزوجة ونحوها والله أعلم ،

---

(١) إسناده ضعيف إلى محمد بن المنكدر : ابن أبي الدنيا (١٠٨ الشكر) حدثنا الجروي (الحسن بن عبد العزيز) ثنا الحارث بن مسكين ثنا ابن وهب (عبد الله) أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عنه به .
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ضعيف (تقريب ٣٨٥٨) .

(٢) إسناده ضعيف إلى أبي بكر الصديق ﷺ لإبهام الراوي عنه : ابن أبي الدنيا (١١٠ الشكر) .

(٣) إسناده ضعيف جدًّا إلى الحسن البصري - رحمه الله تعالى - : ابن أبي الدنيا (١١١ الشكر) حدثنا أبو السائب (سلم بن جنادة) ثنا وكيع عن يوسف الصباغ عنه به . يوسف بن ميمون القرشي المخزومي . الصباغ : سبق له ترجمة ، وله عند ابن ماجة (٣٨٠٥) من طريق شبيب بن بشر عن أنس ﷺ مرفوعًا بمثله . شبيب بن بشر - أبو بشر الكوفي . قال أبو حاتم : لين الحديث ، حديثه حديث الشيوخ ، وقال ابن معين : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطئ كثيرًا (تهذيب الكمال ٣/ ٣٦١) ، وقال ابن حجر : صدوق يخطئ (تقريب ٢٧٣٢) .

وهذا لا يستلزم أن يكون فعل العبد أفضل من فعل الله وإن دخل على أن فعل العبد للشكر قد يكون أفضل من بعض مفعول الله ، وفعل العبد هو مفعول الله ، ولا ريب أن بعض مفعولاته أفضل من بعض .

وقال بعض أهل العلم : لَنِعَمُ الله علينا فيما زوى عنا من الدنيا أفضل من نعمه علينا فيما بسط لنا منها ؛ وذلك أن الله لم يرض لنبيه ﷺ الدنيا ، فلئن أكن فيما رضى الله لنبيه وأحب له ، أحب إلي من أن أكون فيما كره له وسخطه ، قال ابن أبى الدنيا : وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : ينبغي للعالم أن يحمد الله على ما زوى عنه من شهوات الدنيا كما يحمده على ما أعطاه ، وأين يقع ما أعطاه والحساب يأتي عليه إلى ما عافاه الله ولم يبتله به ، فيشغل قلبه ويتعب جوارحه ، فيشكر الله على سكون قلبه وجمع همه ، وحدثت عن ابن أبى الحواري قال : جلس فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذاكران النعم ، فجعل سفيان يقول : أنعم الله علينا في كذا ، أنعم الله علينا في كذا ، فعل بنا كذا[1]. وحدثنا عبد الله بن داود ، عن سفيان في قوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٢]

قال : يسبغ عليهم النعم ويمنعهم الشكر ، وقال غير سفيان : كلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة[2]. وسئل ثابت البناني عن الاستدراج ، فقال : ذاك مكر الله بالعباد المضيعين[3].

---

(١) **إسناده ضعيف إلى ابن أبي الحواري** : ابن أبي الدنيا (١١٤ الشكر) حُدِثْتُ عن ابن أبي الحواري . به . قوله : حدثت لا يعني سماعه من ابن أبي الحواري . ابن أبي الحواري هو : أحمد بن عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث التغلبي : ثقة - زاهد (تقريب ٦١) .

(٢) **إسناده صحيح إلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى** : ابن أبي الدنيا (١١٥ الشكر) محمد بن يحيى بن أبي حاتم أنبأنا عبد الله بن داود عنه به . محمد بن يحيى بن أبي حاتم هو : محمد بن يحيى بن عبد الكريم بن نافع الأزدي . أبو عبد الله بن أبي حاتم . قال الدارقطني : ثقة (تهذيب الكمال ٦/ ٥٥٨) . عبد الله بن داود ابن عامر بن الربيع الهمداني - أبو عبد الرحمن - المعروف بالخُرَيْبِيُّ، وثقه يحيى بن معين والنسائي وأبو زرعة والدارقطني ، وقال أبو حاتم : كان يميل إلى الرأي ، وكان صدوقًا (تهذيب الكمال ٤/ ١٢٢) .

(٣) **إسناده ضعيف إلى ثابت البناني - فيه شيخ مبهم** : ابن أبي الدنيا (١١٧ الشكر) حدثني على بن الحسن =

وقال يونس في تفسيرها : إن العبد [٧٠/ أ] إذا كانت له عند الله منْزلة فحفظها وبقى عليها ثم شكر الله بما أعطاه ، أعطاه أشرف منها ، وإذا هو ضيع الشكر استدرجه الله وكان تضييعه الشكر استدراجا .

وقال أبو حازم : نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها ، إني رأيته أعطاها أقواما فهلكوا ، وكل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية ، وإذا رأيت الله يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه ؛ فاحذره[1] .

وذكر **كاتب الليث** ، عن هقل ، عن الأوزاعي أنه وعظهم فقال في موعظته : أيها الناس تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تتطلع على الأفئدة ، فإنكم في دار الثواب فيها قليل وأنتم فيها مرجون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفعها وزهرتها فهم كانوا أطول منكم أعمارا ، وأمدَّ أجساما ، وأعظم آثارا ، فقطعوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطش شديد ، وأجسام كالعماد ، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مددهم ، وعفت آثارهم ، وأخوت منازلهم ، وأنست ذكرهم ، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا كانوا يلهون آمنين كبيات قوم غافلين أو كصباح قوم نادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتا من عقوبة الله فأصبح كثير منهم في دارهم جاثمين ، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمته ، وزوال نعمة ومساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ، وعبرة لمن يخشى ، وأصبحتم من بعدهم في أجل منقوص ، ودنيا مقبوضة في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه ، فلم يبق منه إلا حماة شر ، وصبابة كدر وأهاويل عبر ، وعقوبات

= (ابن موسى بن ميسرة - الهلالي - عن شيخ له أن ثابتًا البناني سئل عن الاستدراج ، فذكره . على ابن الحسن بن موسى : ثقة (تقريب ٤٦٩٨) لم يسم من سمع منه .

(١) في إسناده مبهم ، وهو من حدث به عن أبي حازم (سلمة بن دينار) ابن أبي الدنيا (١٢٠ الشكر) أبو نعيم (٣/ ٢٧٠ حلية) من طريق سعيد بن عامر (الضُبعي) عن بعض أصحابه عنه به .

غير ، وإرسال فتن ، وتتابع زلازل ، ورذالة خلف بهم ظهر الفساد [٧٠/ ب] في البر ، والبحر ، فلا تكونوا أشباهًا لمن خدعه الأمل ، وغره طول الأجل ، وببلغ الأماني ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى إنذاره ، وعقل بشراه فمهد لنفسه[١] ، وكان يقال : الشكر ترك المعصية[٢].

وقال ابن المبارك : قال سفيان : ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة[٣] ، وكان مروان بن الحكم إذا ذكر الإسلام قال : بنعمة ربي وصلت إليه ، لا بما قدمت يدي ، ولا بإرادتي ، إني كنت خاطئا[٤].

وَكَمْ مِنْ مَدْخَلٍ لَـوْ مُتَّ فِيـهِ ... لَكُنْتَ فِيهِ نَكَـالًا فِي العَشِيرة
وقِيتَ السُّـوءَ وَالمكْـرُوهُ فِيـهِ ... وَرُحْـتُ بِنِعْمَةٍ مِنْـهُ كَبِــيرة
وَكَــمْ مِنْ نِعمَــةٍ للهِ تُمْسِـي ... وَتُصْبِحُ فِي الْعَيَانِ وَفِي السَّرِيرَة

---

(١) **إسناده ضعيف إلى الأوزاعي** - عبد الرحمن بن عمرو - رحمه الله تعالى -: ابن أبي الدنيا (٣٠ الشكر) حدثنا محمد بن إدريس (أبو حاتم الرازي) قال سمعت أبا صالح كاتب الليث يذكر عن الهقل ابن زياد (كاتب الأوزاعي) عنه به . عبد الله بن صالح : كاتب بن سعد : مكثر ، صالح الحديث - له مناكير ، والصحيح أن البخاري روى عنه في الصحيح ، وروى عنه ابن معين . قال أبو زرعة : كان حسن الحديث ، وقال الفضل الشعراني : ما رأيته إلا يحدث أو يسبح . وقال ابن عدي : هو عندي ، مستقيم الحديث وله أغاليط ، وقال أبو حاتم : لم يكن ممن يكذب ، وأما الحافظ جزره فقال : كان يكذب ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال غيره : ضعيف (المغني ٣٢١٨) وقال ابن حبان : سمعت ابن جزيمة يقول : كان له جار بينه وبينه عداوة ، فكان يضع الحديث على شيخ عبد الله بن صالح ويكتب في قرطاس بخط يشبه خط عبد الله بن صالح ويطرح في داره في وسط كتبه ، فيجره عبد الله فيحدث به ، فيتوهم أنه خطه وسماعه . فمن ناحيته وقع المناكير في أخباره(المجروحين ٢/ ٤٠) وقال الإمام أحمد : كان أول أمره متماسكًا ، ثم فسد بأخره ، يروى عن ليث عن ابن أبي ذئب ، ولم يسمع الليث منه شيئًا (ميزان ٢/ ٣٣٨) .

(٢) **إسناده حسن** : سبق تخريجه .

(٣) **إسناده حسن** : سبق تخريجه .

(٤) **إسناده ضعيف إلى مروان بن الحاكم** : ابن أبي الدنيا (١٢١ الشكر) حدثني إبراهيم بن عبد الله حدثني محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد وغيره عنه به . محمد ابن إسماعيل بن عياش الحمصي . قال أبو داود : لم يكن بذاك ، وقال أبو حاتم : لم يسمع من أبيه شيئًا (المغني ٥٢٩٨) . إسماعيل بن عياش - أبو عتبة - عالم أهل حمص : صدوق في حديث أهل الشام ، مضطرب جدًّا في حديث أهل الحجاز . قال أحمد : ما روى عن الشاميين صحيح ، وما روى عن الحجازيين فليس بصحيح ، وقال ابن حبان : لا يحتج به ، وضعفه النسائي ، ووثقه ابن معين (المغني ٦٩٧) .

ودُعيَ عثمان بن عفان ﷺ إلى قوم على ريبةٍ ، فانطلق ليأخذهم فتفرقوا قبل أن يبلغهم ، فأعتق رقبة شكرا لله أن لا يكون جرى على يديه خزيُ مسلم[١].

قال يزيد بن هارون: أخبرنا أصبغ بن زيد أن نوحا - عليه السلام - كان إذا خرج من الخلاء قال : الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى منفعته في جسدي ، وأذهب عني أذاه فسمى عبدًا شكورًا[٢].

وقال ابن أبى الدنيا: حدثني العباس بن جعفر حدثنا [شاذ بن فياض] عن الحارث بن شبل قال : حدثتنا أم النعمان أن عائشة - رضي الله عنها - حدثتها عن النبي : أنه لم يقم خلاء قط إلا قاله[٣] .

---

(١) **أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف إلى عثمان بن عفان**- ﷺ - . ابن أبي الدنيا (١٢٤ الشكر) . حدثني محمد بن يزيد الآدمي ثنا أبو اليمان (الحكم بن نافع) عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد ابن سعد عنه به . أبو بكر بن أبي مريم : سبق له ترجمة . راشد بن سعد . الحمصي : لم يسمع ولم يدرك عثمان بن عفان ﷺ مات سنة ، ثمان ومائة وقيل ثلاث عشرة ، وقتل عثمان ﷺ شهيدًا . في ذي الحجة ، بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين ، وله إسناد أيضًا ، ضعيف - مرسل ، عند أحمد (٦٨٩ الزهد) حدثني شيبان بن فروخ حدثنا محمد بن راشد (المكحولي) حدثنا سليمان بن موسى (الدمشقي الأشدق) عن عثمان بن عفان ﷺ . محمد بن راشد المكحولي : وثقه أحمد وجماعة ، وقال النسائي : ليس بالقوي (المغني : ٥٤٩٢) . سليمان ابن موسى - الدمشقي - الأشدق - قال البخاري : لم يدرك سليمان أحدًا من أصحاب النبي ﷺ(تحفة التحصيل ٣٤٤) .

(٢) **إسناده ضعيف:** ابن أبي الدنيا (١٢٨ الشكر) حدثني يحيى بن جعفر (ابن أعين الأزدي - البيكندي) عنه به . أصبغ بن زيد الجهني الواسطي ، الوراق - شيخ ليزيد بن هارون ، قال ابن عدي : له أحاديث غير محفوظة ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به ، ووثقه الدارقطني (المغني ٧٦٨) ، وقال أحمد : ليس به بأس ، ما أحسن رواية يزيد بن هارون عنه ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو زرعة : شيخ ، وقال أبو حاتم : ما بحديثه بأس ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال ابن سعد : كان ضعيفاً في الحديث ، وقال أبو داود : ثقة ، وقال مسلمة بن قاسم : لين - ليس بحجة - (تهذيب التهذيب ١/ ٣٦١) .

(٣) **منكر:** وفي إسناد المصنف إسقاط بين العباس والحارث وهو شاذ بن فياضٍ . ابن أبي الدنيا (١٢٧ الشكر) العقيلي (١/ ٢١٣ - ٢١٤ الضعفاء الكبير) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : إن نوحًا ﷺ. فذكره من طريق شاذ بن فياض (هلال) عن الحارث بن شبل به . شاذ ابن فياض ، واسمه (هلال) قال ابن حبان : كان يرفع الموقوفات ، ويقلب الأسانيد ، لا يشغل بروايته . كان محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى ، شديد الحمل عليه (المجروحين ١/ ٣٥٩ - ٣٦٠) وقال أبو حاتم : صدوق ثقة (الجرح والتعديل ٩/ ٧٨) وقال الحافظ ابن حجر : صدوق له أوهام وأفراد (تقريب ٢٧٢٥) . =

وقال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم ؟ قال : إن رأيت بهما خيرًا أعلنته ، وإن رأيت بهما شرًّا سترته ، قال : فما شكر الأذنين ؟ قال : إن سمعت بهما خيرًا وعيته ، وإن سمعت بهما شرًّا دفعته ، قال : فما شكر اليدين ؟ [٧١/ أ]قال : لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقًّا هو لله فيهما . قال : فما شكر البطن ؟ قال : أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا . قال : فما شكر الفرج ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥ - ٧]قال : فما شكر الرجلين ؟ قال : إن علمت ميتا تغبطه استعملت بهما عمله ، وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكر لله ، وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه ، فما ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر(١).

وذكر عبد الله بن المبارك: أن النَّجاشي أرسل ذات يوم إلى جعفر وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان جالس على التراب ، قال جعفر : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما رأى ما في وجوهنا قال : إني أبشركم بما يسركم إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله قد نصر نبيه ﷺ وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان ، التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأني أنظر إليه ، كنت أرعى به لسيدي - رجل من بني ضمرة - فقال له

= الحارث بن شبل عن أم النعمان : مُقلّ ، وليست بمعرفته . الدارقطني (١٥٦ الضعفاء والمتروكين) وقال أبو حاتم : منكر الحديث ، ليس بمعروف (الجرح والتعديل ٣/ ٧٧) وقال يحيى : ليس بشيء ، وقال البخاري : ليس بمعروف ، وضعفه الدارقطني (ميزان ١/ ٤٣٦) (الضعفاء الكبير ١/ ٢١٣) .

(١) **أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف إلى أبي حازم**: سلمة بن دينار رحمه الله تعالى : ابن أبي الدنيا (١٢٩ الشكر) حدثني محمد بن يحيى بن أبي حاتم الأزدي حدثني محمد بن هانئ (الطائي - أبو عمر ، والد أبو بكر الأثرم) عن بعض أصحابه عنه به . محمد بن هانئ : مستور (الجرح والتعديل ٨/ ١١٧) ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. شيخ محمد بن هانئ : مبهم ، والأثر أخرجه أبو نعيم (٣/ ٢٧٩ الحلية) ، والبيهقي (٤٢٤٤ شعب) من طريق ابن أبي الدنيا .

جعفر : ما بالك جالسًا على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق ، قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى ﷺ : إن حقًّا على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعا عندما أحدث الله لهم من نعمه ، فلما أحدث الله لي نصر نبيه ﷺ أحدثت لله هذا التواضع[١].

وقال حبيب بن عبيد : ما ابتلى الله عبدًا ببلاء إلا كان له عليه فيه نعمةٌ ألا يكون أشد منه[٢] ، وقال عبد الملك بن إسحاق بن أبجر ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره أو بلية لينظر كيف صبره[٣].

وقال سفيان الثوري : لقد أنعم الله على عبد في حاجة أكثر من تضرعه إليه فيها[٤] ، وكان رسول الله ﷺ [٧١/ ب] إِذَا جَاءَه أَمْرٌ يَسُرُّهُ خَرّ لله سَاجِدًا شكرًا له ﷻ ذكره أحمد[٥].

---

(١) **إسناده ضعيف** : ابن المبارك (١٩٢ زوائد الزهد) ابن أبي الدنيا (١٣٠ الشكر) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الرحمن رجل من أهل صنعاء به . شيخ عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : لا يعرف .

(٢) **أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن إلى حبيب بن عبيد** (الرحبي) ابن أبي الدنيا (١٣١ الشكر) قال منصور بن أبي مزاحم : ثنا أبو سعيد المؤدب (محمد بن مسلم بن أبي وضاح) عن حريز بن عثمان (الرحبي الحمصي) عنه به . أبو سعيد المؤدب - محمد بن مسلم - وثقه أحمد ويحيى وأبو داود والنسائي ويعقوب ابن سفيان ، وقال ابن نمير : صالح لا بأس به ، وقال ابن حبان : مستقيم الحديث ، وقال البخاري : فيه نظر (تهذيب الكمال ٦/ ٥١٦) .

(٣) **أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم بإسناد حسن** إلى عبد الملك بن أبجر ، وليس ابن إسحاق . ابن أبي الدنيا (١٣٢ الشكر) أبو نعيم (٥/ ٩٨ حلية) حسين بن على الجعفي عنه به . في الإسناد سقط : حسين بن على الجعفي يروى عن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن حبان بن أبجر ، وعبد الرحمن يروى عن أبيه عبد الملك بن سعيد بن حبان بن أبجر ، وكلاهما ثقة ، ولعله تصحيف أو سهو . والله أعلم .

(٤) **أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف** إلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى . ابن أبي الدنيا (١٣٤ الشكر) حدثني الحسين بن عبد الرحمن عن شيخ له عنه به . الحسين بن عبد الرحمن : لعله الحسين بن عبد الرحمن ابن القاسم الأنماطي روى عنه أبو حاتم الرازي ، وهو من طبقة ابن أبي الدنيا . قال أبو حاتم : شيخ (الجرح والتعديل ٣/ ٥٩) فإن لم يكن هو ، فلم أقف على من اسمه الحسين بن عبد الرحمن شيخ لابن أبي الدنيا . والله أعلم ، وشيخ الحسين بن عبد الرحمن : لا يعرف .

(٥) الحديث عند الإمام أحمد ، ليس بهذا اللفظ ، وأما لفظ الإمام أحمد فهو : أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوّهم ورأسه في حجر عائشة - رضي الله عنها - ، فقام فخر ساجدًا ، ثم أنشأ يسأل البشير ، فأخبره فيما =

وقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : خرج علينا النبي ﷺ فتوجه نحو صدقته ، فدخل ، فاستقبل القبلة ، فخر ساجدًا ، فأطال السجود ، فقلت : يا رسول الله سجدت سجدة خشيتُ أن يكون الله قد قبض نفسك فيها ؟ فقال : إن جبريل أتاني فبشرني أن الله ﷻ يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله شكرًا . ذكره أحمد[1].

= أخبره أنه ولى أمرهم امرأة ، فقال النبي ﷺ : « الآن هلكت الرجال إذا أطاعت النساء ، هلكت الرجال إذا أطاعت النساء » ثلاثًا أخرجه أحمد (٥/ ٤٥) حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني ثنا أبو بكرة بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة قال : سمعت أبي يحدث عن أبي بكرة أنه شهد النبي ﷺ فذكره) أما لفظ المصنف فهو عند أبي داود (٢٧٧٤) الترمذي (١٥٧٨) ابن ماجه (١٣٩٤) الحاكم (١/ ٢٧٦) . مرفوعًا ، بالإسناد السابق . إسناده حسن . بكار بن عبد العزيز - أبو بكرة - صدوق - يهم (تقريب ٧٤٠) .
عبد العزيز بن أبي بكرة - روى أبيه أبي بكرة (نفيع بن الحارث رضى الله عنه) وعنه ابنه بكار وبحر بن كنيز السقاء وأبو كعب صاحب الحرير وسوار (أبو حمزة) ذكره ابن حبان في الثقات . له عند (ت - ق) حديث في سجود الشكر . قلت (ابن حجر) ليس هو ابن أبي بكرة لصلبه وإنما نُسب لجده في رواية (ق) ، وقال العجلي : بصري - تابعي - ثقة ، وقال ابن سعد : له أحاديث وعقب ، وزعم ابن القطان أن حاله لا يعرف (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٣٢) وقال الذهبي : حديثه غير محفوظ (المغني ٣٧٢٤) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق (تقريب ٤٠٧٧) . قال الترمذي عقب هذا الحديث : هذا حديث حسن - غريب - لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث ، بكار بن عبد العزيز ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم ، رأوا . سجدة الشكر ، وبكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة - مقارب الحديث (١٥٧٨) .

(١) **إسناده ضعيف** : أحمد (١/ ١٩١) ابن أبي الدنيا (١٣٨ - الشكر) الحاكم (١/ ٥٥٠) من طريق عمرو ابن أبي عمرو (مولى المطلب) عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عمر بن قتادة عن عبد الواحد بن محمد ابن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ مرفوعًا . وإسناد أحمد بن حنبل بإسقاط ، عاصم ابن عمر بن قتادة وعمر بن قتادة ، قلت : لعله تصحيف ، أو وهم من عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب ، والله أعلم . عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب - سبق له ترجمة . عمرو بن قتادة - الأنصاري - لا يعرف إلا من رواية ابنه عنه (ميزان ٣/ ٢١٢) (الجرح والتعديل ٦/ ١٣٠) عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن ابن عوف - ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (الجرح والتعديل ٦/ ٢٣) وله إسناد آخر عند أحمد (١/ ١٩٢) الحاكم (١/ ٢٢٢) من طريق ليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي الحويرث (عبد الرحمن بن معاوية) عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ مرفوعًا بنحوه (عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب - سبق له ترجمه . أبو الحويرث - عبد الرحمن بن معاوية - قال ابن معين : لا يحتج به ، وقال مالك : ليس بثقة (المغني ٣٦٣٨) ، وقال أحمد بن حنبل : روى عنه سفيان وشعبة ، وأنكر هـذا من قول مالك (تهذيب الكمال ٤/ ٤٧٢) وقال النسائي : ليس =

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ من مكة نريد المدينة ، فلما كنا قريبا من عزوراء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجدًا ، فمكث طويلًا ثم قام فرفع يديه ساعة ، ثم خر ساجدًا فعله ثلاثًا ، وقال : إني سألت ربى وشفعت لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدا شكراً لربى ، ثم رفعت رأسي فسألت ربى لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدًا لربى [ثم رفعت رأسي فسألت ربى ربي فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجدًا لربى][(١)(٢)]. رواه أبو داود .

= بثقة (الضعفاء والمتروكين ٣٦٥) . وله إسناد آخر عند البزار (١/ ٧٤٩ كشف الأستار) من طريق موسى بن عبيدة عن قيس بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبيه عن جده مرفوعًا - بنحوه . قيس بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة - قال الأزدى : ضعيف ، وقال الذهبي : له عن سعد بن إبراهيم ، وعنه موسى بن عبيدة ، قال البخاري : لم يصح حديثه ، قال الذهبي : لأن مداره على موسى بن عبيدة ، وهو واهٍ (ميزان ٣/ ٣٨٤) . موسى بن عبيدة : ضعيف ، ولا سيما في عبد الله بن دينار (تقريب ٦٩٧٩) . وله إسناد آخر عند ابن أبي حاتم (١/ ١٩٥ علل الحديث) من طريق عمرو بن على الصيرفي عن عبد الله بن المديني عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي سعبد الخدري ﷺ مرفوعًا بنحوه . قال أبو حاتم : حديث أبي سعيد ، وهم ، والصحيح ، عبد الرحمن بن عوف ، روى عمرو بن أبي عمرو عن عاصم (ابن عمر بن قتادة) عن عُمر بن قتادة عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ (الجرح والتعديل ٧/ ٣١٦) العلل للدارقطني ٤/ ٢٩٧ - ٢٩٨) .

(١) **إسناده ضعيف** : أبو داود (٢٧٧٥) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا . في إسناده - موسى بن يعقوب - ابن عبد الله بن وهب - عن أبي عثمان - قال أبو داود : وهو يحيى بن الحسن بن عثمان (عن الأشعث بن إسحاق بن سعد عن عامر بن سعد عنه به . موسى بن يعقوب : صدوق - سيئ الحفظ (تقريب ٧٠١٦) . (يحيى بن الحسن بن عثمان - أبو عثمان : مجهول الحال (تقريب ٧٥٢٠) . الأشعث ابن إسحاق بن سعد : مقبول (تقريب ٥٢٦) ولبعضه شاهد عند مسلم (٢٨٩٠) أيضًا من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا « سألت ربي ثلاثًا ، فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدة . سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها » وآخر عنده أيضًا (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ﷺ مرفوعًا . بمعناه .

(٢) زيادة في المطبوع .

وذكر محمد بن إسحاق في كتاب « الفتوح » قال : لما جاء المبشر يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه رسول الله ﷺ ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلا هو : لقد رأيته قتيلا ، فحلف له ، فخر رسول الله ﷺ ساجدا[1].

وذكر سعيد بن منصور : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سجد حين جاءه قتل مسيلمة[2] ، وذكر أحمد : أن عليًّا رضي الله عنه سجد حين وجد ذا الثُّدَيَّة في الخوارج[3] وسجد كعب بن مالك رضي الله عنه في عهد النبي ﷺ لما بشر بتوبة الله عليه ، والقصة في الصحيحين[4].

فإن قيل : فنعم الله دائما مستمرة على العبد فما الذي اختص تخصيص النعمة الحادثة بالشكر دون الدائمة ، وقد تكون المستدامة أعظم .

---

(١) **ضعيف الإسناد** - معضل : أخرجه البيهقي (٣/ ٨٩ دلائل النبوة) من طريق يونس بن بكير عن عنبسة ابن الأزهر عن أبي إسحاق (عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي) به . معضلًا . يونس بن بكير - قال ابن معين : ثقة . إلا أنه مرجئ يتبع السلطان ، وقال أبو حاتم : محله الصدق ، وقال أبو زرعة : أما في الحديث فلا أعلمه مما ينكر عليه : قال أبو داود : ليس بحجة عندي ، سمع هو والبكائي من ابن إسحاق (محمد بن إسحاق - صاحب السير) بالري . وقال النسائي : ليس بالقوى ، وقال أحمد العجلي : ضعيف الحديث (المغني ٧٢٦٢) . عنبسة بن الأزهر - قال أبو حاتم : لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج به (الجرح والتعديل ٦/ ٤٠١) .

(٢) **في إسناده مبهم** : ابن أبي شيبة (٢/ ٢٩٥ مصنف) عبد الرزاق (٣/ ٣٥٨ مصنف) البيهقي (٢/ ٢٩٥ السنن الكبرى) من طريق أبي عون الثقفي محمد بن عبيد الله عن رجل لم يسمه به ، وليس فيه (قتل مسيلمة) .

(٣) **إسناد ضعيف إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه** : أحمد (١/ ١٠٧ - ١٠٨ - ١٤٧) (تهذيب الكمال (٣/ ٤٩١) من طريق إبراهيم بن عبد الأعلى عن طارق بن زياد عنه به . طارق بن زياد الكوفي : مجهول (تقريب ٢٩٩٣) ، وله طريق آخر عند الحاكم (٢/ ١٥٤) من طريق عبيد الله بن موسى ثنا إسرائيل - ابن يونس ابن أبي إسحاق السبيعي - عن محمد بن قيس المرهبي الكوفي . قال : سمعت مالك بن الحارث يقول : فذكره ، محمد بن قيس المرهبي (مقبول : تقريب ٦٢٣٥) ، مالك بن الحارث الهمداني - أبو موسى - (مقبول : تقريب ٦٤١٩) .

(٤) **صحيح** : البخاري (٤٤١٨) مسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه .

فصل

الجواب من وجوه :

أحدها: أن النعمة المتجددة تذكر المستدامة والإنسان موكل بالأدنى . [٧٢/ أ]

الثاني: أن هذه النعمة المتجددة تستدعي عبودية مجددة ، وكان أسهلها على الإنسان وأحبها إلى الله السجودُ شكرًا له .

الثالث: أن المتجددة لها وقع في النفوس ، والقلوب بها أعلق ، ولهذا يهنى بها ، ويعزى بفقدها .

الرابع: أن حدوث النعم توجب فرح النفس وانبساطها ، وكثيراً ما يجر ذلك إلى الأشر والبطر ، والسجودُ ذل لله وعبودية وخضوع ، فإذا تلقى به نعمته لسروره وفرح النفس وانبساطها فكان جديرًا بدوام تلك النعمة ، وإذا تلقاها بالفرح الذي لا يحبه الله تعالى والأشر والبطر كما يفعل الجهال عندما يحدث الله لهم من النعم ، كانت سريعة الزوال ، وشيكة الانتقال ، وانقلبت نقمة ، وعادت استدراجًا ، وقد تقدم أمر النجاشي ، فإن الله إذا أحدث لعبده نعمة أحب أن يحدث لها تواضعًا، وقال العلاء بن المغيرة : بشرت الحسن بموت الحجاج ، وهو مختف ، فخر لله ساجدًا[١].

---

(١) **أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف إلى العلاء بن المغيرة**: لم أقف علي ترجمته . ابن أبي الدنيا (١٣٧ الشكر) حدثنا الحسين بن عمرو القرشي (ابن محمد العنقزي) ثنا عيسى بن حنيفة (الكندي) عنه به الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي - القرشي - قال أبو حاتم : لين ، يتكلمون فيه ، وقال أبو زرعة : كان لا يصدق (الجرح والتعديل ٣/ ٦١-٦٢) . عيسى بن حنيفة الكندي : مستور (الجرح والتعديل ٦/ ٢٧٤) وله إسناد آخر عند أبي نعيم (٢/ ١٨١ حلية) من طريق بشر بن موسى (الأسدي) قال حدثنا الحميدي (عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي) قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن علي بن زيد (ابن جدعان) قال : أخبرت الحسن بموت الحجاج فسجد ، وقال : اللهم عقيرك ، وأنت قتلته ، فاقطع سنته وأرحنا من سنته وأعماله الخبيثة . ودعا عليه (إسناده أيضًا ضعيف) . بشر بن موسى الأسدي : مستور (الجرح والتعديل ٢/ ٣٦٧) . عثمان بن عبد الرحمن : لم أقف على شيخ للحميدي بهذا الاسم ، ولا ممن روى عن على بن زيد بن جدعان ، والله أعلم . على بن زيد بن جدعان : سبق له ترجمة .

فصل

ومن دقيق نعم الله على العبد التي لا يكاد يفطن لها أنه يغلق عليه بابه ، فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئًا من القوت ؛ ليعرفه نعمته عليه .

وقال سلام بن أبي مطيع : دخلت على مريض أعوده ، فإذا هو يئن ، فقلت له : اذكر المطروحين على الطريق ، اذكر الذين لا مأوى لهم ، ولا لهم من يخدمهم ، قال : ثم دخلت عليه بعد ذلك فسمعته يقول لنفسه : اذكري المطروحين في الطريق اذكري من لا مأوى له ولا له من يخدمه(١).

وقال عبد الله بن أبي نوح : قال لي رجل على بعض السواحل : كم عاملته - تبارك اسمه - بما يكره فعاملك بما تحب ؟ قلت : ما أحصى ذلك كثرة ، قال : فهل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك ؟ قلت : لا والله ، ولكنه أحسن إلى وأعانني ، قال : فهل سألته شيئًا فأعطاكه . قلت : وهل منعني شيئًا سألته ؟ ما سألته شيئا قط إلا أعطاني ، ولا استغثت به إلا أغاثني . قال : أرأيت لو أن [٧٢/ ب]بعض بني آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك ؟ قلت : ما كنت أقدر له مكافأة ولا جزاء . قال : فربك أحق وأحرى أن تذيب نفسك له في أداء شكره ، وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك ، والله لشكره أيسر من مكافأة عباده أنه تبارك وتعالى رضى من العباد بالحمد شكرا(٢).

---

(١) **إسناده ضعيف إلى سلام بن أبي مطيع رحمه الله تعالى**: ابن أبي الدنيا (١٤٠ الشكر) وأبو نعيم (٦/ ٢٠٣ الحلية) من طريق ابن أبي الدنيا في الشكر . قال : بلغني عن أبي خيثمة (زهير ابن حرب) عن زهير البابي (زهير بن نعيم البابي السلولي - أبو عبد الرحمن -) عنه به . لم يصرح ابن أبي الدنيا عن من بلغه . زهير ابن نعيم البابي : لا يعرف حاله . لم أقف له على ترجمة إلا في تهذيب الكمال والتهذيب والتقريب ولم يخرج له إلا أبي داود في المسائل . قال الحافظ في التقريب : عابد (تقريب ٢٠٣٩) .

(٢) **إسناده ضعيف إلى عبد الله بن أبي نوح**: ابن أبي الدنيا (١٤١ الشكر) قال محمد بن الحسين (البرجلاني) حدثني حكيم بن جعفر عنه به . حكيم بن جعفر : مستور . قال ابن أبي حاتم : روى عن صالح المري ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . صالح المري - هو صالح بن بشير المري - (الجرح والتعديل ٣/ ٢٠٢) . عبد الله ابن أبي نوح - لم أجد إلا - عبد الله بن نوح . فإن كان هو ، فهو . قال الأزدي : تركوه (ميزان ٢/ ٣٩٧) .

وقال سفيان الثوري : ما كان الله لينعم على عبد في الدنيا فيفضحه في الآخرة ، ويحق على المنعم أن يتم النعمة على من أنعم عليه [١].

وقال ابن أبى الحواري : قلت لأبى معاوية : ما أعظم النعمة علينا في التوحيد نسأل الله أن لا يسلبنا إياه ، قال : يحق على المنعم أن يتم النعمة على من أنعم عليه ، والله أكرم من أن ينعم بنعمة إلا أتمها ويستعمل بعمل إلا قبله[٢].

وقال ابن أبي الحواري : قالت لي امرأة : أنا في بيتي قد شغل قلبي ، قلت : وما هو ؟ قالت : أريد أن أعرف نعمة الله عليّ في طرفة عين ، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة عليّ في طرفة عين ، فقلت : تريدين مالا تهتدي إليه عقولنا[٣].

وقال ابن زيد : أنه ليكون في المجلس الرجل الواحد يحمد الله ﷻ فيقضى لأهل ذلك المجلس حوائجهم كلهم[٤] ، قال : وفي بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى أنه قال : سروا عبدي المؤمن فكان لا يأتيه شيء يحبه إلا قال : الحمد لله ما شاء الله قال : روعوا عبدي المؤمن فكان لا يطلع عليه طليعة من طلائع المكروه

---

(١) **أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن إلى سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى** : ابن أبي الدنيا (١٤٢ الشكر) حدثني أبو حاتم الرازي حدثني القاسم بن عثمان الدمشقي قال : قلت لسليمان أبي معاوية الأسود العابد : رأيت إبراهيم بن أدهم ؟ قال : فضحك وقال : وأكبر من إبراهيم بن أدهم ، قلت : من ؟ قال : سفيان الثوري ، ثم قال . فذكره . أبي معاوية الأسود - ترجمته - في من روى عنهم القاسم بن عثمان الجوعى الدمشقي في (الجرح والتعديل ٧/ ١١٤) وقد أفرد له أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٩) بابًا في زهده ، وقال الذهبي : أبو معاوية الأسود ، صاحب حكم ومواعظ ، وهو من أصحاب إبراهيم بن أدهم وسفيان بن سعيد الثوري وغيرهما (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠) .

(٢) **إسناده حسن إلى أبي معاوية الأسود** - يمان - . ابن أبي الدنيا (١٤٣ الشكر) حدثني أبو حاتم (الرازي) ثنا أحمد بن أبي الحواري (أحمد بن عبد الله بن ميمون - أبو الحسن . عنه به .

(٣) **إسناده منقطع إلى ابن أبي الحواري** : رواه ابن أبي الدنيا بلاغ . ابن أبي الدنيا (١٤٥ الشكر) قال : بلغني عن ابن أبي الحواري . فذكره .

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو : ضعيف . ابن أبي الدنيا (١٤٦ الشكر) حدثني الحسن بن عبد العزيز الجروي ثنا الحارث بن مسكين ثنا عبد الله بن وهب عنه به . عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ضعيف (تقريب ٣٨٥٨) .

إلا قال : الحمد لله الحمد لله فقال الله تبارك وتعالى : إن عبدي يحمدني حين روعته كما يحمدني حين سررته أدخلوا عبدي دار عزتي كما يحمدني على كل حالة(١). [٧٣/ أ]

وقال وهب : عبد الله عابد خمسين عاما ، فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ، قال : أي رب وما تغفر لي ولم أذنب ؟ فأذن الله لعرق في عنقه يضرب عليه ، فلم ينم ولم يصل ثم سكن فنام ، فأتاه ملك فشكا إليه ، فقال : ما لقيت من ضربان العرق ، فقال الملك : إن ربك يقول : إن عبادتك خمسين سنة تعدل سكون العرق(٢).

وذكر ابن أبي الدنيا أن داود عليه السلام قال : يا رب أخبرني ما أدنى نعمتك عليّ ؟ فأوحى الله إليه : يا داود تنفس ، فتنفس ، قال : هذا أدنى نعمتي عليك(٣).

فصل

وبهذا يتبين معنى الحديث الذي رواه أبو داود من حديث زيد بن ثابت وابن عباس ﷺ : ((**إِنَّ اللهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ**))(٤) ، والحديث الذي في الصحيح :

---

(١) **أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف** : ابن أبي الدنيا (١٤٧ الشكر) حدثني الحسن - ابن عبد العزيز الجروحي - ثنا الحارث (ابن مسكين) ثنا عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به .
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : سبق له ترجمة .

(٢) **إسناده ضعيف إلى وهب بن منبه** : ابن أبي الدنيا (١٤٨ الشكر) قال الحجاج بن يوسف (حجاج بن أبي يعقوب بن حجاج - المعروف بابن الشاعر - ثنا عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان حدثني عبد الله ابن صفوان وهو ابن بنت وهب عنه به . عبد الله بن صفوان عن وهب ابن منبه . قال هشام بن يوسف : ضعيف (المغني ٣٢٢١) .

(٣) **إسناده حسن إلى أبي أيوب القرشي** (سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس . ابن أبي الدنيا (١٤٩ الشكر) حدثني أبو أيوب القرشي مولى بني هاشم به .

(٤) **حسن** : وليس فيه ذكر لابن عباس ﷺ بل هو ابن مسعود ﷺ . أبو داود (٤٦٩٩) ابن ماجه (٧٧) أحمد (٥/ ١٨٣ - ١٨٥ - ١٨٦) ابن حبان (١٨١٧ موارد) من طريق أبي سنان - سعيد بن سنان - البُرْجُميُّ . عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي (عبد الله بن فيروز) قال : لقيت أُبي بن كعب ﷺ ، فقلت :=

« لَنْ يُنْجِي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُه » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرحمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ »(١) ، فإن أعمال العبد لا توافي نعمة من نعم الله عليه .

وأما قول بعض الفقهاء : إن من حلف أن يحمد الله بأفضل أنواع الحمد ، كان بر يمينه أن يقول : الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده فهذا ليس بحديث عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة ، وإنما هو إسرائيلي عن آدم ، وأصح منه الحمدُ لله غَيرُ مكفي ولا مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغنى عَنْهُ رَبنا(٢). ولا يمكن حمد العبد وشكره أن يوافي نعمة من نعم الله فضلا عن موافاته جميع نعمه ، ولا يكون فعل العبد وحمده مكافئا للمزيد ، ولكن يحمل هذا على وجه يصح وهو : أن الذي يستحقه الله سبحانه من الحمد حمدا يكون موافيا لنعمه ومكافئا لمزيده إن لم يقدر العبد أن يأتي به ، كما إذا قال : الحمد لله [٧٣/ ب] ملء السماوات ، وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد وعدد الرمال والتراب والحصى والقطر ، وعدد أنفاس الخلائق ، وعدد ما خلق الله ، وما هو خالق فهذا إخبار عما يستحقه من الحمدِ لا عما يقع من العبد من الحمد .

= يا أبا المنذر إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي ، فذكره موقوفًا ، وفيه ولو أنفقت جبل أُحُد ذهبًا في سبيل الله ﷻ ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير ذلك لدخلت النار . قال : ابن الديلمي فأتيت حذيفة ﷺ فقال لي مثل ذلك ، وأتيت ابن مسعود - عبد الله بن مسعود ﷺ ، فقال لي مثل ذلك ، وأتيت زيد بن ثابت ﷺ فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك . أبو سنان الشيباني الأصغر ، وثقه ابن معين وأبو داود وأبو حاتم ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال الإمام أحمد : ليس بالقوى في الحديث (تهذيب الكمال ٣/ ١٧٢) . قال ابن حجر : صدوق - له أوهام (تقريب ٢٣٢٤) .

(١)**صحيح** : البخاري (٥٦٧٣ - ٦٤٦٣) مسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٢)**صحيح** : البخاري (٥٤٥٨ - ٥٤٥٩) من حديث أبي أُمامة ﷺ مرفوعًا .

فصل

وقال أبو المليح: قال موسى ﷺ: يا رب ما أفضل الشكر ؟ قال : أن تشكرني على كل حال[1] ، وقال بكر بن عبد الله : قلت لأخ لي : أوصني ، فقال : ما أدرى ما أقول ، غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر من الحمد والاستغفار ، فإن ابن آدم بين نعمة وذنب ، ولا تصلح النعمةُ إلا بالحمدِ والشكر ، ولا يصلح الذنبُ إلا بالتوبة والاستغفار ، فأوسعني علمًا ما شئت[2].

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: رأيت في يد محمد بن واسع قرحة ، فكأنه رأى ما شق على منها : فقال لي : أتدرى ماذا لله على في هذه القرحة من نعمة حين لم يجعلها في حدقتي ، ولا طرف لساني ، ولا على طرف ذكري ؟ فهانت قرحته[3].

وروى الجريري عن أبى الورد عن اللجلاج عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى على رجل وهو يقول : اللهم إني أسألك تمام النعمة ، فقال : « ابن آدم هَلْ تَدْرى مَا تَمَـامُ النِّعْمَة ؟ قال : يا رسول الله دعوة دعوت بها أرجو بها الخـير ،

---

(١) **إسناده ضعيف جدا إلى أبي المليح**- ابن أسامة الهذلي رحمه الله تعالى - ابن أبي الدنيا (١٥١ الشكر) حدثني محمد بن عباد - ابن موسى العكلي - ثنا أبي عباد بن موسى المعروف بسندولا عن عبيد الله بن أبي حميد (الهذلي) عنه به . محمد بن عباد بن موسى : صدوق - يخطئ (تقريب ٥٩٨٤) . عباد بن موسى بن راشد والد محمد : مجهول (تقريب ٣١٤٠) . عبيد الله بن أبي حميد - أبو الخطاب الهذلي : متروك الحديث (تقريب ٤٢٧٧) .

(٢) **إسناد ضعيف جدًّا إلى بكر بن عبد الله المزني**- رحمه الله تعالى - ابن أبي الدنيا (١٥٠ الشكر) حدثني محمد بن عباد بن موسى ثنا أبي عن عبيد الله بن أبي حميد عنه به . الإسناد : سبق ترجمته .

(٣) **إسناده ضعيف**: وفيه انقطاع إلى عبد العزيز بن أبي رواد . ابن أبي الدنيا (١٥٢ الشكر) أبو نعيم (٢/ ٣٩٩ الحلية) من طريق محمد بن مصعب - القِرْقِسائي - قال : ذُكر عن عبد العزيز بن أبي رواد . به . محمد بن مصعب بن صدقة - القرقسائي - قال ابن معين : ليس بشيء ، ومشاه أحمد بن حنبل (المغني ٥٩٩٠) ، وقال الحافظ بن حجر : صدوق ، كثير الخطأ (تقريب ٦٢٩٢) . قوله ذُكر . منقطع .
عبد العزيز بن أبي رواد : صالح الحديث ، وضعفه ابن الجنيد ، وقال ابن حبان : روى عن نافع بن عمر رضي الله عنهما ، نسخة موضعة (المغني ٣٧٣٤) ، وقال الحافظ بن حجر : صدوق - عابد - ربما وهم - ورمى بالإرجاء (تقريب ٤٠٨٧) .

فقال : إنَّ من تَمَام النِّعْمَةِ الفوز مِن النَّارِ وَدُخُول الجنَّة »[1].

وقال تميم بن سلمة : حُدِّثتُ أن الرجلَ إذا ذكر اسم الله على أول طعامه وحمده على آخره لم يُسْأَل عن نعيم ذلك الطعام[2].

فصل

ويدل على فضل [٧٤/ أ] الشكر أن الله سبحانه يحب أن يسأل العافية ، وما سئل شيئًا أحب إليه من العافية ، كما في المسند عن أبى صالح عن أبى هريرة ﷺ قال : قام أبو بكر ﷺ على المنبر ثم قال : سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فَإِنَّهُ لَم يُعْطَ عَبْدٌ بَعْدَ اليقين خَيْرًا مِنَ العَافِيـةِ[3] ، وفي حديث آخر : « إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوا فِي الدُّنْيَـا شَيْئًا

---

(١) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٣٥٢٧) أحمد (٥/ ٢٣١ - ٢٣٦) الأدب المفرد (٧٢٥) من طريق أبي الورد - ابن ثمامة بن حزن القسيري - عن اللجلاج عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا . أبو الورد : مقبول (تقريب ٨٤٣٠) . اللجلاج : والد بن اللجلاج - العامري) .

(٢) **إسناده صحيح إلى تميم بن سلمة** (السلمي) رحمه الله تعالى ، وليس - سهم) ابن أبي الدنيا (١٥٩ الشكر) حدثنا خلف بن هشام ثنا أبو الأحوص - سلام بن سليم - عن منصور - ابن المعتمر - عنه به .

(٣) **صحيح بمجموع طرقه** : والإسناد لم أقف عليه في مسند الإمام أحمد ، وهو عند ابن أبي الدنيا (١٥٤ الشكر) سندا ومتنا . قال : حدثنا أحمد بن عمر المقرئ - الكندي الجلاب الضرير المعروف بالوكيعي - ثنا حسين بن على - الجُعْفِيّ - عن زائدة (ابن قدامة) عن عاصم (ابن أبي النجود) عن أبي صالح (ذكوان - السمان) عن أبي هريرة ﷺ به . عاصم بن أبي النجود : سبق له ترجمة . وله طريق في مسند الإمام أحمد (١/ ٤) من طريق حيوة بن شريح قال : سمعت عبد الملك بن الحارث يقول : إن أبا هريرة ﷺ قال : سمعت أبا بكر الصديق ﷺ على هذا المنبر يقول : فذكره . مختصرًا . عبد الملك بن الحارث هو : عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . روى عن أبي هريرة ، وأم سلمة ، وأن هذا : مرسل (تحفة التحصيل ٦١٩) ، وله شاهد عند الترمذي (٣٥٥٨) وأحمد (٣/ ١) من طريق عبد الرحمن بن مهدي وأبو عامر - عبد الملك بن عمرو العقدي - قالا : حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل . معاذ بن رفاعة بن رافع الأنصاري عن أبيه رفاعة بن رافع ﷺ قال : سمعت أبا بكر الصديق ﷺ يقول على منبر رسول الله ﷺ فذكر مرفوعًا بنحوه . زهير بن محمد التميمي العنبري - أبو المنذر - الخرساني المروزي . قال أبو بكر الأثرم : سمعت أبا عبد الله - يعني الإمام أحمد بن حنبل - وذكر رواية الشامين عن محمد بن زهير قال : يروون عنه أحاديث مناكير هؤلاء ، ثم قال لي : ترى هذا زهير بن محمد الذي يروون عنه أصحابنا ، ثم قال : أما رواية أصحابنا عنه ، فمُستقيمة ؛ عبد الرحمن بن مهدي ، وأبو =

أَفْضَلَ مِنَ العَفْوِ والعَافِيةِ فَسَلُوهُمَا اللهَ ﷻ »[1].

وقال ﷺ لعمه العباس : « **يا عَمّ أَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ بِالعَافِيَةِ** »[2] وفي الترمذي ، قلت : يا رسول الله ! علمني شيئا أسأله الله . قال : « سَلِ اللهَ العافية » ، فمكثت أياما ، ثم جئت ، فقلت : علمني شيئًا أسأله الله ، فقال لي : « يا عباس ، يا عم رسول الله ، سَلِ الله العافية في الدنيَا والآخِرَة »[3] ، وقال ﷺ في دعائه يوم الطائف : « إِن لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيّ غَضَبٌ فَلاَ أُبَالِي غَيْرَ أَنْ عَافِيتكَ أَوْسَعُ لِي »[4] فلاذ بعافيته كما استعاذ بها في قوله : « **أعوذُ بِرِضَاك مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ**

= عامر ، وأحاديث مستقيمة صحاح (تهذيب الكمال ٣/ ٣٧) . عبد الله بن محمد بن عقيل : حسن الحديث ، احتج به أحمد وإسحاق ، وقال ابن خزيمة : لا أحتج به ، وقال أبو حاتم وغيره : لين الحديث (المغني ٣٣٣٧) ، وقال الحافظ بن حجر : صدوق ، في حديثه لين (تقريب ٣٥٨٦) ، وله شاهد عند ابن ماجه (٣٨٤٩) أحمد (١/ ٣-٥) الأدب المفرد (٧٢٤) الحاكم (١/ ٥٢٩) من طريق سليم بن عامر (الكلاعي ، ويقال ، الخبائري - أبو يحيى الحمصي - عن أوسط بن إسماعيل بن أوسط البجلي قال : خطبنا أبو بكر ﷺ فذكره .

(١) **صحيح** : النسائي (٨٩٢ عمل اليوم والليلة) ابن أبي الدنيا (١٥٤ الشكر) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٢) **إسناده حسن** : ابن أبي الدنيا (١٥٣ الشكر) الطبراني (١١/ ٢٦١-٢٦٢ الكبير) الحاكم (١/ ٥٢٩) من طريق هلال بن خباب . أبو العلاء البصري ، عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما به - هلال بن خباب - قال إبراهيم بن الجنيد : سألت ابن معين عن هلال بن خباب ، وقلت : أن يحيى القطان يزعم أنه تغير قبل أن يموت واختلط ، فقال : لا . ما اختلط ولا تغير ، قلت ليحيى - يعني ابن معين - : فثقة هو ؟ قال : ثقة مأمون (تهذيب التهذيب ١١/ ٧٨) .

(٣) **إسناده ضعيف** : ويشهد له ما قبله . الترمذي (٣٥١٤) الأدب المفرد (٧٢٦) من حديث العباس ﷺ عم النبي ﷺ مرفوعًا . في إسناده : يزيد بن أبي زياد - القرشي ، الهاشمي ، أبو عبد الله الكوفي - عن عبد الله ابن الحارث - ابن نوفل - عنه به . قال الترمذي : هذا حديث صحيح ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل قد سمع من العباس بن عبد المطلب .ا.هـ . يزيد بن أبي زياد - القرشي ، الكوفي - قال أحمد : لم يكن بالحافظ ، وقال أيضا : لين بذاك ، وقال يحيى ابن معين : لا يحتج بحديثه ، وقال أيضًا : ليس بالقوي ، وقال أيضًا : ضعيف الحديث ، وقال عبد الله بن المبارك : ارم به ، وقال أبو زرعة : لين ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، وقال أبو داود : لا أعلم أحدًا ترك حديثه ، وغيره أحب إلي منه (تهذيب الكمال ٨/ ١٢٦-١٢٧) . قال الحافظ بن حجر : كان شيعيًا ، ضعيف (تقريب ٧٧٠٧) .

(٤) **إسناده ضعيف**: سبق تخريجه .

مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ »[1].

وفي حديث آخر: « **سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ والمُعَافَاة** »[2] وهذا السؤال متضمن للعفو والعافية عما مضى ، والعافية في الحال ، والمعافاة في المستقبل ، بدوام العافية واستمرارها وكان عبد الأعلى التيمي يقول : أكثروا من سؤال الله العافية ، فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء ، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس ، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم ، ولو كان البلاء يجر إلى خير ما كنا من رجال البلاء إنه رُبَّ بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخرة ، فما يؤمن من حاله [٧٤/ ب] المقام على معصية الله أن يكون قد بقى له في بقية عمره من البلاء ما يجهده في الدنيا ويفضحه في الآخرة ، ثم يقول عند ذلك : الحمد لله الذي إن تعد نعمه لا نحصيها ، وإن ندأب له عملا لا نجزيها ، وإن نعمر فيها لا نبليها[3] ومر رسول الله ﷺ برجل يسأل الله الصبر فقال : لقد سألت البلاء فاسأل الله العافية[4].

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ عاد رجُلًا قد خفت وصار مثل الفرخ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « **هَلْ كُنْتَ تَدعُو اللهَ بِشيءٍ أَو تَسْأَلُه إِيَّاهُ ؟** » قال : نعم كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا : فقال رسول الله ﷺ : « **سُبْحَانَ الله لاَ تُطِيقُه وَلاَ تَسْتَطِيعُهُ ، أَفَلاَ قُلْتَ : اللَّهُمَ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النَّارِ** » ، فدعا الله له فشفاه[5].

وفي الترمذي من حديث أبى هريرة ﷺ قال : دعـاء حفظته من رسول الله ﷺ

---

(١) **صحيح**: مسلم (٤٨٦) من حديث أبي هريرة ﷺ عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا .

(٢) **صحيح**: سبق تخريجه .

(٣) في إسناده من لم أعثر لهما على ترجمة وباقي رجال إسناده ثقات إلى عبد الأعلى : ابن أبي الدنيا (١٥٧ الشكر) حدثني أبو عبد الله التيمي - محمد بن صالح بن خلف التيمي - حدثني أبي حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر - ابن كدام - عنه به . محمد بن صالح بن خلف وأبيه : لم أعثر لهما على ترجمة .

(٤) **إسناده ضعيف**: سبق تخريجه .

(٥) **صحيح**: مسلم (٢٦٨٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا .

لا أدعه : « اللهم اجعلني أُعَظِمُ شُكْرَكَ ، وأُكْثِرُ ذِكْرَكَ وأَتَّبِعُ نَصِيحَتكَ وَأَحْفَظُ وَصِيَّتَك »[١].

وقال شيبان: كان الحسن إذا جلس مجلسا يقول : لك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال ، بسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك أعطيتنا ، فلك الحمد كثيرًا كما تنعم كثيرا ، أعطيت خيرًا كثيرًا ، وصرفت شرًّا كبيرًا فلوجهك الجليل الباقي الدائم الحمد[٢] ، وكان بعض السلف يقول : اللهم ما أصبح بنا من نعمة ، أو عافية ، أو كرامة في دين أو دنيا ، جرت علينا فيما مضى ، وهى جارية علينا فيما بقى ، فإنها منك وحدك لا شريك لك [٧٥/ أ]فلك الحمد بذلك علينا ، ولك المن ، ولك الفضل ولك الحمد عدد ما أنعمت به علينا وعلى جميع خلقك لا إله إلا أنت[٣].

وقال مجاهد: كان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا كان في سفر فطلع الفجر رفع صوته ونادى : سمع سامع بحمد الله ونعمه وحسن بلائه علينا ثلاثا ، اللهم

---

(١) **إسناده ضعيف**: الترمذي (٣٦٦٧ تحفة الأحوذي) أبو داود الطيالسي (٢٦٧٦ مسند) تحفة الأشراف (١٤٩٣٧ - ١٠/ ٤٥٤) أحمد (٢/ ٣١٢-٤٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . في إسناده : فرج بن فضالة عن أبي سعد الحمصي عنه به . فرج بن فضالة : ضعيف (تقريب ٥٣٧٤) . أبو سعد الحمصي ، عن أبي هريرة ، وواثلة . ما روى عنه سوى فرج بن فضالة (ميزان ٤/ ٤٨٥) قال الحافظ ابن حجر : أبو سعد الحميري الحمصي ، ويقال : أبو سعيد : مجهول (لسان الميزان ٧/ ٤٧١) (تقريب ٨١١٣) .

(٢) في إسناده متهم بالكذب ومن لم أعثر لهما على ترجمة إلى الحسن البصري ، وشيبان غلط ، والصواب : أبو يوسف الأعشى . ابن أبي الدنيا (١٦١ الشكر) حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح بن خلف التيمي ثنا أبو يوسف الأعشى عنه به . محمد بن صالح بن خلف أبو عبد الله التيمي : سبق ترجمته . أبو يوسف الأعشى : اسمه : يعقوب ، قال أبو الفتح الأزدي : كذاب ، رجُل سوء (ميزان ٤/ ٤١٧) (المغني ٧٢٠٧) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا ورجال الإسناد لم أعثر لهم على تراجم : ابن أبي الدنيا (١٦٠ الشكر) حدثني أبو عبد الله التيمي حدثني شريح العابد قال : سمعت يحيى بن بليق الجمال وهو مولى لبني وديعة بن عبد الله بن لؤي . قال : كنا بطريق مكة فأصابنا عطش شديد ، فاكترينا دليلًا يخرج بنا إلى موضع ذكر لنا أن فيه ماء ، فبينما نحن نسير نُبادر الماء بعد طلوع الفجر ، إذا صوت نسمعه ويقول : ألا تقولون ؟ قال يحيى : فأجبته ، فقلت : وما نقول ؟ فقال : فذكره .

صاحبنا فأفضل علينا ، عائذ بالله من النار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاثا[1].

وذكر الإمام أحمد : أن الله سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران ﷺ : يا موسى كن يقظان مرتادًا لنفسك أخدانا ، وكل خدن لا يواتيك على مسرتي فلا تصحبه ، فإنه عدو لك ، وهو يقسي قلبك ، وأكثر ذكرى حتى تستوجب الشكر ، وتستكمل المزيد[2].

وقال الحسن : خلق الله آدم حين خلقه ، فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى ، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى ، فدبوا على وجه الأرض منهم الأعمى والأصم والمبتلى ، فقال آدم : يا رب ألا سويت بين ولدي ؟ قال : يا آدم إني أردت أن أشكر[3].

وفي السنن عنه ﷺ : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، إلا

---

(١) **إسناده صحيح إلى ابن عمر رضي الله عنهما** : ابن أبي الدنيا (١٦٣ الشكر) حدثنا خلف بن هشام - البزار - ثنا خالد - ابن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطي - عن خصين - ابن عبد الرحمن السلمي - عن مجاهد - ابن جبر - عنه به . سماع مجاهد بن جبر من عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فقد أخرج البخاري ثلاثة أحاديث برقم (٨٩٩) من طريق عمرو بن دينار عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا « ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد » وبرقم (٦٤١٦) من طريق سليمان الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي ، فقال : « **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** ... » الحديث ، وآخر برقم (١٧٧٥) من طريق منصور عن مجاهد قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جالس إلى حُجرة عائشة - رضي الله عنها - .

(٢) **إسناده صحيح** : إلى محمد بن النضر الحارثي - العابد - أحمد (٤٣٥ الزهد) ابن أبي الدنيا (١٦٤ الشكر) أبو نعيم (٨/ ٢٤٤ الحلية) من طريق أبي الأحوص - سلام بن سليم - عنه به . محمد بن النضر الحارثي - العابد - كوفي - رو ى عن الأوزاعي ، روى عنه عبد الله بن المبارك وأبو نصر التمار ، وعبد الرحمن بن مهدي (الجرح والتعديل ٨/ ١١٠) . قلت : وروى عنه سلام بن سليم - أبو الأحوص -.

(٣) **إسناده ضعيف** : إلى الحسن البصري . ابن أبي الدنيا (١٦٥ الشكر) حدثنا خلف بن هشام ثنا الحكم بن سنان عن حوشب عنه به . الحكم بن سنان - الباهلي - : ضعيف (تقريب ١٤٣٢) .
حوشب عن الحسن : سبق ترجمته .

أدى شكر ذلك اليوم ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته »(١) ، ويذكر عن النبي ﷺ : « مَنْ أُبتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَأُعْطِيَ فَشَكَر ، وَظُلِمَ فَغَفَر ، وظلمَ فاستَغْفَر ، أُولئِكَ لَهم الأَمْنُ وَهُمْ مُهتَدُون »(٢) ، ويذكر عنه ﷺ أنه أوصى رجلا بثلاث فقال : « أَكْثِر مِن ذِكرِ الموت يَشْغَلُكَ عَمّا سِوَاهُ ، وَعَلَيْكَ بالدعَاءِ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَتَى يُسْتَجَابُ لَكَ ، وعَلَيْكَ بالشكْرِ فَإِنَّ الشكْرَ زِيَادَةٌ »(٣).

ويذكر عنه ﷺ أنه كان إذا أكل قال : « الحمدُ لله الَّذِي أَطعَمَني وسَقَانِي وَهَدانِي وَكُل بلاءٍ حَسَن أَبْلاَنِي ، الحمدُ لله الرزاق ذي القَوةِ المتين ، اللَّهُمَّ لا تَنْزع منا صَالِحا أعطيتنا ، ولا صالحًا رزقتنا ، واجعلنا لك من الشاكرين »(٤) ، ويذكر

---

(١) **إسناده ضعيف** : أبو داود (٥٠٧٣) النسائي (٩٨٣٥ السنن الكبرى) ابن أبي الدنيا (١٦٦ الشكر) ابن حبان (٢٣٦١ موارد) من حديث عبد الله بن غنام ﷺ مرفوعًا . في إسناده : ربيعة بن أبي عبد الرحمن – ربيعة الرأى – عن عبد الله بن عنبسة عنه به . عبد الله بن عنبسة : مقبول (تقريب ٣٥١٠).

(٢) **منكر** : ابن أبي الدنيا (٣٣ الصبر ، ١٦٧ الشكر) الطبراني (١٦١٤ الكبير) تهذيب الكمال (٣/ ١٠٩) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٧) من طريق محمد بن المعلى الكوفي عن زياد بن خيثمة عن أبي داود – نفيع بن الحارث – عن عبد الله بن سخبرة عن سخبرة قال : قال النبي ﷺ فذكره . نفيع بن الحارث – أبو داود – الأعمى : هالك تركوه (المغني ٦٦٦٨) . قال الحافظ ابن حجر : متروك ، وقد كذبه ابن معين (تقريب ٧١٧٢) . عبد الله بن سخبرة عن أبيه ، تفرد عنه أبو داود – نفيع الأعمى ، وأبو داود . تالف (ميزان ٢/ ٣٢٨) . قال الحافظ ابن حجر : عبد الله بن سخبرة عن سخبرة ، ليس بالأزدي صاحب عبد الله بن مسعود ﷺ ، أما هذا تفرد عنه بالرواية نفيع ، أبو داود الأعمى : مجهول (تقريب ٣٣٣٧) . سخبرة . قال الترمذي : ولا نعرف لعبد الله بن سخبرة ، كبير شيء ولا لأبيه (٢٦٤٨) وفي تهذيب الكمال . يقال : له صحبة (٣/ ١٠٨) .

(٣) **إسناده ضعيف** : ابن أبي الدنيا (١٦٨ الشكر) أبو نعيم (٧/ ٣٥٦ الحلية) من طريق إسحاق بن إسماعيل – الطالقاني يعرف باليتيم – ثنا سفيان – ابن عيينة – حدثني رجل من أسناننا – أشياخنا – أن النبي ﷺ أوصى رجلاً بثلاث . فذكره . قول سفيان بن عيينة حدثنا رجل من أشياخنا الرجل مبهم .

(٤) **إسناده ضعيف جدا** : ابن أبي الدنيا (١٧٠ الشكر) حدثنا محمد بن إدريس الحنظلي ثنا بشر بن محمد الواسطي ثنا خالد بن محدوج – أبو روح – عن أنس بن مالك ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا أكل قال : فذكر . بشر بن محمد الواسطي هو : ابن أبان بن مسلم السكر : صدوق – يُغرب . قال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به . وروى عنه أبو حاتم ، وإبراهيم الحربي ، وقال الأزدي : منكر الحديث (المغني ٩٢١) قال الذهبي : بشر بن محمد السكري أحد الواهين (ميزان ١/ ٦٢٦ – ١/ ٣٣٦) . خالد بن محدوج ، ويقال : مقدوح عن أنس ، وغيره . واسطي . رماه يزيد بن هارون بالكذب . وقال أبو حاتم : ليس بشيء ضعيف جدًا ، وقال النسائي : متروك . قال البخاري : كان يزيد ، يرميه بالكذب . قال ابن عدي : يكنى ، أبا صالح (ميزان ١/ ٦٢٥) .

عنه ﷺ أنه كان إذا أكل قال : « **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى** [٧٥/ ب]**وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا** »[١].

وكان عروة بن الزبير إذا أُتِي بطعام لم يَزَلْ مُخَمَّرًا حتى يقول هذه الكلمات : الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا ، الله أكبر ، اللهم ألفتنا نعمتك ، ونحن بكل شر ، فأصبحنا وأمسينا منها بخير ، نسألك تمامها وشكرها ، لا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، إله الصالحين ، ورب العالمين ، الحمد لله لا إله إلا الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، وقنا عذاب النار[٢].

وقال وهب بن منبه : رءوس النعم ثلاثة : فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها ، والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها ، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها[٣] وقدم سعيد الجريري من الحج ؛ فجعل يقول : أنعم الله علينا في سفرنا بكذا وكذا ، ثم قال : تعداد النعم من الشكر[٤] ومر وهب

---

(١) **إسناده صحيح**: أبو داود (٣٨٥١) النسائي (٢٨٧ عمل اليوم والليلة) ابن حبان (١٣٥١ موارد) من طريق عبد الله بن وهب بن مسلم أخبرني سعيد بن أبي أيوب - أبو يحيى بن مقلاص - الخزاعي) عن زهرة بن معبد - أبو عقيل ، القرشي ، المدني عن أبي عبد الرحمن الحبلى - عبد الله بن يزيد المعافري عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ مرفوعًا .

(٢) **إسناده حسن إن كان راوي القصة أدرك عروة بن الزبير**: ابن أبي الدنيا (١٦٩ الشكر) حدثنا على بن حرب الطائي ثنا الحسين بن علي الجعفي عن أبي موسى (إسرائيل بن موسى البصري نزيل الهند) عنه به . إسرائيل بن موسى البصري . روى عن الحسن البصري وسلمان ، أبي حازم الأشجعي ، ومحمد بن سيرين : ثقة (تهذيب الكمال ١/ ٢٠٧) قلت : لم أعثر على وفاته حتى يتبين أنه أدرك عروة أم أخذ هذه القصة من غيره ، وهي في فضائل الأعمال .

(٣) **في إسناده من لم أعثر لهما على ترجمة إلى وهب بن منبه**: ابن أبي الدنيا (١٧٢ الشكر) أبو نعيم (٤/ ٧٠-٧١ الحلية) من طريق عبد الله بن محمد بن عون ثنا روح بن عبد الرحمن عن شيخ من تميم عنه به . عبد الله ابن محمد بن عون وروح بن عبد الرحمن : لم أعثر لهما على ترجمة ، والله أعلم . قلت : ويغلب على ظنى أن يكون ، عون هو : ابن عمارة ويكون ، روح هو ابن القاسم التميمي وبذلك يكون في الإسناد تصحيف ، والله أعلم . انظر ترجمة روح بن القاسم التميمي (٢/ ٤٩٧ تهذيب الكمال) .

(٤) **إسناده حسن إلى الجريري**: سعيد بن إياس - أبو مسعود رحمه الله تعالى - ابن أبي الدنيا (١٧٣ الشكر) أبو نعيم (٦/ ٢١٦ الحلية) من طريق محمد بن الحسين - البرجلاني - ثنا عبيد الله بن محمد (ابن حفص بن عمر - ابن عائشة - والعائشي - والعيشي) عن سعيد بن عامر - الضبعي - عن سلام بن أبي مطيع عنه به .

بمبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان به وضح وهو يقول : الحمد لله على نعمه فقال رجل كان مع وهب : أي شئ بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها ؟ فقال له المبتلى : ارم ببصرك إلى أهل المدينة فانظر إلى كثرة أهلها ، أفلا أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري[(١)].

ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أنعم الله على عبد نعمة ؛ فحمده عندها فقد أدى شكرها[(٢)] » ، وذكر على بن أبي طالب ﷺ : أن بختنصر أتى بدانيال فأمر به فحبس في جب ، وأضرى أسدين ثم خلى بينهما وبينه ، ثم فتح عنه بعد خمسة أيام فوجده قائما يصلى ، والأسدان في ناحية الجب لم يعرضا له ، فقال له : ما قلت حتى دفع عنك ؟ قال : قلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، والحمد لله

---

(١) **إسناده ضعيف إلى وهب بن منبه:** ابن أبي الدنيا (١٧٤ الشكر) أبو نعيم (٤/ ٧١ الحلية) من طريق الحسن بن يحيى بن كثير العنبري ثنا خزيمة العابد عنه به . الحسن بن يحيى بن كثير . قال النسائي : لا بأس به ، وقال مرة : لا شيء ، خفيف الدماغ (تهذيب الكمال ٢/ ١٧٠) . خزيمة - العابد - أبو محمد - ترجمته في الحلية (٦/ ٣٢٩) ولم أجده في غيرها من كتب الرجال ، والله أعلم .

(٢) **منكر:** ابن أبي الدنيا (١٧٥ الشكر) حدثني على بن شعيب - ابن عدي بن همام - السمسار . البزار - أبو الحسن البغدادي - ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا محمد بن عمرو - ابن علقمة - قال : سمعت السري بن عبد الله - السلمى - وهو على الطائف ، فأصابنا مطر ، فخطب الناس فقال : أيها الناس احمدوا الله ﷻ على ما وضع لكم من رزقه ، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال : فذكره . محمد بن عمرو بن علقمة : سبق له ترجمة . السري بن عبد الله - السلمي - لا يعرف ، وأخباره منكرة (ميزان ٢/ ٩٥) . وله طريق آخر عند الحاكم (١/ ٥٠٨-٥٠٩) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٥٠) من طريق أبو معاوية . عبد الرحمن بن قيس ثنا محمد بن أبي حميد عن ابن المنكدر عن جابر ﷺ مرفوعًا . ما أنعم الله على عبد من نعمة ، فقال : الحمد لله ، إلا وقد أدى شكرها ، فإن قالها الثانية . جدد الله له ثوابها ، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، إلا أنهما لم يخرجا أبا معاوية . قال الذهبي : ليس بصحيح ، قال أبو زرعة : عبد الرحمن بن قيس : كذاب .

عبد الرحمن بن قيس - أبو معاوية الزعفراني البصري : كذبه ابن مهدى وأبو زرعة . وقال البخاري : ذهب حديثه ، وقال أحمد : لم يكن بشيء (ميزان ٢/ ٤٥٠) وقال صالح بن محمد : كان يضع الحديث ، وقال الحاكم أبو أحمد : ذاهب الحديث ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال أبو نعيم الأصبهاني : لا شيء ، وقال مسلم : ذاهب الحديث ، وقال النسائي : متروك (تهذيب الكمال ٤/ ٤٦٠) (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٨) . محمد بن أبي حميد - الأنصاري الزرقي -: سبق له ترجمة .

الذي لا يخيب [٧٦/ أ] من رجاه ، والحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره ، والحمد لله الذي هو يقيننا حين تنقطع عنا الحيل ، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين يسوء ظننا بأعمالنا [والحمد لله الذي يكشف عنا ضرنا بعد كربتنا ، والحمد لله الذي يجزى بالإحسان إحسانا][1] والحمد لله الذي يجزى بالصبر نجاة[2].

ويذكر عنه ﷺ : أنه كان إذا نظر في المرآة قال : ((الحمدُ لله الَّذي حسّن خَلْقِي وخُلُقي ، وَزَان مِنى مَا شَانَ مِن غَيرِي))[3].

---

(١) زيادة في المطبوع .

(٢) خبر موضوع عن علي ﷺ : ابن أبي الدنيا (١٧٦ الشكر) حدثنا القاسم بن هشام حدثني علي بن عياش (الألهاني - الحمصي) ثنا إسماعيل بن عياش (ابن سليمان العنسي - أبو عتبة الحمصي) ثنا أبو مسكين القرشي - طلحة بن زيد - عن عبد الملك بن سليمان عن عمرو بن مرة عن أبي البختري - سعيد بن فيروز - عنه به . أبو مسكين القرشي - طلحة بن زيد - قال البخاري والنسائي وأبو حاتم : منكر الحديث ، وقال ابن حبان : منكر الحديث ، لا يحل الاحتجاج بخبره ، وقال أحمد بن حنبل وأبو نعيم الأصبهاني : حدث بالمناكير ، وقال ابن المديني وأحمد فيا موضع آخر : كان يضع الحديث ، والدارقطني وأبو حاتم : ضعيف ، وقال أبو حاتم : لا يعجبني حديثه ، وقال صالح بن محمد البغدادي : لا يكتب حديثه (تهذيب الكمال ٣/ ٥٠٤) . أبو البختري - سعيد بن فيروز : ثقة ، ولم يسمع من علي ﷺ شيئًا (تهذيب الكمال ٣/ ١٩١) .

(٣) إسناده منقطع - مرسل : ابن أبي الدنيا (١٧٧ الشكر) حدثنا على بن شعيب (ابن عدي - السمسار - البزار) ثنا ابن أبي فديك قال : بلغني عن جعفر بن محمد (ابن على بن الحسين بن علي - المعروف بالصادق) كان رسول الله ﷺ إذا نظر في المرآة قال : فذكره . ابن أبي فديك - محمد بن إسماعيل - روى بلاغ . قلت : لا يعرف من بلغه . محمد بن جعفر - الصادق : لم يدرك النبي ﷺ والخبر روى مرسلاً ، وله طرق أُخرى عند ابن السني (١٦٣ عمل اليوم والليلة) من حديث علي ﷺ مرفوعًا . وفي إسناده : الحسين بن أبي السري - ضعيف جدًا (تقريب ١٣٣٤) - وآخر عند أبي يعلى (٤/ ٤٧٨ - ٢٦١١ مسند) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ، وفي إسناده عمرو بن الحصين العُقيلي : متروك (تقريب ٥٠٠٢) ويحيى بن العلاء البجلي : كذاب ورمي بالوضع (تقريب ٧٦٠٨) وآخر عند ابن السني (١٦٥ عمل اليوم والليلة) من حديث أنس ﷺ مرفوعاً ، وفي إسناده : هاشم بن عيسى - أبو معاوية - الحمصي - عن أبيه : منكر الحديث وهو وأبوه مجهولان بالنقل - العقيلي (٤/ ٣٤٣ الضعفاء الكبير) وآخر عند ابن المبارك (١١٧٤ الزهد) من طريق عبد الله بن المثنى بن أنس قال : حدثني رجل من آل أنس بن مالك أنه سمع بن مالك ﷺ - فذكره مرفوعًا . عبد الله بن المثنى عن عمومته . قال أبو حاتم : صالح الحديث ، وقال أبو داود : لا أخرج حديثه ، وقال ابن معين : ليس بشيء (المغني ٣٣٢٠) ، وقال أيضًا أبو داود : قال أبو سلمة : حدثنا عبد الله بن المثنى ، ولم يكن في القريتين بعظيم ، وكان ضعيفًا ، منكر الحديث - العقيلي (٢/ ٣٠٤ الضعفاء الكبير) قلت : وشيخه : لا يعرف .

وقال ابن سيرين : كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يكثر النظر في المرآة ، وتكون معه في الأسفار فقلت له : ولم ؟ قال : أنظر فما كان في وجهي زين ، فهو في وجه غيري شين ، أحمد الله عليه[1] ، وسُئل أبو بكر بن أبى الدنيا : ما تمام النعمة ؟ قال : أن تضع رِجْلًا على الصراط ورجلا في الجنة[2] ، وقال بكر بن عبد الله : يا ابن آدم إن أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك فغمض عينيك[3].

وقال مقاتل في قوله : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠]

---

(١) **إسناده ضعيف جدًا** : إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ابن أبي الدنيا (١٧٨ الشكر) حدثنا إسماعيل ابن أسد ثنا يعلى بن عبيد - أبو يوسف الطنافسي - ثنا محمد بن عون الخرساني عن ابن سيرين عنه به . محمد بن عون الخرساني : متروك (تقريب ٦١٩٣) .

(٢) **إسناده حسن إلى أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو** : ضعيف . ابن أبي الدنيا (١٨١ الشكر) حدثني القاسم بن هاشم حدثني أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم البراد قال : سمعت أبا بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، وسأله رجل . فذكر من قوله . أبو عتبة - الحسن بن علي بن مسلم البراد : كان يعد من الأبدال ، وكان من أفضل أهل حمص (الجرح والتعديل ٣/ ٢١) . أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم : سبق له ترجمة .

(٣) **إسناده ضعيف إلى بكر بن عبد الله المزني** : ابن أبي الدنيا (١٨٢ الشكر) حدثني إبراهيم بن راشد (الآدمي) ثنا أبو ربيعة (الإيادي) ثنا سالم - أبو الغيث قال قال : سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول : فذكره من قوله . إبراهيم بن راشد - الآدمي - وثقه ابن أبي حاتم والخطيب ، واتهمه ابن عدي (لسان الميزان ١/ ٤٦) (الجرح والتعديل ٢/ ٩٩) . أبو ربيعة - الإيادي - قال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٨٠٨٥) ، وقال ابن أبي حاتم : عمر بن ربيعة - أبو ربيعة الإيادي - روى عن الحسن البصري وابن بريده ، روى عنه الحسن وعلى ابنا صالح ومالك بن مغول وشريك ، سمعت أبي يقول ذلك ، وسألته عنه فقال : منكر الحديث ، نبأنا عبد الرحمن أنبأنا يعقوب بن إسحاق فيما كتب إلى قال أنبأنا عثمان ابن سعيد قال سألت ابن معين عن أبي ربيعة الذي يروى عنه شريك فقال : كوفي - ثقة (الجرح والتعديل ٦/ ١٠٩) . سالم - أبو الغيث - مولى عبد الله بن مطيع بن الأسود القرشي . روى عن أبي هريرة ﷺ روى عنه ثور بن زيد وعثمان بن عمر التيمي وإسحاق بن سالم . قال أبو حاتم : سمعت يحيى بن معين يقول : أبو الغيث : ثقة (الجرح والتعديل ٤/ ١٨٩-١٩٠) . قلت : ولم يذكر عنه أنه روى عن بكر ابن عبد الله المزني ، أما سالم أبو غياث - العتكي - روى عن أنس والحسن وعطاء وبكر بن عبد الله المزني وحميد بن هلال ، روى النضر بن شميل وعبيد الله بن موسى . سمعت أبي يقول ذلك : حدثنا عبد الرحمن قال : ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال : سالم أبو غياث : لا شيء (الجرح والتعديل ٤/ ١٩١) . قلت : فالظاهر أنه أبو غياث وليس بأبي الغيث .

قال : أما الظاهرة ، فالإسلام وأما الباطنة فستره عليكم بالمعاصي[١].

وقال ابن شوذب : قال عبد الله – يعنى ابن مسعود ﷺ –: إن لله على أهل النار منة لو شاء أن يعذبهم بأشد من النار لعذبهم[٢].

وقال أبو سليمان الداراني : جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيه خصالًا : الكرم ، والسخاء ، والحلم ، والرأفة ، والرحمة ، والشكر ، والبر ، والصبر[٣].

وقال أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « من رأى صاحب بلاء فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا ، فقد أدّى شكر تلك النعمة »[٤].

---

(١) **ضعيف إلى مقاتل بن حيّان** – أبو بسطام البلخي ابن أبي الدنيا (١٨٣ الشكر) حدثني محمد بن أدريس حدثني روح بن عبد الواحد الحراني ثنا ابن السماك عنه به . روح بن عبد الواحد الحراني : ليس بالمتقن – روى أحاديث فيها صنعة – شيخ (الجرح والتعديل ٣/ ٤٩٩) . ابن السماك – محمد بن صبيح بن السماك – : سبق له ترجمة .

(٢) **إسناده ضعيف إلى عبد الله بن مسعود** ﷺ : ابن أبي الدنيا (١٨٤ الشكر) حدثنا محمد بن إدريس (أبو حاتم الرازي) ثنا محمد بن مخلد الحراني ثنا ضمرة عن ابن شوذب عنه به . محمد ابن مخلد الحراني – أبو بكر – روى عن ضمرة ومحمد بن سليمان – أبي داود الحراني – كتب عنه إلى بحران (الجرح والتعديل ٨/ ٩٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا . قلت : يعني أنه لا يُعرف حاله . ضمرة هو : ابن ربيعة الفلسطيني : صدوق – يهم قليلًا (تقريب ٢٩٨٣) . قال أحمد بن حنبل : رجل صالح . صالح الحديث من الثقات المأمونين . لم يكن بالشام رجل يشبه ، وقال يحيى بن معين والنسائي : ثقة (تهذيب الكمال ٣/ ٤٨٦) . قلت : فهو : ثقة ، وهي شهادة من جهابذة هذه الصنعة ، وهي شهادة من فكِّ الأُسود . ابن شرذب – عبد الله بن شوذب الخرساني – قال أبو حاتم : روى عن الحسن ولم يرهُ ولم يسمع منه (تحفة التحصيل ٤٨٢) قلت : مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة (تقريب ٣٣٨٢) ومات . عبد الله بن مسعود ﷺ ، سنة اثنتين وثلاثين (تقريب ٣٦٠٧) فروايته عنه مرسلة ، وعبد الله بن شوذب : صدوق عابد (تقريب ٣٣٨٢) .

(٣) **إسناده حسن إلى أبي سليمان الداراني** : ابن أبي الدنيا (١٨٦ الشكر) أبو نعيم (٩/ ٢٧٩ الحلية) من طريق موسى أبو عمران الجصاص عنه به . موسى – أبو عمران – قال أبو حاتم عن إبراهيم بن موسى : ما رأيت أحدًا أفقه من أبي عمران الصوفي (الجرح والتعديل ٨/ ١٦٩) .

(٤) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٣٤٣٢) ابن أبي الدنيا (١٨٧ الشكر) الطبراني (١/ ٢٤١ الصغير) من طريق عبد الله بن عمر العمري عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . قلت : رواية الترمذي ، ليس فيها (فقد أدى شكر تلك النعمة) . عبد الله بن عمر بن حفص العمري : ضعيف – عابد (تقريب ٣٤٨٣) ، وله طريق آخر عند الترمذي (٣٤٣١) وابن ماجه (٣٨٩٢) من حديث =

وقال عبد الله بن وهب : سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول : الشكرُ يأخذ بِجِذْمِ الحمد وأصله وفرعه . قال : ينظر في نعمة الله : في بدنه وسمعه وبصره ويديه [٧٦/ ب] ورجليه وغير ذلك ، ليس من هذا شئ إلا فيه نعمة من الله ، حق على العبد أن يعمل في النعمة التي هي في بدنه لله في طاعته ونعمة أخرى في الرزق ، وحق عليه أن يعمل لله فيما أنعم عليه من الرزق بطاعته ، فمن عمل بهذا كان قد أخذ بِجِذْمِ الشكر وأصله وفرعه[1].

وقال كعب : ما أنعم الله على عبده من نعمة في الدنيا ، فشكرها لله ، وتواضع بها لله ، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ، ورفع له بها درجته في الآخرة ، وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا ، فلم يشكرها لله ، ولم يتواضع بها لله ، إلا منعه الله نفعها في الدنيا ، وفتح له طبقات من النار ، يعذبه إن شاء ، أو يتجاوز عنه[2].

وقال الحسن : من لا يرى لله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب أو لباس ، فقد

= عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا بنحوه ، وعند ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - بإسقاط عمر من السند ، في إسناد : عمرو بن دينار - مولى آل الزبير - قهرمان آل الزبير - يكنى أبا يحيى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن عمر ﷺ مرفوعًا . الإسناد للترمذي . عمرو بن دينار - قهرمان آل الزبير : يروى عن سالم بن عبد الله ، ضعفوه (المغني ٤٦٥٦) ، وله شاهد عند أبي نعيم (٥/ ١٥ الحلية) من طريق مروان بن محمد بن حسان الطاطري ، حدثنا الوليد بن عتبة عن محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عُمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا . الوليد بن عتبة - دمشقي - ذكره البخاري في تاريخه ، قال : معروف الحديث ، وقال أبو حاتم : مجهول (تهذيب الكمال ٧/ ٤٧٨ تمييز) ، وقال الذهبي : لا يُدْرى من هو (ميزان ٤/ ٣١٢) .

(١) **إسناده صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد** (ابن أسلم) وهو : ضعيف . ابن أبي الدنيا (١٨٨ الشكر) حدثني الحسن بن عبد العزيز الجروي ثنا الحارث بن مسكين ثنا عبد الله بن وهب عنه به . عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : سبق له ترجمة .

(٢) **إسناده ضعيف إلى كعب الأحبار رحمه الله تعالى**: ابن أبي الدنيا ١٨٩ الشكر) (٩٣ التواضع) حدثني عبد الله بن أبي بدر ثنا إسماعيل بن إبراهيم - ابن علية - عن الجريري - سعيد بن إياس - عن أبي الورد ابن ثمامة عن عمرو بن مرداس عنه به . عبد الله بن أبي بدر : لم أعثر على ترجمته . إسماعيل بن إبراهيم - المعروف بابن علية - عن الجريري - من الذين رووا عن الجرير قبل الاختلاط . أبو الورد بن ثمامة : مقبول (تقريب ٨٤٣٠) . عمرو بن مرداس : مستور (الجرح والتعديل ٦/ ٢٦١) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

قصر علمه ، وحضر عذابه[١] ، وقال الحسن يوما لبكر المزني : هات يا أبا عبد الله دعوات لإخوانك فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال : والله ما أدرى أي النعمتين أفضل علي وعليكم : أنعمة المسلك ، أم نعمة المخرج إذ أخرجه منا قال الحسن : إنها لمن نعمة الطعام[٢].

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : ما من عبد يشرب الماء القُراح فيدخل بغير أذى ويخرج بغير أذى إلا وجب عليه الشكر[٣] ، قال الحسن : يالها نعمة تأكل لذة وتخرج مسرحا ، لقد كان ملك من ملوك هذه القرية يرى الغلام من غلمانه يأتي الحُبَّ فيكتال منه ، ثم يجرجر قائما فيقول : يا ليتني مثلك ما يشرب حتى يقطع عنقه بالعطش فإذا شرب كان له في تلك الشربة موتات ، يا لها من نعمة[٤].

وكتب بعض العلماء إلى أخ له : أما بعد : فقد [٧٧/ أ] أصبح بنا من نعم الله مالا نحصيه مع كثرة ما نعصيه ، فما يدرى أيهما نشكر ، أجميل ما يسر أم قبيح ما

---

(١) **إسناده ضعيف إلى الحسن البصري** : ابن أبي الدنيا (١٩٠ الشكر) حدثني أبو إسحاق الآدمي - لعله إبراهيم بن راشد الآدمي - ثنا عيسى بن موسى العبدي ثنا رجاء صاحب السقط عنه به . عيسى بن موسى العبدي : لم أعثر على ترجمته إلا في ترجمة رجاء . رجاء - صاحب السقط - رجاء بن صبيح ، أبو يحيى البصري : ضعيف (تقريب ١٩١٣) ، وله شواهد سبق تخريجها .

(٢) **إسناده ضعيف إلى الحسن البصري** : ابن أبي الدنيا (١٩١ الشكر) حدثني سلمة بن شبيب - المِسْمَعي النيسابوري - ثنا سهل بن عاصم - السجستاني - ثنا أبو ربيعة - الإيادي - ثنا هشام ابن سليمان - ابن عكرمة بن خالد المخزومي - قال : كنت قاعدًا عند الحسن وبكر بن عبد الله المزني ، فقال له الحسن ، فذكره . سهل بن عاصم . قال أبو حاتم : شيخ (الجرح والتعديل ٤/ ٢٠٢)ز أبو ربيعة - الإيادي - سبق له ترجمة . هشام بن سليمان بن عكرمة - المخزومي - : مقبول (تقريب ٧٢٨٥) .

(٣) **إسناده ضعيف جدًّا إلى عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -** : ابن أبي الدنيا (١٩٢ الشكر) حدثني إبراهيم ابن عبد الملك ثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد - أبو حفص القرشي - ثنا يزيد بن أبي مالك - الهمداني - عن شهر بن حوشب عنها به . عمرو بن واقد - أبو حفص القرشي -: متروك (تقريب ٥١٢٢) . يزيد ابن عبد الرحمن بن أبي مالك : صدوق - ربما وهم (تقريب ٧٧٣٨) . شهر بن حوشب : سبق له ترجمة .

(٤) **إسناده حسن إلى الحسن البصري** : ابن أبي الدنيا (١٩٣ الشكر) حدثنا أحمد بن إبراهيم - ابن خالد الموصلي - أبو عليٍّ - ثنا سعيد بن عامر - الضبعي - حدثني أسماء بن عبيد - ابن مُخارق الضُبعي - أبو الفضل البصري - عنه به .

ستر[١] ، وقيل للحسن : هاهنا رجل لا يجالس الناس ، فجاء إليه فسأله عن ذلك ، فقال : إني أمسى وأصبح بين ذنب ونعمة ، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب والشكر لله على النعمة ، فقال له الحسن : أنت عندي [يا عبد الله][٢] أفقه من الحسن ، فالزم ما أنت عليه[٣].

وقال ابن المبارك : سمعت عليا بن صالح يقول في قوله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] قال : أي : من طاعتي[٤] ، والتحقيق أن الزيادة من النعم وطاعته من أجل نعمه .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا من قول علي بن عبد الرحمن المعروف بعلان . إسناده ضعيف إلى علي بن عبد الرحمن : ابن أبي الدنيا (١٩٤ الشكر) حدثني الحسن بن علي العجلي - ابن الأسود - أبو عبد الله الكوفي - عنه به . الحسين بن علي بن الأسود - العجلي - قال الإمام أحمد بن حنبل : لا أعرفه ، وقال ابن أبي حاتم : سمع منه أبي وسئل عنه قال : صدوق ، وقال ابن عدي : يسرق الحديث وأحاديثه لا يتابع عليها ، وقال الأزدي : ضعيف جدًا : يتكلمون في حديثه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : ربما أخطأ ، وقال الحافظ بن حجر : أن أبا داود لم يرو عنه ، فإنه لا يروى إلا عن ثقة عنده (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٤٥) .

(٢) زيادة في المطبوع .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا وفي إسناده من لم أعثر له على ترجمة وباقي رجال إسناده ثقات إلى الحسن البصري : ابن أبي الدنيا (١٩٦ الشكر) حدثني هارون بن عبد الله - ابن مروان البغدادي - أبو موسى البزار - المعروف بالحمّال - ثنا محمد بن يزيد بن خنيس - المخزومي - والد عبيد الله بن محمد - عن إبراهيم بن عبد الله المديني ، قيل : هو ابن ميمون ؟ قال : نعم ، قال : فذكر بصيغة التمريض . محمد بن يزيد بن خنيس : مقبول ، وكان من العباد (تقريب ٦٣٨٥) ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ، فقال : كان شيخًا صالحًا ، وكتبنا عنه بمكة وكان ممتنعًا من التحديث ، فأدخلني عليه ابنه ، فقيل لأبي فما قولك فيه ؟ فقال : ثقة (الجرح والتعديل ٨/ ١٢٧) قلت : فعبارة : فقيل لأبي فما قولك فيه ؟ فقال : ثقة ، لم يذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في تهذيبه (٩/ ٥٢٣) ترجمة محمد بن يزيد بن خنيس فلعل نسخة الجرح والتعديل التي كانت بين يديه لم يكن فيها هذه العبارة والله أعلم ، وهذه شهادة من أبي حاتم بأن محمد بن يزيد : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان من خيار الناس ، ربما أخطأ يجب أن يعتبر بحديثه إذا بين السماع ولم يرو إلا ثقة. إبراهيم بن عبد الله المديني ، قيل : هو ابن ميمون : لم أعثر له على ترجمة . إما أن يكون إبراهيم بن ميمون - أبو المنهال - الثقفي . روى عن الحسن (الجرح والتعديل ٢/ ١٣٦) أو يكون إبراهيم بن ميمون - مولى بني عدي بن كعب - روى عن عمر بن عبد العزيز (الجرح والتعديل ٢/ ١٣٥) والله أعلم .

(٤) **إسناده صحيح إلى علي بن صالح** : ابن المبارك (٣٢٠ الزهد) ابن جرير (١٣/ ١٢٤ تفسير) من طريق عبد الله بن المبارك عنه به .

وذكر ابن أبي الدنيا : أن محارب بن دثار كان يقول بالليل ويرفع صوته أحيانا : أنا الصغير الذي ربيته فلك الحمد ، وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد ، وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد ، وأنا الصعلوك الذي مولته فلك الحمد ، وأنا العزب الذي زوجته فلك الحمد ، وأنا الساغب الذي أشبعته فلك الحمد ، وأنا العاري الذي كسوته فلك الحمد ، وأنا المسافر الذي صاحبته فلك الحمد ، وأنا الغائب الذي رددته فلك الحمد [وأنا الراجل الذي حملته فلك الحمد][1] وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد ، وأنا السائل الذي أعطيته فلك الحمد ، وأنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد ، ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا[2].

وكان بعض الخطباء يقول في خطبته : اختط لك الأنفَ فأقامه وأتمه ، فأحسن تمامه [ثم أدار منك الحَدَقة فجعلها بجفونٍ مُطْبِقَة وبأشفار مغلقة][3] ونقلك من طبقةٍ إلى طبقةٍ ، وحَنَّنَ عليك الوالدين برقةٍ ومِقَةٍ فنعمة الله عليك مَورقةٌ وأياديه بك محدقةٌ .

وكان بعض العلماء يقول في قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] سبحان من لم يجعل لحدّ معرفةِ نِعَمِه إلا بالاعتراف بالتقصير عن معرفتها ، كما لم يجعل لحدٍّ إدراكه أكثر من العلم أنه لا يُدْركه فجعل معرفةَ نعمه بالتقصير عن معرفتها شكرًا ، كما شكر علم العالمين أنهم لا يدركونه [٧٧/ ب] فجعله إيمانًا ، عِلْمًا منه أن العبادَ لا يتجاوزون ذلك .

---

(١) زيادة في المطبوع .

(٢) إسناده حسن إلى محارب بن دثار : ابن أبي الدنيا (١٩٩ الشكر) حدثني سلمة بن شبيب - المِسْمَعي النيسابوري ثنا محمد بن منيب - أبو الحسن العدني - حدثنا السري بن يحيى - ابن إياس بن حرملة - الشيباني - عن عَنْبَسَة بن الأزهر - الشيباني - أبو يحيى الكوفي - عنه به . عنبسة بن الأزهر : صدوق ربما أخطأ (تقريب ٥١٨٧) وقال أبو حاتم وأبو داود : لا بأس به ، وزاد أبو حاتم ، يكتب حديثه ولا يحتج به (تهذيب الكمال ٥/ ٥٠٠) ، وقال ابن معين : لا بأس به (سؤلا ابن الجنيد ٣٢) .

(٣) زيادة في المطبوع .

وقال عبد الله بن المبارك : أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خِصْلتانِ من كانتا فيه كتبَهُ اللهُ صابرًا شاكرًا ، ومن لم تكونا فيه ، لم يكتبْهُ صابرًا شاكرًا ، من نظرَ في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمدَ الله على ما فضله به عليه كتبه الله صابرًا شاكرًا ، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله صابرًا ولا شاكرًا »[1].

وبهذا الإسناد عن عبد الله بن عمرو موقوفا عليه : أربعُ خصالٍ من كنَّ فيه بَنَى اللهُ له بيتًا في الجنة : من كان عصمةُ أمره لا إله إلا الله ، وإذا أصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وإذا أُعطي شيئًا قال : الحمدُ لله ، وإذا أذنب ذنبًا قال : أستغفر الله[2].

وقال ابن المبارك عن شِبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] قال : لم يأكل شيئا قط إلا حمد الله عليه ولم يشرب شرابا قط إلا حمد الله عليه ولم يمش شيئًا قط إلا حمد الله عليه ، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه ، فأثنى الله عليه أنه كان عبْدًا شَكُورا[3].

وقال محمد بن كعب : كان نوح عليه السلام إذا أكلَ قال : الحمدُ لله ، وإذا شرب قال : الحمد لله ، وإذا لبس قال : الحمد لله ، وإذا ركب قال : الحمد لله ، فسماه الله عبدًا

---

(١) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٢٥١٢) ابن المبارك (١٨٠ زوائد الزهد) ابن أبي الدنيا (٢٠٤ الشكر) ابن السني (٣١٠ عمل اليوم والليلة) من طريق المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا . المثنى بن الصباح - اليماني -: ضعيف (تقريب ٦٤٦٠) .

(٢) **إسناده ضعيف إلى عمرو بن العاص** رضي الله عنه : ابن المبارك (١٨٢ زوائد الزهد) ابن أبي الدنيا (٢٠٥ الشكر) من طريق المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه . عنه به . المثنى بن الصباح : سبق له ترجمة .

(٣) **إسناده صحيح إلى مجاهد بن جبر** : ابن المبارك (٩٤١ الزهد) ابن أبي الدنيا (٢٠٦ الشكر) من طريق شبل - ابن عباد المكي - عن ابن أبي نجيح - عبد الله بن أبي نجيح - عنه به . وأخرجه ابن جرير الطبري (١٥/ ١٦ تفسير) من طريق ابن جريج - عبد الملك بن عبد العزيز - عنه به .

شكورا[١].

وقال ابن أبي الدنيا : بلغني عن بعض الحكماء قال : لو لم يعذب الله على معصيته ، لكان ينبغي أن لا يعصى لشكر نعمته .

فصل

ولله تبارك وتعالى على عبده نوعان من الحقوق لا ينفك منهما أحد :

أحدهما : أمرُه ونهيُهُ الذي هو محضُ حق عليه .

والثاني : شُكرُ النعمة التي أنعم بها عليه .

فهو سبحانه يطالبه بشكر نعمه [٧٨/ أ] وبالقيام بأمره ، فمشهد الواجب عليه لا يزال يشهد بتقصيره وتفريطه وأنه محتاج إلى عفو الله ومغفرته ، فإن لم يتداركه بذلك هلك ، فكلما كان أفقه في دين الله كان شهوده للواجب عليه أتم ، وشهوده لتقصيره أعظم ، وليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة بل بالقيام مع ذلك بالأوامر المحبوبة لله ، وأكثر الديانين لا يعبأون منها إلا بما شاركهم فيه عموم الناس .

وأما الجهادُ والأمرُ بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة لله ورسوله ، وعباده ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه ، فهذه الواجباتُ لا تخطر ببالهم ، فضلا عن أن يريدوا فعلها ، وفضلا عن أن يفعلوها ، وأقل الناس دينا وأمقتهم إلى الله من ترك هذه الواجبات وإن زهد في الدنيا جميعها ، وقل أن ترى منهم من يحمر وجهه ويمعره في الله ، ويغضب لحرماته ويبذل عرضه في نصرة دينه ، وأصحاب

(١) **إسناده ضعيف إلى محمد بن كعب** - القرظي - ويشهد له ما قبله . أحمد (٢٨١ الزهد) ابن المبارك (٩٤٠ الزهد) ابن أبي الدنيا (٢٠٧ الشكر) من طريق هشام بن سعد - مولى بني مخزوم - عنه به . هشام بن سعد : ضعفه النسائي وغيره ، وكان يحيى القطان . لا يحدث عنه ، قال أحمد : ليس هو محكم الحديث ، وقال ابن عدي : مع ضعفه يكتب حديثه ، وقال ابن معين : ليس بذاك القوي ، وقال الحاكم : روى له مسلم في الشواهد (المغني ٦٧٤٩) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق . له أوهام (تقريب ٧٢٨٣) .

الكبائر أحسن حالا عند الله من هؤلاء .

وقد ذكر أبو عمرو وغيره : أن الله تعالى أمر ملكا من الملائكة أن يخسف بقرية فقال : يا رب إن فيهم فلانا العابد الزاهد قال : به فابدأ ، وأسمعني صوته إنه لم يتمعر وجهه في يوم قط[1].

فصل

وأما شهوده النعمة فإنه لا يدع له رؤية حسنة من حسناته أصلا ولو عمل أعمال الثقلين ، فإن نعم الله سبحانه أكثر من أعماله ، وأدنى نعمة من نعمه تستنفذ عمله ، فينبغي للعبد ألا يزال ينظر في حق الله عليه .

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج حدثنا جرير بن حازم ، عن وهب قال : بلغني أن نبي الله موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع ، فقال : يا رب ارحمه فإني قد رحمته ، فأوحى الله إليه : لو دعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى [٧٨/ ب] ينظر في حقي عليه[2].

فمشاهدة العبد النعمة والواجب لا تدع له حسنة يراها ، ولا يزال مزريا على نفسه ذاما لها ، وما أقربه من الرحمة إذا أعطى هذين المشهدين حقهما والله المستعان .

---

(١) **إسناده حسن** : أخرجه الترمذي (٢٤٦٤) حدثنا قتيبة - ابن سعيد - حدثنا أبو صفوان - عبد الله بن سعيد الأموي - عن يونس - ابن يزيد الأيلي - عن الزهري - محمد بن مسلم بن شهاب - عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه به . عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان - الأموي - الدمشقي -: ثقة (تقريب ٣٣٥٢) .

(٢) **إسناده صحيح إلى وهب** - ابن منبه - بلاغ . أحمد (٤٤٩ - الزهد) .

الباب الحادي والعشرون
في الحكم بين الفريقين والفصل بين الطائفتين

فنقول : كلُّ أمرين طُلبت الموازنةُ بينهما ومعرفةُ الراجح منهما على المرجوح ، فإن ذلك لا يمكن إلا بعد معرفة كل واحد منهما ، وقد ذكرنا حقيقة الصبر وأقسامه وأنواعه فنذكر حقيقة الشكر وماهيته .

قال في الصحاح : الشكرُ الثناءُ على المحسن بما أولاك من المعروف ، يُقال شَكَرْتُهُ ، وشكرت له ، واللام أفصح وقوله تعالى : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩] يحتمل أن يكونَ مصدرًا كالقعودِ ، وأن يكون جَمْعًا كالبرودِ والكفور .

والشكران خلاف الكُفْرانِ ، وتَشَكَّرْتُ له مثل شكرت له . والشَّكُورُ من الدوابِّ ما يكفيه العلفُ القليلُ . واشْتكَرَتْ السماءُ اشتدَّ وقْعُ مطرِها واشتكرَ الضرعُ امتلأ لبنًا تقول : منه شَكِرَتِ الناقةُ بالكسر تَشْكَرُ شَكَرًا فهى شَكِرةٌ وشكرت الشَّجَرةُ تشَكَر شَكَرًا فهي شكرة ، إذا خرج منها الشَّكِيرُ وهو ما ينبت حول الشجرة من أصلها .

فتأمل هذا الاشتقاق وطابق بينه وبين الشكر المأمور به ، وبين الشكر الذى هو جزاء الربِّ المشكُور ، كيف تجد فى الجميع معنى الزيادة والنماء ، ويقال أيضا : دابةٌ شكورٌ إذا أظهرت من السمنِ فوق ما تُعطى من العلفِ .

وشكرُ العبدِ يدور على ثلاثة أركان ، لا يكون شكورا إلا بمجموعها أحدها : اعترافه بنعمة الله عليه . والثانى الثناء عليه بها . والثالث : الاستعانة بها على مرضاته . [٧٩/ أ]

وأما قول الناس فى الشكر ، **فقالت طائفة** : هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع . **وقيل** : الشكرُ هو الثناء على المحسنِ بذكر إحسانه إليه ، فشكرُ العبدِ من ثناؤُهُ عليه بذكر إحسانه إليه . **وقيل** : شكر النعمة مشاهدةُ المِنَّةِ وحفظُ الحرمة ، والقيامُ بالخدمة ، **وقيل** : شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طُفَيْلِيا ، **وقيل** : الشكرُ معرفة العجز عن الشكر ، **ويقال** : الشكرُ على الشكر أتم من الشكر ، وذلك أن ترى شكرك بتوفيقه ، وذلك التوفيق من أجلِّ النِّعم عليك وتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر

إلى مالا يتناهى ، **وقيل** : الشكر إضافة النعم إلى موليها بتعب الاستكانة وقال الجنيد : الشكر ألاّ ترى نفسك للنعمه أهلا . **وقيل** : الشكرُ استفراغُ الطاقة فى الطاعة ، **وقيل** : الشاكرُ الذى يشكر على الموجود ، والشكور الذى يشكر على المفقود ، **ويقال** : الشاكرُ الذى يشكر على الرِّفد ، والشكورُ الذى يشكر على الرَّدِّ ، **وقيل** : الشاكرُ الذى يشكر على النفع ، والشكور الذى يشكر على المنع ، **وقيل** : الشاكرُ الذى يشكر على العطاء ، والشكورُ الذى يشكر على البلاء . وقال الجنيد : كنت بين يدى السَّرى ألعبُ وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر ، فقال لى : ياغلامُ ما الشكر ؟ فقلت : ألا يُعصي الله بِنِعَمِه فقال : يوشك أن يكون حظُّك من الله لسانَك ، فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرى .

وقال الشبلى : الشكرُ رؤية المنعِم لا رؤية النعم ، وهذا ليس بجيد بل من تمام الشكر أن تشهد النعمة من المنعم ، وقيل : الشكر قيد الموجود وصيد المفقود .

وقال أبو عثمان : شكرُ العامّة على المطعم والملبس ، وشُكر الخَواصّ على ما يرد على قلوبهم من المعاني [٧٩/ ب] وحبسَ السلطانُ رجلًا فأرسل إليه صاحبه اشكر الله فَضرِبَ فأرسل إليه اشكر الله فجيء بمجوسي مبطون . فَقُيِّدَ وجعل حلقة من قيده فى رجلِه وحلقة فى قيد الرجل المذكور ، فكان المجوسى يقوم بالليل مرات فيحتاج الرجل أن يقف على رأسه حتى يفرغ ، فكتب إليه صاحبه : اشكر الله فقال له : إلى متى تقول اشكر الله ، وأي بلاءٍ فوق هذا ؟ فقال : ولو وضع الزُّنّارُ الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع فاشكر الله .

ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال : إن اللص دخل داري وأخذ متاعي فقال : اشكر الله فلو دخل اللص قلبك وهو الشيطان ، وأفسد عليك التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ فاشكر الله ، **وقيل** : الشكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه ، وقيل : إذا قصرت يدُك عن المكافأة فليطل لسانُك بالشكر ، وقيل : أربعة لا ثمرة لهم : مسارة الأصم ، ووضع النعمة عند من لا يشكرها ، والبَذْرُ في السباخ ، والسراج في الشمس ،

والشكر يتعلقُ بالقلبِ واللسانِ والجوارحِ : فالقلب للمعرفة والمحبة واللِّسان للثناء والحمد ، والجوارح لاستعمالها فى طاعة المشكور وكفِّها عن معاصيه .

وقال الشاعر :

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ عِنْدِي ثَلَاثَةً   يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

والشُّكر أخصُّ بالافعال ، **والحمدُ** أخص بالأقوال وسبب الحمد أعمُّ من سبب الشكر ، ومتعلق الشكر وما به الشكر أعمُّ مما به الحمد [٨٠/ أ] ، فما يُحمدُ الربُّ تعالى عليه أعمُّ مما يُشكَر عليه ، فإنه يُحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه ، ويُشكر على نعمه ، وما يُحمَدُ به أخصُّ مما يُشكر به ، فإنه يُشْكَر بالقلب واللسان والجوارح ، ويحمدُ بالقلب واللسان .

فصل

إذا عُرفَ هذا فكل من الصبرِ والشكرِ داخلٌ فى حقيقةِ الآخر لا يمكن وجوده إلا به وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه والأظهر منه ، وإلا فحقيقةُ الشكر إنما يلتئم من الصبر والإرادة والفعل ، فإن الشكرَ هو العملُ بطاعةِ الله - تبارك وتعالى - وتركُ معصيتِهِ ، والصبرُ أصلُ ذلك ، فالصّبرُ على الطاعةِ وعن المعصية هو عينُ الشكر ، وإذا كان الصبرُ مأمورًا به ، فأداؤه هو الشّكرُ .

فإن قيل : فهذا يُفْهم منه اتحاد الصبر والشكر ، وأنهما اسمان لمسمى واحد ، وهذا مُحالٌ عقلًا ولغةً وعُرفًا ، وقد فَرّق الله سبحانه بينهما .

قيل : بل هما معنيان متغايران ، وإنّما بَيّنا تلازمَهما وافتقارِكلٍّ واحد منهما فى وجود ماهيته إلى الآخر ، ومتى تجرد الشكرُ عن الصبر بَطَل كونه شكرًا ، وإذا تجرد عن الصبر الشكر بطل كونه صبرًا ، أما الأول فظاهرٌ وأما الثانى إذا تجرد عن الشكر كان كفورًا ومنافاة الكفور للصبر أعظم من منافاة السخط .

فإن قيل : بل ها هنا قسم آخر وهو : أن لا يكون كفورًا ولا شكورًا بل صابرًا على

مضضٍ ، وكراهةٍ شديدةٍ ، فلم يأت بحقيقة الشكرِ ، ولا خرج عن ماهية الصبر . قيل : كلامنا فى الصبر المأمور به الذى هو طاعة ، لا فى الصبر الذى هو تجلدٌ كصبر البهائم ، وصبر الطاعة لا يأتي به إلا شاكر [٨٠/ ب] ولكن اندرج شكره في صبره فكان الحكم للصبر ، كما اندرج صبر الشكور فى شكره فكان الحكمُ للشكر .

فمقامات الإيمان لا تعدم بالتنقل فيها بل تندرج وينطوى الأدنى فى الاعلى ، كما يندرج الايمانُ فى الإحسان ، وكما يندرج الصبر فى مقام الرضا لا أن الصبر يزول ، ويندرج الرضا فى التفويض ويندرج الخوف والرجاء فى الحب لا أنهما يزولان .

فالمقدور الواحد يتعلق به الشكر والصبر سواء كان محبوبًا أو مكروها ، فالفقر مثلا يتعلق به الصبر وهو أخص به لما فيه من الكراهة ، ويتعلق به الشكر لما فيه من النعمة ، فمن غلب شهود نعمته وتلذذ به واستراح واطمأن إليه عدَّه نعمةً يَشْكرُ عليها ومن غلب عليه شهود ما فيه من الابتلاء والضيق والحاجة عدّه بليةً فصبر عليها وعكسه الغنى .

على أن الله سبحانه ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بالمصائب وعد ذلك كله ابتلاء فقال : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥] وقال : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴾ [الفجر : ١٥ - ١٦] وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ٧] وقال : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧]

فأخبر سبحانه أنه خَلَق العالم [٨١/ أ] العُلوى والسُّفلى وقدّر أجل الخلق ، وخلق ما على الأرض للابتلاء والاختبار ، وهذا الابتلاء إنما هو ابتلاء صبر العباد وشكرهم فى الخير والشر والسراء والضراء ، فالابتلاء بالنعم من الغنى والعافية والجاه والقدرة ، وتأتى الاسباب أعظم الابتلاءَيْن ، والصبرُ على طاعة الله أشقُّ الصبر كما قال الصحابة

ﷺ : ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر[1].

و النعمة بالفقر والمرض وقبض الدنيا وأسبابها وأذى الخلق قد تكون أعظم النِّعْمَتَيْنِ وفرضُ الشكر عليها أوجب من الشكر على أضدادِها ، فالربُّ تعالى يبتلي بنعمه ، وينعم بابتلائه ، غير أن الصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد فى أمر الرب ونهيه وقضائه وقدره لا يُستغنى عنهما طرفةَ عين .

والسؤال عن أيهما أفضل ؟ كالسؤال عن الحس والحركة أيهما أفضل ؟ وعن الطعام والشراب أيهما أفضل ؟ وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل ؟

فالمأمور لا يؤدّى إلا بصبرٍ وشُكرٍ والمحظورُ لا يترك إلا بصبر وشكر ، وأما المقدور الذى يقدر على العبد من المصائب فمتى صبر عليها اندرج شكره فى صبره ، كما يندرج صبرُ الشاكر فى شكره ، ومما يوضح هذا : أن الله سبحانه امتحن العبدَ بنفسه وهواه وأوجب عليه جهادهما فى الله فهو فى كل وقت فى مجاهدة نفسه حتى تأتى بالشُّكر المأمور به ، ويصبرُ عن الهوى المنهي عن طاعته ، فلا ينفكُّ العبدُ عنهما غنيًّا كان أو فقيرًا معافى أو مبتلى .

وهذه [٨١/ ب] هى مسألة الغنى الشاكر والفقير الصابر أيُّهما أفضلُ ؟

وللناس فيها ثلاثة أقوال وهى التى حكاها أبو الفرج ابن الجوزى وغيره فى عموم الصبر والشكر أيهما أفضل ، وقد احتجت كل فرقة بحجج وأدلة على قولها .

والتحقيق أن يقال : أفضلهما أتقاهما لله تعالى ، فإن فُرِضَ استواؤهما في التقوى استويا فى الفضل ، فإن الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل بالعافيه والبلاء وإنما فضل بالتقوى كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣]

---

(١) **ضعيف** : الطبراني (٤٣٩٠ مجمع البحرين) من طريق عبيد بن إسحاق العطار أنبأنا عمار بن سيف عن الأعمش - سليمان بن مهران - عن أبي سفيان - طلحة بن نافع - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا . عبيد ابن إسحاق العطار . قال البخاري : ضعيف (الضعفاء الصغير ٢٢١) ، وقال النسائي : متروك الحديث (الضعفاء والمتروكين ٤٠٢) ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وأما أبو حاتم فرضيه ، وقال ابن عدي : عامة حديثه منكر (لسان الميزان ٤/ ١٣٦) . عمار بن سيف الضبي الزاهد عن الأعمش : ضعفه أبو حاتم وغيره (المغني ٤٣٧٧) .

وقد قال ﷺ : « **لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ** »(١).

والتقوى مبنية على أصلين : الصبر والشكر ، وكل من الغني والفقير لا بد له منهما ، فمن كان صبرُه وشكرُه أتمَّ كان أفضل .

فإن قيل : فإن كان صبرُ الفقير أتمَّ وشكرُ الغني أتم فأيّهما أفضَلُ ، **قيل** : أتقاهما لله في وظيفته ومقتضى حاله ، ولا يصحُّ التفضيل بغير هذا ألبتة . فإنَّ الغني قد يكونُ أتقى لله فى شكره من الفقير في صبره ، وقد يكون الفقيرُ أتقى لله في صبره من الغنى في شكرِه ، فلا يصح أن يقال هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقرِه أفضلُ .

ولا يَصحُّ أن يقال : هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر ، ولا بالعكس ، لأنهما مطيتان للإيمان لا بد منهما ، بل الواجب أن يقال : أقومهما بالواجب والمندوب هو الأفضل ، فإنّ التفضيل تابع لهذين الأمرين كما قال تعالى في الأثر الإلهي : « **مَا تَقَرَّبَ**

---

(١) **إسناده صحيح** : أحمد (٥/ ٤١١) أبو نعيم (٣/ ١١٩ الحلية) قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا إسماعيل المعروف بابن علية ثنا سعيد الجريري عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قُطعة العبدي حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال : « **يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على أعرابي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ، أبلغت ؟** ... » الحديث ، مختصرًا على الفقرة الأولى .

قلت : وعدم الإفصاح عن اسم الصحابي لا يضر في صحة الحديث ، وقد سمي عند أبي نعيم في الحلية (٣/ ١١٩) وهو جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - والفقرة الثانية عند الترمذي (٣٢٧٠) من طريق عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبْيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها : فالناس رجلان : بَرٌّ كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب ... الحديث . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه ، وعبد الله بن جعفر (يضعف) ضعفه يحيى بن معين وغيره ، وعبد الله بن جعفر هو والد على بن المديني .ا.هـ ، وشاهد آخر أيضًا عن أبي داود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٥ - ٣٩٥٦) وأحمد (٢/ ٣٦١ - ٥٢٤) من طريق هشام بن سعد - المدني - عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . وروى من طريق هشام بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ، وقال الترمذي : وهذا أصح عندنا من الحديث الأول ، وسعيد المقبري قد سمع أبا هريرة ، ويروى عن أبيه أشياء كثيرة عن أبي هريرة ﷺ . هشام بن سعد : صدوق له أوهام (تقريب ٧٢٨٣) .

إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ [٨٢/ ا] عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ »[١] فأيّ الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكثر نوافل كان أفضل .

فان قيل : فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِي الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَذَلِكَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ »[٢].

قيل : هذا لا يدل على فضلهم على الأغنياء فى الدرجة وعُلُوِّ المنزلة وإن سبقوهم في الدخول فقد يتأخرُ الغنيُّ والسلطانُ العادلُ فى الدخول لحسابه ، فإذا دخل كانت درجتُه أعلى ومنْزلتُه أرفع كسبقِ الفقيرِ القفل فى المضائق وغيرها ويتأخرُ صاحبُ الأعمالِ بعدَه .

فإن قيل : فقد قال النبى ﷺ للفقراء لما شكوا إليه زيادة عمل الأغنياء عليهم بالعتق والصَّدَقة : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ أَدْرَكْتُمْ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ »[٣] فدلهم على التسبيح والتحميد والتكبير عقيب كل صلاة فلما سمع الأغنياء ذلك عملوا به فذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [الحديد : ٢٢] وهذا يدل على ترجيح حال الغني الشاكر .

قيل : هذا حُجَّةٌ للقولِ الذى نَصَرْناه ، وهو أن أفضلهما أكثرُهما نوافل ، فإن استويا ، وهاهنا قد ساوى الأغنياء الفقراء فى أعمالهم المفروضة والنافلة ، وزادوا عليهم بالعتق والصدقة ، وفضلوهم بذلك فساووهم فى صبرهم على الجهاد والأذى فى الله والصبر على المقدور ، وزادوا عليهم بالشكر بنوافل المال ، فلوكان للفقراء بصبرهم نوافل تزيد على نوافل الأغنياء لفضلوهم بها .

فإن قيل : فالنبى ﷺ عُرِضت عليه مفاتيحُ كنوزِ الدنيا فردَّها وقال : « بل أشبعُ يومًا وأجوعُ يومًا »[٤].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) **صحيح بمجموع طرقة** : أحمد (٢/ ٤٥١) الترمذي (٢٣٥٣ - ٢٣٥٤) ابن ماجه (٤١٢٢) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص : سبق له ترجمة ، وسيأتي له طرق أخرى .

(٣) **صحيح** : البخاري (٨٤٣) مسلم (٥٩٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٤) **ضعيف** : سبق تخريجه .

وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - [٨٢/ ب] قالت : خرج رسولُ الله ﷺ من الدُّنيا ولم يشبعْ من خبزِ البر ومات ودرعُه مرهونة عند يهودي على طعامٍ أَخَذَه لأهله[1].

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن عبادة بن القعقاع ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا** »[2].

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن محمد ، حدثنا عباد بن عباد ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : دخلتْ عليّ امرأةٌ من الأنصار ، فرأت فراشَ النبيِّ ﷺ عباءة مثنية فرجعت إلى منْزلها فبعثت إليّ بفراش حشوه الصّوف ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال : « ما هذا ؟ » فقلت : فلانه الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فبعثت إليّ بهذا . فقال : « رديه » فلم أرده ، وأعجبني أن يكون فى بيتي ، حتى قال لي ذلك ثلاث مرات ، فقال : « يا عائشة رُدّيه ، فوالله لو شئتُ لأجرى الله معى جبالَ الذهب والفضة »[3] فردته ولم يكن الله سبحانه ليختار لرسوله إلا الأفضل ، هذا مع أنه لو أخذ الدنيا لأنفقها كلها فى مرضاة الله ولكان شكره بها فوق شكر جميع العالمين .

قيل : قد احتج بحال رسول الله ﷺ كلٌّ واحدةٍ من الطائفتين .

والتحقيق : أن الله سبحانه وتعالى جمع له بين المقامين كليهما على أتم الوجوه ، فكان سيد الأغنياء الشاكرين ، وسيد الفقراء الصابرين ، فحصل له من الصبر على الفقر ما لم يحصل لأحد سواه [٨٣/ أ] ومن الشكر على الغنى ما لم يحصل لغني ، سواه ومن تأمل

---

(١) **صحيح**: البخاري (٦٤٥٤) مسلم (٢٩٧١) من حديث عائشة - رضي الله عنها - . الفقرة الأولى . البخاري (٢٩١٦) من حديث عائشة - رضي الله عنها - الفقرة الثانية .

(٢) **صحيح**: أحمد (٢/ ٤٤٦) البخاري (٦٤٦٠) مسلم (١٠٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٣) ضعيف: أحمد (٧٦ الزهد) في إسناده عباد بن عباد المهلبي : ثقه مشهور ، وقد قال أبو حاتم : لا يحتج له ، وذكره ابن سعد في الطبقات ، فقال : لم يكن بالقوي (المغني ٣٠٣٨) . مجالد بن سعيد الهمداني : مشهور ، صالح الحديث ، قال الإمام أحمد : ليس بشيء ، وقال ابن معين : لا يحتج به ، وقال الدارقطني : ضعيف (المغني ٥١٨٤) .

سيرتَه ﷺ وجدَ الأمرَ كذلك فكان ﷺ أصبرُ الخلقِ فى مواطنِ الصبرِ وأشكر الخلق فى مواطن الشكر وربه تعالى كمَّلَ له مراتبَ الكمال فجعله فى أعلى مراتب الأغنياء الشاكرين ، وفي أعلى مراتب الفقراء الصابرين قال تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾

وأجمع المفسرون : أن العائل هو الفقير ، يقال : عالَ الرجل يعيلُ إذا افتقر وأعال يُعيل : إذا صار ذا عيال ، مثل : لبن وأثمر وأثرى إذا صار ذا لبن وثمر وثروة ، وعالَ يعول : إذا جار ومنه قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء : ٣] وقيل : المعنى لا تجوروا والقول هو الأول لوجوه :

أحدها : أنه لا يُعرف فى اللغة عَالَ يعول إذا كَثُرَ عياله وإنما المعروفُ فى ذلك أعالَ يعيل ، وأما عال يعول فهو بمعنى الجور ليس إلا ، هذا الذى ذكره أهلُ اللغةِ قاطبةً .

الثانى : أنه سبحانه قابل ذلك بالعدل الذى نقلهم عند خوفهم من فقده إلى الواحدة أو التسري بما شاءوا من ملك أيمانهم ، ولا يحسن هنا التعليل بعدم العيال .

يوضحه الوجه الثالث : أنه سبحانه نقلهم عند الخوف من عدم القسط فى إنكاح اليتامى إلى من سواهن من النساء لئلا يقعوا فى ظلم أزواجهم اليتامى وجوز لهم نكاح الواحدة فما فوقها إلى الأربع ثم نقلهم عند خوف الجور وعدم العدل فى القسمة إلى الواحدة أو النوع الذي لا قسمة عليهم في الاستمتاع بهن ، وهن الإماء ، فاقتضت الآيةُ بيان الجائز من نكاح اليتامى والبوالغ والأولى من ذينك القسمين عند خوف[٨٣/ ب] الظلم والجائز من نكاح الواحدة وما فوقها والأولى من هذين القسمين عند خوف العول ، فما لكثرة العيال مدخل ها هنا ألبتة .

يوضحه الوجه الرابع : أنه لو كان المحذورُ كثرةَ العيال لما نقلهم إلى ما شاءوا من كثرةِ الإماء بلا عدد ، فإن العيالَ كما يكونون من الزوجات يكونون من الإماء ، ولا فرق فإنه لم ينقلهم إلى إماء الاستخدام بل إلى إماء الاستفراش .

يوضحه الوجه الخامس : أن كثرةَ العيال ليس أمرًا محذورًا مكروها للربِّ تعالى ،

كيف وخير هذه الأمة أكثرها نساء[١] وقد قال النبى ﷺ : « **تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فَإِنِّى مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ** »[٢] فأمر بنكاح الولود ؛ ليحصل منها ما يكاثر به الأمم يوم القيامة .

والمقصود : أنه سبحانه جعل نَبِيَّهُ ﷺ غنيًا شاكرًا بعد أن كان فقيرًا صابرًا فلا تحتج به طائفة لحالها إلا كان للطائفة الأخرى أن تحتج به أيضا لحالها .

فإن قيل : فقد كان عبد الرحمن بن عوف ﷺ من الشاكرين ، وقد قال الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا عبد الصمد قال : حدثنا عمارة ، عن ثابت ، عن أنس ﷺ قال : بينما عائشة فى بيتها سمعت صوتا فى المدينة ، فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : عيرٌ لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء قال : وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة - رضي الله عنها -: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رأيتُ عبدَ الرحمن بن عوف يدخل الجنةَ حَبْوًا » فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال : إن استطعت لأدخلنها قائمًا فجعلها بأحمالها وأقتابها كلها فى سبيل الله[٣].

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٠٦٩) من طريق سعيد بن جبير قال : قال لي ابن عباس - رضي الله عنهما - : هل تزوجت ؟ قلت : لا . قال : تزوج ، فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء .

(٢) **صحيح بمجموع طرقه** : أبو داود (٢٠٥٠) النسائي (٦/ ٦٥) ابن حبان (١٢٢٩ موارد) من طريق المستلم بن سعيد الواسطي عن منصور بن زاذان عن معاوية بن مرة عن معقل بن يسار ﷺ مرفوعًا . المستلم بن سعيد : صدوق - عابد - ربما وهم (تقريب ٦٥٧٩) ، وله شاهد عند الإمام أحمد (٣/ ١٥٨) ابن حبان (١٢٢٨ موارد) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا ، وفي إسناده : خلف بن خليفة بن صاعد . حدثني حفص بن أخي بن مالك عن أنس ابن مالك ﷺ مرفوعًا . خلف بن خليفة بن صاعد : صدوق - اختلط في الآخر (تقريب ١٧٢١) قال علاء الدين علي رضا : وآخر من روى عنه هو الحسن بن عوف (نهاية الاغتباط ٣٥) قلت : روى عنه هذا الحديث ، قتيبة بن سعيد والحسين بن محمد بن بهرام التميمي وعفان .ا.هـ ، وشاهد آخر عند ابن ماجه (١٨٤٦) من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا ، وفي إسناده عيسى بن ميمون المدني : ضعيف (تقريب ٥٣٢٧) .

(٣) **قال الإمام أحمد** : هذا الحديث كذب منكر . أحمد (٦/ ١١٥) البزار (٢٥٨٦ - ٣/ ٢٠٩ كشف الأستار) الطبراني (٢٦٤ - ١/ ١٢٩ الكبير) أبو نعيم (١/ ١٤٢ الحلية) من حديث أنس بن مالك ﷺ عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا . في إسناده : عمارة بن زاذان عن ثابت عنه به . عمارة بن زاذان عن ثابت : ضعفه الدارقطني وغيره ، وله مناكير (المغني ٤٤٠٠) ، وله متابعة عند البزار (٢٥٨٧ - ٣/ ٢٠٩ كشف الأستار) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا . في إسناده : حبان بن أغلب بن تميم ثنا أبي ثابت البناني عنه به . حبّان بن أغلب السعدي : وهاه الفلاس ، وهو شيخ لأبي حاتم ، قال أبو حاتم : ضعيف الحديث (لسان العرب ٢/ ٢٠٩) . أغلب بن تميم ، =

قيل: قد قال الإمام أحمد هذا الحديث كذب منكر . قال : وعمارة يروي أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم [٨٤/ أ] الرازى : عمارة بن زاذان لا يحتج به .

قال أبو الفرج[1] : وقد روى الجراح بن منهال بإسناده عن عبد الرحمن بن عوف أن النبى ﷺ قال له : « يا ابنَ عوفٍ إنكَ من الأغنياءِ وإنّكَ لا تدخلُ الجنةَ إلا زَحْفًا فأقرِضْ رَّبكَ يُطلق قدميك » قال أبو عبد الرحمن النسائى : هذا حديث موضوع والجراح متروك الحديث ، وقال يحيى : ليس حديث الجراح بشيء ، وقال ابن المدينى : لا يكتب حديثه ، وقال ابن حبان : كان يكذب ، وقال الدارقطنى : متروك .

فإن قيل : فما تصنعون بالحديث الذى رواه البيهقى من حديث أحمد بن عدي بن إسماعيل بن محمد حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنى خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يا ابنَ عوفٍ إنكَ من الأغنياءِ ولن تدخلَ الجنَّة إلَّا زحْفًا فأقرِضْ الله يُطلقْ لك قَدَمَيْكَ » قال : وما الذى أقرض يا رسول الله ؟ قال : « تتبرَّأ مما أمسيتَ فيهِ » قال : أمن كله أجمع يا رسول الله ؟ قال : « نعم » فخرج ابن عوف وهو يهتم بذلك فأتاه جبريل فقال : « مُرْ ابنَ عوفٍ فليضفْ الضيفَ ، وليطعمْ المساكينَ ، وليبدأْ بمن يعولُ ، وليعطِّ السائلَ ، فإذا فعل ذلك كان تزكيةَ ما هو فيه »[2].

= قال البخاري : منكر الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال ابن حبان : منكر الحديث ، خرج عن حد الاحتجاج به لكثرة أخطائه ، وقال ابن عدي : أحاديثه عامتها غير محفوظة ، إلا أنه ممن يكتب حديثه ، وقال مسلمة بن قاسم : منكر الحديث ، ضعيف (لسان الميزان ١/ ٥١٩) قال الهيثمي : لا يصح في دخوله : أي عبد الرحمن بن عوف ﷺ حبوًا . حديث ، وقال البزار : وأغلب ، لا نعلم روى عنه إلا ابنه ، ، وقال الهيثمي : لا يثبت في هذا شيء ، وقد شهد عبد الرحمن بن عوف ﷺ بدرًا ، وشهد له النبي ﷺ بالجنة ، وهو أحد العشرة ، فلا تلتفت إلى أحاديث ضعيفة (٣/ ٢٠٩ - ٢١٠ كشف الأستار) .

(١) أبو الفرج - ابن الجوزي (٢/ ١٣ الموضوعات) . الجراح بن المنهال - مولى بني عامر - أبو العطوف الجزري - قال أبو حاتم : متروك الحديث - ذاهب الحديث - لا يكتب حديثه (الجرح والتعديل ٢/ ٥٢٣) ، وقال البخاري ومسلم : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال أحمد : كان صاحب غفلة (ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٧) .

(٢) **ضعيف جدًا** : وأخرجه أيضًا البزار (٢٥٨٨ - ٣/ ٢٠٩ - ٢١٠ كشف الأستار) الحاكم (٣/ ٣١١) أبو نعيم (١/ ١٤٣ - ٨/ ٣٧٥ الحلية) من طريق خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي =

قيل : هذا حديث باطل لا يصح عن رسول الله ﷺ فإن أحد رواته خالد بن يزيد بن أبى مالك ، قال الإمام أحمد : ليس بشيء ، وقال ابن معين : واه ، وقال النسائى : غير ثقة ، وقال الدارقطنى : ضعيف وقال يحيى بن معين : لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على الصحابة . [٨٤/ ب]

فإن قيل : فما تصنعون في الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا الهذيل بن ميمون عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلتُ الجنةَ فسمعتُ فيها خَشَفَةً بين يديّ ، قلتُ : ما هذا ؟ قال : بلال . فمضيت فإذا أكثرُ أهل الجنةِ فقراءَ المهاجرينِ وذراري المسلمين ولم أر فيها أحدًاأقل من الأغنياء والنساء ، قيل لى : أما الأغنياءُ فهم بالباب يُحاسبون ويمحصون وأما النساءُ فألهاهن الأحمران : الذهب والحرير ، ثم خرجنا من أحدِ أبوابِ الجنةِ الثمانية ، فلما كنتُ عند الباب أتيت بكفةٍ فَوُضعتُ فيها ووضِعَتْ أُمتي فى كفةٍ فرجحتُ بها ، ثم أتى بأبي بكر فوضع فى كفةٍ ، وجئ بجميع أمتى فوضعوا فى كفةٍ فرجَح أبو بكر ، ثم أُتى بعمر فوضع فى كفةٍ ووُضِعَ جميع أمتى فى كفةٍ فرجح عمر ، وعُرضتْ عليّ أمتى رجلًا رجلًا فجعلوا يمرون واستبطأتُ عبد الرحمن بن عوف ثم جاء بعد الإياس فقلت عبد الرحمن ، فقال : بأبي وأمي يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما خَلَصْتُ إليك حتَّى ظننت إنى لا أصل إليك إلا بعد المشيبات . قلت : وما ذاك ؟ قال : من كثرةِ مالي أحاسب فأمحص »(١).

= رباح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن الرحمن بن عوف ﷺ مرفوعًا . خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك ترجمته في (ميزان الاعتدال ١/ ٦٢٨ - ٦٢٩) (تهذيب التهذيب ٣/ ١٢٦- ١٢٧) . قال ابن أبي الحواري عن يحيى بن معين : لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على أصحاب رسول الله ﷺ .

(١) **ضعيف جدًا** : أحمد (٥/ ٢٥٩) الطبراني (٧٨٦٤ الكبير) مطرح بن يزيد - أبو المهلب - قال أبو حاتم : ليس بالقوي ، ضعيف الحديث ، يروى أحاديث عن ابن زحر - عبيد الله - عن علي بن يزيد ، فلا أدري البلاء منه أو من على بن يزيد - الألهاني - وقال الآجري : عن أبي داود : زعموا أن البلية من قبل على بن يزيد ، وقال ابن حبان : مطرح بن يزيد ، لا يروى إلا عن ابن زحر وعلى بن يزيد وهما ضعيفان ، فكيف يتهيأ الجرح لمن لا يروى إلا عن الضعفاء ، ولكنه لا يحتج به لأنه يروى عن الضعفاء ، وقال ابن عدي : روايته عن ابن زحر والضعف على حديثه =

قيل : هذا حديث لا يحتج بإسناده ، وقد أدخله أبو الفرج ابن الجوزي هو والذى قبله فى كتاب الموضوعات ، وقال : أما عبيد بن زحر ، فقال يحيى : ليس بشيء ، وعلى ابن يزيد متروك ، وقال ابن حبان : عبيد الله يروى الموضوعات عن الأثبات وإذا رَوَى عن على بن يزيد أتى بالطامات ، وإذا اجتمع فى إسنادِ خَبَرٍ عبيد الله بن زحر [وعليٌّ بنُ يزيد][1] والقاسِمُ بن عبد الرحمن لم يكن متنُ ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم .

قال أبو الفرج : وبمثل هذا الحديث [٨٥/أ] الباطل يتعلق جَهَلَةُ المتزهدين ، ويروْنَ أن المالَ مانِعٌ من السبق إلى الخير ، ويقولون : إذا كان ابنُ عوفٍ يدخل الجنة زحفًا لأجل ماله كفى ذلك فى ذمِّ المالِ ، والحديث لا يصح وحاشا عبدُ الرحمن المشهود له بالجنة أن يمنعه ماله من السَبَقَ ؛ لأن جمعَ المالِ مباحٌ ، وإنما المذموم كسبه من غير وجهه ، ومنع الحق الواجب فيه ، وعبد الرحمن منزه عن الحالين .

وقد خلّف أبو طلحة ثلاثمائة حملاً من الذهب وخلف ابن الزبير وغيره ، ولو علموا أن ذلك مذموم لأخرجوا الكُلَّ ، وكم قاصٍّ يتسوف بمثل هذا الحديث يحث على الفقر ويذم الغنى ، فلله در العلماء الذين يعرفون الصحيح ويفقهون الأصول ا.هـ.

قلت : وقد بالغ فى رد هذا الحديث وتجاوز فى إدخاله فى الأحاديث الموضوعة المختلقة علىٰ رسول الله ﷺ وكأنه استعظم احتباس عبد الرحمن بن عوف وهو أحد السابقين الأولين المشهود لهم بالجنة عن السبق إليها ، ودخوله الجنة حبوًا ، ورأى ذلك

= بين (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٧١) . عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد الألهاني : سبق لهما ترجمة ، أخرجه الطبراني (٧٩٢٣ الكبير) من طريق صدقة بن عبد الله (الدمشقي - السمين) عن الوليد بن جميل . قال سمعت القاسم ابن عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة عن النبي ﷺ فذكره . صدقة بن عبد الله السمين - الدمشقي : سبق له ترجمة . الوليد بن جميل بن قيس - أبو الحجاج الفلسطيني - قال أبو الحسن بن البراء ، عن علي بن المديني : الوليد بن جميل لا أعلم روى عنه غير يزيد بن هارون ، قلت : كيف أحاديثه ؟ قال : تشبه أحاديثه أحاديث القاسم بن عبد الرحمن ، ورضيه ، وقال أبو زرعة : شيخ لين الحديث ، وقال أبو حاتم : شيخ يروى عن القاسم أحاديث منكرة ، وقال أبو عُبيد الآجرى : سألت أبا داود عن الوليد بن جميل صاحب القاسم ، فقال : دمشقي ، ليس به بأس (تهذيب الكمال ٧/ ٤٦٨) .

(١) زيادة في المطبوع .

مناقضا لسبقه ومنزلته التى أعدها الله له فى الجنة ، وهذا وهم منه رحمه الله وهب أنه وجد السبيل إلى الطعن فى هذين الخبرين أفيجد سبيلا إلى القدح فى حديث أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ** »(١) قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى حديث ابن عمر الذى رواه مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ : « **إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا** »(٢) وفى مسند الإمام أحمد عنه عن النبى ﷺ : « **هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « **فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ يُتَّقَى بِهِمُ** [٨٥/ب] **الْمَكَارِهَ ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِى صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً** »(٣)

وفى جامع الترمذى من حديث جابر ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : « يدخلُ فقراءُ أُمَّتِى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا »(٤).

فهذا الحديث وأمثاله صحيح صريح فى سبق فقراء الصحابة إلى الجنة لأغنيائهم ، وهم فى السبق متفاوتون ، فمنهم من يسبق بخمسمائة عام ، ومنهم من يسبق بأربعين عامًا ، ولا يقدح ذلك فى منزلة المتأخرين فى الدخول فإنهم قد يكونون أرفعَ منزلة ممن سبقهم إلى الدخول وإن تأخروا بعدهم للحساب ، فإن الإمام العادل يوقف للحساب

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه** : سبق تخريجه ، ويشهد له ما بعده .

(٢) **صحيح** : مسلم (٢٩٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - مرفوعًا .

(٣) **إسناده صحيح لغيره** : أحمد (٢/ ١٦٨) من طريق معروف بن سويد الجذامي عن أبي عُشانه ، المعافري عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا . معروف بن سويد - الجذامي - مقبول (تقريب ٦٧٨٣) وله شاهد بمعناه أيضًا عند أحمد (٢/ ١٦٨) حدثنا حسن - ابن موسى - الأشيب - أبو علي البغدادي . حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عُشانة أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ثلة تدخل الجنة ، لفقراء المهاجرين ، الذين يتقي بهم المكاره ... الحديث » . عبد الله بن لهيعة : سبق له ترجمة .

(٤) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٢٣٥٥) من طريق عمرو بن جابر - أبو زرعة - المصري - الحضرمي عن جابر ﷺ مرفوعًا . عمرو بن جابر - أبو زرعة ، عن جابر ، وغيره : هالك ، وقال ابن لهيعة : شيخ أحمق ، كان يقول : إن عليًا في السحاب ، وقال غيره : كذاب (المغني ٤٦٣٨) ، وقال الحافظ ابن حجر : ضعيف - شيعي (تقريب ٤٩٨٦) .

ويسبقه من لم يل شيئا من أمور المسلمين إلى الجنة ، فإذا دخل الإمام العادل بعده كانت منْزلتُه أعلى من منْزلةِ الفقيرِ بل يكون أقرب الناس من الله منزلة كما فى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبى ﷺقال : « **الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلّوا** »(١). وفى الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ: « إنّ أحبّ الناسِ إلى الله يومَ القيامةِ وأقربهم منه مجلسا إمامٌ عادل وأبغضُ الناسِ إلى الله يوم القيامةِ وأشدُّهم عذابا إمام جائرٌ »(٢).

فالإمامُ العادلُ والغنيُّ قد يتأخرُ دخولُ كلٍّ منهم للحساب ويكون بعد الدخول أرفع منْزلةً من الفقيرِ السابق ، ولا يلزمُ من احتباس عبد الرحمن بن عوف ﷺ لكثرةِ مالِهِ حتى يحاسب عليه ، ثم يلحق برسول الله ﷺوأصحابه غضاضةٌ عليه ولا نقصٌ من مرتبته ولا يضاد ذلك سبقه وكونه مشهودًا له بالجنة .

وأما حديثُ دخوله الجنة زَحْفًا فالأمر كما قال فيه الإمام أحمد - رحمه الله- : أنه كذب منكر ، وكما قال النسائى : أنه موضوع . [٨٦/أ]

ومقـامات عبد الرحمن ﷺ في الإسلام وهجرته وجهاده ونفقاته العظيمة وصدقـاته

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - ، وأبي بكر ﷺ مرفوعًا .

(٢) **إسناده ضعيف**: الترمذي (١٣٢٩) أحمد (٣/ ٢٢ - ٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا . في إسناده : الفضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عنه به . الفضيل بن مرزوق - الأغر - الرقاشي ، ويقال : الرواسي - الكوفي - أبو عبد الرحمن مولى بني عنزة . قال النسائي : ضعيف ، وعثمان بن سعيد : ضعفه ، وقال أبو أحمد الحاكم : ليس من شرط الصحيح ، وعيب على مسلم إخراجه في الصحيح ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدًا ، وكان ممن يخطئ على الثقات ، ويروى عن عطية الموضوعات . قال الذهبي : عطية أضعف منه ، وقال ابن عدي : عندي أنه إذا وافق الثقات يحتج به ، وعن ابن معين : ضعيف ، وقال أبو حاتم : صدوق ، صالح الحديث ، يهم كثيرًا ، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : يحتج به ؟ قال : لا (ميزان ٣/ ٣٥١) (الجرح والتعديل ٧/ ٧٥) . عطية بن سعد بن جناده العوفي : سبق له ترجمة ، وأود أن أذكر هنا قولًا لابن حبان ، قال : سمع من أبي سعيد الخدري ﷺ أحاديث ، فلما مات أبو سعيد - الخدري - جعل يُجالس الكلبي ، ويحضر قصصه . فإذا قال الكلبي : قال رسول الله ﷺ: بكذا ، فيحفظه ، وكناه أبا سعيد ويروى عنه ، فإذا قيل له : من حدّثك بهذا ؟ فيقول : حدثني أبا سعيد فيتوهمون أنه يُريد أبا سعيد الخدري ، وإنما أراد الكلبي (٢/ ١٧٦ المجروحين) .

تقتضي دخوله مع المارين كالبرق أو كالطرف أو كأجاويد الخيل ولا يدعه يدخلها زَحْفًا .

فصل

والله سبحانه كما هو خالق الخلق فهو خالقُ ما به غناهُم وفقرُهم فخلق الغنى والفقرَ ليبتلي بهما عباده أيهم أحسنُ عَمَلًا ، وجعلهما سببًا للطاعةِ والمعصيةِ والثوابِ والعقابِ قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥] قال ابن عباس - رضى الله عنهما - بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام وكلها بلاء [1]. وقال ابن زيد : نبلوكم بما تحبون وما تكرهون ، لننظر كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون[2] ، وقال الكلبى : الشرُّ بالفقرِ والبلاءِ ، والخيرُ بالمالِ والولدِ فأخبر سبحانه أن الغِنى والفقر مطيتا الابتلاءِ والامتحان .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴾ [الفجر ١٥-١٦]

فأخبر سبحانه أنّه يَبتلي عبدَه بإكرامه له ، وبنعمته له ، وبسط الرزق عليه كما يبتليه بتضييق الرزق وتقديره عليه ، وإن كليهما ابتلاء منه وامتحان .

---

(١) **إسناده ضعيف** : مرسل إلى عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - . ابن جرير الطبري (١٧/ ١٩ تفسير) حدثني على - ابن داود بن يزيد القنطري - قال : حدثنا أبو صالح . عبد الله بن صالح - كاتب الليث . ثنا معاوية - ابن صالح حُدير - عن علي - ابن أبي طلحة - عنه به . عبد الله بن صالح - كاتب الليث : سبق له ترجمة . معاوية بن صالح بن حُدير - الحضرمي - قاضي الأندلس : وثقه أحمد وأبو زرعة وغيرهما ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وكان القطان ، لا يرضاه (المغني ٦٣١٦) . قال الحافظ ابن حجر : صدوق ، له أوهام (تقريب ٦٧٥٢) . على بن أبي طلحة : مولى بني العباس : صدوق ، قد يخطئ ، أرسل عن ابن عباس ، ولم يره (تقريب ٤٧٤٤) وقال أبو حاتم : سمعت دحيما يقول : لم يسمع على بن أبي طلحة من ابن عباس التفسير (الجرح والتعديل ٦/ ١٨٨) ، وقال يعقوب بن إسحاق بن محمود : وسُئل - يعني - صالح بن محمد عن علي بن أبي طلحة ، ممن سمع التفسير ؟ قال : من لا أحد (تهذيب الكمال ٥/ ٢٦٢) .

(٢) **إسناده صحيح** : إلى ابن زيد - عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وابن زيد : ضعيف . ابن جرير الطبري (١٧/ ١٩ تفسير) حدثنا يونس - ابن عبد الأعلى - قال أخبرنا ابن وهب - عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي عنه به . عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : سبق له ترجمة .

ثم أنكرَ سبحانه على من زَعَمَ أن بَسْطَ الرزقِ وتوسعتَهُ إكرامٌ من الله لعبده وأنّ تضييقه عليه إهانةٌ منه له فقال : ﴿ كَلَّا ﴾ ، أي : ليس الأمر كما يقول الإنسانُ بل قد أبتلي بنعمتي وأنعم ببلائي ، وإذا تأملت ألفاظ الآية وجدت هذا المعنى يلوحُ على صفحاتها ظاهرا للمتأمل .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦٥]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ٧] ، فأخبر سبحانه أنه زَيَّن الأرض بما عليها من المال وغيره للابتلاء والامتحان ، كما أخبر أنه خلق الموت والحياة لذلك ، وخلق السماوات والأرض لهذا الابتلاء أيضا ، فهذه [٨٦/ب] ثلاثة مواضع في القرآن يخبر فيها سبحانه أنه خلق العالم العُلوي والسُّفلي وما بينهما ، وأجل العالم وأجل أهله ، وأسبابَ معائشهم التى جعلها زينة الأرض من الذهب والفضَّةِ والمساكنِ والملابسِ والمراكبِ والزروعِ والثمارِ والحيوانِ والنساءِ والبنين وغير ذلك ، كلُّ ذلك خلقه للابتلاء والامتحان ؛ ليختبر خلقه أيهم أحسن عملًا وأرضى له فهو الأحسنُ عملًا .

وهذا هو الحق الذى خلق به وله السماوات والأرض وما بينهما وغايته الثواب والعقاب وفواته وتعطيله هو العبث الذى نزه نفسه عنه ، وأخبر أنه يتعالى عنه وأن ملكه الحق وتفرُّدَه بالإلهية وحده وبربوبية كل شيء ينفي هذا الظنَّ الباطلَ والحسبان الكاذب ، كما **قال تعالى** : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[المؤمنون : ١١٥-١١٦] فنَزّه سبحانه نفسه عن ذلك كما نزهها عن الشريك والولد والصاحبة وسائر العيوب والنقائص من السِّنةِ والنوم واللغوب والحاجة واكترائه بحفظ السماوات والأرض ، وتقدم الشفعاء بين يديه بدون إذنه كما يظنه أعداؤه المشركون وخفا بعض أمر الخلق عليه كما يظنه أعداؤه الذين يخرجون عن علمه جزئيات العالم أو شيئا منها ، فكما

أن كماله المقدس وكمال أسمائه وصفاته يأبى ذلك ويمنع منه فكذلك يبطل خلقه لعباده عبثًا وتركهم سدًى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يردهم إليه ، فيثيب محسِنَهم بإحسانه ومُسِيئَهم بإساءته ، وَيُعَرِّفُ المبطلين منهم أنهم كانوا كاذبين ، ويشهدهم أن رسلَه وأتباعهم كانوا أولى بالصدق والحقِّ منهم ، فمن أنكر ذلك فقد أنكر إلهيته وربوبيته وملكه الحق ، وذلك عين الجحود والكفر به سبحانه [٨٧/ أ] كما قال المؤمن لصاحبه الذى حاوره فى المعاد وأنكره ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف : ٣٧] ، فأخبر أن إنكاره للمعاد كفرٌ بذات الرب سبحانه ، **وقال تعالى** : ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ [الرعد : ٥] ، وذلك أن إنكار المعاد يتضمن إنكار قدرة الرب وعلمه وحكمته وملكه الحق وربوبيته وإلهيته ، كما أن تكذيب رسله وجحد رسالتهم يتضمن ذلك أيضا ، فمن كذَّبَ رسله وجحد المعاد فقد أنكر ربوبيته سبحانه ونفى أن يكون ربًّا للعالمين .

والمقصود : أنه سبحانه وتعالى خلق الغنى والفقر مطيتين للابتلاء والامتحان ولم يُنَزِّلْ المال لمجرد الاستمتاع به ، كما فى المسند عنه ﷺ قال : « يقول الله تعالى : إنا نزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم وادٍ من مال لابتغى إليه ثانيا ، ولو كان له ثانٍ لابتغى له ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا الترابُ »(١) ، فأخبر سبحانه أنه أنزل المال ليستعان به على إقامة حقه بالصلاة وإقامة حق عباده بالزكاة لا للاستمتاع والتلذذ كما تأكل الأنعام .

فإذا زاد المال على ذلك أو خرج عن هذين المقصودين فات الغرض والحكمة التى

---

(١) **إسناده ضعيف** : من هذا الوجه ، والفقرة الأخيرة لها شواهد . أحمد (٥/ ٢١٩) من حديث أبي واقد الليثي ﷺ مرفوعًا في إسناده : هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عنه به . هشام بن سعد : سبق له ترجمة . والحديث لم يذكر أحدًا من الرواة أنه عن الله ﷻ إلا من هذا الوجه ، وأصله في البخاري (٦٤٣٩) مسلم (١٠٤٨) من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ ، وأيضًا عند البخاري (٦٤٣٦) ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ ، وليس فيه إن الله ﷻ قال : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

أنزل لها وكان التراب أولى به فرجع هو والجوف الذى امتلأ بمحبته وجمعه إلى التراب الذي هو أصله فلم ينتفع صاحبه ولا انتفع الجوف الذي امتلائه بما خلق له من الإيمان والعلم والحكمة فإنه خلق لأن يكون وعاءً لمعرفة ربه وخالقه والإيمان به ، ومحبته وذكره ، وأنزل عليه من المال ما يستعينُ به على ذلك ، فعطل الجاهل بالله وبأمر الله وبتوحيد الله وبأسمائه وصفاته جوفه عما خلق له وملأه بمحبة المال وجمعه الفانى الذاهب الذي هو ذاهب عن صاحبه أو بالعكس وجمعه والاستكثار منه ، ومع ذلك فلم يمتلىء بل ازداد فقرًا وحرصًا إلى أن امتلأ جوفه بالتراب الذى خلق منه فرجع إلى مادته الترابية التى خلق منها هو ، وماله ولم يستكمل [٨٧/ ب]مادته بامتلاء جوفه من العلم والإيمان الذى بهما كماله وفلاحُه وسعادتُه فى معاشه ومعاده . فالمال إن لم ينفع صاحبه ضرَّه ولا بد ، وكذلك العلمُ والملكُ والقدرةُ كلُّ ذلك إن لم ينفعه ضره فإن هذه الأمور وسائل لمقاصد يتوصل بها إليها فى الخير والشر ، فإن عطلت عن التوسل بها إلى المقاصد والغايات المحمودة توصل بها إلى أضدادها ، فأربحُ الناس من جعلها وسائل إلى الله والدار الآخرة وذلك الذى ينفعه فى معاشه ومعاده ، وأخسر الناس من توسل بها إلى هواه ولذاته ونيل شهواته وأغراضه العاجلة فخسر الدنيا والآخرة ، فهذا لم يجعل الوسائلَ مقاصد ولو جعلها كذلك لكان خاسرا ، لكنه جعلها وسائل إلى ضدِّ ما جُعِلت له ، فهو بمثابة من توسَّل بأسباب اللذة إلى أعظم الآلام وأدائها .

فالأقسام أربعة لا خامس لها :

أحدها : معطلُ الأسباب معرضٌ عنها .

الثانى : مُكِبٌّ عليها واقفٌ مع جمعها وتحصيلها .

الثالث: متوصل بها إلى ما يضره ولا ينفعه في معاشه ومعاده فهؤلاء الثلاثة في الخسران .

الرابع : متوصل بها إلى ما ينفعه في معاشه ومعاده وهو الرابح .

قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا

فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥-١٦]

وقد أشكل فهم هذه الآية على كثير من الناس حيث فهموا منها : أن من كان له إرادة فى الدنيا وزينتها فله هذا الوعيد ، ثم اختلفوا فى معناها ، فقالت طائفة منهم ابن عباس ﷺ : ومَنْ كان يريد تعجيل الدنيا فلا يؤمن بالبعث ولا بالثواب والعقاب [٨٨/ أ] قالوا : فالآية فى الكفار خاصة على قول ابن عباس - رضي الله عنهما - .

وقال قتادة[١] : من كانت الدنيا همه وسَدمَه ونيته وطلبه جازاه الله فى الدنيا بحسناته ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها ، وأما المؤمنُ فيجزى فى الدنيا بحسناته ويثاب عليها فى الآخرة .

وقال هؤلاء : فالآية فى الكفار بدليل قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَٰخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٦]

قالوا : المؤمن يريد الدنيا والآخرة ؛ فأما من كانت إرادتُهُ مقصورةً على الدنيا فليس بمؤمن ، وقال ابن عباس[٢] - رضي الله عنهما - في رواية أبي صالح عنه : نزلت في أهل القبلة قال مجاهد[٣] : هم أهل الرياء .

وقال الضحاك[٤] : من عمل صالحًا من أهل الإيمان من غير تقوى عُجِّل له ثواب

---

(١) **إسناده صحيح إلى قتادة** : ابن دعامة السدوسي - أبو الخطاب - ابن جرير الطبري (١٢/ ٩ تفسير) بشر - ابن معاذ العقدي - قال حدثنا يزيد - ابن زريع - قال حدثنا سعيد - ابن أبي عَرُوبة - عنه به .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) **إسناده منقطع إلى مجاهد** : ابن جرير الطبري (١٢/ ٩ تفسير) حدثني المثنى - ابن إبراهيم المروزي - قال سويد - ابن نصر بن سويد المروزي . قال أخبرنا ابن المبارك - عبد الله - عن وهيب - ابن الورد - أنه بلغه أن مجاهدًا كان يقول في هذه الآية : هم أهل الرياء ، هم أهل الرياء . وهيب لم يسمع من مجاهد ولا يُعرف من بلّغه .

(٤) **إسناده ضعيف جدًا إلى الضحاك** : - ابن مزاحم - وليس فيه من أهل الإيمان . ابن جرير الطبري (١٢/ ٩ تفسير) حُدثت عن الحسين ابن الفرج - الخياط - البغدادي - أبو علي - قال سمعت أبا معاذ - النحوي - ابن خالد المروزي - يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان - الباهلي - أبو الحارث - قال سمعت الضحاك - ابن مزاحم - يقول : في قوله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ... الآية ﴾ يقول : من عمل عملاً صالحا في غير تقوى - يعني من أهل الشرك - أعطى على ذلك أجرًا في الدنيا ، يصل رحمًا ، يعطى سائلًا ، يرحم مضطرًا ، في نحو هذا ، من أعمال البر يعجل له ثواب عمله في الدنيا . الحسين بن الفرج الخياط . قال ابن معين : كذاب - صاحب سُكر - شاطر ، وقال أبو زرعة : ذاهب الحديث ، وقال أيضًا : لا شيء - لا أحدث عنه ، وقال أبو حاتم : تكلم الناس فيه (الجرح والتعديل ٣/ ٦٢ - ٦٣) .

عمله فى الدنيا ، واختار الفراء هذا القول ، وقال : من أراد بعمله من أهل القبلة ثواب الدنيا عُجِّل له ثوابه ولم يُبْخَس ، وهذا القول أرجح ومعنى الآية على هذا : من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها وهذا لا يكون مؤمنًا ألبتة ، فإن العاصي والفاسق ولو بالغا فى المعصية والفسق فإيمانهما يحملهما على أن يعملا أعمال البر لله فيريدان بأعمال البر وجه الله وإن عملا بمعصيته ، فأما من لم يُرد بعمله وجهَ الله وإنما أراد به الدنيا وزينتها ، فهذا لا يدخل فى دائرة أهل الايمان ، وهذا هو الذى فهمه معاوية ﷺ من الآية واستشهد بها على حديث أبى هريرة ﷺ الذى رواه مسلم في صحيحه[1] فى الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة : القاريء الذى قرأ القرآن ليقال فلان قاريء ، والمتصدق الذى أنفق أمواله ليقال فلان جواد ، والغازي الذي [٨٨/ ب]قتل في الجهاد ليقال هو جريء .

وكما أن خيار خلق الله هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ، فشرارُ الخلق من تشبه بهم وليس منهم ، فمن تشبه بأهل الصدقِ والإخلاصِ وهو مُراءٍ كمن تشبَّه بالأنبياء وهو كاذب .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن إدريس قال : أخبرنى عبد الحميد بن صالح قال : حدثنا قطن بن الحباب ، عن عبد الوارث عن أنسِ بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يومُ القيامةِ صارت أمتى ثلاثَ فرقٍ . فرقة يعبدون الله ﷻ للدنيا ، وفرقة يعبدون رياء وسمعة ، وفرقة يعبدونه لوجهه ولداره ، فيقول للذين كانوا يعبدونه للدنيا : بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي ؟ فيقولون : بعزتك وجلالك ومكانك الدنيا ، فيقول : إنى لم أقبل من ذلك شيئًا اذهبوا بهم إلى النار ، ويقول للذين كانوا يعبدونه رياءً وسمعةً : بعزَّتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتى ؟ فيقولون : بعزتك وجلالك ومكانك رياء وسمعة ، فيقول : فإنى لم أقبل من ذلك شيئا اذهبوا بهم إلى النار ، ويقول للذين كانوا يعبدونه لوجهه وداره : بعزتي وجلالي ومكاني

(١) صحيح : سبق تخريجه .

ما أردتم بعبادتي ؟ فيقولون : بعزتك وجلالك ومكانك ووجهك ودارك ، فيقول : صدقتم اذهبوا بهم إلى الجنة »[1].

هذا حديث غنيٌّ عن الإسناد ، والقرآن والسنة شاهدان بصدقه ويدل على صحة هذا القول فى الآية قوله تعالى : ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ وذلك على أنها فى قوم لهم أعمال لم يريدوا بها وجه الله وإنما أرادوا بها الدنيا ولها عملوا [٨٩/ أ] فوفاهم الله ثواب أعمالهم فيها من غير بخس وأفضوا إلى الآخرة بغير عمل يستحقون عليه الثواب وهذا لا يقع ممن يؤمن بالآخرة إلا كما يقع منه كبائرُ الأعمال وقوعًا عارضًا يتوب منه ويراجعُ التوحيد .

وقال ابن الأنبارى : فعلى هذا القول المعنى فى قوم من أهل الإسلام يعملون العمل الحسن لتستقيم به دنياهم غير مفكرين فى الآخرة وما ينقلبون إليه ، فهؤلاء يُجَعَّل لهم جزاءُ حسناتهم فى الدنيا فإذا جاءت الآخرة كان جزاؤهم عليها النار إذا لم يريدوا بها وجه الله ، ولم يقصدوا التماس ثوابه وأجره ، ثم أورد أصحاب هذا القول على أنفسهم سؤالًا قالوا : فإن قيل الآية الثانية على هذا توجب تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا فى النار ، وأجابوا عنه : بأن ظاهر الآية يدُلُّ على أن من راءى بعمله ولم يلتمس به ثواب الآخرةِ بل كانت نيتُه الدنيا فإن الله يبطلُ إيمانَه عند الموافاة فلا يوافي ربَّه بالإيمان ؛ قالوا : ويدل عليه قوله : ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٦] ، وهذا يتناول أصل الإيمان وفروعه .

وأجابت فرقة أخرى : بأن الآية لا تقتضي الخلودَ الأبدي فى النار ، وإنما تقتضي أن الذى يستحقونه فى الآخرة النار ، وأنهم ليس لهم عملٌ صالح يرجون به النجاة ، فإذا

---

(١) **منكر** : ابن أبي الدنيا (٤١٣ ذم الدنيا) الطبراني (٥١٠١ - ٦/ ٤٨- ٤٩ الأوسط) البيهقي (٦٨٠٨ شعب) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا من طريق قطرى الخشاب ، وليس قطن الحباب . عن عبد الوارث عنه به . عبد الوارث - مولى أنس بن مالك ﷺ - ضعفه الدارقطني (المغني ٣٨٨٥) ، وقال الترمذي عن البخاري : منكر الحديث ، وقال يحيى بن معين : مجهول (لسان الميزان ٤/ ١٠١) وقال الترمذي أيضًا : سألت محمدًا - يعني البخاري - عن عبد الوارث هذا ، فقال : هو رجل مجهول (علل الترمذي ٢١٤) .

كان مع أحدهم عمود التوحيد فإنه يخرج به من النار مع من يخرج من أصحاب الكبائر الموحدين ، وهذا جوابُ ابن الانباري وغيره - رحمة الله عليهم - والآية بحمد الله لا إشكالَ فيها والله سبحانه ذكرَ جزاء من يريدُ بعملِه الدنيا وزينتها وهو النار ، وأخبر بحبوطِ عمله وبطلانِه فإذا أحبط ما ينجو به وبَطَلَ لم يبق معه ما ينجيه [٨٩/ ب] فإنْ كان معه إيمانٌ لم يرد به الدنيا وزينتها بل أراد به الله ورسوله والدار الآخرة ، لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل ، وأنجاه إيمانه من الخلود فى النار ، وإن دخلها بحبوط عمله الذى به النجاة المطلقة .

فالإيمان إيمانان : إيمانٌ يمنع من دخول النار ، وهو الإيمان الباعث على أن تكون الأعمال لله مبتغى بها وجهه وثوابه ، وإيمان يمنع الخلودَ في النار، فإن كان مع المرائي شيء منه ، وإلا كان من أهل الخلود ، فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد والله الموفق وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] ومنه قوله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨-١٩]

فهذه ثلاثة مواضع من القرآن يشبه بعضها بعضا ، ويصدق بعضُها بعضًا وتجتمع على معنى واحد ، وهو أن من كانت الدنيا مراده ، ولها يعمل وهي غاية سعيه لم يكن له فى الآخرة نصيب ، ومن كانت الآخرةُ مرادَه ولها عمله وهى غاية سعيه فهى له .

بقي أن يقال : فما حكم من يريد الدنيا والآخرة فإنه داخل تحت حكم الإرادتين فبأيهما يلحق ، قيل : من ها هنا نشأ الإشكال وظَنَّ من ظنَّ من المفسرين [٩٠/ أ] أن الآية فى حقِّ الكافر ، فإنه هو الذى يريد الدنيا دون الآخرة ، وهذا غير لازم طردًا ولا عكسًا ، فإن بعض الكفار قد يريد الآخرةَ ، وبعض المسلمين قد لا يكون مراده إلا الدنيا ، والله سبحانه وتعالى قد علَّق السعادة بإرادةِ الآخرةِ ، والشقاوة بإرادة الدنيا ،

فإذا تَجَرَّدَت الإرادتان تجرد موجبها ومقتضاهما وإن اجتمعتا فحكم اجتماعهما حكم اجتماع البِرِّ والفجور والطاعة والمعصية ، والإيمان والشرك فى العبد ، وقد قال تعالى لخير الخلق بعد الرسول ﷺ : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] وهذا خطاب للذين شهدوا معه الوقعة ولم يكن فيهم منافق ، ولهذا قال عبد الله بن مسعود ﷺ : ما شعرت أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى كان يومُ أحد ونزلت هذه الآية[1] والذين أريدوا فى هذه الآية هم الذين أَخْلَوا

---

(١) **ضعيف** : ابن جرير الطبري (٤/ ٨٥ تفسير) حدثت عن الحسين - سنيد بن داود المصيصي - قال سمعت أبا معاذ - الفضل بن خالد المروزي - قال ثنا عبيد بن سليمان - الباهلي - أبو الحارث - قال : سمعت الضحاك - ابن مزاحم - يقول : في قوله : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ أن النبي ﷺ أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال : « كونوا مسلحة للناس ، بمنْزلة أمرهم أن يثبتوا بها .... إلى أن قال : فكان ابن مسعود ﷺ يقول : ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد . الحسين بن داود - لقبه سنيد - قال النسائي : ليس بثقة ، وقال أبو داود : لم يكن بذاك ، وقال أبو حاتم : ضعيف (تهذيب الكمال ٣/ ٣١٩) (ميزان ١/ ٥٢٧ - ٢/ ١٨٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي : صدوق - كثير الإرسال (تقريب ٢٩٧٣) لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة ، وقال أبو أحمد بن عدي : عرف بالتفسير ، فأما رواياته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنه ، ففي ذلك كله نظر ، وإنما اشتهر بالتفسير (تهذيب الكمال ٣/ ٤٨١) .
قلت : والحديث رواه ابن جرير بصيغة التمريض ولم يذكر من حدثه عن الحسين .ا.هـ ، وله طريق آخر أيضًا عند الطبري (٤/ ٨٥ تفسير) من طريق الحسين بن داود - سنيد - عن حجاج - ابن محمد المصيصي - عن ابن جريج - عبد الملك بن عبد العزيز - قال : قال ابن مسعود ﷺ فذكره . عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج : قال الإمام أحمد : إذا قال ابن جريج قال فلان ، وقال فلانٌ ، وأخبرت ، جاء بمناكير (تهذيب الكمال ٤/ ٥٦١) قلت : بينه وبين ابن مسعود ﷺ مفاوز .ا.هـ ، وله طريق آخر أيضًا عن ابن جرير الطبري (٤/ ٨٥ تفسير) من طريق أسباط ابن نصر الهمداني عن السدي - إسماعيل بن عبد الرحمن - عن عبد خير - الهمداني أبو عُمارة - عن ابن مسعود ﷺ به - أسباط بن نصر - قال النسائي : ليس بالقوي ، وقال حرب بن إسماعيل : قلت لأحمد : كيف حديثه ؟ قال : ما أدري . كأنه ضعفه ، وقال أبو حاتم : سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بن نصر ، وقال : أحاديثه عامته سقط مقلوب الأسانيد ، وقال محمد بن مهران الجمال : سألت أبا نعيم عنه فقال : لم يكن به بأس ، غير أنه كان أهوج - يعني الشجاع الذي يرمى بنفسه في الحرب - وقال يحيى بن معين : ثقه (تهذيب الكمال ١/ ١٧١) وقال ابن حجر : صدوق - كثير الخطأ (تقريب ٣٢٣) . إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي : من التابعين ، وثقه أحمد وغيره وضعفه ابن معين ، قال أبو حاتم : لا يحتج به ، ورمى بالتشيع ، قال الجوزجاني : حدثت عن معتمر عن ليث قال : كان بالكوفة كذابان ، فمات أحدهما . السدي والكلبي ، وقال حسين بن واقد المروزي : سمعت منه فما قمت حتى سمعته يشتم أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - فلم أعد إليه (المغني ٦٨٢) . وله طريق آخر أيضًا عند ابن جرير =

مركزهم الذى أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه وهم من خيار المسلمين ، ولكن هذه الإرادة عارضةٌ حملتهم على ترك المركز والإقبال على كسب الغنائم بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها فهذه الإرادة لون وإرادة هؤلاء لون .

وها هنا أمر يجب التنبه له وهو أنه لا يمكن إرادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الإيمان بالله ورسله ولقائه أبدًا ، فإن الإيمان بالله والدار الآخرة يستلزم إرادة العبد وجه الله والدار الآخرة بأعماله فحيث كان مراده [٩٠/ ب] بها الدنيا فهذا لا

= الطبري (٥/ ٨٦ تفسير) . حدثت عن عمار - ابن الحسن بن بشير الهمداني - أبو الحسن الرازي - عن ابن أبي جعفر - عبد الله الرازي - عن أبيه - أبو جعفر الرازي - عيسى بن ماهان - عن الربيع - ابن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخرساني قال : قال عبد الله بن مسعود ﷺ فذكر نحوه . عبد الله بن أبي جعفر الرازي قال عبد العزيز بن سلام : سمعت محمد بن حميد يقول : عبد الله بن أبي جعفر كان فاسقًا ، سمعت منه عشرة آلاف حديث ، فرميت بها ، ويقال أبو زرعة : ثقة صدوق ، وقال ابن عدي : بعض حديثه مما لا يتابع عليه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، قلت (ابن حجر) : وقال : يعتبر حديثه من غير روايته عن أبيه ، وقال الساجي : فيه ضعف ورأيت في نسخة معتمدة من كامل ابن عدي أنبأنا الحسن بن سفيان ثنا عبد العزيز بن سلام سمعت محمد بن حميد يقول : قال عبد الله بن أبي جعفر كان عمار بن ياسر فاسقًا (تهذيب التهذيب ٥/ ١٧٧) . الربيع بن أنس البكري صدوق - له أوهام (تقريب ١٨٧٠) وذكره ابن حبان في الثقات وقال : وقال الناس ، يتقون من حديثه ، ما كان من رواية أبي جعفر عنه ، لأن في أحاديثه عنه اضطرابا كثيرا (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٣٩) قلت : ولم يسمِّ ابن جرير من حدثه عن عمار بن الحسن .ا.هـ وله طريق آخر أيضًا عند ابن جرير الطبري (٥/ ٨٦ تفسير) حدثني محمد بن سعد - ابن محمد بن الحسن بن عطية العوفي - قال ثنى أبي - سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي - قال ثنى عمى - الحسن بن الحسن بن عطية العوفي - قال ثنى أبي - الحسن بن عطية بن سعد بن جُنادة العوفي - عن أبيه - عطية بن سعد بن جُنادة العوفي - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان ابن مسعود ﷺ يقول فذكره . سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي - قال أحمد بن حنبل فيه : جهمي . قال : ولم يكن هذا أيضًا ممن يتساهل أن يكتب عنه ، ولا كان موضعًا لذاك ، حكاه الخطيب (لسان الميزان ٣/ ٢٤) . الحسين بن الحسن بن عطية العوفي . قال النسائي : ضعيف ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وقال الجوزجاني : واهي الحديث ، وقال ابن سعد : سمع سماعًا كثيرًا ، وكان ضعيفًا في الحديث ، وقال ابن حبان : روى أشياء لا يتابع عليها ، لا يجوز الاحتجاج بخبره (لسان الميزان ٢/ ٣٤١) . الحسن بن عطية بن سعد بن جُنادة العوفي . قال البخاري : ليس بذاك ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال : وأحاديث عطية ليست بنقية (تهذيب الكمال ٢/ ١٤١) . عطية بن سعد بن جُنادة العوفي : سبق له ترجمة . وله طريق آخر عند أحمد (١/ ٤٦٣) من طريق الشعبي - عامر بن شراحيل - عن ابن مسعود ﷺ بنحوه - عامر بن شراحيل . قال أبو حاتم : لم يسمع الشعبي من عبد الله بن مسعود (تحفة التحصيل ٤٢٦) .

يجامع الإيمان أبدا وإن جامع الإقرار والعلم فالإيمان وراء ذلك فالإقرار والمعرفة حاصلان لمن شهد الله سبحانه له بالكفر مع هذه المعرفة كفرعونَ وثمودَ واليهودَ الذين شاهدوا رسول الله ﷺ وعرفوه كما عرفوا أبناءهم وهم من أكفر الخلق ، فإرادة الدنيا وعاجلها بالأعمال قد تجامع هذه المعرفة والعلم ولكن الإيمان الذى هو وراء ذلك لا بد أن يريد صاحبه بأعماله الله والدار الآخرة والله المستعان .

فصل

والمقصود : أن الله سبحانه جعل الغنى والفقر ابتلاءً وامتحانا للشكر والصبر والصدق والكذب والإخلاص والشرك قال الله تعالى : ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١-٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٥] فجعل الدنيا عرضا عاجلا ومتاعَ غرورٍ ، وجعل الآخرةَ دار جزاءٍ وثوابٍ ، وحفَّ الدنيا بالشهوات وزينها بها ، كما قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران : ١٤] فأخبر سبحانه أن هذا الذي زين به الدنيا من ملاذها وشهواتها وما هو غاية أماني طلابها ومؤثريها على الآخرة وهو سبعة :

النساءُ اللاتى هُنَّ أعم زينتِها وشهواتها وأعظمها فتنة .

والبنين الذين بهم جمال الرجل وفخرُه وكثرته وعزُّه .

والذهب والفضة اللذين هما مادة الشهوات على اختلاف أجناسها وأنواعها .

والخيلُ المسوَّمَةُ التى هي عِزُّ أصحابها وفخرهم وحصونهم وآلة قهرهم لأعدائهم في طلبهم وهربهم .

والأنعامُ التي منها ركوبهم وطعامُهُم ولباسُهم وأثاثُهم وأمتعتُهم وغير ذلك من مصالحهم .

والحرثُ الذى هو مادة قوتهم وقوت أنعامهم ودوابهم وفاكهتهم وأدويتهم وغير ذلك .

ثم أخبر سبحانه أن ذلك كله متاع الحياة الدنيا ثم شوق عباده إلى متاع الآخرة وأخبرهم أنه خير من هذا المتاع وأبقى فقال : ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥] ، ثم ذكر سبحانه من يستحق هذا المتاع ومن هم أهله الذين هم أولى به فقال : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٦ - ١٧] ؛ فأخبر سبحانه أن ما أعده لأوليائه المتقين من متاع الآخرة خير من متاع الدنيا وهو نوعان : ثواب يتمتعون به ، وأكبر منه وهو رضوانه عليهم قال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠] فأخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهدا لأولي البصائر ، وأنها لعبٌ ولهوٌ تلهو بها النفوسُ ، وتلعب بها الأبدان واللعب واللهو لا حقيقة لهما ، وأنهما هما مشغلةٌ للنفسِ مضيعةٌ للوقت يقطع بها الجاهلون العمر فيذهب ضياعًا في غير شيء . [٩١/ ب]

ثم أخبر سبحانه أنها زينةٌ زُيِّنت للعيونِ والنفوس فأخذت بالعيون والنفوس استحسانا ومحبة ولو باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومآلها ومصيرها لأبغضتها ولآثرت عليها الآخرة ولما آثرتها على الآجل الدائم الذى هو خير وأبقى .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن

علقمة عن عبد الله ﷺ عن النبى ﷺ قال : « مَالِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، ثُمَّ رَاحَ وتَرَكَهَا »(١).

وفى جامع الترمذى من حديث سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ كَانَتْ الدُّنيَا تَزِنُ عندَ الله جَنَاحَ بَعوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ »(٢). قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى صحيح مسلم من حديث المستورد بن شداد : قال رسول الله ﷺ : « مَا الدُّنْيَا فِي

---

(١) **صحيح لغيره** : أحمد (١/ ٣٩١ - ٤٤١) المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : صدوق ، اختلط قبل موته ، وضابطه : أن من سمع منه ببغداد ، فبعد الاختلاط (تقريب ٣٩١١) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : سماع وكيع من المسعودي بالكوفة قديم - أي قبل الاختلاط (تهذيب الكمال ٤/ ٤٢٨) ، وله شاهد عند أحمد أيضًا (١/ ٣٠١) وله أيضًا (٧٢ الزهد) وابن حبان (٢٥٢٦ موارد) والحاكم (٤/ ٣٠٩) من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر ﷺ مرفوعًا . هلال بن خباب : صدوق - تغير بأخره (تقريب ٧٣٢٢) . قلت (محمد) : ونفى عنه الاختلاط ، يحيى بن معين (تهذيب التهذيب ١١/ ٧٨) .

(٢) **جميع طرقه لا تخلو من ضعف** : الترمذي (٢٣٢٠) ابن ماجه (٤١١٠) الروياني (١٠٥٩ مسند) الحاكم (٤/ ٣٠٦) ابن أبي حاتم (٢/ ١٠٨ علل الحديث) من طريق عبد الحميد بن سليمان - أخو فيح - وزكريا بن منظور - أبو يحيى - عن سهل بن سعد ﷺ مرفوعًا . عبد الحميد بن سليمان : ضعفوه جدًّا (المغني ٣٤٩٥) ، وقال الحافظ ابن حجر : ضعيف (تقريب ٣٧٥٦) . زكريا بن منظور : ضعفه جماعة ، وقال ابن معين : ليس بثقة (المغني ٢١٩٩) ، وقال الحافظ ابن حجر : ضعيف (تقريب ٢٠١٣ ، ويقال : زكريا بن يحيى بن منظور) ، وله شاهد عند ابن المبارك (٥٠٩ الزهد) من طريق إسماعيل بن عياش قال : حدثني عثمان بن عبيد بن أبي رافع أن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ حدثوا أن النبي ﷺ قال : فذكره . عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع - مولى سعيد بن العاصي المديني - ويقال مولى سعيد بن أبي قاص ، رأى أبا هريرة ، وأبا قتادة ، وابن عمر ، وأبا أسيد ، يصفرون لحاهم ، روى عنه ابن أبي ذئب (الجرح والتعديل ٦/ ١٥٦) . إسماعيل بن عياش : سبق له ترجمة ، روى عن غير أهل بلده وروايته عن الحجازيين مضطربة جدًّا وليست بصحيحه . وله شاهد عند ابن أبي حاتم (٢/ ١٠٨ علل الحديث) من طريق يعقوب الإسكندراني عن أبي حازم - سلمة بن دينار - عن عبد الله بن بولا عن رجل من المهاجرين مرفوعًا . وعنده أيضًا (٢/ ١٣٠ - علل الحديث) . عبد الله بن بولا - أو بُولى - روى عن عثمان بن عفان ﷺ وعن أربعة عن المهاجرين ، أبو حازم سلمة بن دينار ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (الجرح والتعديل ٥/ ١٣) قلت : مستور ، وعند ابن أبي الدنيا (٦١ ذم الدنيا) من طريق على بن زيد - ابن جدعان - والمعلى - ابن زياد القُرْدوسِيُّ - البصري - عن الحسن البصري أن النبي ﷺ فذكره . قال الحسن : أخبرنا من شهد ذلك . الحسن البصري : سبق له ترجمة . علي بن زيد بن جدعان : سبق له ترجمة .

الآخِرَةِ إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ))(١).

وفي الترمذي من حديثه قال : كنت مع الرَّكب الذين وقفوا مع رسول الله على السَّخْلَةِ الميتة فقال رسول الله ﷺ : ((أَترْوْنَ هذهِ هانتْ على أهلِها حتّى ألْقُوها قالوا : ومن هوانها ألقوها يا رسول الله . قال : فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلِها))(٢).

وفي الترمذى أيضًا من حديث أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((الدُّنيا ملعونةٌ ، ملعونٌ ما فيها ، إلا ذكرُ اللهِ وما والَاه وعالمٌ أو متعلِّمٌ))(٣). والحديثان حسنان .

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد ﷺ مرفوعًا .

(٢) **إسناده ضعيف وله شواهد**: الترمذي (٢٣٢١) ابن ماجه (٤١١١) أحمد (٤/ ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠) ابن المبارك (٥٠٨ الزهد) ابن أبي الدنيا (٢ - ذم الدنيا) من حديث المستورد بن شداد ﷺ مرفوعًا . في إسناده : مجالد بن سعيد - الهمداني - عن قيس بن أبي حازم عنه به . مجالد بن سعيد : سبق له ترجمة ، وله شاهد ضعيف أيضًا سبق من حديث زكريا بن منظور عن سهل بن سعد ﷺ مرفوعًا عند ابن ماجه (٤١١٠) وله شاهد أصح من هذين عند مسلم (٢٩٥٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا . ((أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ .... الحديث)) .

(٣) **إسناده ضعيف**: الترمذي (٢٣٢٢) ابن ماجه (٤١١٢) العقيلي (٢/ ٣٢٦ الضعفاء الكبير) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . في إسناده : عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان - الشامي - قال سمعت عطاء بن قرة قال سمعت عبد الله ابن ضمرة عنه به . عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان . قال يحيى بن معين : صالح ، وقال في موضع آخر : ضعيف ، وعنه أيضًا : ليس به بأس ، وسئل : يكتب حديثه ؟ قال : نعم على ضعفه ، وكان رجلًا صالحًا ، وعنه أيضًا : لا شيء ، وقال عمرو بن علي : حديث الشاميين كلهم ضعيف إلا نفرًا منهم : الأوزاعي ، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وذكر آخرين ، وقال أبو حاتم : ثقة ، وقال في موضع آخر : وهو مستقيم الحديث ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال في موضع آخر : ليس بالقوي ، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ، وقال ابن خراش : في حديثه لين (تهذيب الكمال ٤/ ٣٨١) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق ، يخطئ (تقريب ٣٨١١) ، وله إسناد آخر عند ابن أبي حاتم (٢/ ١٢٣ علل) وأبو نعيم (٣/ ١٨٣ - ٧/ ٩٦ الحلية) وابن الأعرابي (٦٥ الزهد وصفة الزاهدين) من طريق عبد الله بن الجراح القهستاني قال : حدثنا عبد الملك بن عمرو - أبو عامر العقدي - قال : حدثنا سفيان ابن سعيد الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا بنحوه . قال أبو نعيم : غريب من حديث محمد بن المنكدر والثوري تفرد به ، عبد الله بن الجراح : المصدر السابق ، وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنما هو محمد بن المنكدر : أن النبي ﷺ يعني مرسلًا : المصدر السابق ، وقال الخليلي في الإرشاد (٢٤٤) : لم يُسنده عن سفيان إلا ، أبو عامر - يعني عبد الملك بن عمرو - وعنه ابن الجراح وهو ثقة ، ورواه غيره عن سفيان عن محمد بن المنكدر أن النبي ﷺ مرسلًا ، ورواه مهران بن أبي عمر عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن أبيه عن النبي ﷺ .ا.هـ
عبد الله بن الجراح : قال أبو زرعة : صدوق ، وقال أبو حاتم : كان كثير الخطأ ، ومحله الصدق ، وقال النسائي : ثقة (تهذيب الكمال ٤/ ١٠٠) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق ، يخطئ (تقريب ٣٢٤٤) ، وله إسناد آخر عند أحمد (١٥٤ الزهد) حدثنا يحيى - ابن سعيد القطان - عن سفيان - الثوري - عن محمد بن المنكدر ، مرسلًا ، =

قال الإمام أحمد : حدثنا هيثم بن خارجة ، أنبأنا إسماعيل بن عياش بن عبد الله بن دينار النهراني قال : قال عيسى عليه السلام للحواريين : « بحق أقول لكم : إن حلاوةَ الدنيا مرارة الآخرة ، وإن مرارةَ الدنيا حلاوةُ الآخرة ، وإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، بحقٍّ أقولُ لكم : إن شرَّكم عملًا عالمٌ يحبُّ الدنيا ويؤثرُها [٩٢/ أ] على الآخرة ، أنه لو يستطيع جعل الناس كلهم في عمله مثله »(١).

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن إسحق قال : أخبرني سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر دارًا ؟ . قالوا : يا روح الله ومن يقدر على ذلك ؟ قال : إياكم والدنيا فلا تتخذوها قرارا(٢).

= وآخر عند ابن أبي الدنيا (٧ ذم الدنيا) وابن الأعرابي (٦٦ الزهد وصفة الزاهدين) من طريق مهران بن أبي عمر - العطار - عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن أبيه مرفوعًا بنحوه . مهران بن أبي عمر : وثقه ابن معين ، وقال البخاري : في حديثه اضطراب (المغني ٦٤٦٨) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق ، وله أوهام - سيئ الحفظ (تقريب ٦٩٢٣) . المنكدر ، القرشي - والد محمد بن المنكدر - روى عن النبي ﷺ ، ولا تثبت له صحبة (الجرح والتعديل ٨/ ٤٠٦) وله إسناد آخر عند ابن المبارك (٥٤٣ الزهد) وابن الأعرابي (٦٨ الزهد وصفة الزاهدين) من طريق ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفًا بنحوه مع زيادة . والعالم والمتعلم في الخير شريكان ، وسائر الناس همج ، لا خير فيهم . خالد بن معدان - الكلاعي - الحمصي - قال أحمد ابن حنبل : لم يسمع من أبي الدرداء رضي الله عنه (تحفة التحصيل ٢٢٧) .

(١) **إسناده ضعيف إلى عبد الله بن دينار** - البهراني - الحمصي وهو ضعيف . أحمد (٤٨٢ الزهد) حدثنا ابن عياش - يعني إسماعيل بن عياش - الحمصي عن عبد الله بن دينار البهراني به ، وليس فيما لدينا من كتب الزهد للإمام أحمد أنه عن هيثم بن خارجة ، والله أعلم . إسماعيل بن عياش - الحمصي : سبق له ترجمة . عبد الله بن دينار - البهراني - الحمصي - أبو محمد قال ابن معين : شامي ضعيف ، وقال الجوزجاني : يتأنى في حديثه ، وقال أبو حاتم : شيخ - ليس بالقوي في الحديث ، وقال الحاكم أبو عبد الله عن أبي عليّ الحافظ : هو عندي ثقة ، وقال الدارقطني : ضعيف - لا يعتبر به ، وقال ابن حجر : وقال أبو زرعة : شيخ - ربما أنكر ، وقال الأزدي : ليس بالقوي ولا يشبه حديثه حديث الناس (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠٣) ، وقال الحافظ ابن حجر : ضعيف (تقريب ٣٢٩٦) .

(٢) **إسناده حسن إلى مكحول** - الشامي - أبو عبد الله . أحمد (٣٢٥ الزهد) حدثنا يحيى بن إسحاق - البجلي - السيلحيني - أبو زكريا ، أو أبو بكر . أخبرني سعيد بن عبد العزيز - فقيه أهل الشام ، ومفتيهم بدمشق بعد الأوزاعي - عنه به ، وله إسناد آخر ، أيضا عند أحمد (٤٧٩ الزهد) حدثنا هيثم بن خارجة أنبأنا ابن علاق - عثمان بن حصين - عن زرعة بن إبراهيم ، قال عيسى عليه السلام . فذكره . زرعة بن إبراهيم - الدمشقي - قال أبو حاتم : ليس بالقوي - يكتب حديثه (الجرح والتعديل ٣/ ٦٠٧) .

وفى كتاب الزهد لأحمد بن حنبل : أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول : بحق أقول لكم : إن أكل خبز البُرّ وشُرْب الماء العذْبِ ونومًا على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد الفردوس(١).

وفى المسند عنه ﷺ: « إِنّ اللهَ ضَربَ طَعَامَ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَإِنْ قَزَّحَهُ وَمَلَّحَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَاذَا يَصِيرُ »(٢).

فصل

ثم أخبر سبحانه وتعالى عنها أن يُفَاخِرَ بعضنا بعضا بها فيطلبها ليفخر بها على صاحبه ، وهذا حال كل من طلب منها شيئا للمفاخرة من مالٍ أو جاهٍ أو قوةٍ أو علمٍ أو زهدٍ .

والمفاخرة نوعان: مذمومة ومحمودة .

---

(١) **إسناده منقطع**: إلى ابن عمر رضي الله عنهما . أحمد (٣٢٦ الزهد) حدثنا هيثم بن خارجة أنبأنا الجراح بن مليح - البهراني - من أهل حمص عن الأحموسي - يعني عمر بن عمرو - ابن عبد - أبو حفص - عنه به . الجراح بن مليح - البهراني - أبو عبد الرحمن الشامي - الحمصي - قال يحيى بن معين : لا أعرفه ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال ابن عدي : الجراح بن مليح : مشهور في أهل الشام ، وهو لا بأس به وبرواياته (تهذيب الكمال ١/ ٤٤٣) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق (تقريب ٩١٣) . عمر بن عمرو بن عبد - الأحموسي - أدرك ، عبد الله بن بسر ، وروى عن أبي عون الأنصاري ، والمخارق بن أبي المخارق ، الذي يروى عن ابن عمر ، روى عنه معاوية بن صالح ، وبقية ، ويحيى بن سعيد العطار ، وأبو المغيرة - سمعت أبي يقول ذلك - وسمعته يقول : لا بأس به - صالح الحديث ، وهو من ثقات الحمصيين . قاله ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ٦/ ١٢٧ - ١٢٨) قلت : بينه وبين عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ، مخارق بن أبي المخارق - ذكره ابن أبي حاتم - (الجرح والتعديل ٨/ ٣٥٢) ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا .

(٢) **إسناده صحيح مرفوعًا وموقوفًا**: أحمد (٥/ ١٣٦) الطبراني (ج ١ - رقم - ٥٣١ - الكبير) ابن المبارك (٤٩٤ - ٤٩٥ الزهد) ابن أبي الدنيا (١٦٥ الجوع) ابن حبان (٢٤٨٩ موارد) البيهقي (٤١٢ الزهد الكبير) أبو نعيم (١/ ٣١٩ الحلية) الضياء المقدسي (١٢٤٦ الأحاديث المختارة) من طريق يونس بن عبيد بن دينار - العبدي - عن الحسن البصري عن عُتَيّ بن ضمرة عن أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا . رواه عن يونس بن عبيد بن دينار - مرفوعًا - سفيان الثوري ، وعبد السلام بن حرب ، وموسى بن مسعود - أبو حذيفة ، روي موقوفًا أيضًا عند ابن المبارك (٤٩٣- الزهد) وابن أبي الدنيا (١٦٦- الجوع) من طريق يونس بن عبيد به ، رواه عنه إسماعيل بن علية وهشيم ، ووجه الجمع أن الحديث روي على الوجهين فكان أُبيّ رضي الله عنه يحدث به من قوله تارة ويرفعه إلى النبي ﷺ تارة ، وجميع من روى عن يونس ثقات ، والله أعلم .ا.هـ .

فالمذمومة : مفاخرة أهل الدنيا بها .

والمحمودة : أن يطلب المفاخرة فى الآخرة فهذه من جنس المنافسة المأمور بها وهى أن الرجل ينفس على غيره بالشيء ، أي : أن يغار أن يناله دونه ، ويأنفُ من ذلك ويحمي أنفه له .

يقال : نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة إذا ضننت به ولم تحب أن يصيرَ إليه دونك ، والتنافسُ تفاعلٌ من ذلك ، كأن كل واحدٍ من المتنافسين يريد أن يسبق صاحبه إليه ، وحقيقة المنافسة الرَّغبة التامة والمبادرةُ والمسابقةُ إلى الشيء النفيس .

فصل

ثم أخبر سبحانه وتعالى عنها أنها تكاثُرٌ فى الأموال والأولادِ ، فيحب كل واحد أن يكثر بني جنسه فى ذلك ، ويفرح بأن يرى نفسه أكثر من غيره مالًا وولدا وأن يقال فيه ذلك وهذا أعظم ما يلهي النفوس عن الله والدار الآخرة كما قال تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : ١-٤][٩٢/ ب] والتكاثر فى كل شيء ؛ فكلُّ من ألهاه وشغله التكاثُرُ بأمرٍ من الأمور عن الله والدار الآخرة ، فهو داخل فى حكم هذه ، فمن الناس من يلهيه التكاثرُ بالمال ، ومنهم من يلهيه التكاثرُ بالجاه أو بالعلم ، فيجمعه تكاثرًا وتفاخرًا وهذا أسوأُ حالًا عند الله ممن يكاثرُ بالمالِ والجاه فإنّه جعل أسباب الآخرة للدنيا ، وصاحب المال والجاه استعملَ أسبابَ الدنيا لها وكاثَر بأسبابها .

فصل

ثم أخبر سبحانه عن مصير الدنيا وحقيقتها وأنها بمنـزلة غيثٍ أعجب الكفار نباته . والصحيح إن شاء الله أن الكفارَ هم الكفارُ بالله وذلك عُرْفُ القرآن حيث ذكروا بهذا النعت فى كل موضع ولو أراد الزُّراع لذكرهم باسمهم الذى يُعرفون به كما ذكرهم به فى قوله : ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ وإنما خص الكفار به بالإعجاب ؛ لأنهم أشد إعجابًا بالدنيا ،

فإنها دارهم التى لها يعملون ويكدحون ، فهم أشد إعجابًا بزينتها وما فيها من المؤمنين .

ثم ذكر سبحانه عاقبة هذا النبات وهو اصفراره ويُبْسُه ، وهذا آخرُ الدنيا ومصيرها ، ولو ملكها العبد من أوَّلها إلى آخرها فنهايتها ذلك ، فإذا كانت الآخرة انقلبت الدنيا واستحالت إلى عذاب شديد ، أو مغفرة من الله وحسن ثوابه وجزائه ؛ كما قال على بن أبى طالب ﷺ : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافيةٍ لمن فهم عنها ، ومطلبُ نجح لمن سالم ، فيها مساجد أنبياء الله ، ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ، ومتجر أوليائه ، فيها اكتسبوا الرحمة ، وربحوا فيها العافية ، فمن ذا يذمها وقد آذنتْ ببينها ، ونَعَتْ نفسها وأهلَها ، فتمثلت ببلائها ، وشوقت بسرورها إلى السرور تخويفًا وتحذيرًا وترغيبًا ، فذمها قوم غداة الندامة ، وحمدها آخرون قومٌ ذكرتهم فذكروا ، ووعظتهم فاتعظوا ، فيا أيها الذام للدنيا المغترُّ بتغريرها متى استذمت إليك ، بل غرتك ، أبمنازل آبائك فى الثرى ، أم بمضاجع أمهاتك فى البلى ؟ كم رأيت موروثا ، كم عللت بكفيك عليلًا ، كم مرضت مريضا بيديك تبتغى له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ؟ لم تنفعه شفاعتك ، ولم تسعفه بطلبتك ، مُثِّلتْ لك الدنيا غداة مصرعه مصرعك ومضجعه مضجعك[1].

ثم التفت إلى المقابر فقال : يا أهل الغربة ويا أهل التربة أما الدور فقد سكنت ، وأما الأموال فقد قسمت ، وأما الأزواج فقد نكحت ، فهذا خبر ما عندنا فهاتوا خبر ما عندكم .

ثم التفت إلينا فقال : أما لو أذن لهم لأخبروكم أن خير الزاد التقوى .

فالدنيا فى الحقيقة لا تذم وإنما يتوجه الذم إلى فعل العبد فيها وهى قنطرةٌ أو معبر إلى الجنة أو إلى النار ، ولكن لما غلبت عليها الشهواتُ والحظوظ والغفلة والإعراضُ عن الله والدار الآخرة فصار هذا هو الغالب على أهلها وما فيها ، وهو الغالب على اسمها صار لها اسم الذم عند الإطلاق وإلا فهي مبنى الآخرة ومزرعتها ، ومنها زاد الجنة

---

(١) **في إسناده من لم أعثر لهما على ترجمة** : ابن أبي الدنيا (١٤٧ ذم الدنيا) حدثني علي بن الحسن بن أبي مريم عن عبد الله ابن صالح العجلي (مسلم) عن معاذ الحذاء قال : سمع الإمام علي بن أبي طالب ﷺ رجلًا يسب الدنيا فقال له : فذكره . علي بن الحسن بن أبي مريم : لم أعثر له على ترجمة . معاذ الحذاء لم أعثر له على ترجمة .

وفيها اكتسبت النفوس الإيمان ومعرفة الله ومحبته وذكره وابتغاء مرضاته وخير عيش ناله أهل الجنة في الجنة إنما كان بما زرعوه فيها ، وكفى بها مَدْحًا وفضلًا لأولياء الله فيها من قرة العيون ، وسرور القلوب وبهجة النفوس ، ولذة الأرواح ، والنعيم الذى لا يشبهه نعيم يذكره ومعرفته ومحبته وعبادته والتوكل عليه والإنابة إليه والأنس به والفرح بقربه والتذلل له ولذة مناجاته والإقبال عليه والاشتغال به عمن سواه وفيها كلامه ووحيه وهداه وروحه الذي ألقاه من أمره فأخبر به من شاء من عباده .

ولقد فضّلَ ابن عقيل وغيرُه هذا على نعيم الجنة ، وقالوا : هذا حقُّ الله عليهم وذاك حظهم ونعيمهم ، وحقه أفضل من حظهم . قالوا : والإيمان والطاعة أفضل من جزائه.

والتحقيق : أنه لا يصحُّ التفضيل بين أمرين [٩٣/ ب]فى دارين مختلفين ولو أمكن اجتماعهما فى دار واحدة لأمكن طلب التفضيل والطاعة والإيمان فى هذه الدار أفضل ما فيها ودخول الجنة والنظر إلى وجه الله جلَّ جلالُه وسماع كلامه والفوز برضاه أفضل ما فى الدار الآخرة ، [فهذا أفضل ما فى هذه الدار ، وهذا أفضل ما فى الدار الأخرى][1] ، ولا يصحُّ أن يقال : فأيُّ الأمرين أفضل بل هذا أفضل الأسباب وهذا أفضل الغايات وبالله التوفيق .

فصل

ولما وصف سبحانه حقيقة الدنيا وبين غايتها ونهايتها وانقلابها فى الآخرة إلى عذاب شديد ومغفرةٍ من الله وثوابٍ ، أمر عباده بالمسابقة والمبادرة إلى ما هو خير وأبقى ، وأن يؤثروه على الفاني المنقطع المَشُوبِ بالأنكاد والتنغيص ، ثم أخبر أن ذلك فضله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم وقال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف : ٤٥]

---

(١) زيادة في المطبوع .

ثم ذكر سبحانه المالُ والبنون زينةُ الحياة الدنيا وأن الباقيات الصالحات وهى الأعمالُ والأقوالُ الصالحة التى يبقى ثوابها ويدوم جزاؤها خير ما يؤمله العبد ويرجو ثوابه وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٢٤]

ولما أخبر عباده عن آفات هذه الدار دعا عباده إلى دار السلام التى سلمت من التغير والاستحالة والزوال والفناء وعم عباده بالدعوة إليها عدلا وخص من شاء بالهداية إلى طريقها فضلا .

وأخبر سبحانه أن الأموالَ والأولادَ لا تُقَرِّبُ الخلْقَ إليه ، وإنما يقربهم إليه تقوى الله ومعاملته فيهم وحذر[٩٤/ أ] سبحانه عباده أن تلهيهم أموالُهم وأولادُهم عن ذكره ، وأخبر أن من ذلك فعل ذلك فهو الخاسرُ حقيقةً لا من قل مالُه وولده في الدنيا ونهى نبيه ﷺ أن يَمُدَّ عينيه إلى ما متع به أهلَ الدنيا فيها فتنةً لهم ، وأخبر أن رزْقَه الذى أعدَّه له فى الآخرة خير وأبقى من هذا الذي مُتّعوا به .

وأخبر سبحانه أنه آتاه السَّبع المثاني والقرآن العظيم وذلك خيرٌ وأفضلُ مما مَتّع به أهلَ الدنيا فى دنياهم ، وجعل ما آتاه مانعا له من مد عينيه إلى ذلك ، فهو العطاءُ في الدنيا وما ادّخره له من رزق الآخرة خيرٌ مما مُتِّعَ به أهل الدنيا فلا تَمُدَّن عينيك .

فصل

وإذا عُرِف أن الغنى والفقرَ والبلاءَ والعافية فتنةٌ وابتلاء من الله لعبده تمتحن بها صبرَه وشكره علم أن الصبر والشكر مطيتان للإيمان لا يُحْمل إلا عليهما ، ولا بد لكل مؤمن منهما ، وكل منهما فى موضعه أفضل ، فالصبر فى مواطن الصبر أفضل ، والشكر فى مواضع الشكر أفضل ، هذا إن صح مفارقة كل منهما للآخر وأما إذا كان الصبرُ جزءَ

مسمى الشكر والشكر جزء مسمى الصبر ، وكل منهما حقيقة مركبة من الأمرين معًا كما تقدم بيانه ، فالتفضيل بينهما لا يصح إلا إذا جرد أحدهما عن الآخر وذلك فرض ذهني يقدِّرْه الذهنُ ولا يوجد فى الخارج ، ولكن يصح على وجه وهو : أن العبد قد يغلب صبره على شكره الذى هو قَدْر زائدٌ على مُجَرَّدِ الصبرِ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فلا يبقى فيه اتساعٌ لغير صبر النفس على ما هو فيه لقوة الواردِ وضيق المحلِّ ، فتنصرف قُواه كُلُّها إلى كَفِّ النفسِ وحبسها لله ، وقد يغلب شكره بالأقوالِ والأعمال الظاهرة والباطنة قوة كفه لنفسه وحبسها لله فتكون قوة إرادته وعمله أقوى من قوة امتناعه وحبس نفسه .

واعتبر هذا بشخصين : أحدهما حاكم على نفسه ، متمكن من حبسها عن الشَّهوات قليل التَّشَكِّي [٩٤/ ب] للمصيبات وذلك جل عمله ، وآخرٌ كثيرُ الإعطاءِ لفعل الخير القاصر والمتعدي سَمْحُ النفس ببذل المعروف . وآخر ضعيفُ النفس عن قوّةِ الصبر .

فللنَّفْسِ قوتان : قوة الصبر والكف وإمساك النفس ، وقوة البَذْل وفعل الخير والإقدام على فعل ما تكملُ به . وكمالها باجتماع هاتين القوتين فيها .

والناس فى ذلك أربعُ طبقاتٍ : فأعلاهم من اجتمعت له القوتان وسَفَلَتهم من عُدِم القوتين ، ومنهم من قوّةُ صبره أكملُ من قوة فِعلِه وبَذْله ، ومنهم من هو بعكس ذلك .

فإذا فضل الشكر على الصبر [فإما أن يكون باعتبار ترجيح مقام][1] على مقام وإما أن يكون باعتبار تجريدِ كلٍّ من الأمرين على الآخر وقطع النظر عن اعتباره ، وتمام إيضاح هذا بمسألة الغني الشاكر والفقير ، الصابر فلنذكرُ لها بابًا يخصُّها ويكشِفُ عن الصواب فيها .

---

(١) زيادة في المطبوع .

الباب الثاني والعشرون
في اختلاف الناس في الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل ؟ وما هو الصواب في ذلك ؟

هذه مسألة كثر فيها النزاع بين الأغنياء والفقراء واحتجت كل طائفة على الأخرى بما لم يمكنها دفعه من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار ، ولذلك يظهر للمتأمل تكافؤ الطائفتين ، فإن كلا منهما أَدْلت بحُجج لا تُدْفَعُ والحقُّ لا يعارضُ بعضُه بعضًا ، بل يجبُ اتباعُ الدليل أين كان ، وقد أكثر الناسُ الكلام في المسألة من الجانبين ، وصنفوا فيها من الطرفين وتكلم فيها الفقهاءُ والفقراءُ والأغنياءُ والصوفية وأهلُ الحديث والتفسير لشمول معناها وحقيقتها للناس كلهم ، وحكوا فيها عن الإمام أحمد روايتين ذكرهما أبو الحسين في كتاب التمام ، فقال : مسألة الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر في أصح الروايتين وفيه رواية ثانية الغني الشاكر أفضل وبها قال جماعة منهم ابن قتيبة وجه الأولى واختارها أبو اسحاق بن شاقلا والوالد [السعيد][1] قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ قال محمد بن على بن الحسين[2] ﴿ ٱلْغُرْفَةَ ﴾ [٩٥/ أ] الجنة ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ قال : على الفقر في الدنيا .

وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال : « اللهم أحيني مسكينا ، وأمتني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة » فقالت عائشة - رضي الله عنها -: ولِمَ يا رسول الله ؟ قال : « إنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا ، يا عائشة لا تردي

---

(١) زيادة في المطبوع

(٢) **إسناده ضعيف** : إلى محمد بن علي بن الحسين - أبو جعفر الباقي رحمه الله تعالى - ابن أبي الدنيا (٢٨ الصبر) حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا سعد بن عبد الحميد - ابن جعفر - الحكمي - أبو معاذ) أخبرنا محمد ابن مروان عن أبي حمزة (الثُّماليّ - ثابت - ابن أبي صفية) عنه به . أبو حمزة الثمالي - ثابت بن أبي صفية : تابعي - واهٍ جدا (المعني ١٠٣٦) وقال الحافظ ابن حجر : ضعيف - رافضي (تقريب ٨٢٤) .

المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة أحبي المساكين ، وقرّبيهم فإن الله يقربك يوم القيامة »[1].

قلت : لا حجة له في واحدة من الحجتين . أما الآية فإن الصبر فيها يتناول صبر الشاكر على طاعة الله ، وصبره عن معصيته ، وصبر المبتلى بالفقر وغيره على بلائه ولو كان المراد بها الصبر على الفقر وحده لم يدل على رجحانه على الشكر ، فإن القرآن كما دل على جزاء الصابرين دل على جزاء الشاكرين أيضًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] بل قد أخبر أن رضاه في الشكر ورضاه أكبر من جزائه بالجنات وما فيها ، وإذا جزى الله الصابرين الغرفة بما صبروا لم يدل ذلك على أنه لا يجزى الشاكرين الغرفة بما شكروا .

وأما الحديث فلا حجة فيه لوجهين :

أحدهما: أنه لا يحتج بإسناده ، فإنه من حديث ثابت بن محمد[2] الكوفي عن الحارث بن النعمان والحارث هذا لم يحتج به أصحاب الصحيح بل قال فيه : البخارى منكر الحديث ، ولذلك لم يُصحِّح الترمذى حديثَه هذا ولا حسّنه ولا سكتَ عنه بل حكم بغرابتِهِ .

الجواب الثاني: إن الحـديثَ لو صح لم يدل على مطلوبهم فإن المسكنةَ التى يحبها الله

---

(١) **ضعيف**: الترمذي (٢٣٥٢) من طريق ثابت بن محمد - العابد - الكوفي : حدثنا الحارث بن النعمان - الليثي عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، وفيه الحارث بن النعمان : منكر الحديث ، وأخرجه الطبراني (١٤٢٧ الدعاء) اللآلي المصنوعة (٢/ ٣٢٥ - ٣٢٦) البيهقي (٧/ ١٢ السنن الكبرى) من طريق بقية بن الوليد . قلت : ومثل بقية يخشى منه تدليس التسوية فيلزمه التصريح بالسماع من أول إسناده إلى آخره ، وهذا ما لم يفعله في هذا الحديث قد صرح بسماعه من الهقل ثم عنعن بعده ولم يأتِ بشيء .ا.هـ ، وأخرجه البيهقي (٧/ ١٢ السنن الكبرى) من طريق موسى بن محمد مولى عثمان بن عفان ﷺ . لم أعثر له على ترجمة ، وعزاه السيوطي في اللآليء المصنوعة (٢/ ٣٢٦) للشيرازي في الألقاب من طريق منهال بن رضوى عن طلحة بن عمرو المكي . منهال ابن رضوى : لم أعثر له على ترجمة . طلحة بن عمرو المكي (متروك - تقريب ٣٠٢٥) والفقرة الأولى عند ابن ماجه (٤١٢٦) واللآليء المصنوعة (٢/ ٣٢٤) . من طريق يزيد بن سنان - أبو فروة الرهاوي وهو : ضعيف ، وله طريق آخر عند الحاكم (٤/ ٣٢٢) من طريق خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الدمشقي وهو : ضعيف . وله طريق آخر عند الروياني (١٤١٢ مسند) وسنده ضعيف ، فيه طلحة بن زيد أبو مسكين وموسى بن عبيدة بن نشيط . موسى بن عبيدة بن نشيط : ضعيف ، (تقريب ٦٩٧٩) .

(٢) ثابت بن محمد .

من عبده ليست مسكنة فقرِ المال ، بل مسكنة القلب وهى انكسارُه وذلُّه وخشوعُه وتواضُعُه لله ، وهذه المسكنة لا تنافي الغنى ولا يشترط لها الفقر ، فإن انكسار القلب لله ومسكنته لعظمته وجلاله وكبريائه وأسمائه وصفاته أفضل وأعلى من مسكنة عدم المال كما أنّ صبر القادر الواجد عن معاصي الله طوعًا واختيارًا [٩٥/ ب] وخشيةً من الله ومحبة له أعلى من صبر الفقير العاجز ، وقد آتى الله سبحانه وتعالى جماعة من أنبيائه ورسله الغنى والملك ولم يخرجهم ذلك عن المسكنة لله .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا الجريرى عن أبى السليل قال : كان داود عليه السلام يدخل المسجد فينظر إلى أغمض حلقة من بني إسرائيل فيجلس إليهم ثم يقول : مسكين بين ظهراني مساكين[1] ، هذا مع ما آتاه الله من الملك والغنى والبسطة زيادة على النبوة .

قال أبو الحسين : وروى أبو برزة الأسلمى قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ فقراءَ المسلمين ليدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار أربعين خريفا حتى يتمنى أغنياء المسلمين يوم القيامة أنهم كانوا فقراء فى الدنيا »[2].

قلت : هذا الحديث ثابت عن النبى ﷺ من رواية جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنه ويروى عن أبى سعيد ، وأنس بن مالك - رضي الله عنهما - ولا يدل ذلك على علو درجتهم إذا دخلوا الجنة قبل الأغنياء بل إنما يدل على السبق لعدم ما يحاسبون عليه ، ولا ريب أن وليَّ الأمر العادل يتأخرُ دخوله للحساب وكذلك الغنىّ الشاكر ولا يلزم من تأخُّر دخولهما نزولُ درجتهما عن درجة الفقير كما تقدم ، وإنما تمنى الأغنياء أنهم كانوا فى الدنيا فقراء فإن صحت هذه اللفظة لم تدل على انحطاط درجتهم كما يتمنى القاضي العادل فى بعض المواطن يوم القيامة أن لم

---

(١) **إسناده ضعيف إلى أبي السليل** : ضُريب بن نُقير رحمه الله تعالى . أحمد (٣٧٧ الزهد) . سعيد بن إياس - الجريْري - وعنه يزيد بن هارون : سبق لهما ترجمة .

(٢) **منكر** : الروياني (٧٧٠ مسند) من طريق نفيع بن الحارث عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعًا . نفيع بن الحارث - أبو داود الأعمى - متروك ، وقد كذبه ابن معين (تقريب ٧١٧٢) وسيأتي بنحوه بأسانيد أصلح من هذا .ا.هـ

يقض بين اثنين في تمرةٍ لما يرى من شدة الأمر ، فمنْزلة الفقر والخمول بمنْزلة السلامة ، ومنْزلة الغنى والولاية بمنْزلة الغنيمة أو العطب .

قال أبو الحسين: وروى ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قام في أصحابه فقال : « أي الناس خير » ، فقال بعضهم : غني يعطي حق نفسه وماله ، فقال ﷺ : « نِعمَ الرجلُ هذا وليس به ولكن خير الناس مؤمن فقير يعطى على جهد »[1].

قلت : لم يُذْكر لهذا الحديث [٩٦/ أ] إسناد فينظر فيه وحديث لا يعلم حاله لا يحتج به ولو صح لم يكن فيه دليل لأنه تضمن تفضيل فقير يتصدق من جهده فمعه فقر الصابرين وغنى الشاكرين ، فقد جمع بين موجبي التفضيل وسببيه ولا ريب أن هذا أفضل الأقسام الثلاثة ، ودرهمه الواحد يسبق مائة ألف درهم من غيره ، كما قال النبي ﷺ : « **سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ** » قالوا : يا رسول الله ! فكيف سبق درهم مائة ألف درهم ؟ قال : « **رَجُلٌ كَانَ لَهُ دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ ، وَآخَرٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِهِ مَائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا** »[2].

رواه النسائي من حديث صفوان بن عيسى ، حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم

---

(١) **منكر** : أبو نعيم الأصبهاني (١/ ٢١٧ ذكر أخبار أصبهان) حدثنا محمد بن إبراهيم - العسال - القاضي ثنا أبو يعقوب إسحاق ابن إسماعيل - الرملي - النحاس - ثنا عبد الوهاب بن الضحاك - العُرض - ثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا . عبد الوهاب بن الضحاك بن أبان - أبو الحارث الحمصي - قال البخاري : عنده عجائب ، وقال أبو داود : كان يضع الحديث ، وقد رأيته ، وقال النسائي : ليس بثقة : متروك (تهذيب الكمال ٥/ ١٦) ، وقال الدارقطني : منكر الحديث عن إسماعيل بن عياش ، وغيره ، له مقلوبات وبواطيل (الضعفاء والمتروكين ٣٤٦) .

(٢) **إسناده صحيح لغيره** : النسائي (٥/ ٥٩) ابن حبان (٨٣٨ موارد) ابن خزيمة (٢٤٤٣) أحمد (٢/ ٣٧٩) الحاكم (١/ ٤١٦) من طريق ابن عجلان - محمد بن عجلان - عن سعيد بن أبي سعيد المقبري والقعقاع بن حكيم عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . وإسناد النسائي وابن حبان والحاكم وابن خزيمة من طريق صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح - ذكوان السمان - عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . محمد بن عجلان المدني : صدوق إلا أنه اختلط عليه أحاديث أبي هريرة ﷺ (تقريب ٦١٢٦) ، وقال أبو حاتم : وليس هذا مما يُوهي الإنسان به لأن الصحيفة كلها في نفسها صحيحة . فما قال ابن عجلان عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة فذاك مما حمل عنه قديمًا قبل اختلاط صحيفته عليه ، وما قال عن سعيد عن أبي هريرة فبعضها متصل صحيح ، وبعضها منقطع فلا يجب الاحتجاج إلا بما يروي الثقات المتقنون عنه (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٤٢) .

عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ .

وذكر البيهقى من حديث الثوري عن أبى إسحاق عن الحارث عن على ﷺ قال : جاء ثلاثةُ نفرٍ إلى النبى ﷺ فقال أحدهم : كانت لي مائة أوقية فتصدّقت منها بعشر أواقٍ ، وقال الآخر : كانت لي مائة دينار فتصدّقت منها بعشر دنانير ، وقال الآخر : كان لي عشرة دنانير فتصدقتُ منها بدينار ، فقال : « كُلُّكم فى الأجر سواءٌ كلكم قد تَصَدّقَ بِعُشْرِ مالِهِ »(١).

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : حدثنا ابن أبي العوام ، حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال : قال رجل لعثمان بن عفان ﷺ : ذهبتم يا أصحاب الأموال بالخير تتصدقون وتعتقون وتحجون وتنفقون ، فقال عثمان : وإنكم لتغبطوننا وإنا لنغبطكم . قال : فوالله لدرهم ينفقه أحد من جهد خير من عشرة آلاف درهم غيض من فيض(٢).

وفى سنن أبى داود من حديث الليث عن أبي الزبير عن يحيى بن جعدة عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : يا رسول الله أى الصدقة أفضل ؟ قال : « **جُهْدُ المُقِلِّ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ** »(٣).

---

(١) **ضعيف** : أحمد (١/ ٩٦ - ١١٤) البيهقي (٤/ ١٨٢ السنن الكبرى) ، وأيضًا (٣٤٥٥ الشعب) من طريق معمر بن راشد وسفيان الثوري عن أبي إسحاق - عمرو بن عبد الله السبيعي - عن الحارث - ابن عبد الله الأعور - عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعًا . الحارث بن عبد الله الأعور : كذبه الشعبي في رأيه ، ورمى بالرفض وفي حديثه ضعف (تقريب ١٠٣٢ ، وقال ابن المديني : كذاب ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال النسائي : ليس بالقوي (المغني ١٢٣٦) .

(٢) **مرسل** : ابن المبارك (٧٧٠ الزهد) من طريق جعفر بن حيان عن الحسن : قال رجل لعثمان بن أبي العاص ﷺ : ذهبتم بالأجور يا معشر الأغنياء ، تتصدقون ، وتعتقون ، وتحجون . قال : فإنكم لتغبطوننا ... إلى آخره . عثمان بن أبي العاص الثقفي ، أبو عبد الله الطائفي ، أخو الحكم بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنهما ، ولهما صحبة . روى عنه الحسن البصري ، وقيل لم يسمع منه (تهذيب الكمال ٥/ ١١٨) . جعفر بن حيان ، وهو أبو الأشهب العطاردي : مشهور بكنيته - ثقة (تقريب ٩٣٨) .

(٣) **إسناده حسن** : أبو داود (١٦٧٧) أحمد (٢/ ٣٥٨) الحاكم (١/ ٤١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . في إسناده : الليث بن سعد عن أبي الزبير - محمد بن مسلم بن تدرس - المكي - عن يحيى بن جعدة عنه به . محمد بن مسلم بن تدرس - أبو الزبير - المكي : صدوق إلا أنه يدلس (تقريب ٦٢٨١) . **قلت** : ولم يتكلم أحد على روايته عن يحيى بن جعدة ، والله أعلم . يحيى بن جعدة : قال أبو حاتم والنسائي : ثقة (تهذيب الكمال ٨/ ٢١-٢٢) ولم يتكلم أحد على روايته عن أبي هريرة ﷺ .

وفى المسند وصحيح ابن حبان من حديث أبى ذر ﷺ قال : قلت : يا رسول الله أى الصدقة أفضل ؟ قال : « **جُهدٌ مِنْ مُقِلٍّ** »[١].

وفى سنن النسائى من حديث علي الأزدي عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن حُبْشى [٩٦/ ب] أن النبىﷺ سئل أي الأعمال أفضل ؟ قال : « **إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَجِهَادٌ لَا غُلُولٌ فِيهِ وَحِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ** » قيل : فأي الصلاة أفضل ؟ قال : « **طُولُ الْقِيَامِ** » قيل : فأيّ الصدقة أفضل ؟ قال : « **جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ** » قيل : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : « **مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ** » قيل : فأيُّ الجهاد أفضل ؟ قال : « **مَنْ أُهْرِيقَ دَمُهُ وَعُقِرَ جَوَادُهُ** »[٢].

وهذه الأحاديثُ كلُّها تدل على أن صدقة جهد المُقلِّ أفضل من صدقة كثير المال ببعض

---

(١) **إسناده ضعيف جدًّا** : أحمد (٥/ ١٧٨) ابن حبان (٩٤ موارد) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعًا ، وهي فقرة من حديث طويل . في إسناد أحمد : المسعودي - عبد الرحمن عبد الله بن عتبة بن مسعود - الكوفي - أنبأنا أبو عمر الدمشقي عن عبيد بن الخشخاش عنه به . المسعودي وعنه وكيع بن الجراح ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : سماع وكيع من المسعودي ، بالكوفة قديم (تهذيب الكمال ٤/ ٤٢٨) قلت : يعني أنه سمع منه قبل الاختلاط . أبو عمر الدمشقي ، وقيل : أبو عمرو . قال الدارقطني : المسعودي عن أبي عمرو ، وقيل عن أبي عمر الدمشقي : متروك (تهذيب الكمال ٨/ ٣٧٧) (المغني ٧٦٤٣) . عبيد بن الخشخاش . قال البخاري : لم يذكر سماعًا من أبي ذر ، وضعفه الدارقطني (تهذيب التهذيب ٧/ ٦٦٥) ، وفي إسناد ابن حبان . إبراهيم بن هشام ابن يحيى الغساني - الدمشقي - عن أبيه عن جده عن أبي إدريس الخولاني عنه به . إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني ، قال أبو حاتم وغيره : ليس بثقة ، ووثقه الطبراني ، وحكى عنه أبو حاتم ما يدل على أنه لا يعي الحديث (الجرح والتعديل ٢/ ١٤٣ (المغني ٢٠١) وقال ابن الجوزي : قال أبو زرعة : كذاب (ميزان ١/ ٩٨) ، وله طريق آخر عند أحمد (٥/ ٢٦٥ - ٢٦٦) من طريق معان بن رفاعة حدثني على بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن - ابن عبد الرحمن - عن أبي أمامة ﷺ مرفوعًا . معان بن رفاعة السلامي الشامي ، لين الحديث - كثير الإرسال (تقريب ٦٧٣٧) وباقي الإسناد : سبق له ترجمة .

(٢) **إسناد حسن** : النسائي (٥/ ٥٨) الدارمي (١٤٢٦) أحمد (٣/ ٤١١ - ٤١٢) أبو داود (١٤٤٩) من حديث عبد الله بن حبشي ﷺ مرفوعًا من طريق الحجاج بن محمد المصيصي - أبو محمد الأعور ، قال ابن جريج - عبد الملك ابن عبد العزيز - أخبرني عثمان بن أبي سليمان عن على الأزدي - ابن عبد الله البارقي - عن عبيد بن عمير عنه به . الحجاج بن محمد المصيصي . قال يحيى بن معين : قال لي المُعلى الرازي : قد رأيت أصحاب ابن جريج بالبصرة ، ما رأيت فيهم أثبت من حجاج ، قال يحيى : وكنت أتعجب منه ، فلما تبينت ذلك إذا هو كما قال : كان أثبتهم في ابن جريج (تهذيب الكمال ٢/ ٦٤) . على الأزدي - ابن عبد الله البارقي - قال العجلي : تابعي . ثقه ١٢٠٢ ، وقال ابن عدي : هو عندي لا بأس به (المغني ٤٢٩٤) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق ، ربما أخطأ (تقريب ٤٧٥٢) .

ماله الذى لا يتبين أثر نقصانه عليه ، وإن كان كثيرًا ، ولأن الأعمال عند الله تتفاضلُ بتفاضل ما فى القلوب لا بكثرتها وصورها ، بل بقوَّة الداعي وصِدْق الفاعلِ وإخلاصِه وإيثارِ الله على نفسه ، فأين صدقةُ من آثر الله على نفسه برغيفٍ هو قوتُه إلى صدقة من أخرج مائة ألف درهم من بعض ماله غيضا من فيض ، فرغيف هذا درهمه فى الميزان أثقل من مائة ألف هذا ، والله المستعان .

فصل

واحتجوا بما رواه ابن عدي من حديث سليمان بن عبد الرحمن ، حدثنا خالد بن يزيد عن أبيه عن عطاء سمع أبا سعيد الخدرى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم توفنى فقيرا ولا توفني غنيا »[1].

وهذا الحديث لا يَصِحُّ ؛ فإن خالد بن يزيد هذا هو خالد بن يزيد بن عبد الرحمن ابن أبي مالك الدمشقي أجمعوا على ضعفه وعدم الاحتجاج بحديثه ؛ قال أحمد : ليس بشيء ، وقال ابن معين : واه ، ونسبه يحيى إلى الكذب ، وقد تقدم الكلام فيه .

وقد سئل شيخُ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن هذه المسألة ؛ فقال : قد تنازع كثير من المتأخرين فى الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل فرجح هذا طائفة من العلماء والعباد ، ورجح هذا طائفة أخرى من العلماء والعباد ، [٩٧/ أ] وَحُكِيَ فى ذلك عن الإمام أحمد روايتان ، وأما الصحابة والتابعون ﷺ فلم ينقل عنهم تفضيل أحد الصنفين على الآخر ، وقد قالت طائفة ثالثة : ليس لأحدهما على الآخر فضيلة إلا بالتقوى فأيهما كان أعظم إيمانا وتقوى كان أفضل ، فإن استويا فى ذلك استويا فى الفضيله وقال : وهذا أصح الأقوال ؛ لأن نصوص الكتاب والسنة إنما تفضل بالإيمان

---

(١) **إسناده ضعيف جدًّا** : ابن عدي (٣/ ٨٨٤ الكامل) ميزان الاعتدال (١/ ٦٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا . خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك : سبق له ترجمة . . عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري ﷺ : سبق له ترجمة . وله شاهد ضعيف جدا عند الروياني (١٤١٢ مسند) من حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – مرفوعًا : سبق تخريجه .

والتقوى وقد قال تعالى : ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ [النساء : ١٣٥] وقد كان فى الأنبياء والسابقين الأولين من الأغنياء من هو أفضل من أكثر الفقراء وكان فيهم من الفقراء من هو أفضل من أكثر الأغنياء ، والكاملون يقومون بالمقامين فيقومون بالشكر والصبر على التمام كحال نبينا ﷺ ، وحال أبى بكر وعمر - رضي الله عنهما -.

ولكن قد يكون الفقرُ لبعض الناس أنفع والغنى لآخرين أنفع ، كما تكون الصحة لبعضهم أنفع والمرض لبعضهم أنفع ، كما فى الحديث الذى رواه البغوي وغيره عن النبى ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى : « إِن من عبادي مَنْ لا يُصلحُه إلا الغنى ولو أفقرتُه لأفسده ذلك ، وإنّ من عبادي من لا يصلحُه إلا الفقرُ ولو أغنيتُه لأفسدَهُ ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصِّحَّةُ ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا السَّقَمُ ولو صححته لأفسده ذلك ، إني أدبر عبادي ، إني بهم خبيرٌ بصيرٌ »[(١)].

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « **إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ** »[(٢)]. وفى الحديث الآخر لما علم الفقراءُ الذكرَ عقيب الصلاة سمع بذلك الأغنياء فقالوا مثل ما قالوا فذكر ذلك الفقراء للنبى ﷺ فقال : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[(٣)] [٩٧/ ب] ، فالفقراء يتقدمون فى دخول الجنة لخفة الحساب عليهم والأغنياء يؤخرون لأجل الحساب ثم إذا حوسب أحدهم فإن كانت حسناته أعظم من حسنات الفقير كانت

---

(١) **ضعيف** : ابن أبي الدنيا (١ الأولياء) البيهقي (١٢١ الأسماء والصفات) أبو نعيم (٨/ ٣٥٥-٣٥٦ الحلية) من طريق الحسن بن يحيى الخشني - أبو مالك - عن صدقة الدمشقي - ابن عبد الله السمين - عن هشام الكناني عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً . الحسن بن يحيى الخُشني : واه ، تركه الدارقطني وغيره (المغني ١٤٩١) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق ، كثير الغلط (تقريب ١٢٩١) . صدقة بن عبد الله السمين - الدمشقي : سبق له ترجمة . هشام الكناني : سبق له ترجمة ، وله إسناد آخر عند الخطيب (٦/ ١٥ تاريخ بغداد) من طريق أبو محمد أحمد بن محمد بن حبيب حدثنا محمد بن أبي محمد المروزي حدثنا ابن عيسى الرملي - يعني يحيى - حدثنا سفيان بن سعيد الثوري حدثنا حماد بن زيد عن أيوب - السختياني - عن أبي قلابة - عبد الله بن زيد الجرمي - عن كثير بن أفلح عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا . أبو محمد - أحمد بن محمد بن حبيب ، ومحمد بن أبي محمد المروزي : لم أقف لهما على ترجمة .

(٢) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٣) **صحيح** : البخاري (٨٤٣) مسلم (٥٩٥) واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

درجته فى الجنة فوقه وإن تأخر فى الدخول كما أن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب[1]. ومنهم عكاشه بن محصن ﷺ قد يدخل الجنة بحساب من يكون أفضل من أحدهم فى الدرجات لكن أولئك استراحوا من تعب الحساب ، فهذا فى الفقراء المذكورين فى الكتاب والسنة وهو ضد الغنى الذى يبيح أخذ الزكاة أو الذى لا يوجب الزكاة .

ثم قد صار فى اصطلاح كثير من الناس الفقر عبارة عن الزهد والعبادة والإخلاص ويسمون من اتصف بذلك فقيرًا وإن كان ذا مالٍ ، ومن لم يتصف بذلك قالوا ليس بفقير ، وإن لم يكن له مال ، وقد يُسَمَّى هذا الغنى تصوفًا .

ومن الناس من يفرق بين مسمى الفقير والصوفيِّ ، ثم من هؤلاء من يجعل مسمى الفقير أفضل ، ومنهم من يجعل مسمى الصوفى أفضل .

والتحقيق فى هذا الباب : أنه لا ينظر إلى الألفاظ المحدثة بل ينظر إلى ما جاء به الكتاب والسنة من الأسماء والمعانى ، والله قد جعل وصف أوليائه الإيمانَ والتقوى فمن كان نصيبه من ذلك أعظم كان أفضل ، ولا اعتبار بما سوى ذلك والله أعلم .

الباب الثالث والعشرون
فى ذكر ما احتجت به الفقراء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار

قالت الفقراء : لم يذكر الله سبحانه الغنى والمال في القرآن إلا على أحد وجوه :

الأول : على وجه الذم كقوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦-٧] ، وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٢٧] ، وقوله [٩٨/ أ] : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا

(١) **صحيح** : البخاري (٦٥٤٢) مسلم (٢١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٣٣-٣٥]، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٥٥]، وقال تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٤٦]، وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ [آل عمران : ١٤]الآية . ونظائر ذلك كثيرة .

الوجه الثاني: يذكره على وجه الابتلاء والامتحان كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥]، وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥-٥٦]وقال تعالى مخبرا عن ابتلائه بالغنى كما ابتلى بالفقر : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ [الفجر : ١٥]الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥]

الوجه الثالث: اخباره سبحانه وتعالى أن الأموال والأولاد لا تقرب إليه شيئا ، وإنما يقرب إليه الإيمان والعمل الصالح كما قال : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧]

الوجه الرابع: إخباره أن الدنيا والغنى والمال إنما جعلها الله متعة لمن لا نصيب له في الآخرة وأن الآخرة جعلها للمتقين فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١]، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠]، وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله لعمر : « **أَمَا تَرْضَى أن تكونَ لهم الدُّنيا ولنا الآخرةُ** »[1] وسيأتي الحديث .

---

(١) **صحيح لغيره**: مسلم (١٤٧٩) ابن ماجة (٤١٥٣) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا . في إسناده : عكرمة =

الوجه الخامس : أنه سبحانه لم يذكر المترفين وأصحاب الثروة إلا بالذم كقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾[الواقعة : ٤٥] ، وقوله : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا ﴾[الإسراء : ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾[الأنبياء : ١٣]

الوجه السادس : أنه سبحانه ذمَّ محبَّ المال ، فقال : ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[الفجر : ١٩-٢٠] ، فذمهم بحب المال وعيَّرهم به .

الوجه السابع : أنه سبحانه ذم متمني الدنيا والغنى والسعة فيها ورأوا ذلك حظًّا عظيما ، ومدح من أنكر عليهم وخالفهم فقال تعالى عن أغنى أهل زمانه : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ

= ابن عمار حدثني سِماك الحنفي أبو زُميل حدثني عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عنه به ، وله شاهد عند أحمد (٣/ ١٤٠ مسند ٢٣٧٢ الزهد) ابن حبان (٢٥٢٥ موارد) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . في إسناده : مبارك بن فضالة عن الحسن البصري عنه به . عكرمة بن عمار - العجلي - أبو عمار اليماني : صدوق يغلط ، وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب ، ولم يكن له كتاب (تقريب ٤٦٦٣) . مبارك بن فضالة ، قال أبو داود وأبو زرعة : كان شديد التدليس ، إذا قال حدثنا فهو ثقة ، وقال أحمد : ما روى عن الحسن يحتج به (تهذيب الكمال ٧/ ٢٧ - ٢٨) . الحسن بن أبي الحسن البصري . قال أحمد بن حنبل : سمع منا أنس بن مالك وعبد الله بن مغفل وابن عمر ﷺ ، وقال أبو حاتم : يصح للحسن سماع من أنس بن مالك ، وأبي برزة وأحمر صاحب النبي ﷺ وابن عمر وابن غمرو وابن تغلب (تحفة التحصيل ١٧٨) وشاهد آخر عند ابن أبي الدنيا (٣٦٢ ذم الدنيا) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا . في إسناده : عبيد الله أبو مسلم الجعفي - قائد الأعمش - عن الأعمش عن إبراهيم - ابن يزيد - النخعي - قال : قال عبد الله بن مسعود ﷺ فذكره مرفوعًا . عبيد الله بن سعيد بن مسلم - الجعفي - قائد الأعمش : ضعيف (تقريب ٤٢٨٧) ، وقال البخاري : في حديثه نظر ، وقال العقيلي : في حديثه عن الأعمش وهم كثير (الضعفاء الكبير ٣/ ١٢١) ، وقال أبو داود : قائد الأعمش عنده أحاديث موضوعة (تهذيب الكمال ٥/ ٣٧) ، وقال العقيلي : يكتب حديثه وينظر فيه (تهذيب التهذيب ٧/ ١٦) . إبراهيم بن يزيد النخعي ، قال أبو حاتم : لم يلق أحدًا من أصحاب النبي ﷺ إلا عائشة - رضي الله عنها - ولم يسمع منها شيئًا ، وقال العلائي : هو مكثر من الإرسال ، وجماعة من الأئمة صححوا مراسيله ، وحص البيهقي ذلك بما أرسله عن ابن مسعود (جامع التحصيل ص ١٤١-١٤٢ تحفة التحصيل ١٩) ، وأخرجه البخاري (٢٤٦٨) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا بلفظ : « أولئك قوم عُجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا ... » .

خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص : ٧٩-٨٠] فأخبروا أن ما عند الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يُلَقَّى هذه الوصيةَ وهى الكلمة التى تكلَّمَ بها الذين أوتوا العلم أو المثوبة والجنةَ التى دل عليها قوله : ﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ والسيرة والطريقة التى دل عليها قوله : ﴿ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ وعلى كل حال فلا يُلَقَّى ذلك إلا الصابرون على الفقر وعن الدنيا وشهواتها وما أُترِفَ فيه الأغنياءُ وقد شَهِدَ الله سبحانه لهم أنهم من أهل العلم دون الذين تمنوا الدنيا وزينَتَها .

الوجه الثامن : أنه سبحانه أنكر على من ظن أن التفضيل يكون بالمال الذي يحتاج إليه لإقامة الملك ، فكيف بها هو زيادة وفَضْلَة ؟ فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة : ٢٤٧][٩٩/ أ] فرد الله سبحانه قولَهم وأخبر أن الفضل ليس بالمال كما توهموه وأن الفضل بالعلم لا بالمال .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨]ففضلُه ورحمتُه العلمُ والإيمان والقرآن والذى يجمعونه هو المال وأسبابه ومثله قوله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢]

الوجه التاسع: إنه سبحانه أخبر أن التكاثر فى جمع المال وغيره ألهى الناس وشغلهم عن الآخرة والاستعداد لها ، وتوعدهم على ذلك فقال تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فأخبر سبحانه أن التكاثر شغل أهل الدنيا وألهاهم عن الله والدار الآخرة حتى حضرهم الموت ، فزاروا المقابر ، ولم يفيقوا من رَقْدَةِ من ألهاه التكاثر وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت إيذانا بأنهم غير مستوطنين ولا مستقرين فى القبور وأنهم فيها بمنْزلة الزائرين يحضرونها مدة ثم يظعنون عنها كما كانوا فى الدنيا كذلك زائرين لها غير

مستقرين فيها ودار القرار هى الجنة أو النار ، ولم يعين سبحانه المُتكاثَر به بل ترك ذكرَهُ إما لأن المذموم هو نفسُ التكاثر بالشيء لا المتكاثر به كما يقال شغلك اللعب واللهو ولم يذكر ما يلعب ويلهو به وإما إرادة الإطلاق وهو كل ما يكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا من مالٍ أو جاهٍ أو عبيدٍ أو إماءٍ أوأبناءٍ أو غراسٍ أو علمٍ لا يُبْتَغَى به وجه الله ، أو عمل لا يقربه إلى الله ، فكل هذا من التكاثر الملهي عن الله والدار الآخرة .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن الشخير أنه [٩٩/ ب] قال انتهيت إلى النبى ﷺ وهو يقرأ : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ قال : « **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ، أو أَكَلْتَ فأَفْنَيْتَ ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ** »[1] ، ثم أوعد سبحانه من ألهاه التكاثر وعيدًا مؤكدا إذا عاين تكاثره هباء منثورا وعَلِم أن دنياه التى كان يكاثر بها إنما كانت خدعًا وغرورًا ، فوجد عاقبةَ تكاثرِهِ عليه لا له ، وخسر هنالك تكاثره كما خسره أمثاله وبدا له من الله ما لم يكن فى حسابه ، وصار تكاثرُه الذى شغلَه عن الله والدار الآخرة من أعظم أسباب عذابه ، فَعُذِّبَ بتكاثره فى دنياه ، ثم عُذِّب به فى البرزخ ، ثم يُعَذَّبُ به يوم القيامة فكان أشقى الخلق بتكاثره إذ أفاد منه العطب دون الغنيمة والسلامة فلم يَفُزْ من تكاثره إلا بأن صار من الأقلين ولم يحظَ به من علوه به فى الدنيا إلا بأن حصل مع الأسفلين فيا له تكاثرًا ما أقله ؟ووزرًا ما أجله ؟! وغنى جالبًا لكل فقر ، وخيرًا تَوَصَّلَ به إلى كل شرٍّ يقول صاحبُه إذا انكشف عنه غطاؤه : ﴿ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ [الفجر : ٢٤] وعملت فيه بطاعة الله قبل وفاتى : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ [المؤمنون : ٩٩-١٠٠] تلك كلمةٌ يقولها فلا يُعَوَّلُ عليها ، ورجعةٌ يسألها فلا يُجابُ إليها .

وتأمل قوله أولا : ﴿ رَبِّ ﴾ استغاث بربه ، ثم التفت إلى الملائكة الذين أُمِروا بإحضاره إلى بين يدي ربه – تبارك وتعالى – فقال : ﴿ ٱرْجِعُونِ ﴾ ثم ذكر سببَ سؤالِ

---

(١) **صحيح** : مسلم (٢٩٥٨) الترمذي (٣٣٤٢) النسائي (٦/ ٢٣٨) أحمد (٤/ ٢٤) من حديث عبد الله بن الشخير ﷺ مرفوعًا .

الرَّجعةَ وهو : أن يستقبل العملَ الصالح فيما تَرَك خلْفَه من مالِه وجاهِه وسلطانِه وقُوَّتِه وأسبابِه فيقال له : ﴿ كَلَّآ ﴾ ، لا سبيل لك إلى الرُّجْعَى وقد عُمِّرت ما يتذَكر فيه من تذكر .

ولما كان شأنُ الكريم الرحيم أن يجيبَ من استغاثَه[١٠٠/ أ] وأن يفسح له في المهلة ؛ يتدارك ما فاته ، أخبر سبحانه أن سؤالَ هذا المفرط الرَّجْعَة كلمةٌ هو قائلها لا حقيقة تحتها ، وأن سجيَّته وطبيعته تأبى أن تعملَ صالحا لو أجيب ، وإنما ذلك شيء يقوله بلسانه ، وأنه لو رُدّ لعادَ لما نُهي عنه ، وأنه من الكاذبين ، فَحِكْمَةُ أحكم الحاكمين وعزتُه وعلمُه وحمدُه تأبى إجابتَه إلى ما سأل فإنه لا فائدةَ في ذلك ، ولو رُدّ لكانت حالتُه الثانية مثلَ حالته الأولى ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[الأنعام : ٢٧-٢٨]

وقد حام أكثر المفسرين حول معنى هذه الآية ، وما أوردوا ، فراجع أقوالهم تجدها لا تُشْفى عليلًا ولا تروي غليلًا ، ومعناها أجل وأعظم مما فسروها به ، ولم يتفطنوا لوجه الإضراب بل ولا للأمر الذى بدا لهم ، وكانوا يخفونه ، وظنوا أن الذى بدا لهم العذابُ ، فلما لم يروا ذلك ملتئمًا مع قوله : ﴿ مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ قدروا مضافًا محذوفًا وهو جزاء خبر ﴿ مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ ، فدخل عليهم أمر آخر لا جواب لهم عنه وهو : أن القوم لم يكونوا يخفون شركَهم وكفرَهم بل كانوا يُظهرونه ويدعون إليه ويحاربون عليه ، ولما توهموا أن هذا واردٌ عليهم ، قالوا : إن القوم فى بعض موارد القيامة ومواطنها أخفوا شركهم وجحدوه ، وقالوا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] فلمّا وُقِفُوا على النار بدا لهم جزاء ذلك الذى أخفوه . قال الواحدي : وعلى هذا أهل التفسير ، ولم يصنع أربابُ هذا القولِ شيئًا ، فإن السياق والإضراب ببل والإخبار عنهم بأنهم لو رُدّوا لعادوا [لما نهوا عنه ، وقولهم : والله ربنا ما كنا][1] مشركين

(١) زيادة في المطبوع .

لا يلتئم بهذا الذى ذكروه فتأمله .

وقالت طائفة منهم الزجاجُ: بل بدا للأتباع ما أخفاه عنهم الرؤساء من أمر البعث ، وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير ، وفيه من التكلف ما ليس بخاف .

وأجود من هذا ما فهمه المبرد من الآية قال : كأن كفرَهم لم يكن باديًا لهم إذ خفيت عليهم مضَرَّتُه . ومعنى كلامه : أنهم لما خَفِيت عليهم عاقبته ووبالُه فكأنه كان خفيًّا عنهم لم تظهر لهم حقيقته ، فلما عاينوا العذاب ظهرت لهم حقيقتُه وشره . قال : وهذا كما تقول فيمن كنت حدثته فى أمر قبل : ظهر لك الآن ما كنت قلت لك ، وقد كان ظاهرا له قبل هذا .

ولا يسهُلُ أن يعبر عن كفرهم وشركهم الذى كانوا ينادون به على رؤوس الأشهاد ويدعون إليه كل حاضرٍ وبادٍ بأنهم كانوا يخفونه لخفاء عاقبته عنهم ، ولا يقال لمن أظهر الظلم والفساد وقتل النفس والسعي في الأرض بالفساد أنه أخفى ذلك لجهله بسوء عاقبته وخفائها عليه .

فمعنى الآية- والله أعلم بما أراد من كلامه -: أن هؤلاء المشركين لما وُقفوا على النار وعاينوها وعلموا أنهم داخلوها تمنوا أنهم يُرَدون إلى الدنيا فيؤمنون بالله وآياته ولا يُكَذِّبون رسلَه ، فأخبر سبحانه أن الأمرَ ليس كذلك وأنهم ليس فى طبائعهم وسجاياهم الإيمانُ ، بل سَجِيَّتُهم الكفرُ والشِّرك والتكذيب ، وأنهم لو رُدّوا لكانوا بعد الرد كما كانوا قبله ، وأخبر أنهم كاذبون فى زعمهم أنهم لو رُدُّوا لآمنوا وصدقوا .

فإذا تقرر مقصود الآية ومرادها تبين لك معنى الإضراب بـ ﴿ بَلْ ﴾ وتبين معنى الذي بدا لهم والذى كانوا يخفونه والحامل لهم على قولهم : ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾ فالقوم كانوا يعلمون في الدنيا أنهم على باطل ، وأن الرسل صَدَقوهم فيما بَلَّغوهم عن الله ، وتيقنوا ذلك وتحققوه ولكنهم أخفوه ولم يظهروه بينهم بل تواصوا بكتمانه ، فلم يكن الحامل لهم على تمنى الرجوع والإيمان معرفة ما لم يكونوا يعرفونه من صدق الرسل ، فإنهم كانوا يعرفون ذلك ويخفونه [١٠١/ أ] وظهر لهم يوم القيامة ما

كانوا يَنطُوون عليه من علمهم أنهم على الباطل وأنّ الرُّسُلَ على الحقِّ ، فعاينوا ذلك عَيَانًا بعد أن كانوا يكتمونه ويخفونه ، فلو رُدّوا لما سمحت نفوسُهم بالإيمان ، ولعادوا إلى الكفر والتكذيب ، فإنهم لم يتمنوا الإيمانَ لِعلمِهم يومئذ أنه هو الحقُّ وأن الشركَ هو الباطل ، وإنما تمنوه لما عاينوا العذابَ الذي لا طاقة لهم باحتماله ، وهذا كمن كان يخفي محبَّةَ شخص ومعاشرتَه وهو يعلم أن حُبّه باطلٌ وأن الرشد فى عدوله عنه ، فقيل له : إن اطّلع عليك وليُّه عاقبك ، وهو يعلم ذلك ويكابر ، ويقول : بل محبته ومعاشرته هى الصواب فلما أخذه وليُّه ؛ ليعاقبه على ذلك ، وتيقن العقوبة تمنى أن يُعفى من العقوبة ، وأنه لا يجتمع به بعد ذلك وفى قلبه من محبته والحِرْصِ على معاشرته ما يحملُه على المعاودة بعد معاينة العقوبة بل بعد أن مسَّته وأنهكته ، فظهر له عند العقوبة ما كان يُخفي من معرفته بخطئه وصواب من نهاه عنه ولو رد لعاد لما نُهِيَ عنه .

وتأمل مطابقة الإضراب لهذا المعنى وهو نفى قولهم إنا لو رددنا لآمنا وصدقنا ، لأنه ظهر لنا الآن أن ما قالت الرُّسُلُ هو الحق ، أي : ليس كذلك بل كنتم تعلمون ذلك وتعرفونه وكنتم تخفونه ، فلم يظهر لكم شيء لم تكونوا عالمين به لتعذروا بل ظهر لكم ما كان معلوما لكم وكنتم تتواصون بإخفائه وكتمانه والله أعلم .

ولا تستطل هذا الفصل المعترض فى أثناء هذه المسألة فلعله أهم منها وأنفع ، وبالله التوفيق ، فلنرجع إلى تمام الكلام فيها وقوله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ جوابه محذوف دل عليه ما تقدم ، أي : لما ألهاكم التكاثر ، وإنما وجد هذا التكاثر وإلهاؤه عما هو أولى لما فقد منكم علم اليقين ، وهو العلم الذى [١٠١/ ب] يصل بصاحبه إلى حد الضروريات التى لا يشك فيها ولا يتمارى فى صحَّتِها وثبوتها ، ولو وصلت حقيقة هذا العلم إلى القلب وباشرته لما ألهاه عن موجبه وترتب أثره عليه ، فإن مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عواقبه قد لا يكفي فى تركه ، فإذا صار له علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أشدَّ ، فإذا صار عينَ يقين لجملة المشاهدات كان تَخَلُّفُ موجبه عنه من أندر شيء وفى هذا المعنى قال حسان بن ثابت ﷺ فى أهل بدر :

سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَـدْرٍ لِحَتْفِهِمْ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ الْعِلْمِ مَا سَارُوا

وقوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : ٣-٤] قيل هو : تأكيد لحصول العلم كقوله : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ : ٤- ٥]وقيل : ليس تأكيدا بل العلم الأول عند المعاينةُ ونزولُ الموتِ ، والعلم الثانى فى القبر ، هذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما –.

ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه .

أحدها : أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل ، وقد أمكن اعتباره مع محامد اليقين وجلالته وعدم الإخلال بالفصاحة .

الثانى : توسط ﴿ ثُمَّ ﴾ بين العلمين ، وهى مؤذنة بتراخي ما بين المرتبتين زمانًا وخطرًا .

الثالث : أن هذا القول مطابق للواقع فإن المحتضر يعلمُ عند المعاينةِ حقيقةَ ما كان عليه ، ثم يعلم فى القبر وما بعده ذلك علما هو فوق العلمِ الأول .

الرابع : أن عليًا بن أبى طالب ﷺ وغيره من السلف ﷺ فهموا من الآية عذاب القبر .

قال الترمذى : حدثنا أبو كريب حدثنا حكام بن سليم الرازى عن عمرو ابن أبي قيس عن الحجاج بن المنهال بن عمرو عن زرٍّ عن علي ﷺ قال : ما زِلْنا نَشُكُّ في عذاب القبر حتى نزلت ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾(١) قال الواحدي : يعني أن معنى قوله : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ في القبور .

الخامس : أن هذا [١٠٢/ أ] مطابق لما بعده من قوله : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ ، فهذه الرؤية الثانية غير الأولى وليست تأكيدًا لفظيًا للرؤية الأولى ، والفرق بين الرؤية الأولى والثانية من وجهين : إطلاق الأولى وتقييد الثانية

---

(١) إسناده حسن : إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ موقوفًا . الترمذي (٣٣٥٥) ابن جرير الطبري (٣٠/ ١٨٣ تفسير) من طريق الحجاج بن أرطأة وعبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن زر – ابن حبيش – عنه به .

بعين اليقين ، وتقدم الأولى وتراخى الثانية عنها ثم ختم السورة بالإخبار المؤكَّدِ بواو القَسَم ولام التوكيد والنون الثقيلة عن سؤال النعيم ، فكل أحد يسأل عن نعيمه الذى كان فيه فى الدنيا هل ناله من حله ووجهه أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال سُئل سؤالًا آخر هل شكر الله تعالى عليه فاستعان به على طاعته أم لا ؟ ، فالأول سؤال عن سبب استخراجه ، والثانى عن محل صرفه ، كما فى جامع الترمذى من حديث عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبى ﷺ قال : « لا تزول قدما ابن آدمَ يومَ القيامةِ من عند ربه حتى يُسئلَ عن خمسٍ عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما عَلِمَ »[1].

وفيه أيضًا عن أبى برزة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يسئلَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ وعن علمِهِ فيما عَمِلَ فيه وعن مالِهِ مِنْ أينَ اكتسَبَهُ وفيما أنفَقَهُ وعن جسمِهِ فيما أبْلَاهُ »[2] . قال هذا حديث صحيح .

---

(١) **إسناده ضعيف جدًا** : الترمذي (٢٤١٦) الطبراني (١/ ٢٦٩ الصغير) البيهقي (٧١٧ الزهد الكبير) الخطيب (١/ ٥٥٥ موضح) من طريق حسين بن قيس الرحبي حدثنا عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا . حسين بن قيس الرحبي : متروك (تقريب ١٣٣٣) . عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر ﷺ . قال أبو حاتم في المراسيل : قال أحمد بن حنبل : لم يسمع عطاء من ابن عمر ، وقال علي بن المديني وأبو عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - رأى ابن عمر ولم يسمع منه ، وقال أحمد بن حنبل : وليس في المرسلات ، وأضعف من مرسلات الحسن وعطاء ، فإنهما كانا يأخذان عن كل أحد (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٢) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٢٤١٧) الدارمي (٥٤٠ سنن) الروياني (١٣١٣ مسند) (تهذيب الكمال (٣/ ١٧٧) من طريق أبي بكر ابن عياش عن الأعمش - سليمان بن مهران - عن سعيد بن عبد الله بن جُريج عن أبي برزة الأسلمي ﷺ مرفوعًا . أبو بكر بن عياش - الكوفي الحناط المقريء - قال أحمد بن حنبل : ثقة - ربما غلط ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال عثمان بن سعيد الدارمي : أبو بكر والحسن ابنا عياش ، ليسا بذاك في الحديث وهما من أهل الصدق والأمانة ، وقال : وسمعت محمد بن عبد الله بن نمير : يضعف أبا بكر بن عياش في الحديث . قلت : كيف حاله في الأعمش ؟ قال : هو ضعيف في الأعمش وغيره (تهذيب الكمال ٨/ ٢٥٨) ، وقال أبو زرعة : كان أبو بكر في حفظه شيء (العلل لابن أبي حاتم ٢/ ٣٢٩ - ٢٥٠٩) سعيد بن عبد الله بن جُريج - مولى أبي برزة ﷺ . قال أبو حاتم : مجهول ، وقال الدوري : سألت يحيى بن معين عن سعيد بن عبد الله بن جريج فقال : ما سمعنا أحدًا روى عنه إلا الأعمش من رواية أبي بكر بن عياش (الجرح والتعديل ٤/ ٣٦) قال ابن حجر : ذكره ابن المديني في الطبقة السابعة من أصحاب نافع ، وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٤/ ٥٢) ، وله طريق =

وفيه أيضًامن حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي مِنَ النَّعِيمِ - أَنْ يُقَالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِح لَكَ جِسْمَكَ وَنُرَوِّيكَ مِن المَاءِ البَارِدِ** »[1].

وفيه أيضًامن حديث الزبير بن العوام ﷺ لما نزلت ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨]قال الزبير : يا رسول الله ! صلى اللهُ غليك وسلم فأي النعيم نُسأل عنه وإنما هو الأسودان ، التمر والماء ؟ قال : « **أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ** »[2] . قال : هذا حديث حسن .

= آخر عند الدارمي (٥٤٢ سنن) من حديث معاذ بن جبل ﷺ موقوفًا (إسناده ضعيف . في إسناده : ليث بن أبي سليم عن عدي بن عدي - ابن عميرة - عن أبي عبد الله الصنابحي - عبد الرحمن بن عُسَيْلة - عنه به . ليث ابن أبي سليم : سبق له ترجمة . عدي بن عدي بن عميرة : قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه سُئل عن عدي بن عدي . سمع من الصنابحي ؟ قال : لا (المراسيل لابن أبي حاتم ١٥٣) . وله طريق آخر عند الدارمي (٥٤١ سنن) من حديث معاذ بن جبل ﷺ موقوفاً أيضًا . في إسناده من لم أعثر له على ترجمة . في إسناده : عبد العزيز ابن محمد الداروردي عن عمارة بن غزية عن يحيى بن راشد - أبو هاشم الدمشقي الطويل - حدثني فلان العربيٌّ عنه به . فلان العربي : لم أعثر له على ترجمة ، وثم فلان آخر في تعجيل المنفعة وهو فلان بن جارية الأنصاري ، قال الحافظ ابن حجر : حق هذا أن يذكر في المبهمات فإنه ليس باسم علم (٨٦١ تعجيل المنفعة) ، وآخر وهو فلان بن غيلان الثقفي عن عبد الله بن مسعود . قال الدارقطني : لا يصح حديثه (ميزان ٣/ ٣٥٣) والله أعلم .

وله طريق آخر عند أبو نعيم (٨/ ٧٦ الحلية) ميزان الاعتدال (١/ ٥٢٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا « يا ابن آدم ، لا تزول قدمك يوم القيامة بين يدي الله ﷻ حتى تسأل عن أربعة ... الحديث » في إسناده : الحسين ابن داود بن معاذ - أبو علي البلخي - حدثنا شقيق بن إبراهيم حدثنا أبو هاشم الأُيُلّي . عنه به . الحسين بن داود - أبو علي البلخي - قال الخطيب : ليس بثقة ، حديثه موضوع (ميزان ١/ ٥٢٧) . شقيق بن إبراهيم - أبو علي البلخي - من كبار الزهاد : منكر الحديث (ميزان ٢/ ٢١٥) ، وذكر ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (الجرح والتعديل ٤/ ٣٧٣) . أبو هاشم الأُيُلي ، وقال البخاري : الأبلي - كثير بن عبد الله - الناجي الوشاء - قال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث ، (الضعفاء الصغير للبخاري ٣٠٦) (الضعفاء والمتروكين للنسائي ٥٠٦) وقال أبو حاتم : منكر الحديث - ضعيف الحديث جدًّا - شبه المتروك (الجرح والتعديل ٧/ ١٥٤) .

(١) **إسناده صحيح**: الترمذي (٣٣٥٨) ابن جرير الطبري (٣٠/ ١٨٦ تفسير) ابن حبان (٢٥٨٥ موارد) الحاكم (٤/ ١٣٨) أحمد (١٦٧ الزهد) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٢) **إسناده حسن**: الترمذي (٣٣٥٦) ابن ماجه (٤١٥٨) أحمد (١/ ١٦٤) من حديث الزبير بن العوام ﷺ مرفوعًا . من طريق سفيان ابن عيينة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب - ابن أبي بلتعة - عن عبد الله بن الزبير عنه به . محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص : سبق له ترجمة .

وعن أبي هريرة نحوه وقال : إنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا ، قال : « إن ذلك سيكون »[١] ، وقوله : « إن ذلك سيكون » إما أن يكون المراد [١٠٢/ ب] أن النعيم سيكون ويحدث لكم ، وإما أن يرجع إلى السؤال أي أن السؤال يقع عن ذلك ، وإن كان تمرًا وماءً فإنه من النعيم ، ويدل عليه قوله ﷺ في الحديث الصحيح . وقد أكلوا معه رطبا ولحما وشربوا من الماء البارد « **هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[٢] فهذا السؤال عن شكره والقيام بحقه .

وفي الترمذي من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يُجاء بالعبدِ يومَ القيامةِ كأنه بَذَجٌ ، فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله : أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر مما كان فارجعني آتِكَ به ، فاذا عبدٌ لم يُقَدِّم خيرًا ، فَيُمْضى به إلى النار »[٣].

---

(١) **قال الترمذي** : وحديث ابن عيينة عن محمد بن عمرو عندي أصح من هذا ، سفيان أحفظ وأصح حديثًا من أبي بكر بن عياش . الترمذي (٣٣٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا في إسناده : أبو بكر بن عياش عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عنه به . أبو بكر بن عياش : سبق له ترجمة .

(٢) **صحيح لشواهده** : أحمد (٥/ ٨١) ابن جرير الطبري (٣٠/ ١٨٥-١٨٦ تفسير) ابن أبي الدنيا (٢٧٢ الجوع) من حديث أبي عسيب ﷺ مرفوعًا . في إسناده : حشرج بن نباته عن أبي نصيرة - مسلم بن عبيد - عنه به . حشرج ابن نباته . قال يحيى بن معين : ثقة ، وعنه أيضًا : ثقة ليس به بأس ، وقال أبو زرعة : واسطي ، لا بأس به ، مستقيم الحديث ، وقال أبو حاتم : صالح - يكتب حديثه ، ولا يحتج به ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال في موضع آخر : ليس به بأس (تهذيب الكمال ٢/ ٢٠٨-٢٠٩) . أبو نُصيرة - مسلم بن عبيد - قال أحمد بن حنبل : واسط - ثقة ، وقال يحيى بن معين : صالح (تهذيب الكمال ٨/ ٤٤٢) ، وله شاهد عند النسائي (٦/ ٢٤٦) أحمد (٣/ ٣٩١) ابن حبان (٢٥٣١ موارد) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا . في إسناده عمار بن أبي عمار عنه به . عمار بن أبي عمار : صدوق - ربما أخطأ (تقريب ٤٨١٩) ، وشاهد آخر عند مسلم (٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٣) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٢٤٢٧) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس ﷺ مرفوعًا . قال الترمذي : وقد روى هذا الحديث غير واحد عن الحسن قوله . ولم يُسْنِدهُ ، وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث من قبل حفظه .ا.هـ وحديث الحسن عند عبد الله بن المبارك (١٠٠٩ الزهد) من طريق حزم بن مهران - ابن أبي حزم القُطعي - عنه به . حزم بن أبي حزم - ابن مهران القُطعي - قال أبو حاتم : شيخ - ثقة ، وقال يحيى بن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم أيضًا : صدوق لا بأس به ، هو من ثقات من بقي من أصحاب الحسن (الجرح والتعديل ٣/ ٢٩٤) .

وفيه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة - رضى الله عنهما - قالا : قال رسول الله ﷺ : « **يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا ، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالحَرْثَ ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ ، أَفَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقٍ يَوْمَكَ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيَقُولُ لَهُ : الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي** »(١). قال : هذا حديث صحيح .

وقد زعم طائفةٌ من المفسِّرين : أن هذا الخطاب خاصٌّ بالكفار ، وهم المسئولون عن النَّعيم ، وذُكِر ذلك عن الحسن ومقاتل ، واختار الواحديُّ ذلك ، واحتج بحديث أبي بكر ﷺ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : « أَرَأَيتَ أكلةً أكلتها معك ببيت أبي الهيثم بن التَّيِّهان من خُبز شعير ولحم وبسر قد ذنب وماء عذب أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذى نسأل عنه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا ذَلِكَ لِلْكَافِرِ » ثم قرأ : ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾(٢).

قال الواحدى : والظاهر يشهد لهذا ؛ لأن السورة كلها خطاب للمشركين وتهديد لهم . والمعنى أيضا يشهد لهذا القول ؛ وهو أن الكفار لم يؤدوا حق النعيم عليهم حيث أشركوا به وعبدوا غيره فاستحقوا أن يسألوا عما أنعم به [١٠٣/ أ] عليهم توبيخا لهم هل قاموا بالواجب فيه أم ضيعوا حق النعمة ؟ ، ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم . قال : وهذا معنى قول مقاتل وهو قول الحسن قال : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار .

قلت : ليس فى اللفظ ولا فى السنة الصحيحة ولا فى أدلة العقل ما يقتضى اختصاص الخطاب بالكفار ، بل ظاهر اللفظ وصريح السنة والاعتبار يدل على عموم الخطابِ لكلِّ

---

(١) **حسن** : الترمذي (٢٤٢٨) من طريق مالك بن سُعير أبو محمد الكوفي التميمي حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا . مالك بن سُعير . قال أبو زرعة وأبو حاتم : صدوق ، وقال أبو داود : ضعيف ، وقال الدارقطني : صدوق ، وقال الأزدي : عنده مناكير (تهذيب التهذيب) وقال الحافظ بن حجر : لا بأس به (تقريب ٦٤٢٨) .

(٢) **ضعيف** : الدر المنثور (٦/ ٦٦٤) من طريق الشعبي - عامر بن شراحيل - عن الحارث - ابن عبد الله الأعور - عن ابن مسعود ﷺ . عامر بن شراحيل - الشعبي - قال على بن المديني : سمع من أصحاب ابن مسعود ﷺ إلا الحارث (تحفة التحصيل ٤٢٦) . الحارث بن عبد الله الأعور - أبو زهير - صاحب على ، كذبه الشعبي في رأيه ، ورمى بالرفض ، وفي حديثه ضعف (تقريب ١٠٣٢) .

من اتصف بإلهاء التكاثر له فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك .

ويدل على ذلك قول النبى ﷺ عند قراءة هذه السورة : « **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ** ... »(١) الحديث وهو فى صحيح مسلم .

وقائل ذلك قد يكون مُسْلِمًا وقد يكون كافرًا ، ويدل عليه أيضا الأحاديث التى تقدمت وسؤال الصحابة النبى ﷺ وفهمهم العموم حتى قالوا له : وأى نعيم نسأل عنه ؟ وإنما هما الأسودان ، فلو كان الخطاب مختصا بالكفار لبين لهم ذلك وقال : ما لكم ولها إنما هى للكفار ؛ فالصحابة فهموا التعميم ، والأحاديث صريحة فى التعميم ، والذي أنزل عليه القرآن أقرهم على فهم العموم .

وأما حديثُ أبي بكر الذي أحتج به أرباب هذا القول فحديث لا يصح ، والحديث الصحيح فى تلك القصة يشهد ببطلانه ونحن نسوقه بلفظه ففى صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : « **مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ؟** » قالا : الجوع يا رسول الله . قال : « **وَأَنَا وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا ، قُومَا** » فقاما معه فأتى رجلًا من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته فلما رأته امرأته قالت : مرحبًا وأهلًا فقال لها رسول الله ﷺ : « **وَأَيْنَ فُلانٌ ؟** » قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاريُّ فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحِبَيْهِ ثم قال : الحمد لله ما أجدُ اليومَ أكرمَ أَضْيَافًا مِنِّى . قال : فانطلق فجاءهم بِعِذْقٍ فيه بُسرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المُدْيَة ، فقال له رسول الله ﷺ : « **إِيَّاكَ والحَلُوبَ** » [١٠٣/ ب] فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا ، فلما أن شبعوا ورَووا ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمرَ : « **وَالَّذِى نَفْسِى بِيدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ . ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا**

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه .

النَّعِيمُ »[1] ؛ فهذا الحديث الصحيح . صريح فى تعميم الخطاب وأنه غير مختص بالكفار .

وأيضا فالواقع يشهدُ بعدم اختصاصه وأن الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيرا بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر ، وخطاب القرآن عام لمن بلغه وإن كان أول من دخل فيه المعاصرين لرسول الله ﷺ فهو متناول لمن بعدهم ، وهذا معلوم بضرورة الدين وإن نازع فيه من لا يُعتَدّ بقوله من المستأخرين ، فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[البقرة : ١٨٣] ونظائره كما دخل تحته الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين ؛ فقوله : ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف وهم فى الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا الله .

فإن قيل : فالمؤمنون لم يلههم التكاثر ، ولهذا لم يدخلوا فى الوعيد المذكور كمن ألهاه . قيل هذا هو الذى أوجب لأرباب هذا القول تخصيصه بالكفار ؛ لأنه لم يمكنهم حمله على العموم ، ورأوا أن الكفار أحق بالوعيد فخصوهم به .

وجواب هذا : أن الخطاب للإنسان من حيث هو إشارة على طريقة القرآن فى تناول الذم له من حيث هو إنسان كقوله : ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾[الإسراء : ١١] ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾[الإسراء : ١٠٠] ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾[العاديات : ٦] ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ [الحج : ٦٦] ونظائره كثيرة ، فالإنسان من حيثُ هو عارٍ عن كلِّ خيرٍ من العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ ، وإنما الله سبحانه هو الذى يُكَمِّله بذلك ويعطيه إياه وليس له ذلك من نفسه ، بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم ، والظلم المضاد للعدل ، وكلَّ علم وعدل وخيرٍ فيه[١٠٤/ أ] فمن ربّه لا من نفسه فإلهاء التكاثر طبيعة العبد وسجيّتُه التي هي له من نفسه ، ولا خروج له عن ذلك الا بتزكية الله له وجعله مريدا للآخرة مؤثرا لها على التكاثر بالدنيا ، فان أعطاه ذلك وإلا فهو ملته بالتكاثر فى الدنيا ولا بُدَّ .

---

(١) صحيح : مسلم (٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

وأما احتجاجه بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار فيقال : الوعيد المذكور مشترك وهو العلم عند معاينة الآخرة ، فهذا أمر يحصل لكل أحد لم يكن حاصلا له في الدنيا ، وليس في قوله : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما يقتضي دخول النار فضلا عن التخليد فيها ، وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها ، فإن أهل الموقف يرونها ويشاهدونها عيانًا ، وقد أقسم الرب تبارك وتعالى أنه لا بد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم فليس في جملة من جمل هذه السورة ما ينفي عموم خطابها ، وأما ما ذكره الحسن : أنه لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار ؛ فباطل قطعا إما عليه وإما منه ، والأحاديث الصحيحة الصريحة ترده ، وبالله التوفيق .

ولا يخفى أن مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها وما تضمنته من تحذير التكاثر الملهي ، وانطباق معناها على أكثر الخلق ، يأبى اختصاصها من أولها إلى آخرها بالكفار ولا يليق ذلك بها ، ويكفي في رد ذلك تأمل الأحاديث المرفوعة فيها والله أعلم .

وتأمل ما فى هذا العتاب الموجع لمن استمر على إلهاء التكاثر له مدَّة حياته كلها إلى أن زار القبور ولم يستيقظ من نوم الإلهاء بل أرقد التكاثرُ قلبه فلم يستفق منه إلا وهو في عسكر الأموات .

وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتبين لك أن العموم مقصودٌ ، وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد بمتكاثر به معين ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا على اختلاف أجناسها وأنواعها .

وأيضا ؛ فإن التكاثر تفاعل وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكثر صاحبه فيكون أكثر منه فيما يكاثره به [١٠٤/ب] ، والحامل له على ذلك توهمه أن العزة للكاثر كما قيل :

وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى ... وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره كما كانت الكثرة حاصلة لجماعة من الصحابة ولم تضرهم إذ لم يتكاثروا بها ، وكل من كاثر إنسانا فى دنياه أو جاهه أو غير ذلك شغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة ؛ فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم

العالية إنما تكاثر بما يدوم عليها نفعه وتكمل به وتزكو وتصير مفلحة فلا تحبُّ أن يكثرها غيرها فى ذلك وتنافسه فى هذه المكاثرة وتسابقه إليها ، فهذا هو التكاثر الذى هو غاية سعادة العبد ، وضده تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم فهذا تكاثرٌ مُلْهٍ عن الله والدار الآخرة هو صائرٌ إلى غاية القلة ، فعاقبة هذا التكاثر قلٌّ وفقرٌ وحرمانٌ ، والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يُذَكِّرُ بالله ولقائه ، وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى ، وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولًا وأحسن عملًا وأغزر علمًا وإذا رأى غيره أكثر منه فى خصلة من خصال الخير يعجز عن لحاقه فيها كاثره بخصلة أخرى هو قادرٌ على المكاثرةِ بها وليس هذا التكاثر مذمومًا ولا قادحًا فى إخلاصِ العبدِ ، بل هو حقيقة المنافسة واستباق الخيرات وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج ﷺ فى تصاولهم بين يدي رسول الله ﷺ ومكاثرةِ بعضهم لبعض فى أسباب مرضاته ونصره ، وكذلك كانت حال عمر مع أبى بكر - رضي الله عنهما - فلما تبين له مدى سبقه له قال : « والله لا أسابقك إلى شيءٍ أبدا »[1].

فصل

وتأمل حسن موقع ﴿ كَـلَّا ﴾ فى هذا الموضع فإنها تضمنت ردعا لهم وزجرًا عن التكاثر ونفيًا وإبطالا لما يؤمِّلونه من نفع التكاثر لهم وعزتهم وكمالهم به ؛ فتضمنت اللفظة نهيًا ونفيًا ، وأخبرهم سبحانه أنهم لا بد أن يعلموا عاقبة تكاثرهم علمًا بعد علمٍ ، وأنهم لا بد أن يروا دار المتكاثرين بالدنيا التى ألهتهم عن الآخرة رؤية بعد رؤية ، وأنه سبحانه لا بد أن يسألهم عن أسباب تكاثرهم من أين استخرجوها وفيما صرفوها ، فلله ما أعظَمَهَا من سورة ، وأجلها وأعظمها فائدة ، وأبلغها موعظة وتحذيرا وأشدها

---

(١) **صحيح** : أبو داود (١٦٧٨) الترمذي (٣٦٧٥) الدارمي (١٦٦٢) من حديث عُمر ﷺ ، واللفظ لأبي داود . أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً ، قال : فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما أبقيت لأهلك ؟ قلت مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده** ... الحديث » .

ترغيبًا فى الآخرة وتزهيدًا فى الدنيا على غاية اختصارها وجزالة ألفاظها وحسن نظمها ، فتبارك من تكلم بها حقًّا وبلَّغَهَا رَسُولُهُ عنه وحيًا .

فصل

وتأمَّل كيف جعلهم عند وصولهم إلى غايةِ كلِّ حَيٍّ زائرين غير مستوطنين ، بل هم مستودعون في المقابر مدَّةً وبين أيديهم دار القرار ، فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدار فهم فيها عابرو سبيل إلى محل الزيارة ثم ينتقلون من محل الزيارة إلى المستقر ، فهاهنا ثلاثة أمور : عبورُ السبيلِ فى هذه الدنيا ، وغايتُهُ زيارةُ القبورِ ، وبعدها النقلة إلى دارِ القرارِ .

فصل

فلنرجع إلى تمامِ المناظرةِ قالوا : فاللهُ تعالى حمى أولياءَهُ عن الدنيا ، وصانهم عنها ورغب بهم عنها تكريمًا لهم ، وتطهيرًا عن أدناسها ، ورفعة عن دناءتها وذمَّها لهم ، وأخبرهم بهوانها عليه وسقوط قَدْرِهَا عنده وأعلَمَهُمْ أن بسطَهَا فتنةٌ وأنه سببُ الطغيانِ والفسادِ فى الأرضِ وإلهاءِ التكاثرِ بها عن طلبِ الدار الآخرةِ وأنها متاعُ الغرورِ وذم محبِّيها ومؤثريها .

وأخبر أن من أرادها و أراد زينتَها وحرثَها فليس له في الآخرة من نصيب، وأخبر أن بسطها فتنةٌ وابتلاءٌ لا كرامةٌ ومحبةٌ ، وإن إمدادَ أهلِها بها ليس مسارعة لهم في الخيرات ، وأنها [١٠٥/ب] لا تُقَرِّبُ إليه ولا تزلف لديه ، وأنه لولا تتابعُ الناسِ فى الكفرِ لأعطى الكفارَ منها فوق مناهم ، ووسعَهَا عليهم أعظم التوسعةِ بحيث يجعل سقوفَ بيوتهِمْ وأبوابهِمْ ومعارِجِهِمْ وسررهم كلِّها من فضةٍ ، وأخبر أنه زينها لأعدائه ولضعفاء العقول الذين لا نصيب لهم في الآخرة ، ونهى رسولَهُ ﷺ عن مد عينيه إليها وإلى مامتع به أهلها ، وذم من أذهبَ طيباتِهِ فيها واستمتع بها .

وقال لنبيه ﷺ: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٣] وفي هذا معرفة لما منعه أولياءه من التمتع بالدنيا وكثرة الأكل فيها ، وتأديب لمن بسط له فيها ألا يطغى فيها ولا يعطي نفسه شهواتها ولا يتمتع بها .

وذمَّ سبحانه محبيها المفتخرين بها المكاثرين بها الظانين أن الفضلَ والكرامةَ في سعتِهَا وبسطها فأكذبهم الله سبحانه وتعالى ، وأخبر أنه ليس كما قالوه ولا توهموه ، ومثلها لعباده بالأمثلة التى تدعوكل لبيب عاقل إلى الزهد فيها وعدم الوثوق بها والركون إليها ، فأحضرَ صورتَهَا وحقيقَتَهَا في قلوبهم بما ضربه لها مثلا كماءٍ أنزله من السماءِ فخالطَ نباتَ الأرضِ ، فلما أخذت الأرضُ زخرفَها وازَّيَّنَتْ به بأنواع النبات أتاها أمره فجعل تلك الزينة يبسًا هشيمًا تذروه الرياح كأن لم يكن قط منه شيء ، وأخبر سبحانه عن فنائها وسرعةِ انقضائِهَا وأنه إذا عاين العبد الأخرة فكأنه لبث فيها ساعةً من نهارٍ أو يومًا أو بعض يومٍ ، ونهى سبحانه عباده أن يغتروا بها .

وأخبرهم أنها لهو ولعبٌ وزينة وتفاخر وتكاثر ومتاع الغرور وطريقٌ ومعبرٌ إلى الآخرة وأنها عرض عاجل لابقاء له ولم يذكر مريدها بخير قط بل حيث ذكره ذمه وأخبر أن مريدها مخالف لربه تعالى فى إرادته ، فاللهُ يريد شيئًا ومريد [١٠٦/أ] الدنيا يريد خلافَهُ فهو مخالفٌ لربه بنفس إرادته ، وكفى بهذا بعدًا عنه سبحانه وأخبر سبحانه عن أهل النار أنهم إنما دخلوها بسبب غرور الدنيا وأمانيها لهم .

قالوا: وهذا كلُّه تزهيدٌ لهم منه سبحانه فيها وترغيبٌ فى التقللِ منها ما أمكن . قالوا : وقد عرضها سبحانه وعرض مفاتيح كنوزها على أحب الخلق إليه وأكرمهم عليه عبده ورسوله محمد ﷺ فلم يردها ولم يخترها ، ولو آثرها وأرادها لكان أشكر الخلق بما أخذه منها ، وأنفقه كله في مرضاة الله وسبيله قطعا ، بل اختار التَّقُلُّلَ منها وصبرَ على شدة العيش فيها .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن محمد حدثنا عباد - يعنى ابن عباد - حدثنا مجالد بن سعيد ، عن الشعبى ، عن مسروقٍ ، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت :

دخلت على امرأةٍ من الأنصار فرأت فراش رسولِ الله عباءة مثنية ، فرجعت إلى منْزلها فبعثت إليَّ بفراشٍ حشوه الصوف ، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال : « ما هذا ؟ » فقلتُ : فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فبعثت إلي بهذا ، فقال : « رُدِّيه » فلم أرده ، وأعجبني أن يكون في بيتي ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فقال : « يا عائشة رديه ، والله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة »[١] وعُرِضَ عليه مفاتيح كنوز الدنيا فلم يأخذها ، وقال : « بل أجوع يومًا وأشبع يومًا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك »[٢] .

وسأل ربه أن يجعل رزقه ورزق أهله قوتًا كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا** »[٣] وفيهما عنه قال : « **وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا شَبِعَ نَبِيُّ الله ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا** »[٤]. وفي صحيح البخاري عن أنس ﷺ قال : ما أعلم أن رسول الله رأى رغيفًا مُرَقَّقًا ولا شاة سميطا قط حتى لحق بربه[٥]. [١٠٦/ب]

وفي صحيحه أيضًا عنه قال : خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبعْ من خبز الشعير[٦].

وفي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ »[٧] ، وفي صحيح مسلم عن عمر ﷺ : لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دَقْلًا يملأُ بطنَهُ[٨].

---

(١) **ضعيف** : سبق تخريجه .

(٢) **ضعيف** : سبق تخريجه .

(٣) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٤) **صحيح** : البخاري (٥٣٧٤) مسلم (٢٩٧٦) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٥) **صحيح** : البخاري (٦٤٥٧) من حديث أنس ﷺ .

(٦) **صحيح** : البخاري (٥٤١٤) من حديث أنس ﷺ .

(٧) **صحيح** : البخاري (٦٤٥٤) مسلم (٢٩٧٠) من حديث عائشة – رضي الله عنها – .

(٨) **صحيح** : مسلم (٢٩٧٨) من حديث النعمان بن بشير ﷺ عنه به .

وفى المسند والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان رسولُ الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعات طاويًا وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير(١) قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وفى الترمذى من حديث أبي أمامة قال : « **مَا كَانَ يَفْضُلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ الله خُبْزَ الشَّعِيرِ** »(٢) .

وفي المسند عن عائشة – رضى الله عنها – : « والذي بعث محمَّدًا ﷺ بالحقِّ ما رأى مُنْخَلًا ولا أكل خبزًا مَنْخُولًا منذ بعثه الله ﷻ إلى أن قبض »(٣) قال عروة فقلت : فكيف كنتم تأكلون الشعير ؟ قالت :كنا نقول : أُفٍّ ، أي ننفخه فيطير ما طار ، ونعجن الباقى .

وفى صحيح البخارى عن أنس ﷺ قال : لقد رَهَن رسولُ الله ﷺ درعه بشعير ، ولقد سمعته يقول : « **مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلَا أَمْسَى وَإِنَّهُم لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ** »(٤).

وفى مسند الحارث عن أبى أسامة عن أنس أن فاطمة – رضى الله عنها – جاءت بكسرةِ خبز إلى النبي ﷺ ، فقال : « ما هذه الكسرةُ يا فاطمةُ ؟ » قالت : خبز خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة . فقال : « أما إنه أول طعام دخل فى فم أبيك منذ

---

(٥)**حسن** : الترمذي (٢٣٦٠) أحمد (١/ ٢٥٥) من طريق ثابت بن يزيد – أبو زيد الأحول – حدثنا هلال بن خباب عن عكرمة – مولى ابن عباس – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – . هلال بن خباب : وثقه ابن معين وغيره ، وقال ابن حبان : اختلط في آخر عمره ، فحدث بالتوهم ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ، وقال يحيى القطان : تغير – يعني بآخره – المغني (٦٧٧٦) ، وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد : سألت يحيى بن معين عن هلال بن خباب ، وقلت إن يحيى القطان يزعم أنه تغير قبل أن يمت واختلط فقال يحيى : لا ، ما اختلط ، ولا تغير . قلت ليحيى : فثقة هو ؟ قال : ثقة مأمور (تهذيب الكمال ٧/ ٤٣٢) .

(٦)**إسناده حسن** : الترمذي (٢٣٥٩) من حديث أبي أمامة ﷺ من طريق يحيى بن أبي بكير – نسر – حدثنا حريز بن عثمان عن سليم بن عامر – الكلاعي – الخبائري – عنه به .

(٣)**إسناده ضعيف** : أحمد (٦/ ٧١) من حديث عائشة – رضي الله عنها – . من طريق أبي الأشهب عن سليمان بن رمان مولى عروة عن عروة بن الزبير عنه به . سليمان بن رمان مولى عروة بن الزبير ، وعنه أبو الأشهل ، لا يدرك من هما ، وقال في الإكمال : مجهول (تعجيل المنفعة ٤١٠) ، والحديث عند البخاري (٥٤١٣) الترمذي (٢٣٦٤) ابن ماجة (٣٣٣٥) من حديث سهل بن سعد ﷺ : صحيح .

(٤)**صحيح** : البخاري (٢٥٠٨) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا .

ثلاثة أيام »[1].

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الواحد [١٠٧/أ] بن أيمن ، عن أبيه عن جابر ﷺ قال : لما حفر النبيُّ ﷺ الخندق أصابهم جهدٌ شديدٌ حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجرًا من الجوعِ [2].

وقد أسرف أبو حاتم بن حبان فى تقاسيمه فى ردِّ هذا الحديث وبالغ فى إنكاره وقال : المصطفى ﷺ أكرم على ربِّه من ذلك ، وهذا من وهمه وليس فى هذا ما ينقص مرتبته عند ربه ، بل ذلك رفعة له وزيادة فى كرامته وعبرة لمن بعده من الخلفاء والملوك وغيرهم ، وكأن أبا حاتم لم يتأمل سائر الأحاديث في معيشة النبي ﷺ وهل ذلك إلا من أعظم شواهد صدقه ؟ فإنه لو كان كما يقول أعداؤه وأعداء ربِّه أنه مَلِكٌ طالبُ مُلْكٍ ودنيا لكان عيشه عيش الملوك وسيرته سيرتهم ، ولقد توفَّاهُ اللهُ وإن درعه مرهونةٌ عند يهودي على طعام أخذه لأهله ، وقد فتح الله عليه بلاد العرب وجبيت إليه الأموال ، ومات ولم يترك درهمًا واحدًا ولا دينارًا ولا شاةً ولا بعيرًا ولا عبدًا ولا أَمَةً .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد بن مطرف عن أبى حازم عن عروة أنه سمع عائشة - رضي الله عنها - تقول : كان يمر بنا هلالٌ وهلالٌ ما يوقد فى بيت من بيوت رسول الله ﷺ نارٌ ، قلت : يا خالة فعلى أيِّ شيء كنتم تعيشون ؟ قالت : على الأسودين : التمر والماء[3] ، وقد تقدم حديث أبي هريرة ﷺ في قصة أبى الهيثم بن

---

(١) **إسناده ضعيف** : ابن أبي الدنيا (١٥ الجوع) ابن أبي الشيخ (٢٩٨ أخلاق) ابن سعد (١/ ٤٠٠ الطبقات الكبرى) الطبراني (٧٥٠ الكبير) من طريق أبي الوليد الطيالسي - هشام بن عبد الملك الباهلي - قال : حدثنا عمار بن عمارة أبو هشام صاحب الزعفران قال : حدثنا محمد بن عبد الله عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . محمد بن عبد الله البصري . قال البخاري في تاريخه : مجهول . قاله أبو حاتم (ميزان ٣/ ٥٨٢) (لسان الميزان ٥/ ٢٦٧) (الجرح والتعديل ٧/ ٣٠٨) (المغني ٥٦٩٨) . وأخرجه أحمد (٣/ ٢١٣ الزهد ٢١٠) حدثنا عبد الصمد ثنا عمار بن عمارة صاحب الزعفران عن أنس ﷺ مرفوعًا . عبد الصمد بن عبد الوارث قال ابن قانع : ثقة - يخطئ ، وقال الحاكم : ثقة مأمون ، وقال على بن المديني : عبد الصمد - ثبت في شعبة - تهذيب التهذيب (٦/ ٣٢٨) قلت : وهشام بن عبد الملك - أبو الوليد الطيالسي : ثقة - ثبت (تقريب ٧٢٩٠) .

(٢) **صحيح** : أحمد (٣/ ٣٠١) مختصرًا من حديث جابر ﷺ . البخاري (٤١٠١ - ٤١٠٢) مطولًا من حديث جابر ﷺ .

(٣) **صحيح** : البخاري (٦٤٥٩) مسلم (٢٩٧٢) أحمد (٦/ ٧١) من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

التَّيِّهان وإنه خرج رسول الله ﷺ من بيته فرأى أبا بكر وعمر - رضى الله عنهما - فقال : ما أخرجكما ؟ قالا : الجوع ، قال : ((**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا**))(١).

وذكر أحمد من حديث مسروق قال : دخلت [١٠٧/ب] على عائشة - رضي الله عنها - فدعت لي بطعام وقالت : ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت ، قال : قلت : لم ؟ قالت : أذكر الحال التى فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا ، والله ما شبع فى يوم مرتين من خبز البر حتى قُبِضَ(٢) ، وفيه عنها : ما شبع رسول الله ﷺ من خبزِ شعيرٍ يومين متتابعين حتى قبض(٣). والحديثان صحيحان . وفيه أيضًا عنها : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله ﷻ(٤) وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه : ما شَبعَ رسولُ الله ﷺ وأهلُهُ ثلاثًا تِبَاعًا من خبزِ البُرِّ حتى فارق الدنيا(٥).

وفى الترمذى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان النبي ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير(٦) وفيه أيضًا عن أنس عنه ﷺ : ((**لَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَت عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَالِي وَلِبِلَال مِنْ طَعامٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيء يُوَارِيهِ إِبطُ بِلَالٍ**))(٧). والحديثان صحيحان .

---

(١) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٢) لم أعثر عليه عند أحمد بهذا اللفظ ، وفي الزهد له (٩٠٦) حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما شبعت بعد النبي ﷺ من طعام إلا ولو شئت أن أبكي لبكيت ، وما شبع آل محمد ﷺ حتى قبض . أما ما ذكره ابن القيم - رحمه الله تعالى - : فهو عند ، الترمذي (٢٣٥٦) ابن أبي الدنيا (٥ الجوع) من طريق عباد بن عباد وحماد ابن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عنها به : ضعيف . مجالد بن سعيد : سبق له ترجمة .

(٣) **صحيح** : مسلم (٢٩٧٠) الترمذي (٢٣٥٧) ابن ماجه (٣٣٤٦) أحمد (٦/ ٩٨) من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

(٤) **صحيح** : البخاري (٦٦٨٧) أحمد (٦/ ١٢٧) من حديث عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - .

(٥) **صحيح** : البخاري (٥٣٧٤) مسلم (٢٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) إسناده حسن : سبق تخريجه .

(٧) **صحيح** : سبق تخريجه .

وفيه أيضًا عن أنس بن مالك ﷺ عن أبي طلحة ﷺ قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا حجرًا حجرًا فرفع رسولُ الله ﷺ عن بطنِهِ حجرين [١].

وفيه أيضا عن علقمة عن عبد الله ﷺ قال نام رسول الله ﷺ على حصير ، فقام وقد أثّر فى جنبيه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال : « **مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا** »[٢]. حسن صحيح .

وفيه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : خرجتُ فى يوم شاتٍ من بيت رسول الله ﷺ ، وقد أخذت إهَابًا معطونًا ، فجوَّبت وسطه [١٠٨/أ] ، وأدخلته فى عنقي فشددت به وسطي ، فحزمتُه بخوصٍ من النخل ، وإنى لشديدُ الجوع ، ولو كان فى بيت رسول الله ﷺ طعامٌ لطعمتُ منه ، فخرجت ألتمس شيئًا فمررت بيهودي فى مال له وهو يسقي بِبَكْرَةٍ له ، فَاطَّلَعْتُ عَلَيهِ مِنْ ثلمة من الحائط ، فقال : مالك يا أعرابي ، وهل لك في كلّ دلوٍ بتمرةٍ ؟ قلت : نعم ، فافتتح الباب حتى أدخل ، ففتح ودخلت فأعطاني دلوه ، فكلما نزعت دلوًا أعطاني تمرة حتى امتلأت كفي أرسلت دلوه وقلت : حسبى فأكلتها ، ثم جَرَعْتُ من الماء فشربت ثم جئت المسجدَ فوجدت رسول الله ﷺ فيه[٣].

وقال سعد بن أبى وقاص ﷺ : لقد رأيتنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلَّا الحبلة وهذا السَّمرُ[٤]. والحُبلة : ثمر العِضَاةِ ذات الشوك . وهو حديث صحيح .

وكـان ﷺ يصـلي من الليـل أحـيانًا وعليـه كساءُ صـوفٍ بعضه عليـه وبعضـه عـلى

---

(١) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٢٣٧١) أحمد (٩٧٤) الزهد) من طريق سيار بن حاتم عن سهل بن أسلم عن يزيد ابن أبي منصور عن أنس ﷺ عن أبي طلحة ﷺ . سيار بن حاتم العنزي . قال أبو داود عن القواريري : لم يكن له عقل : قلت : يتهم ؟ ، قال : لا ، قال ابن حبان : كان جماعًا للرقائق ، قال أبو أحمد الحاكم : في حديثه مناكير ، وقال العقيلي : أحاديثه مناكير ، ضعفه ابن المديني ، وقال الأزدي : عنده مناكير (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٠) .

(٢) **صحيح لغيره** : سبق تخريجه .

(٣) **ضعيف - منقطع إلى علي بن أبي طالب** ﷺ : الترمذي (٢٤٧٣) من طريق يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي حدثني من سمع علي بن أبي طالب ﷺ فذكره . يزيد بن زياد : وثقه النسائي ، وقال البخاري : لا يتابع على حديثه (ميزان ٤/ ٣٨٦) . قول محمد بن كعب القرظي : حدثني من سمع علي ﷺ ، لم يصرح عن من سمع منه .

(٤) **صحيح** : البخاري (٦٤٥٣) مسلم (٢٩٦٦) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ .

عائشة[1]. قال الحسن : أثمان ستة دراهم أو سبعة[2].

وقال أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا أبو زائدة حدثنا عطاء عن أبيه عن علي ﷺ قال : جَهَّزَ رسولُ الله ﷺ فاطمة في خميلٍ وقربةٍ ووسادةٍ من أدم حشوها لِيف[3]. والخميل : الكساء الذي له خمل .

قال : وحدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد قال : قال أبو بردة : دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة ، فقالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين الثوبين[4].

قالوا : ولو كان الغنى مع الشُّكر أفضلُ من الفقر مع الصبر لاختاره رسولُ الله ﷺ إذ عرضت عليه الدنيا ، ولأمره ربُّه أن يسألَهُ إياه كما أمره أن يسأله زيادة العلم ، ولم يكن رسولُ الله ﷺ ليختارَ إلا ما اختاره اللهُ له ، ولم يكن الله [١٠٨/ب] ليختارَ له إلا الأفضل إذ كان أفضل خلقه وأكملهم .

---

(١) **صحيح** : أبو داود (٦٣١) حدثنا أبو الوليد الطيالسي ثنا زائدة - ابن قدامة - عن أبي حصين - عثمان بن عاصم ابن حصين - عن أبي صالح - ذكوان السمان - عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ صلى في ثوب واحد ، بعضه علي ، وله شاهد عند ابن حبان (٣٥٠ موارد) من طريق سريج بن يونس حدثنا سفيان - ابن عيينة - عن أبي إسحاق الشيباني - سليمان بن أبي سليمان - الكوفي - عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن ميمونة رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ - أن النبي ﷺ صلى في مرط لبعض نسائه وعليها بعضه : صحيح .

(٢) **مرسل إلى الحسن بن أبي الحسن البصري** : أحمد (٧٤ الزهد) حدثني يزيد بن هارون أنبأنا هشام بن حسان عن الحسن قال : كان رسول الله ﷺ يصلي في مروط نسائه ، وكان مرطهن أكسية من صوف لها أعلام من صوف - أثمان ستة دراهم أو سبع . هشام بن حسان - من أثبت الناس في ابن سرين ، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال ، لأنه قيل : كان يرسل عنهما (تقريب ٧٢٧٨) . الحسن البصري : سبق له ترجمة .

(٣) **حسن** : أحمد (٧٠ الزهد ، ١/ ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، مسند) النسائي (٦/ ١٣٥) ابن ماجة (٤١٥٢) الحاكم (٢/ ١٨٥) من طريق أبي سعيد - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد - البصري - مولى بني هاشم ، ومعاوية بن عمرو وأبو أسامة - حماد بن أسامة - عن زائدة بن قدامة وحماد بن سلمة ومحمد بن فضيل عن عطاء ابن السائب عن أبيه عن علي ﷺ . عطاء بن السائب . قال الطبراني : ثقة ، اختلط في آخر عمره ، فما رواه عنه المتقدمون فهو صحيح ، مثل . سفيان وشعبة ، وزهير وزائدة - ابن قدامة - قال الحافظ ابن حجر : فيحصل لنا من مجموع كلامهم أن ، سفيان الثوري ، وشعبة ، وزهير وزائدة وحماد بن زيد وأيوب عنه صحيح ومن عداهم ، يتوقف فيه إلا حماد بن سلمة ، فاختلف قولهم (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٠٧) .

(٤) **صحيح** : أحمد (٦/ ٣٢) البخاري (٣١٠٨) مسلم (٢٠٨٠) من حديث عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - .

قالوا : وقد أخبر النبى ﷺ أن خير الرزق ما كان بِقَدْرِ كِفَايَةِ الْعَبْدِ فلا يعوزه ما يضره ولا يفضل عنه ما يطغيه ويلهيه .

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن مهدى ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن خليد العصرى ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : ما طلعت شمسٌ قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : يا أيها الناسُ هلُمُّوا إلى ربكم ، فإن ما قل وكفى خيرٌ مما كثر وألهى ، ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعطِ ممسكًا تَلَفًا[1].

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى لبيبة عن سعد بن مالك ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ الرزقِ ما يكفي وخيرُ الذكرِ الخفي »[2].

---

(١) **مرسل** : أحمد (٥/ ١٩٧ ، ١٠٢ الزهد) ابن حبان (٢٤٧٦ موارد) الحاكم (٢/ ٤٤٥) من طريق قتادة عن خليد - ابن عبد الله - العصري عن أبي الدرداء ؓ مرفوعًا . خليد بن عبد الله العصري - أبو سليمان البصري - يقال : إنه مولى لأبي الدرداء ، صدوق ، يرسل (تقريب ١٧٣١) قلت (محمد) : قد فرق ابن أبي حاتم بين خليد مولى أبي الدرداء الشامي ، وخليد بن عبد الله العصري - أبو سليمان البصري - قال : خليد بن عبد الله العصري ، روى عن أبي ذر وأبي الدرداء ، روى عنه قتادة وأبو الأشهب . أما خليد مولى أبي الدرداء شامي ، روى عن أبي الدرداء ، روى عنه قتادة وأبو الأشهب - أما خليد مولى أبي الدرداء - شامي ، روى عن أبي الدرداء ، روى عنه طلحة بن نافع وعثمان بن أبي سودة وعطاء الخرساني (الجرح والتعديل ٣/ ٣٨٣) ، وذكر إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه لم يسمع من سلمان . قال : فقلت : يقول : لما ورد علينا سلمان ؟ قال : يعني بالبصرة . قال ابن حجر : وعلى هذا فيبعد سماعه من عليّ وأبي ذر - رضي الله عنها - . أما أبو الدرداء (تهذيب التهذيب ٣/ ١٥٩)
قلت (محمد) : كأنه لا يطمئن لقول ابن حبان ، وابن حبان لا يجزم بأنه مولى لأبي الدرداء بل قال : يقال ، أي بصيغة التمريض ، كأنه أيضًا لا يطمئن لهذا القول . والجزء الأخير من الحديث عند البخاري (١٤٤٢) من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعًا .

(٢) **ضعيف ، مرسل** : أحمد (١/ ١٧٢ ، ١٨٠ ، ٥٤ الزهد) ابن حبان (٢٣٢٣ موارد) من طريق محمد ابن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن سعد بن مالك ؓ مرفوعًا ، وهو سعد بن أبي وقاص وأبو وقاص هو مالك بن وهيب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب . محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة . قال الدارقطني : ضعيف بمراسيل عن سعد وابن عمر (الضعفاء والمتروكين ٤٥٥) ، وعن ابن معين : ابن أبي لبيبة الذي يحدث عنه وكيع ، ليس حديثه بشيء (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠١) قال أبو حاتم ، وأبو زرعة : لم يدرك سعدًا ، وحديثه عن عليّ وسعد مرسل (تحفة التحصيل ٩٣٣) .

وتأمل جمعه في هذا الحديث بين رزقِ القلبِ والبدنِ : رزق الدنيا والآخرة وإخباره أن خير الرزقين ما لم يتجاوز الحدَّ فيكفي من الذكر إخفاؤه ، فإن زاد على الإخفاء خيف على صاحبه الرياء والتكبر به على الغافلين ، وكذلك رزقُ البَدَنِ إذا زاد على الكفايةِ خيف على صاحبه الطغيان والتكاثُرُ .

قالوا : وقد غَبَطَ رسولُ الله ﷺ المتقلل من الدنيا ما لم يغبط به الغنيَّ . قال الإمام أحمد :حدثنا وكيع ، حدثنا علي بن صالح ، عن أبي المهلب ، عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظٍّ من صلاة أحسن عبادة ربِّه وكان غامضًا في الناس لا يشار إليه بالأصابع فعجلت منيته وقل تُرَاثه وقلت بواكيه »(1) قال عبد الله بن أحمد : [١٠٩/أ] سألت أبي ما تراثه ؟ قال ميراثه .

قالوا : وحميةُ الله لعبده المؤمن عن الدنيا إنما هو من محبَّتِهِ له وكرامته ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَحْمِي عَبْدَهُ المؤمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرْضَاكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ**

(1) **ضعيف جدًّا** : أحمد (٥/ ٢٥٢ ، ٥٥ الزهد) ابن المبارك (١٩٦ زوائد الزهد) الترمذي (٢٣٤٧) الحاكم (٤/ ١٢٣) البيهقي (١٩٦ الزهد الكبير) من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد - الألهاني - عن القاسم عن أبي أمامة ﷺ مرفوعًا . الإسناد كله : سبق له ترجمة . وله إسناد آخر عند أحمد (٥/ ٢٥٥) من طريق ليث بن أبي سليم عن عبد الله - ابن العلاء بن زبر - عن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي عن أبي أمامة ﷺ مرفوعًا . ثم ذكر عقب هذا الإسناد ، إسناد آخر من طريق أبي المهلب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد ... فذكر الحديث ونقر بيده . قلت (محمد) : عند البيهقي في الزهد الكبير (١٩٧) ليث بن أبي سليم عن عبد الله الإفريقي عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ﷺ مرفوعًا . ليث بن أبي سليم : سبق له ترجمة . أبو المهلب - مُطَّرِح بن يزيد - نزيل الشام : ضعيف (تقريب ٦٦٩٣) ، وله إسناد آخر عند ابن ماجه (٤١١٧) من طريق صدقة بن عبد الله - السمين - عن إبراهيم بن مرة عن أيوب بن سليمان عن أبي أمامة ﷺ مرفوعًا . صدقة بن عبد الله - السمين : سبق له ترجمة . أيوب بن سليمان - الشامي - ضعيف (تقريب ٦٢٠) وقال الذهبي - أيوب بن سليمان عن أبي أمامة : مجهول (ميزان ١/ ٣٠١) .

عَلَيْهِمْ »[١] قالوا : وقلَّ أن يقع إعطاء الدنيا وتوسعتها إلا استدراجًا من الله لا إكرامًا ومحبة لمن أعطاه .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان ، حدثنا رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران النجيبي ، عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنما هُو اسْتِدْرَاجٌ** » ثم تلا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [**الأنعام : ٤٤**][٢] قالوا : ولهوانِ الدنيا على الله مَنَعَهَا أكثرَ أوليائه وأحبائه .

---

(١) **حسن**: أحمد (٥٦ الزهد ، ٥/ ٤٢٧ مسند) الحاكم (٤/ ٢٠٨) من طريق عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد ﷺ مرفوعًا . عمرو بن أبي عمرو : سبق له ترجمة . محمود بن لبيد . قال ابن أبي حاتم : قال البخاري : له صحبة فخط أبي عليه ، وقال : لا يعرف له صحبة . روى عن ابن عباس روى عنه عاصم بن عمر بن قتادة ، سمعت أبي يقول ذلك . الجرح والتعديل (٨/ ٢٨٩ - ٢٩٠) وقال الترمذي : محمود بن لبيد قد أدرك النبي ﷺ ورآه وهو غلام صغير ، وقال أيضًا : روى هذا الحديث عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ مرسلًا ، وقال العلائي : ولد في حياة النبي ﷺ وروى عنه أحاديث . أخرج النسائي منها حديثًا وهي مراسيل وجزم ابن حبان بصحبته (تحفة التحصيل ٩٩٠) . وعند الترمذي (٢٠٣٦) وأحمد (٥٧ الزهد) وابن حبان (٢٤٧٤ موارد) والحاكم (٤/ ٢٠٧) من طريق عمارة بن غزية عن عاصم بن عُمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان ﷺ مرفوعًا . « **إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا ، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء** » . قال الترمذي : هذا حديث حسن - غريب . عمارة بن غَزِيَّة : قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه ، وأبو زرعة : ثقة ، وقال يحيى بن معين : صالح ، وقال أبو حاتم : ما بحديثه بأس ، كان صدوقًا ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال ابن سعد : كان ثقة - كثير الحديث (تهذيب الكمال ٥/ ٣٢٩) .

(٢) **حسن لغيره**: أحمد (٤/ ١٤٥ ، ٦٢ الزهد) ابن أبي الدنيا (٣٢ الشكر) من طريق رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا .

رشدين بن سعد أبو الحجاج - المصري : ضعيف - رجح . أبو حاتم عليه ابن لهيعة ، وقال ابن يونس : كان صالحًا في دينه ، فأدركته غفلة الصالحين ، فخلط في الحديث (تقريب ١٩٢٩) . وله شاهد عند الروياني (٢٦١ مسند) من طريق عبد الله بن وهب . قال : حدثني حرملة - ابن عمران - أبو حفص المصري - وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا . وآخر عند ابن جرير الطبري (٧/ ١٢٤ تفسير) من طريق بقية بن الوليد عن أبي شريح - ضبارة بن مالك عن أبي الصلت - الشامي - عن حرملة أبي عبد الرحمن عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا بقية بن الوليد : يروى عمن دب ودرج وله غرائب تستنكر أيضًا عن الثقات لكثرة حديثه . قال ابن خزيمة : لا أحتج ببقية ، وقال أحمد بن حنبل : له مناكير عن الثقات ، وقال ابن عدي : لبقية =

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ من أمتي لو أتى بابَ أحدكم فسأله دينارًا لم يعطه إياه ، ولو سأله فلسًا لم يعطه إياه ، ولو سأل اللهَ تعالى الجنةَ لأعطاها إياه ، ولو سأله الدُّنيا لم يعطها إياه ، وما يمنَعُها إياها لهوانه عليه ، ذو طِمْرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره »[1] وهذا يدل على أنه إنما يمنعُهُ إياها لهوانها عليه لا لهوانه هو عليه ، ولهذا يعطيه أفضل منها وأجلَّ فإن الله تعالى يُعطي الدنيا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ، ولا يُعْطي الآخرة إلا مَنْ يُحِبُّ .

قالوا : وقد أخبر النبي ﷺ أن أقربهم منه يوم القيامة مجلسًا ذووالتقلُّلِ من الدنيا الذين لم يستكثروا منها . **قال الإمام أحمد** : حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن عمرو قال : سمعت عراك بن مالك يقول : قال أبو ذر : إني لأقربكم مجلسا من رسول الله ﷺ [١٠٩ / ب] يوم القيامة وذلك إني سمعته يقول : « إن أقربكم منى مجلسًا يوم القيامة من خرجَ من الدنيا كهيئةِ ما تركته فيها »[2] وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبَّثَ منها

= أحاديث صالحة ويخالف الثقات ، وإذا روى عن غير الشامين خلط كما يفعل إسماعيل بن عياش ، وقال غير واحد : كان يدلس عن قوم متروكين . قال ابن حبان : سمع من شعبة ومالك وغيرهما أحاديث مستقيمة ، ثم سمع من قوم كذابين عن شعبة ومالك فروى عن الثقات بالتدليس - يعني وأسقط أولئك الكذابين بينه وبينهم - فلا يحتج به ، وقال ابن معين وأبو زرعة وغيرهما : إذا روى بقية عن ثقة فهو حجة . قال ابن المبارك : أعياني بقية ، يسمى الكنى ويكنى الأسماء ، وقال النسائي : إذا قال ثنا أنبا فهو ثقة ، وإذا قال : عن فلان وفلان ، فلا روى مسلم متابعة فقط (المغني ٩٤٤) . ضبارة بن عبد الله بن مالك : مجهول (تقريب ٢٩٥٧) حرملة - أبو عبد الرحمن - الصواب - أنه حرملة بن عمران - أبو حفص - المصري - يعرف بالحاجب : ثقة (تقريب ١١٧٧) ، وله شاهد آخر عند ابن كثير (٢/ ١٣٥ تفسير) عزاه لابن أبي حاتم . حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عراك ابن خالد بن يزيد حدثني أبي عن إبراهيم بن أبي عبلة عن عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعًا « إذا أراد لله بقوم بقاء أو نماء ، رزقهم القصد والعفاف ، وإذا أراد بقوم اقتطاعًا فتح لهم أو فتح عليهم باب خيانة حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون . عراك بن خالد ابن يزيد : لين (تقريب ٤٥٣٩) .

(١) **مرسل** : أحمد (٦٦ الزهد) . سالم بن أبي الجعد - رافع الغطفاني : ثقة ، وكان يرسل كثيرًا (تقريب ٢١٥٩) ، وله شاهد عند مسلم (٢٦٢٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا « رب أشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره » صحيح .

(٢) **منقطع** : أحمد (٥/ ١٦٥ ، ٧٩٤ الزهد) من طريق عراك بن مالك قال : قال أبو ذر ﷺ فذكره مرفوعًا . عراك بن مالك . قال الإمام أحمد : لم يسمع من عائشة ﷺ قال : من أين سمع من عائشة ماله ولعائشة . قال العلائي : أخرج مسلم لعراك بن مالك عن عائشة حديث : جاءتني مسكينة ، والظاهر أن ذلك على قاعدته المعروفة .ا.هـ =

بشيء غيري .

قالوا : وقد غَبَطَ النبي ﷺ من كان عيشُهُ كفافًا وأخبر بفلاحِهِ . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا حيوة قال : أخبرني أبو هانيء أن أبا علي الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ** »[1].

وذكر أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ** »[2] . **قالوا** : ولو لم يكن في التقلل إلا خفة الحساب لكفى به فَضْلًا على الغنى . قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا بيان بن الحكم حدثنا محمد بن حاتم قال : حدثني بشر بن الحارث ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن هشام ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثةٌ لا يحاسب بهن العبدُ : ظلُّ خصٍّ يستظل به ، وكسرةٌ يشد بها صُلْبَهُ ، وثوبٌ يواري عورتَهُ »[3].

وقال الإمام أحمد : حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا ليث عن أبي عثمان قال : لما افتتح المسلمون جوجى دخلوا يمشون فيها وأكداس الطعام فيها أمثال الجبال وكان رجل يمشي إلى جنب سلمان فقال : يا أبا عبدِ الله ألا ترى إلى ما فتح الله علينا ، ألا ترى إلى ما أعطانا الله فقال سلمان : وما يعجبك مما ترى إلى جنب كل حبة مما ترى حساب[4].

= (تحفة التحصيل ٦٨٤) .

قلت (محمد) : من باب أولى عدم سماعه من أبي ذر ﷺ فإن عائشة - رضي الله عنها - ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح (تقريب ٨٦٢٢) ، ومات أبو ذر ﷺ سنة اثنين وثلاثين من خلافة عثمان ﷺ (تقريب ٨٠٨٠) .ا.هـ

(١) **حسن** : أحمد (٦/ ١٩- ٤٠ الزهد) ابن المبارك (٥٥٣ الزهد) الترمذي (٢٣٤٩) ابن حبان (٢٥٤١ موارد) الحاكم (١/ ٣٥) من حديث فضالة بن عبيد ﷺ مرفوعًا . أبو هانيء - حميد بن هانيء - الخولاني - المصري : لا بأس به (تقريب ١٥٥١) . أبو علي - الجنبي - عمرو بن مالك الهمداني : ثقة (تقريب ٥٠٩٥) .

(٢) **صحيح** : مسلم (١٠٥٤) أحمد (٢/ ١٦٨ ، ٣٩ الزهد) الترمذي (٢٣٤٨) ابن ماجه (٤١٣٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - مرفوعًا .

(٣) **ضعيف - مرسل** : أحمد (٦٤ الزهد) . هشام بن حسان عن الحسن : سبق . الحسن البصري عن النبي ﷺ: سبق .

(٤) **ضعيف** : أخرجه البيهقي (١٠٦٥٤ الشعب) سيار بن حاتم العنزي : سبق له ترجمه . ليث بن أبي سليم : سبق له ترجمه . أبو عثمان هو : عبد الرحمن بن مُلّ النهدي : مخضرم - ثقة ثبت - عابد (تقريب ٤٠٠٨) .

قالوا: وقد شهد النبيُّ ﷺ لأصحابه أنهم يوم فقرهم وفاقتهم خيرٌ منهم يوم غناهم وبسط الدنيا عليهم . **قال الإمام أحمد**: حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن قال : قال نبيُّ الله ﷺ : « يا أهلَ الصُّفَّةِ كَيْفَ أَنْتُمْ ؟ » قالوا : نحن بخير . قال : « أنتم اليومَ خيرٌ أم يوم تغدو على أحدكم جفنةٌ ، وتروحُ أخرى ، ويغدو في حُلَّةٍ ، ويروح في أخرى ، وتسترون بيوتكم بمثل أستار الكعبة ؟ » قالوا : [١١٠ / أ] يا نبي الله ! نحن يومئذ خيرٌ يعطينا ربُّنا تبارك وتعالى فنشكرُ . قال : « بل أنتم اليوم خير »[(١)]
فهذا صريح في أنهم في وقت صبرهم على فقرهم خيرٌ منهم في وقت غناهم مع الشُّكرِ .

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا ابن عمر ، حدثنا حفص بن غياث عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود عن طلحة البصري . قال : قدمت المدينة ولم يكن لي بها معرفة ، فكان يجري علينا مُدٌّ من تمر بين اثنين ، فصلى بنا رسول الله ﷺ صلاةً ،

---

(١) **لم أعثر عليه**: وهو من مراسيل الحسن البصري - رحمه الله تعالى - . عبد الصمد : هو ابن عبد الوارث : صدوق (تقريب ٤٠٧١) . أبو الأشهب : هو جعفر بن حيان السعدي - العُطاردي : ثقة (تقريب ٩٣٨) الحسن البصري : سبق له ترجمه ، والفقرة الأخيرة لها شاهد عند الترمذي (٢٤٧٦) حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن زياد - ابن مسيرة ، المدني - عن محمد بن كعب القرظي حدثني من سمع علي بن أبي طالب ﷺ يقول : إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع مصعب بن عمير ﷺ ما عليه إلا بردة له مرقعة بغزو ، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى الذي كان فيه من النعمة والذي هو اليوم فيه ، ثم قال رسول الله ﷺ: كيف بكم إذا أحدكم في حلة...الحديث)) في إسناده من لم يسم . ولها شاهد آخر عند أحمد (١٠٩٢ الزهد) حدثنا عفان - ابن مسلم بن عبد الله الصفار - حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا أبو جعفر - عمير بن يزيد بن حبيب - الخطمي عن محمد بن كعب القرظي قال : دُعي عبد الله بن يزيد الخطمي إلى طعام فلما جاء رأى البيت منجدًا ، فقعد خارجًا وبكى قالوا : ما يبكيك قال : كان رسول الله ﷺ إذا شيع جيشًا ، فبلغ عقبة الوداع قال : استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم ، فرأى رجلاً ذات يوم قد رقع بردة له بقطعة فرو ، قال : فاستقبل مطلع الشمس وقال بيده - وصف حماد ببطن الكفين - ومد بيده ، تطلعت عليكم الدنيا - تطلعت عليكم الدنيا - أي أقبلت . حتى ظننا أن تقع علينا ثم قال : أنتم اليوم خير أم إذا غدت عليكم قصعة وراحت أخرى ، ويغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ... الحديث : إسناده حسن .

عبد الله بن يزيد الأنصاري الخطمي : صحابي صغير - ولى الكوفة لابن الزبير - (تقريب ٣٦٩٧) . ولها شاهد آخر عند أحمد (٢٠٢ الزهد) حدثنا عبد الوهاب - ابن عطاء الخفاف - عن سعيد - ابن أبي عروبة - عن قتادة قال ذكر لنا أن النبي ﷺ دخل على أهل الصفة ، وكان يجتمع بها فقراء المسلمين ، وكانوا يرقعون ثيابهم بأدم ، ولا يجدون رقاعًا فقال : أنتم اليوم أو يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أُخرى ... الحديث : مرسل .

فهتف به هاتفٌ من خلفه ، فقال : يا رسول الله قد أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الكُنُفُ . فخطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : « والله لو أجد لكم اللحم والخبزَ لأطعمتكموه ، وليأتين عليكم زمانٌ تغدو على أحدكم الجفانُ وتراح ، ولتلبسنَّ بيوتَكُمْ مثل أستارِ الكعبةِ » .

قالوا : يا رسول الله نحن اليوم خير منا أو يومئذ ؟ قال : « بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ ، أنتم اليوم خير منكم يومئذ ؛ يضرب بعضكم رقاب بعض »[(١)].

قال الإمام أحمد : وحدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ دخل على أهل الصفة فذكر نحوه[(٢)].

قالوا : ولولم يكن في الغنى والمال إلا أنه فتنة ، وقل من سَلِم من إصابتها له وتأثيرها في دينه ؛ كما قال تعالى : ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال :٢٨] وفي الترمذي من حديث كعب بن عياض قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال »[(٣)] . قال : هذا حديث حسن صحيح .

قالوا : والمال والغِنَى يدعوا إلى النار ، والفقر يدعو إلى الجنَّةِ . **قال الإمام أحمد** : حدثنا يزيد ، حدثنا أبو الأشهب ، حدثنا سعيد بن أيمن مولى كعب بن سور قال : بينا رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ جاء رجلٌ من الفقراء فجلسَ إلى جنبِ رجلٍ من الأغنياء فكأنه قبض من ثيابه عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « أخشيت يا فلان أن يغدو

---

(١) **مرسل إلى طلحة** - ابن عمرو - النصري ؓ : أحمد (١٣٧ الزهد - ٣/ ٤٨٧ مسند) ابن حبان (٢٥٣٩ موارد) الطبراني (٨١٦٠ الكبير) الحاكم (٣/ ١٥-٤/ ٥٤٨) من طريق داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود عنه به . طلحة بن عمرو النصري ، ويقال : طلحة بن عبد الله أحد بني ليث من أهل الصفة له صحبة ، روى عنه أبو حرب بن أبي الأسود الديلي : مرسل (الجرح والتعديل ٤/ ٤٧٢) .

(٢) **مرسل** : سبق تخريجه .

(٣) **إسناده ليس بالقوي** : الترمذي (٢٣٣٦) أحمد (٤/ ٦٠) ابن حبان (٢٤٧٠ موارد) الحاكم (٤/ ٣١٨) من طريق معاوية بن صالح (ابن حُدَيْر - الحضرمي - الحمصي) عن كعب بن عياض ؓ مرفوعًا . معاوية بن صالح ابن حُدير : وثقه أحمد وأبو زرعة وغيرهما ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وكان القطان لا يرضاه (المغني ٦٣١٦) قال ابن خيثمة : وكان معاوية يغرب بحديث أهل الشام جداً (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢١١) وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - له أوهام (تقريب ٦٧٥٢) .

غناك عليه أو أن يغدو فقره عليك ؟ » قال : يارسولَ الله ! وشر الغنى ؟! قال : « نعم إن غناك يدعوك إلى النار وإن فقره يدعوه إلى الجنة » قال : فما ينجيني منه قال : « تُوَاسِيهِ » قال : إذن [١١٠ / ب] أفعل ، فقال الآخر : لا إرب لي فيه ، قال : « فاستغفر وادع لأخيك »[١].

قالوا : وحقُّ الغِنَى أعظم من أن يقوم العبد بشكره ، وقد روى الترمذي في جامعه من حديث عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ قال : « ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيتٌ يسكنُهُ ، وثوبٌ يواري به عَوْرَته ، وجِلْفُ الخبزِ والماءِ »[٢]. قال هذا . حديث حسن صحيح .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَأَنْ تُمْسِكهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى** »[٣].

---

(١) **ضعيف - مرسل** : أحمد (٢٠٧ الزهد) سعيد بن أيمن - مولى كعب بن سور - مستور - ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (الجرح والتعديل ٤/ ٢) وقيل شيبة بن أيمن (الجرح والتعديل ٤/ ٣٣٦) قلت : لم يدرك النبي ﷺ ، والقصة مرسلة .

(٢) **منكر** : الترمذي (٢٣٤١) أحمد (١/ ٦٢) ابن أبي الدنيا (١٧٢ الجوع) الحاكم (٤/ ٣١٢) أبو نعيم (١/ ١٠٠ الحلية) العقيلي (١/ ٢٨٨ الضعفاء والمتروكين) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٣٤) من طريق حديث ابن السائب (التميمي ، وقيل الهلالي - البصري المؤذن) حدثني الحسن - البصري - عن حمران بن أبان عن عثمان بن عفان ﷺ مرفوعًا . حريث بن السائب - قال أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -: روى عن الحسن عن حمران عن عثمان ﷺ حديثًا منكرًا - يعني الذي أخرجه الترمذي - وقد ذكر الأثرم عن أحمد علته فقال : سُئل أحمد عن حريث فقال : هذا شيخ بصري روى حديثًا منكرًا عن الحسن عن حمران عن عثمان ، فذكره قال - الأثرم - قلت : قتادة يخالف ؟ قال : نعم ، سعيد عن قتادة عن الحسن عن حمران عن رجل من أهل الكتاب .

قال أحمد : حدثنا روح ثنا سعيد - يعني عن قتادة به (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٣٤) قال العقيلي : حريث ابن السائب عن الحسن ، ولا يتابع على حديثه (الضعفاء الكبير ١/ ٢٨٧) قال الحافظ ابن حجر : صدوق - يخطئ (تقريب ١١٨٣) قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن حريث بن السائب فقال : ضعيف الحديث ، جابر الجعفي أحب إلينا منه ، وصاعد بن مسلم ؟ كذا حدثنا به ، كتبت ثانيًا من أصله فقال : حريث بن السائب ، ما به بأس (الجرح والتعديل ٣/ ٣٦٤) .

(٣) **حسن** : مسلم (١٠٣٦) الترمذي (٢٣٤٣) أحمد (٥/ ٢٦٢) من طريق عكرمة بن عمار عن شداد بن عبد الله قال : سمعت أبا أمامة ﷺ فذكره مرفوعًا . عكرمة بن عمار : صدوق - يغلط - وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير =

وفى صحيحه أيضًا من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد ﷺ قال : بينما نحن في سفر مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له ، فجعل يضرب يمينًا وشمالًا ، فقال رسول الله ﷺ : « **مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ مِنْ ظُهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ** » . قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى ظننا أنه لا حق لأحد منا في فضلٍ(١).

قالوا : فهذا موضعُ النظرِ في تفضيلِ الغنيِّ الشَّاكرِ ببذل الفضل كله ، وأما غني يمتَّعُ بأنواع الفضلِ ويشكر بالواجبِ وبعض المستحب فكيف يفضل على فقير صابرٍ راضٍ عن الله في فقره ؟

قالوا : وقد أقسم رسولُ الله ﷺ لأصحابه وهم أئمة الشاكرين : أنه لا يخافُ عليهم الفقرَ ، وإنما يخاف عليهم الغنى ففي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف وكان شهد بدرًا أن رسولَ الله ﷺ بعثَ أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها ، وكان رسول الله ﷺ صالح أهلَ البحرين ، وأَمَّرَ عليهم العلاءَ بن الحضرمي ؛ فقدم أبو عبيدة ﷺ بمالٍ من البحرين ؛ فسمعت الأنصارُ بقدوم أبي عبيدة ؛ فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ ، فلمَّا صلَّى رسول الله ﷺ انصرف ؛ فتعرضوا له ، فتبسم رسولُ الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال : « **أَظُنُّكُمْ** [١١١ / أ] **سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ** » فقالوا : أجل يا رسول الله . قال : « **فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ فَتَنَافَسُوها كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ** »(٢).

قال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : قيل لأبي ثعلبة الخشني ﷺ : أين دنياكم والتي كنتم تعدونا يا أصحاب محمد ؟ قال : « ليبشرَ الآخر

= اضطراب ، ولم يكن له كتاب (تقريب ٤٦٦٣) ، والفقرة الأخيرة لها شاهد عند البخاري (١٤٢٧) من حديث حكيم بن حزام ﷺ مرفوعًا « اليد العُليا خيرٌ من اليد السفلى ، ابدأ بمن تعول ... الحديث » .

(١) **صحيح**: مسلم (١٧٢٨) أبو داود (١٦٦٣) أحمد (٣/ ٣٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا .

(٢) **صحيح**: البخاري (٣١٥٨) مسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﷺ مرفوعًا .

بدنيا قد ظلَّتْ تأكلُ - والله الذي لا إله إلا هو - الإيمانُ كما تأكلُ النارُ الحطبَ الجزل »[(١)].

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا هشام بن حسان قال : سمعت الحسن يقول : « والله ما أحدٌ من الناسِ بسط اللهُ له دنياه فلم يَخفْ أن يكون قد مكر به فيها إلا كان قد نقص علمُهُ ، وأعجز رأيه وما أمسكها الله عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها إلا كان قد نقص علمه وعجز رأيه[(٢)].

قالوا : وقد مرَّ على النبي ﷺ فقيرٌ وغنيٌّ فقال عن الفقير : « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » وروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد ﷺ قال : مر رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال : « **مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟** » فقالوا : حريٌّ إن خطب أن ينكح ، وإنْ شفعَ أنْ يشفعَ ، وإنْ قالَ أن يُسْمَعَ قال : ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : « **مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟** » قالوا : حريٌّ إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفَّع وإن قال أن لا يسمع لقوله ، فقال رسول الله ﷺ : « **هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلِ هَذَا** »[(٣)].

وقد بشَّرَ رسولُ الله ﷺ الفقراءَ الصابرين بما لم يبشر به الأغنياء ، ففي الترمذي من حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعرابي : هؤلاء مجانين ، فإذا صلَّى رسولُ الله ﷺ انصرف إليهم وقال : « **لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً** »[(٤)]. قال فضالة : وأنا يومئذٍ [١١١ / ب] ، مع رسول الله ﷺ

---

(١) لم أعثر عليه فيما بين أيدينا من كتب الإمام أحمد . إسناده - ضعيف إلى الحسن - والحسن عن أبي ثعلبة الخشني : مرسل . هشام بن حسان عن الحسن : سبق له ترجمة . الحسن بن أبي الحسن البصري : سبق له ترجمة .

(٢) **مرسل** : أحمد (٢٠٠ الزهد) أبو نعيم (٦/ ٢٩٥ الحلية) . هشام بن حسان عن الحسن البصري : سبق له ترجمة .

(٣) **صحيح** : البخاري (٦٤٤٧) من حديث سهل بن سعد ﷺ مرفوعًا .

(٤) **إسناده حسن** : الترمذي (٢٣٦٨) أحمد (٦/ ١٨-١٩) ابن حبان (٢٥٣٨ موارد) الحاكم (١/ ٢٣٠) من طريق حيوة بن شريح أخبرني أبي هانئ - حميد بن هانئ الخولاني - أن أبا على عمرو بن مالك الجنبي أخبره عن فضالة بن عبيد ﷺ مرفوعًا . حميد بن هانئ الخولاني : سبق له ترجمة .

وبشَّرهم بسبقهم الأغنياء إلى الجنة ، وقد اختلفت الروايات في مدة هذا السبق ، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ﷺ أنه جاء ثلاثة نفر فقالوا : يا أبا محمد والله ما نقدر على شيء : لا نفقة ولا دابة ولا متاع ، فقال لهم : ما شئتم ، إن شئتم دفعتم إلينا فأعطيناكم مما يسَّرَ الله لكم ، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسُّلطان ، وإن شئتم صبرتم ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا** » . قالوا : نصبر ، ولا نسأل شيئا »[1].

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **يَدْخُلُ فُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ** »[2] قال الترمذي حديث . حسن صحيح . وفى الترمذي أيضا من حديث أبى سعيد ﷺ قال : قال رسول ﷺ الله : « فقراءُ المهاجرين يدخلون الجنةَ قبل أغنيائهم بخمسمائة سنةٍ »[3]. وهو : حديث حسن . وفيه أيضًا من حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : « يدخلُ فقراءُ أمتي الجنةَ قبل أغنيائِهِمْ بأربعينَ خَرِيفًا »[4]. وهو . حديث حسن .

---

(١) **صحيح** : مسلم (٢٩٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - مرفوعًا .

(٢) **إسناده حسن** : سبق تخريجه .

(٣) **إسناده ضعيف** : ويشهد لمتنه ما سبق : الترمذي (٢٣٥١) من طريق زياد بن عبد الله - البكائي - عن الأعمش عن عطية - ابن سعد العوفي - عن أبي سعيد مرفوعاً . زياد بن عبد الله بن الطفيل - البكائي - قال النسائي : ضعيف ، وقال في موضع آخر : ليس بالقوي (تهذيب الكمال ٣/ ٥٢) وقال الحافظ ابن حجر : في حديثه عن غير ابن إسحاق : لين ، ولم يثبت أن وكيعًا كذبه ، وله في البخاري موضع واحد متابعة (تقريب ٢٠٧٣) . عطية بن سعد بن جنادة العوفي : سبق له ترجمة .

(٤) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٢٣٥٥) من طريق عمرو بن جابر الحضرمي - أبو زرعة المصري - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا . عمرو بن جابر الحضرمي - أبو زرعة المصري - عن جابر وغيره ، هالك ، وقال ابن لهيعة : شيخ أحمق ، كان يقول : إن عليًّا في السحاب ، وقال غيره : كذاب (المغني ٤٦٣٨) ، وقال عبد الله بن أحمد - ابن حنبل - عن أبيه : بلغني أن عمرو بن جابر ، كان يكذب ، قال : وروى عن جابر أحاديث مناكير ، وقال الحافظ ابن حجر : وصحح الترمذي حديثه (تهذيب التهذيب ٨/ ١١) قلت محمد : وللمتن شواهد وليس فيه ، فقراء أُمتي .

وهو موافق لحديث عبد الله بن عمرو ولحديث أنس الذي في الترمذي أيضًا : « أنَّ المساكين يدخلون قبل الأغنياء بأربعين خريفًا »[١] ، فهؤلاء ثلاثة : جابر وأنس وعبد الله ابن عمرو ﷺ وقد اتفقوا على الأربعين ، وهذا أبو هريرة وأبو سعيد - رضي الله عنهما - قد اتفقا على التقدير بخمسمائة سنة ، ولا تعارض بين هذه الأحاديث إذ السبق والتأخر درجات بحسب الفقر والغنى ، فمنهم من يسبقُ بأربعين ، ومنهم من يسبق بخمسمائة ، ولا يتقيد السبق بهذا المقدار بل يزيد عليه وينقص .

وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: « أنَّ أولَ الأمةِ دخولًا الجنةَ أبو بكر الصديق ﷺ »[٢] ومعلوم أن المدة [١١٢/ أ] التي بينه وبين أقرانه من فقراء المهاجرين لا تطول ، وإنها أطولُ مدةٍ بين دخوله وبين دخول آخر من يدخل الجنة .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فقراءُ المهاجرين الذين تُتَّقَى بهم المكاره ، يموت أحدُهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء : تقول الملائكة : ربنا نحن ملائكتُك وخزنتك وسكان سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول : عبادي لا يشركون بي شيئًا يتقى بهم المكاره يموت أحدُهم وحاجتُه في صدره لا يستطيع لها قضاء ، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كلِّ باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار[٣].

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : صحيح . سبق تخريجه ، وحديث أنس بن مالك ﷺ ، وليس بهذا اللفظ وقد سبق تخريجه ، وهو : ضعيف .

(٢) **إسناده ضعيف**: أبو داود (٤٦٥٢) الحاكم (٣/ ٧٣) من طريق أبي خالد الدالاني عن أبي خالد - مولى آل جعدة - عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ، ولفظه « أما إنك يا أبا بكر ... الحديث » إسناد الحاكم من طريق أبي خالد الدالاني عن أبي حازم عنه به . أبو خالد الدالاني ، ويقال : يزيد بن عبد الرحمن : صدوق - له أوهام (المغني ٧٤٣٢ - ٧١٢٣) وقال الحافظ بن حجر : صدوق - يخطئ كثيرًا ، وكان يدلس (تقريب ٨٠٦٦) أبو خالد ، مولى آل جعدة بن هبيرة - لا يعرف (المغني ٧٤٢٦) ، وقال الحافظ ابن حجر : مجهول (تقريب ٨٠٦٨) ، وقال أيضًا : لا يعرف اسمه . روى عن أبي هريرة ﷺ حديث « أما أنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة ... الحديث » ، وفيه قصة . وعنه خالد الدالاني (تهذيب التهذيب ١٢/ ٨٤) .

(٣) **إسناده ضعيف**: سبق تخريجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا دويد ، عن مسلم بن بشير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « التقى مؤمنان على باب الجنة : مؤمن غني ، ومؤمن فقير كانا في الدنيا ، فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة ، فلقيه الفقير فيقول : أي أخي ماذا حبسك ؟ والله لقد احتبستَ حتى خِفتُ عليك ؛ فيقول : أي أخي إني حبست بعدك محبسًا فظيعًا كريهًا ما وصلتُ إليك حتى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعيرٍ كلها أكلت حمضًا لصدرت عنه رواء »[1].

وقال الطبراني في معجمه[2] : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، وعلى بن سعيد الرازي قالا : حدثنا على بن بهرام العطار ، حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة ، عن الثوري ، عن محمد بن زيد ، عن أبي حازم عن أبى هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ فقراءَ المؤمنين يدخلون الجنَّةَ قبل أغنيائهم بنصفِ يومٍ وذلك خمسمائة سنةٍ » فقال رجل : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ قال : « إن تغدَّيت رجعت على عشاء ، وإذا تعشيت يبيت معك غداء ؟ » قال : نعم . قال : « لست منهم » [١١٢/ ب] فقام رجلٌ

---

(١) **إسناده مشكل** : أحمد (١/ ٣٠٤ مسند - ٢٣٥٦ الزهد) تعجيل المنفعة (٤٠٥) . مسلم بن بشير : اختلف على اسمه من ، مسلم وسلم وسليم بن بشير بن حجل القيسي وأيضًا سالم بن بشير - تعجيل المنفعة (٣٥١ - ٤٠٥) الجرح والتعديل (٤/ ٢٦٦) ، وفي تعجيل المنفعة (٣٥١) سالم بن بشير : عن عكرمة ، وعنه دويد الخرساني : مجهول ، وفي الجرح والتعديل (٤/ ٢٦٦) سلم بن بشير بن جحل ، روى عن عكرمة ، ولم يذكر في من روى عنه دويد ، وقال : ليس به بأس . فلت : فهو مشكل كما قال أحمد بن شاكر رحمه الله تعالى في تحقيق المسند برقم (٢٧٧١ طبعة دار الحديث) دويد - الخرساني - لم أهتدِ إلى ترجمته ، والله أعلم .

(٢) **إسناده مضطرب** : عزاه أبو نعيم (٧/ ١٠٩ الحلية) إلى الطبراني . محمد بن زيد - العبدي - قال الدارقطني : ليس بالقوي (الضعفاء والمتروكين ٤٦٩) (الجرح والتعديل ٧/ ٣٥٦). قال أبو حاتم : لا بأس به - صالح الحديث .ا.هـ **قلت (محمد)** : وليس في من روى عنه - سفيان الثوري - ولا في من روى عنهم ذكر لأبي حازم - سلمان الأشجعي - ا.هـ ومحمد بن زيد الشامي . قال الأزدي : متروك (ميزان ٣/ ٥٣٠) المغني (٥٥٣٥) قلت (محمد) ولم يذكر له رواية عن أبي حازم ولا في من روى عنه ، سفيان الثوري ، ولم يجزم الطبراني أنه العبدي بل ذكر أنه يقال . والله أعلم .ا.هـ . أبو حازم - سلمان أبو حازم الأشجعي مولى عزة - صاحب أبي هريرة : ثقة (تقريب ٢٤٧١) (الجرح والتعديل ٤/ ٣٩٧) .

فقال : أمنهم أنا يارسولَ الله ؟ قال : « هل سمعتَ ما قلنا لهذا ؟ » قال : نعم ، ولست كذلك . قال : « هل تجدُ ثوبًا سِتِّيرًا سوى ما عليك ؟ » قال : نعم . قال : « فلستَ منهم » فقام آخر فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟ فقال : « هل سمعتَ ما قلت لهذين قبلك ؟ » قال : نعم . قال : « هل تجد قرضًا كلما شئت أن تستقرضَ ؟ » قال : نعم . قال : « فلستَ منهم » فقام آخر فقال : أمنهم أنا يارسول الله ؟ فقال : « هل سمعتَ ما قلتُ لهؤلاء ؟ » قال : نعم . قال : « تقدرُ أنْ تَكْتَسِبَ ؟ » قال : نعم . قال : « فلستَ مِنْهُمْ » قال : فقام خامس فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال : « هل سمعت ما قلت لهؤلاء ؟ » قال : نعم . قال : « هل تُمْسِي عن ربك راضيًا وتصبح كذلك ؟ » قال : نعم . قال : « فأنتَ منهم » قال النبي ﷺ : « إنَّ سادة المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاءً ، وإذا تعشى لم يبت عنده غداء ، وإن استقرضَ لم يجد قرضا ، وليس له فضل كسوة إلا ما يوارى به مالا يجد منه بُدًّا ولا يقدر على أن يكتسب ما يعشيه ويمسي عن الله راضيًا ويصبح راضيًا ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩]

قال الطبراني : هذا حديث غريب من حديث سفيان الثوري عن محمد بن زيد يقال : هو العبدي تفرد به عبد الملك .

قلت : محمد بن زيد هذا هو العبدي ، وثقه قوم ، وضعفه آخرون . قال الدارقطني : ليس بالقوي ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وروى له الترمذي وابن ماجه ، وفي هذه الطبقة محمد بن زيد الشامي يروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وهو متروك ، ونخاف أن يكون هذا هو الثوري لم ينسبه ، وإنما يقال هو العبدي ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائي ، عن يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١١٣/ أ] « عُرِضَ عَلَيَّ أولُ ثلاثةٍ يدخلون الجنةَ ، وأول ثلاثة يدخلون النارَ ، فأمَّا أولُ ثلاثةٍ يدخلون الجنة : فالشهيدُ ، وعبدٌ مملوكٌ لم يشغلْه رِقُّ الدنيا عن طاعةِ رَبِّه ، وفقير

متعفف ذو عيالٍ ، وأما أولُ ثلاثةٍ يدخلون النَّارَ : فأميرٌ مسلَّطٌ ، وذو ثروة من مالٍ لا يؤدي حق الله في ماله ، وفقير فخور »[1] ، وروى الترمذي منه ذكر الثلاثة الذين يدخلون الجنة فقط .

قالوا : ويكفي في فضل الفقير أن عامة أهل الجنة الفقراء ، وعامة أهل النار الأغنياء .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد بن أبى شيبة حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن السائب بن مالك عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**اطلعت** في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء »[2].

وفى صحيح البخاري عن أبي رجاء قال : جاء عمران بن حصين إلى امرأته من عند رسول الله ﷺ فقالت : حدثنا ما سمعت من النبي ﷺ ، فقال : إنه ليس من حديث فلم تدعه أو قال ، فأغضبته ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **نَظَرْتُ فِي الجَنَّةِ فَـرَأَيتُ**

---

(١) **إسناده ضعيف** : الترمذي (١٦٤٢) أحمد (٢/ ٤٢٥) ابن حبان (١٢٠٣ موارد) الحاكم (١/ ٣٨٧) تهذيب الكمال (٥/ ٢٠٣) من طريق يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . يحيى بن أبي كثير : ثقة ثبت ، لكنه يدلس ويرسل (تقريب ٧٦٢٢) . عامر العقيلي : لا يعرف - فيقال : ابن عقبة ، ويقال : ابن عبد الله بن شقيق - روى عنه يحيى بن أبي كثير (ميزان ٢/ ٢٧٨) . قلت (محمد) : وعند الحاكم . عامر بن شبيب العقيلي ، وعند ابن حبان . عامر العقيلي أن أبا النضر أخبره أنه سمع أبا هريرة ﷺ مرفوعًا ، وقال ابن حجر : عامر بن عقبة ، ويقال : ابن عبد الله العقيلي : مقبول (تقريب ٣١٠١) وقال ابن حبان في الثقات : عامر بن عبد الله بن شقيق العقيلي ، روى عن أبي هريرة وعنه يحيى بن أبي كثير ، وقال الحاكم : اسم أبيه شبيب ولعله تصحيف من شقيق (تهذيب التهذيب ٥/ ٧٩) . عقبة ـ الد عامر العقيلي : مجهول الحال (تهذيب الكمال ٥/ ٢٠٣) (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٢) ، وقال الحافظ ابن حجر : عامر بن عقبة ، ويقال : ابن عبد الله العقيلي : مقبول (تقريب ٣١٠١) .

(٢) **إسناده حسن** : إلا زيادة - الأغنياء - فهي شاذة . أحمد (٢/ ١٧٣ مسند) (١١٧٠ الزهد) ابن حبان (٢٥٦٨ موارد) . شريك بن عبد الله النخعي - الكوفي - صدوق - يخطئ كثيرًا ، تغير حفظه (تقريب ٢٧٨٠) قال ابن معين : شريك - ثقة - إلا أنه لا يتقن ، ويغلط ، ويذهب بنفسه على سفيان وشعبة ، وقال يعقوب بن أبي شيبة : شريك - صدوق - ثقة - سيئ الحفظ جداً ، وقال الجوزجاني : شريك - سيء الحفظ - مضطرب الحديث - مائل - وقال أبو حاتم : كان كثير الخطأ - صاحب وهم - وهو يغلط أحيانًا ، وقال ابن عدي : والذي يقع في حديثه من النكرة إنما أتى فيه من سوء حفظه لا أنه يعتمد شيئًا مما يستحق شريك أن ينسب فيه إلى شيء من الضعف (تهذيب الكمال ٣/ ٣٨٦) قلت (محمد) : والحديث عند البخاري (٣٢٤١ - ٥١٩٨ - ٦٥٤٦) من حديث عمران بن حصين ﷺ مرفوعًا ، وليس فيه ذكر للأغنياء ولم أقف عليها إلا من حديث شريك .ا.هـ.

أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَنَظَرْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ »[١].

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد : أن رسول الله ﷺ قال : « **قُمْتُ عَلَى بَابِ الجنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّساءُ** »[٢]. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس : أن النبي ﷺ اطلع في النار فرأى أكثر أهلها النساء ، واطلع في الجنة فرأى أكثر أهلها الفقراء[٣].

قالوا : ويكفي في فضل الفقر أن كل أحد يتمناه يوم القيامة من الأغنياء .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن نفيع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [١١٣/ ب] : « ما من أحد يوم القيامةِ غنيٌّ ولا فقيرٌ إلا ودَّ أن ما كان أوتى في الدنيا أومن الدنيا قوتًا »[٤]. قال البخاري : يتكلمون في نفيع ، وهذا ألين ما قيل فيه . **قالوا** : وقد صرح رسول الله ﷺ بتفضيل الفقراءِ في غير حديث ؛ فمنها : ما تقدم من حديث سهل بن سعد[٥].

---

(١) لم أعثر عليه في صحيح البخاري بهذا اللفظ المذكور ، ولكن هذا اللفظ هو : إسناده صحيح . أحمد (٤/ ٤٣٧) أبو نعيم (٢/ ٣٤٩ الحلية) والإسناد للإمام أحمد ، أما إسناد أبو نعيم ، من طريق يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود ، قال حدثنا الأشهب وجرير بن حازم ، وسلم بن زرير وحماد بن نجيح وصخر بن جويرية عن أبي رجاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه وابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا . قلت : زيد في هذا الإسناد ابن عباس - رضي الله عنهما - وهي زيادة لا تضر وهي من المزيد في متصل الأسانيد . قال أبو نعيم : رواه أيوب السختياني ومطر الوراق عن أبي رجاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من دون عمران مثله ، والحديث صحيح متفق عليه شرط الجماعة ا.هـ ، والحديث عند البخاري (٣٢٤١ - ٥١٩٨ - ٦٤٤٩ - ٦٥٤٦) وليس فيه ذكر زوجة عمران بن حصين رضي الله عنه . قال أبو نعيم : كذا رواه عوف عن أبي رجاء عن عمران وتابعه عليه قتادة عن أبي رجاء ، ورواه جماعة فخالفوهما ، فقالوا : عن أبي رجاء ، عن ابن عباس وعمران .ا.هـ .

(٢) **صحيح** : البخاري (٦٥٤٧) مسلم (٢٧٣٦) من حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - مرفوعًا .

(٣) **صحيح** : مسلم (٢٧٣٧) أحمد (١/ ٢٣٤) الترمذي (٢٦٠٢) من طريق أيوب السختياني وسعيد بن أبي عروبة وأبي الأشهب وحماد بن نجيح عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعًا ، والحديث سبق تخريجه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا . قال الترمذي : وكلا الإسنادين ليس فيهما مقال ويحتمل أن يكون أبو رجاء سمع منهما جميعًا ، وقد روى غير عوف أيضًا هذا الحديث عن أبي رجاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه .ا.هـ.

(٤) **منكر** : أحمد (٣/ ١١٧) ابن ماجه (٤١٤٠) ابن حبان (٣/ ٥٦ المجروحين) من طريق نفيع بن الحارث - أبو داود الأعمى - عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا . نفيع بن الحارث : سبق ترجمته .

(٥) **صحيح** : سبق تخريجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَا أَبَا ذَرٍّ ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ أَرْفَعُ رَجُلٍ تَرَاهُ فِي الْمَسْجِدِ** » قال : فنظرت فإذا رجل جالس عليه حلة له ، قال : فقلت : هذا ، قال : فقال : « **يَا أَبَا ذَرٍّ ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ أَوْضَعُ رَجُلٍ تَرَاهُ فِي الْمَسْجِدِ** » قال : فنظرت فإذا رجل ضعيف عليه أخلاقٌ ، قال : فقلت هذا . قال : فقال رسول الله ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَذَا أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قِرَابِ الْأَرْضِ مِنْ هَذَا** »[1].

قال : حدثنا وكيع ووافقه زائدة ، حدثنا الأعمش ، عن سليمان بن يسار ، عن خرشة بن الحر ، عن أبي ذر ﷺ فذكره ، وقال : « **لَهَذَا خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلِ هَذَا** »[2]. **قال الإمام أحمد** : وحدثنا أبو معاوية ووافقه يعلى قال : حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر فذكره بنحوه[3].

قالوا : والذي يفصل بيننا في هذه المسألة ويشفي العليل : أن الفقر يُوفِّر أجر صاحبه ومنْزلته عند الله ، والغني ولو شكر ؛ فإن ما ناله في الدنيا بغناه يحسب عليه من ثوابه يوم القيامة ، وإن تناوله بأحلِّ وجه ، فقليل الفضلِ في الدنيا نقص من كثير الآخرة .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « **مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ ، وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ** »[4].

وفى الصحيحين عن خبَّابِ بن الأرتِّ ﷺ قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلْتَمِسُ وجهَ اللهِ ؛ فوقع أجرُنا على الله ؛ فمنَّا من مات لم يأكل من أجره شيئًا ؛ منهم [١١٤/ أ]

---

(١) **إسناده صحيح** : أحمد (٥/ ١٥٧ - ١٧٠ المسند ١٤٨ الزهد) ابن حبان (٢٥٦٤ موارد) من طريق خرشة بن الحر وزيد بن وهب عن أبي ذر ﷺ مرفوعًا .

(٢) **إسناده صحيح** : أحمد (١٤٨ الزهد) .

(٣) **إسناده صحيح** : أحمد ٥/ ١٥٧ .

(٤) **إسناده صحيح** : مسلم (١٩٠٦) أحمد (٢/ ١٦٩) أبو داود (٢٤٩٧) النسائي (٦/ ١٨) ابن ماجه (٢٧٨٥) الحاكم (٢/ ٧٨) من طريق حيوة بن شريح عن أبي هانئ - حميد بن هانئ الخولاني - عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعًا .

مصعب بن عمير ﷺ قتل يوم أحد وترك نَمِرَةً فكنا إذا غَطَّينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجليه بدا رأسُهُ ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نُغَطِّيَ رأسَهُ ونجعل على رجليه شيئًا من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها »[1].

وفي الصحيحين عن قيس بن أبي حازم قال : دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كياتٍ فقال : إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا[2] وذكر الحديث .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : ما من عبد يصيب من الدنيا شيئا إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريما[3].

وفي صحيح البخاري : عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : أوتي عبد الرحمن ﷺ بطعام وكان صائمًا . فقال : قُتِلَ مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردةٍ إن غطي رأسه بدت رجلاهُ ، وإن غَطَّى رجلاه بدا رأسُهُ ، وقتل حمزة ﷺ وهو خير مني فلم يوجد له كفن إلا بردةً ، ثم بُسطَ لنا من الدنيا ما بسط ، أو قال : أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا ، وقد خشيت أن تكونَ عُجِّلَتْ لنا طيباتُنا في حياتنا الدنيا . ثم جَعَلَ يبكي حتى تركَ الطَّعَامَ[4].

قال أبو سعيد بن الأعرابي : وليس عبدُ الرحمن بن عوف وخباب - رضي الله عنهما - قالا ذلك دون غيرهما ، لقد قاله الأكابرُ من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكرهوا ما فتح الله عليهم من الدنيا ، وأشفقوا منه ، وعلموا أن ما اختاره الله لنبيه ﷺ كان أفضل ، وأن

---

(١) **صحيح** : البخاري (١٢٧٦) مسلم (٩٤٠) من حديث خباب بن الأرت ﷺ .

(٢) **صحيح** : البخاري (٥٦٧٢ - ٦٣٤٩ - ٦٣٥٠) مسلم (٢٦٨١) النسائي (٤/ ٤) أحمد (٥/ ١٠٩) من حديث قيس بن أبي حازم ، وأيضًا أحمد (٥/ ١١٠) الترمذي (٢٤٨٣) ابن ماجه (٤١٦٣) من طريق شريك بن عبد الله النخعي عن أبي إسحاق - السبيعي - عن حارثة بن مُضرب ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) **إسناده صحيح** : لم أعثر عليه في سنن سعيد بن منصور ، والله أعلم . وهو عند ابن أبي الدنيا (٣١١ ذم الدنيا) من طريق محمد بن عبد الله المدائني نا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عُمر - رضي الله عنهما - موقوفًا « لا يصيب عبد من الدنيا شيئًا إلا نقص من درجاته عند الله ﷻ وإن كان عليه كريمًا » .

(٤) **صحيح** : البخاري (٤٠٤٥) من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ .

ما أخروا له كان أنقص منهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وأبو عبيدة ، وعمار ابن ياسر ، وسلمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وأبو هاشم بن عتبة وجماعة لم نذكرهم للاختصار ﷺ أجمعين .

فأما أبو بكر ﷺ فحدثنا ابن أبي الدنيا ، حدثنا عبد الرحمن بن ريان[١١٤/ب] الطائي ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا عبد الواحد بن زيد ، حدثني سلمان عن مرة عن زيد بن أرقم ﷺ قال : كنا مع أبي بكر الصديق ﷺ فدعا بشراب فأتى بماء وعسل ، فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت ، ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لم يقدروا على مسألته ، قال : ثم مسح عينيه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ﷺ ما أبكاك ؟ فقال : كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئًا ولم أر معه أحدًا ، فقلت : يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك ؟ قال : « هذه الدنيا مثلت لي ؛ فقلت لها : إليك عنى ، ثم رجعت فقالت : إنك إن أفلت منى فلن يفلت مني من بعدك »[(١)].

وذكر ليث بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه : أن أبا بكر ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : إني وليت أمركم و لست بخيركم ، كلكم ورم أنفُهُ من ذلك أن يكون هذا الأمر له ، وذلك لما رأيت الدنيا قد أقبلت وأقبلت ولم تقبل حتى تتخذوا نضائد الحرير وستور الديباج ، وحتى يألم أحدكم من الاضطجاع على الصوف كما يألم من الاضطجاع على الحسك والسعدان ، ثم أنتم أول ضال بالناس تصفقون بهم يمينًا وشمالًا ما هذا الطريق أخطأت إنما هو البحر أو الفجر ، والله لئن يقدم

---

(١) منكر : ابن أبي الدنيا (١١ ذم الدنيا) أبو نعيم (١/ ٦٤ - ٦/ ١٧٦ الحلية) الحاكم (٤/ ٣٠٩) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٢٠) عبد الواحد بن زيد - أبو عبيدة البصري - قال البخاري : تركوه (الضعفاء الصغير ٢٣٠) وقال النسائي: متروك الحديث (الضعفاء والمتروكين ٣٧٠) ، وقال ابن معين : عبد الواحد بن زيد ، ليس حديثه بشيء - ضعيف الحديث - وقال عمرو بن علي - الفلاس - كان عبد الواحد بن زيد ، قاصا ، وكان متروك الحديث ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي في الحديث - ضعيف بمرة - (الجرح والتعديل ٦/ ٢٠) . أسلم الكوفي - روى عن مرة الهمداني - ابن شرحبيل - يقال له : مرة الطيب - روى عنه عبد الواحد بن زيد - مستور - (الجرح والتعديل ٢/ ٣٠٨) قال البزار : ليس بالمعروف ، وقال في موضع آخر : لا نعلم روى عنه غير عبد الواحد بن زيد ، وقال القطان - يحيى بن سعيد -: ولا يعرف روى عنه غير عبد الواحد (ذيل الميزان ١/ ٢٣٢) .

أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا[١].

وذكر محمد بن عطاء بن خباب قال : كنت جالسًا مع أبي بكر ﷺ فرأى طائرًا فقال : طوبى لك يا طائر تأكل من هذا الشجر ، ثم تبعث ، ثم لا تكون شيئًا ، وليس عليك حساب ، وددت أني مكانك[٢] فقلت له : أتقول هذا وأنت صديق رسول الله ﷺ ؟ ، وأما عمر ﷺ فإنه لما أتي بكنوز كسرى بكى ، فقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا ليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح ، فقال عمر ﷺ : إن هذا لم يعطه قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء[٣]، ودخل عليه [١١٥/ أ] أبو سنان

---

(١) **ضعيف جدًا - مرسلًا** : أبو نعيم (١/ ٦٩ الحلية) العقيلي (٣/ ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ الضعفاء الكبير) ميزان الاعتدال (٣/ ١٠٧ - ١٠٨) من الليث بن سعد عن علوان بن داود البجلي - مولى جرير بن عبد الله - عن عبد الرحمن ابن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ دخل على أبي بكر ﷺ في مرضه فذكره مرسلًا . وأيضًا من طريق سعيد بن عفير قال حدثنا علوان بن داود عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد : وعن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عبد الرحمن بن عوف الزهري مثله . عُلوان بن داود البجلي ، ويقال : عُلوان بن صالح : منكر الحديث وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه ، ولا يعرف إلا به ، وقال أبو سعيد بن يونس : منكر الحديث (الضعفاء الكبير ٣/ ٤٢١) (ميزان ٣/ ١٠٧) وقال الذهبي : ذكره ابن يونس في تاريخه ، وأن الليث بن سعد روى عنه (المغني ٤٢٠٤) . عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري - المدني - ثقة من السادسة (تقريب ٣٨٣٩) . حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن الرؤاس - أبو عوف الكوفي :ثقة من الثامنة (تقريب١٥٤٠) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري- المدني - ثقة - من الثانية (تقريب ١٥٤١) قال أبو زرعة : حديثه عن أبي بكر وعلي - رضي الله عنهما - : مرسل (تحفة التحصيل ١٩٧) .

(٢) **لم أقف عليه بهذا اللفظ** ، ووجدت مثله بإسناد آخر ، فيه مبهم . ابن المبارك (٢٤٠ الزهد) أخبرنا سفيان بن عيينة عن رجل عن الحسن قال : أبصر أبو بكر ﷺ طائرًا على شجرة . فقال : طوبى لك يا طائر ، تأكل الثمر ، وتقع على الشجر ، لوددت أني ثمرة ينقرها الطير : ضعيف . في إسناده مبهم ، والحسن البصري : لم يدرك أبا بكر ﷺ . محمد ابن عطاء بن خباب - روى عن أبيه عن جده خباب روى عبد الله بن نمير عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عنه ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : لا أعرفه (الجرح والتعديل ٨/ ٤٦) .

(٣) **ضعيف** : أحمد (٥٩٦ الزهد) من طريق حاتم بن إسماعيل عن هشام بن سعد عن ابن شهاب - محمد بن مسلم الزهري - عن عروة - ابن الزبير - عن المسور بن مخرمة ﷺ عن عمر بن الخطاب ﷺ به .

حاتم بن إسماعيل - المدني - صدوق - يهم - (تقريب ٩٩٧) . قال النسائي : ليس بالقوي - ووثقه جماعة . منهم ، محمد بن سعد وأبو حاتم والعجلي والدارقطني ، وقال : زيادته مقبولة ، ووثقه الذهبي مطلقًا في (تاريخ الإسلام ، الكاشف) وفي الميزان أيضًا ، ثقة مشهور ، وقال أحمد : زعموا أنه فيه غفلة (ميزان ١/ ٤٣١) وقال النسائي أيضًا : ليس به بأس (تهذيب الكمال ٢/ ٦) (تهذيب التهذيب ٢/ ١٢٨) . قلت : ومثله لا يكون إلا ثقة .ا.هـ .=

الدؤلي وعنده نفر من المهاجرين ؛ فأرسل عمر ﷺ إلى سفط أتى به من قلعة بالعراق ، وكان فيه خاتم فأخذه بعض ولده فأدخله في فيه ، فانتزعه عمرُ منه ثم بكى ، فقال له من عنده : لِمَ تبكي وقد فتح الله لك وأظهرك وأقر عينك ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تُفتح الدنيا على أحدٍ إلا ألقى اللهُ بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وأنا مشفق من ذلك »[1].

قال أبو سعيد: وجدت في كتاب بخط يدي عن أبي داود قال : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا حماد ، حدثنا يونس ، عن الحسن : أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى بقلنسوة - بغزوة كسرى - بين يديه ، وفي القوم سراقة بن مالك ، فألقى إليه سواري كسرى ، فجعلهما في يديه فبلغا منكبيه ، فلما رآهما في يد سراقة قال : الحمد لله ، سواري كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بنى مدلج ثم قال : اللهم قد علمت أن رسول الله ﷺ قد كان يحب أن يصيب مالا فينفقه في سبيلك ، وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظرًا منك له واختيارًا ، اللهم إني أعوذ بك أن يكون هذا مكرا منك بعمر ، ثم قال : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنين : ٥٥ - ٥٦][2].

والمقصود: أن سعة الدنيا وبسطها تعجيل من أجر الآخرة وتضييق من سعتها . قال

= هشام بن سعد - أبو عباد المدني - يقال له : يتيم زيد بن أسلم صحبه وأكثر عنه - ضعفه النسائي وغيره - وكان يحيى القطان لا يحدث عنه ، وقال أحمد : ليس هو محكم الحديث وقال ابن عدي : مع ضعفه يكتب حديثه . وقال ابن معين : ليس بذاك القوي . وقال الحاكم : روى له مسلم متابعة - في الشواهد - (المغني ٦٧٤٩) وأما أبو داود فقال : هو أثبت الناس في زيد بن أسلم (ميزان ٤/ ٢٧٣ - ٢٧٤) .

(١) **إسناده ضعيف**: أحمد (١/ ١٦) حدثنا حسن - ابن موسى الأشيب - حدثنا ابن لهيعة - عبد الله - حدثنا أبو الأسود - محمد بن عبد الرحمن بن نوفل - يتيم عروة - أنه سمع محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة يحدث عن أبي سنان الدؤلي أنه دخل على عمر ﷺ فذكره مرفوعًا . عبد الله بن لهيعة : سبق له ترجمة .
محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة : سبق له ترجمة .

(٢) **لم أقف عليه**: والحديث ، مرسل : الحسن بن أبي الحسن البصري : لم يدرك عمر بن الخطاب ﷺ (تهذيب الكمال ٢/ ١١٤) . (محمد بن عبيد ، ابن حساب - الغُبَرِيُّ - البصري) . (حماد - ابن زيد بن درهم - الأزدي - الجهضمني . يونس - ابن خباب - الأسيدي - أبو حمزة الكوفي) .

عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن أبى صغيرة ، عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : لما كان يوم أحد أشرف النبي ﷺ على الشهداء الذين قتلوا يومئذ فقال : « إِنِّي شهيدٌ عَلَى هَؤُلاءِ فَزَمِّلُوهُم بِدِمَائِهِمْ »(١). قال معمر : وأخبرت من سمع الحسن يقول : قال النبي ﷺ : « هؤلاء قد مضوا وقد شهدت عليهم لم يأكلوا من أجورهم شيئًا ، وإنكم قد أكلتم من أجوركم ، وإني لا أدري ما تحدثون بعدى »(٢).

وقال ابن المبارك : أنبأنا جرير بن حازم قال : سمعت [١١٥/ ب] الحسن يقول : خرج رسول الله ﷺ بأصحابه إلى بقيع الغرقد ، فقال : « السلامُ عليكم يا أهلَ القبورِ لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم » ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « هؤلاء خيرٌ منكم » ، فقالوا : يا رسول الله إخواننا ، أسلمنا كما أسلموا ، وهاجرنا كما هاجروا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها وبقينا في آجالنا فما يجعلهم خيرًا منا ؟ فقال : « إن هؤلاء خرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجورهم شيئًا ، وخرجوا وأنا شهيدٌ عليهم ، وإنكم قد أكلتم من أجوركم ولا أدرى ما تُحدثُونَ بعدي » قال : فلما سمعها القوم والله عقلوها وانتفعوا بها ، فقالوا : وإنا لمحاسبون بما أصبنا من الدنيا بعدهم ، وإنه لمنتقصٌ به من أجورنا ، فأكلوا طيبًا ، وأنفقوا قصدًا ، وقدموا فضلًا (٣).

وقال عبد الله بن أحمد : قرأت على أبي هذا الحديث حدثنا أسود بن عامر، حدثنا

---

(١) **صحيح** : عبد الرزاق (٥/ ٢٧٢ مصنف) أحمد (٥/ ٤٣١) من حديث جابر ﷺ مرفوعًا . اختلف على معمر عند النسائي (٤/ ٧٨ – ٦/ ٢٩) رواه عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة – ابن أبي صعير –: مرسلًا ، بدون ذكر جابر ﷺ . ابن أبي صُعير – عبد الله بن ثعلبة – له رؤية ولم يثبت له سماع من النبي ﷺ (تقريب ٣٢٣٨) . واختلف فيه أيضاً على الزهري عند أحمد (٥/ ٤٣٢) رواه محمد بن إسحاق بن يسار ، وسفيان بن عيينة عن الزهري عن ابن أبي صعير مرسلا أيضًا : بدون ذكر جابر ﷺ . الزهري – محمد بن مسلم بن شهاب له فيه شيخ آخر عن جابر ﷺ عند البخاري (١٣٤٣ – ١٣٤٧ – ٤٠٧٩) الترمذي (١٠٣٦) ابن ماجه (١٥١٤) من طريق الليث بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – مرفوعًا .

(٢) **إسناده ضعيف** : عبد الرزاق (٥/ ٢٧٢ – ٩٥٨١ مصنف) من طريق معمر – ابن راشد –عن من سمع الحسن يقول : قال النبي ﷺ فذكره ، في إسناده بين معمر والحسن مبهم لم يسم ، والحسن البصري : لم يدرك النبي ﷺ .

(٣) **مرسل ، صعيف** : عبد الله بن المبارك (٤٩٨ الزهد) . الحسن بن أبي الحسن البصري : سبق له ترجمة .

إسرائيل ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : ما أعطي رجل من الدنيا إلا نقص من درجته[1].

قالوا : وقد صرح ساداتُ الأغنياء بأنهم ابتلوا بالضَّراء فصبروا ، وابتلوا بالسَّراء فلم يصبروا ، قال ذلك عبد الرحمن بن عوف وغيره - رضي الله عنهم - ، وكان هذا مصداقا لما رواه مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأنا من فتنة السَّراء أخوفُ عليكم من فتنة الضَّرَّاءِ ، إنكم ابتُليتم في فتنةِ الضَّرَّاءِ فصبرتم ، وإن الدنيا حلوة خضرة »[2].

قالوا : وهاهنا قضيتان صادقتان بها يتبين الفضل . **إحداهما** : **أن الأقلين هم الأكثرون يوم القيامة** ، **والثانية** :أن الأكثرين هم الأقلون ، **أما الأولى** : فقد تقدم الدليل عليها بما فيه كفاية ، **وأما الثانية** : ففي الصحيحين من حديث أبي ذر ﷺ قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان قال : فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد فجعلت أمشى في ظل القمر [١١٦/ أ] فالتفت فرآني فقال : « **مَنْ هَذَا ؟** » قلت : أبو ذر جعلني الله فداك . قال : « **يَا أَبَا ذَرٍّ ! تَعَالَ** » فمشيت معه ساعة ، فقال : « **إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا** »[3] وذكر الحديث .

قالوا : ولو كان الغنى أفضل من الفقر لما حضَّ اللهُ رسولَهُ على الزهد في الدنيا والإعراض عنها ، وذمَّ الحرص عليها ، والرغبة فيها ، بل كان ينبغي أن يَحُضَّ عليها ، وعلى اكتسابها والاستكثار منها ، كما حض على الزهد فيها والتقللِ واكتساب الفضائل

---

(١) **لم أعثر عليه** ، والحديث : ضعيف . ثوير - ابن أبي فاختة ، واسمه سعيد بن علاقة : ضعيف (تقريب ٨٦٧) وروى بإسناد آخر عن مجاهد به عند ابن أبي الدنيا : سبق تخريجه : إسناده صحيح .

(٢) **إسناده ضعيف** : البزار (٣٦١٢ كشف الأستار) أبو يعلى (٧٨٠ مسند) من طريق جرير - ابن عبد الحميد بن قُرْط الضَّبيّ - عن المغيرة - بن مقسم الضَّبيّ - عن رجل من بني عامر عن مصعب بن سعد عن أبيه - سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا . رجل من بني عامر : مبهم .

(٣) **صحيح** : البخاري (٦٤٤٣) مسلم (٩٤) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعًا .

التي بها كمال العبد من العلم والعمل ، فلما حضَّ على الزهد فيها والتقلل دل على أن الزاهدين المتقلّلين منها أفضل الطائفتين ، وقد أخبر : أنها لو ساوت عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء(١) . وأنها أهون على الله من السَّخْلَةِ الميتةِ على أهلها(٢) ، وأن مثلها في الآخرة كمثل ما يعلقُ بأصبع من أدخل أُصبعه في البحر(٣) وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أومتعلم(٤). وأنها سجنُ المؤمن وجنة الكافر(٥) وأمر العبد أن يكون فيها كأنه غريب أو عابر سبيل ، وأن يعد نفسه من أهل القبور ، وإذا أصبح فلا ينتظر المساء وإذا أمسى فلا ينتظر الصباح(٦) ، ونهى عن اتخاذ ما

---

(١) **ضعيف** : سبق تخريجه .

(٢) **ضعيف** : سبق تخريجه .

(٣) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٤) **ضعيف** : سبق تخريجه .

(٥) **صحيح** : مسلم (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٦) قال الحافظ ابن حجر : من غرائب الصحيح ، وكأن البخاري - رحمه الله تعالى - لم يشدد فيه لكونه من أحاديث الترغيب والترهيب - مقدمة الفتح - (٤٦٣ ترجمة محمد بن عبد الرحمن الطفاوي) البخاري (٦٤١٦) الترمذي (٢٣٣٣) ابن ماجه (٤١١٤) أحمد (٢/ ٢٤ ، والزهد ٤٢) ابن المبارك (١٣ الزهد) الطبراني (١/ ٣٠ الصغير) الروياني (١٤١٧ مسند) أبو نعيم (١/ ٣٨٦ - ٣/ ٣٤٣ - ٦/ ١٢٣ الحلية) . قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله - ابن المديني - حدثنا محمد بن عبد الله الطفاوي - أبو المنذر - عن سليمان الأعمش قال حدثني مجاهد عن ابن - عمر رضي الله عنهما - مرفوعًا . قال الحافظ ابن حجر : أنكر العقيلي هذه اللفظة وهي - « حدثني مجاهد » - وقال : إنما رواه الأعمش بصيغة - عن مجاهد - كذلك . رواه أصحاب الأعمش عنه - أي عن مجاهد - وكذا أصحاب الطفاوي عنه - أي عن الأعمش ، وتفرد ابن المديني - على بن عبد الله - بالتصريح . يعني قوله : حدثني مجاهد . قال : ولم يسمعه الأعمش من مجاهد وإنما سمعه من ليث بن أبي سليم عنه . يعني ليث عن مجاهد ، فدلسه . يعني دلسه الأعمش ، وأخرجه ابن حبان (٧ رقم ٢٩٨٠ الإحسان) في صحيحه من طريق الحسن بن قزعة حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن الأعمش عن مجاهد (بالعنعنة) وقال الحسن بن قزعة : ما سألني يحيى بن معين إلا عن هذا الحديث ، وقال الحافظ ابن حجر : وأخرجه ابن حبان في روضة العقلاء ، وأيضًا أبو نعيم (٣/ ٣٤٣) من طريق محمد بن أبي بكر المقدمي عن الطفاوي (بالعنعنة) أيضا وقال : مكثت مدة أظن أن الأعمش دلسه عن مجاهد ، وإنما سمعه من ليث - ابن أبي سليم - حتى رأيت على بن المديني رواه عن الطفاوي ، فصرح بالتحديث يشير إلى رواية البخاري التي في الباب .ا.هـ (فتح الباري ١١/ ٢٣٧) . قلت (محمد) : وأخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وأبو نعيم والطبراني كلهم من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عُمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا ، وأخرجه أحمد والترمذي وابن المبارك وأبو نعيم من طريق سفيان الثوري عن =

يُرَغِّب فيها ، ولعن عبد الدينار وعبد الدرهم ، ودعا عليه بالتعس والانتكاسِ وعدم إقالةِ العثرةِ بالانتقاشِ[(١)].

وأخبر : أنها خضرةٌ حلوة ؛ تأخذ العيون بخضرتها والقلوب بحلاوتها ، وأمر باتقائها والحذر منها ، كما تتقى النساء ويحذر منهن[(٢)] ، وأخبر : أن الحرص عليها وعلى الرياسة والشرف يفسد الدين كإفساد الذئبين الضاريين إذا أرسلا في زريبة غنمٍ أو أشد إفسادًا[(٣)] ،

= ليث عن مجاهد عن ابن عُمر ﷺ وأخرجه أحمد أيضًا (٢/ ٤٢) من طريق أبي معاوية - محمد بن خازم الضرير - عن ليث به ، وأخرجه ابن ماجه من حماد بن زيد عن ليث به ، وأخرجه الطبراني من طريق الحسن بن الحر بن الحكم عن ليث به ، وأخرجه الروياني في مسنده من طريق محمد بن فضيل بن غزوان عن ليث به . قال الحافظ ابن حجر : وأخرجه ابن عدي في الكامل من طريق حماد بن شعيب عن أبي يحيى القتات عن مجاهد وليث ، وليث وأبو يحيى القتات ، ضعيفان والعمدة على طريق الأعمش .ا.هـ (فتح الباري ١١/ ٢٣٨) قلت (محمد) : وللحديث إسناد آخر عند أحمد (٢/ ١٣٢) وأبو نعيم (٦/ ١٢٣) من طريق الأوزاعي أخبرني عبدة بن أبي لُبابة عن ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا ، وقال الحافظ ابن حجر : وأخرجه النسائي من رواية عبدة بن أبي لُبابة عن ابن - عمر رضي الله عنهما - وهذا مما يقوى الحديث المذكور لأن رواته من رجال الصحيح ، وإن كان اختلف في سماع عبدة من ابن عمر .ا.هـ (فتح الباري ١١/ ٢٣٨) ، وقال أيضًا : فهذا الحديث تفرد به الطفاوي وهو من غرائب الصحيح ، وكأن البخاري لم يشد فيه لكونه من أحاديث الترغيب والترهيب ، والله أعلم .ا.هـ (مقدمة الفتح ٤٦٣) .

(١) **ضعيف - مرسل** : الترمذي (٢٣٧٥) من طريق يونس بن عبيد - ابن دينار العبدي - عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً . الحسن بن أبي الحسن البصري عن أبي هريرة ﷺ : سبق له ترجمة مختصرة ، وأزيد عليها هنا بعض الشيء . قال شعبة : قلت ليونس بن عبيد : الحسن سمع من أبي هريرة ؟ قال : ما رآه قط ، وقال أحمد بن حنبل : قال بعضهم عن الحسن حدثنا أبو هريرة . قال ابن أبي حاتم : إنكارًا عليه . إنه لم يسمع من أبي هريرة ، وقال علي ابن المديني : لم يسمع من أبي هريرة شيئًا ، وقال قتادة : قال الحسن : إنا والله ما أدركنا إلا وقد مضى صدر أصحاب محمد ﷺ الأول ، وقال قتادة : إنما أخذ الحسن عن أبي هريرة . قلت له : القائل ابن أبي حاتم : زعم زياد الأعلم أن الحسن لم يلق أبا هريرة ؟ قال : لا أدري ، وقال علي بن زيد وأبو حاتم : لم يسمع من أبي هريرة ، وقال أبو زرعة : لم يسمع من أبي هريرة ولم يره ، قيل له : فمن قال حدثنا أبو هريرة ؟ قال : يخطئ ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول وذكر حديثًا حدَّثه مسلم بن إبراهيم حدثنا ربيعة بن كلثوم . قال : سمعت الحسن يقول : حدثنا أبو هريرة قال : أوصاني خليلي ﷺ بثلاث ... الحديث . قال أبي : لم يعمل ربيعة بن كلثوم شيئًا ، لم يسمع الحسن من أبي هريرة شيئًا ، قلت لأبي : إن سالمًا الخياط روى عن الحسن قال : سمعت أبا هريرة ، قال : هذا مما يبين ضعف سالم .ا.هـ (تحفة التحصيل ١٧٨) .

(٢) **صحيح** : مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا .

(٣) **صحيح** : الترمذي (٢٣٧٦) الدارمي (٢٧٢٦) ابن المبارك (١٨١ زوائد الزهد) ابن حبان (٢٤٧٢ موارد) من حديث كعب بن مالك الأنصاري ﷺ مرفوعًا .

وأخبر: أنه في الدنيا كراكب استظل تحت شجرة في يوم صائف ثم راح وتَرَكها[١] ، وهذه في الحقيقة [١١٦/ ب]حال سكان الدنيا كلهم ، ولكن هو ﷺ شهد هذه الحال ونهى عنها بني آدم ، ومر بهم وهم يعالجون خصا لهم قد وهى فقال : « **مَا أَرَى الأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ** »[٢] ، وأمر بسترٍ على بابه ، فنُزِع وقال : « **إنه يذكرني الدنيا** »[٣] وأعلم الناس أنه ليس لأحد منهم حق في سوى بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته ، وقوت يقيم صلبه[٤] ، وأخبر : أن الميت يتبعه أهله وماله وعمله ؛ فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله[٥] ، وأخبر : أن المتخوض فيما شاءت نفسه من مال الله بغير حق له النار يوم القيامة[٦] ، وأقسم أنه لا يخاف الفقر على أصحابه ، وإنما يخاف عليهم الدنيا ، وتنافسهم فيها ، وإلهائها لهم[٧] ، وأخبر أنه ليس لابن آدمَ من ماله إلا ما أكلَ فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأمضى[٨] ، وأخبر أن حسْبَ ابن آدَمَ من الدنيا لقيمات يقمن

---

(١) **صحيح لغيره**: سبق تخريجه .

(٢) **إسناده صحيح**: أبو داود (٥٢٣٥ - ٥٢٣٦) الترمذي (٢٣٣٥) ابن ماجه (٤١٦٠) أحمد (٢/ ١٦١) ابن حبان (٢٥٥٥ موارد) من طريق الأعمش عن أبي السفر - سعيد بن يحمد - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا . مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًّا لنا...الحديث . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابن معين : لم يسمع الأعمش من أبي السفر إلا حديثًا واحدًا (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٥) قلت (محمد) : ولم أقف على أحدٍ ذكر الحديث الذي سمعه ، وتصحيح الإسناد على شرط الإمام مسلم ، والله أعلم . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) **صحيح** : مسلم (٢١٠٧) الترمذي (٢٤٦٨) النسائي (٨/ ٢١٣) من طريق إسماعيل بن إبراهيم - ابن علية - وأبو معاوية - محمد بن خَازِم الضرير - ويزيد بن زريع عن داود بن أبي هند قال حدثني عزْرة - ابن عبد الرحمن ابن زُرارة الخزاعي الكوفي الأعور - عن حميد بن عبد الرحمن - الحميري - عن سعد بن هشام - ابن عامر الأنصاري المدني - ابن عم أنس بن مالك - عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - مرفوعًا .

(٤) **ضعيف** : سبق تخريجه .

(٥) **صحيح** : البخاري (٦٥١٤) مسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس ﷺ مرفوعًا .

(٦) **صحيح** : البخاري (٣١١٨) من حديث خولة الأنصارية - رضي الله عنها - مرفوعًا .

(٧) **صحيح** : البخاري (٣١٥٨) مسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﷺ مرفوعًا .

(٨) **صحيح** : سبق تخريجه .

صُلْبَه ، فإن لم يقتصر عليها فثلثُ بطنه لطعامِهِ ، وثُلُثُه لشرابه ، وثلثه لنَفَسِهِ[١] . وفى هذا الحديث الإرشاد إلى صحة القلب والبدن والدين والدنيا .

وأخبر أنَّ غنى العبد فيها غنى نفسه لا كثرة عرضِه[٢] ، وسأل الله أن يجعل رزقه فيها قوتا[٣] ، وغبط من كان رزقُه فيها كفافًا بعد أن هدى للإسلام[٤] ، وأخبر : أن من كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه ، وشتت عليه شمله ، ولم يأتِهِ منها إلا ما كتب له[٥] ،

---

(١) **صحيح** : الترمذي (٢٣٨٠) ابن ماجه (٣٣٤٩) ابن المبارك (٦٠٣ الزهد) أحمد (٤/ ١٣٢) ابن حبان (١٣٤٨ - ١٣٤٩ موارد) الحاكم (٤/ ٣٣١) من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ مرفوعًا. أخرجه الترمذي وابن المبارك وأحمد وابن حبان (١٣٤٩) والحاكم من طريق يحيى بن جابر الطائي عنه به . يحيى بن جابر الطائي عن المقدام بن معدي كرب - مرسل - (الجرح والتعديل ٩/ ١٣٣) ، وأخرجه بن ماجه (٣٣٤٩) من طريق محمد بن حرب - الحمصي - عن أمه عن أمها أنها سمعت المقدام ابن معد يكرب - رضي الله عنها - مرفوعًا . والدة محمد بن حرب الحمصي عن أمها . تفرد عنها ولدها محمد : لا يعرف حالها (تقريب ٨٧٥٤) (ميزان ٤/ ٥٧٦) . وأخرجه ابن حبان (١٣٤٨) من طريق ابن أبي السري - محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن الهاشمي - العسقلاني المعروف بابن أبي السري . حدثنا محمد بن حرب الأبرش - الحمصي - حدثنا سليمان بن سليم الكناني - أبو سلمة - الشامي - عن صالح بن يحيى بن المقدام بن معد يكرب عن أبيه عن جده مرفوعاً . محمد بن المتوكل ابن عبد الرحمن بن أبي السري - العسقلاني - وثقة ابن معين ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، وقال ابن عدي : كثير الغلط (ميزان ٤/ ٢١) . قال الحافظ ابن حجر : صدوق - له أوهام كثيرة (تقريب ٦٢٥٣) . صالح بن يحيى بن المقدام بن معد يكرب - الكندي الشامي - قال البخاري : فيه نظر ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطئ ، وقال موسى بن هارون الحمال : لا يعرف صالح وأبوه إلا بجده ، وقال ابن حزم : هو وأبوه مجهولان (تهذيب التهذيب ٤/ ٤٠٧) (ميزان ٢/ ٢٣٤) ، وقال ابن حجر : لين (تقريب ٢٨٨٩) ، وله إسناد آخر إلى المقدام ﷺ مرفوعًا عند ابن أبي الدنيا (١ - الجوع) من طريق منصور بن أبي مزاحم قال : حدثنا يحيى بن حمزة - ابن واقد الحضرمي - أبو عبد الرحمن الدمشقي القاضي [عن ثور بن يزيد - أبو خالد الحمصي - عن خالد بن معدان وحبيب بن عبيد الرحبي] أبو حفص الحمصي - قالا : حدثنا المقدام بن معدي كرب ﷺ فذكره مرفوعًا : إسناده صحيح .

(٢) **صحيح** : البخاري (٦٤٤٦) مسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٣) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٤) **حسن** : سبق تخريجه .

(٥) **صحيح** : أحمد (٥/ ١٨٣) ابن حبان (٧٢ موارد) ابن ماجه (٤١٠٥) الدارمي (٢٣٤) تهذيب الكمال (٤/ ٣٦٤) من طريق شعبة عن عمر بن سليمان - ابن عاصم بن عمر بن الخطاب - قال : سمعت عبد الرحمن بن أبان ابن عثمان بن عفان عن أبيه عن زيد بن ثابت ﷺ مرفوعًا . من حديث طويل وهي فقرة من فقراته . له إسناد آخر عن أنس بن مالك ﷺ عند الترمذي (٢٤٦٥) ابن أبي الدنيا (٣٥٣ ذم الدنيا) أبو نعيم (٦/ ٣٣٥ الحلية) من =

وعرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا ، فقال : لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يومًا ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك[١] ، وأعلمهم أن من أصبح منهم آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا[٢].

وأخبر : أنَّ بذلَ العبد ما فضل عن حاجته خيرٌ له ، وإمساكه شر له ، وأنه لا يلام على

= طريق الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان الرقاشي عنه به مختصرًا . الرَّبيع بن صبيح السعدي ، قال محمد بن عبد الله ابن عمار الموصلي : كان يحيى بن سعيد - القطان - لا يرضاه ، وعمرو بن علي ومحمد بن المثنى : كان يحيى لا يحدث عنه ، وقال على بن المديني : قلت : ليحيى بن سعيد : ما أراك حدثت عن الربيع بن صبيح بشيء ؟ قال : لا ، ومبارك بن فضالة أحب إلى منه ، وقال عفان بن مسلم : أحاديثه كلها مقلوبة ، وقال أحمد بن حنبل : ضعيف الحديث ، وقال مرة : لا بأس به رجل صالح ، وقال يحيى بن معين : ضعيف الحديث ، وقال محمد بن سعد والنسائي : ضعيف ، وقال شعبة : من سادات المسلمين ، وقال أبو حاتم : رجل صالح والمبارك بن فضالة أحب إليّ منه ، وقال الشافعي : كان الربيع بن صبيح رجلاً غَزَّاءً ، وإذا مُدح الرجل بغير صناعته فقد وُهص يعني : دُقَّ (تهذيب الكمال ٢/ ٤٦٢ - ٤٦٣) . يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس ﷺ قال النسائي وغيره : متروك (المغني ٧٠٨٣) (الضعفاء والمتروكين للدارقطني ٥٩٣) ، وأخرجه أحمد (١٨٠ الزهد) حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن بلغني فذكره . إسناده إلى الحسن صحيح ، وأخرجه ابن أبي الدنيا (٣٥٤ ذم الدنيا) من طريق داود بن المحبر أنبأنا همام بن يحيى عن قتادة عن أنس ﷺ مرفوعًا بنحوه . داود بن المحبر - صاحب العقل - واهٍ . قال ابن حبان : كان يضع الحديث ، وأجمعوا على تركه (المغني ٢٠٢٤) .

(١) **ضعيف** : سبق تخريجه .

(٢) **ضعيف** : الترمذي (٢٣٤٦) ابن ماجه (٤١٤١) العقيلي . الضعفاء الكبير (٢/ ١٤٦) ، ميزان الاعتدال (٢/ ١٥١) تهذيب الكمال (٣/ ٢٥٠) الأدب المفرد (٣٠٠) البيهقي (١٠٥ الزهد الكبير) من طريق مروان بن معاوية - ابن الحارث بن أسماء الفزاري - حدثنا عبد الرحمن بن أبي شُميلة الأنصاري عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه وكانت له صحبة .مرفوعا . عبد الرحمن بن أبي شميلة الأنصاري : مقبول (تقريب ٣٨٨٨) سلمة بن عبيد الله ويقال : عبد الله بن محصن الأنصاري الخطمي : مجهول (تقريب ٢٤٩١) . عبد الله بن محصن الخطمي ، ويقال عبيد الله : مختلف في صحبته (تقريب ٣٥٦٨) الجرح والتعديل (٥/ ٣٣٢) وليس له غير هذا الحديث . وله طريق آخر عند ابن حبان (٢٥٠٣ موارد) وأبو نعيم (٥/ ٢٨٢ الحلية) من طريق عبد الله بن هانئ بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعًا . عبد الله بن هانئ بن عبد الرحمن ، ابن أخي إبراهيم بن أبي عبلة . قال أبو حاتم : أحاديثه بواطيل . قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول قدمت الرملة فذكر لي أن في بعض القرى هذا الشيخ ، وسألت عنه فقيل : هو شيخ يكذب ، فلم أخرج إليه ولم أسمع منه (الجرح والتعديل ٥/ ١٩٤) .

الكفاف[١] ، ونهى أمتَهُ أن ينظر أحدهم إلى من هو فوقه في الدنيا ، وأمره أن ينظر إلى من هو دونه في الدنيا[٢] ، وأخبر أنه لم يبق من الدنيا إلا بلاءٌ وفتنةٌ ، وضربَ مثلها [١١٧/ أ] مثل ما يخرج من ابن آدم عند خلائه ، وإن كان أوله طيبا لذيذًا فهذا آخره[٣].

وأخبر : أن عبادَ الله ليسوا بالمتنعمين فيها ؛ فإن أمامَهم دارُ النعيم فهم لا يرضون بنعيمهم في الدنيا عوضا من ذلك النعيم[٤] ، وأخبر أن نجاة أولِ هذه الأمة بالزهدِ واليقينِ ، وهلكة آخرها بالبخلِ وطول الأمل[٥] ، وكان النبي ﷺ يقول : ((**لَبَّيْكَ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ**))[٦] ، وأخبر أنه تعالى إذا أحبَّ عبده حماه الدنيا كما يحمى الإنسان مريضه من الطعام والشَّرَاب[٧] ، ودخل النبي ﷺ على عثمان بن مظعون وهو في

---

(١) **صحيح** : مسلم (١٠٣٦) الترمذي (٢٣٤٣) أحمد (٥/ ٢٦٢) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ مرفوعًا ، واللفظ لمسلم (يا ابن آدم ، إنك أن تبذُل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك الحديث).

(٢) **صحيح** : البخاري (٦٤٩٠) مسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٣) **إسناده صحيح** : سبق تخريجه .

(٤) **إسناده ضعيف** : سبق تخريجه .

(٥) **ضعيف - مرسل** : أحمد (٥١ الزهد) حدثنا الهيثم بن جميل - البغدادي - نزيل أنطاكية - حدثنا محمد بن مسلم - الطائفي - يقال ابن سوْسن ويقال ابن سُوس ويقال ابن سُس ويقال ابن سُنين ويقال ابن شُونير عن إبراهيم بن ميسرة - الطائفي - عن عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ((صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك آخرها بالبخل والأمل)) . عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو . قال العلائي : الذين سمع منهم عمرو بن شعيب من الصحابة : الرُّبيع بنت مُعوذ - وزينب بنت أبي سلمة - رضي الله عنهما - (جامع التحصيل ٢٤٤ ص) وأخرجه الطبراني (٧٦٤٦ الأوسط) الخطيب (٧/ ١٨٦ تاريخ بغداد) من طريق عصمة بن المتوكل قال : حدثنا زافر بن سليمان عن محمد بن مسلم - الطائفي - عن إبراهيم بن ميسرة - الطائفي - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : لا أعلم إلا رفعه . فذكره . عصمة بن المتوكل . قال العقيلي : عن شعبة وغيره : قليل الضبط للحديث - يهم وهمًا ، وقال أيضًا : قال أبو عبد الله - أحمد بن حنبل -: لا أعرفه (الضعفاء الكبير ٣/ ٣٤٠) ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : الحنفي قاض شيراز : يرى عن العراقيين وزافر بن سليمان . روى عنه أحمد بن عبد الله بن يوسف الجصاص أبو جعفر بياع الحديد ، مستقيم الحديث (لسان العرب ٤/ ١٩٧) . زافر بن سليمان : سبق له ترجمة . محمد بن مسلم الطائفي : صدوق يخطئ (تقريب ٦٢٨٥) .

(٦) **صحيح** : البخاري (٦٤١٣) مسلم (١٨٠٥) الترمذي (٣٨٥٧) ابن ماجة (٧٤٢) أحمد (٣/ ١١٨ - ١٧٢ - ٢١٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . البخاري (٣٧٩٧ - ٦٤١٤) مسلم (١٨٠٤) الترمذي (٣٨٥٦) أحمد (٥/ ٣٣٢) من حديث سهل بن سعد ﷺ مرفوعًا .

(٧) **حسن** : سبق تخريجه .

الموت ؛ فاكب عليه يقبله ويقول : رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك ؛ فغبطه بذلك[١] ، وكان يقول : الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن ، والرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن[٢] ، وكان يقول : من جعل الهموم كلَّها همًّا واحدًا كفاه الله سائر همومه ، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أي أوديتها هلك[٣].

---

(١) **إسناد ضعيف - مرسل** : أحمد (٦٠ الزهد) حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أيوب - السختياني - عن عبد ربه بن سعيد المدني مرسلًا . سيار بن حاتم : سبق له ترجمة . عبد ربه بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصاري النجاري - المدني - لم يدرك النبي ﷺ .

(٢) **إسناده ضعيف** : أحمد (٥٠ الزهد) حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا محمد بن مسلم - الطائفي - عن إبراهيم بن ميسرة - الطائفي - عن طاووس - ابن كيسان اليماني - عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا « إن الزهد في الدنيا ... الحديث » . محمد بن مسلم - الطائفي - : سبق له ترجمة . ، وأزيد هنا بعض الشيء . قال أحمد بن حنبل : إذا حدث محمد بن مسلم من غير كتاب يعني أخطأ . قال عبد الملك بن عبد الحميد الميموني : قلت الطائفي ؟ قال : يعني الإمام أحمد ، نعم ، ثم ضعفه على كل حال من كتاب وغير كتاب ، فرأيته عنده ضعيفًا (الضعفاء الكبير ٤/ ١٣٤) .

قلت (محمد) : ومما يدل على ذلك أن هذا الحديث عند ابن أبي الدنيا (١٣١ الزهد) عن طاووس قال : قال النبي ﷺ فذكره . بهذا الإسناد والله أعلم ، وأخرجه ابن أبي الدنيا (٢٨٩ ذم الدنيا) أيضًا من طريق إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض يذكر عن النبي ﷺ به (معضل) . إبراهيم بن الأشعث : سبق له ترجمة .

(٣) **ضعيف جدًا** : ابن ماجه (٢٥٧-٤١٠٦) أحمد (١١٩ الزهد) العقيلي (٤/ ٣١٠ الضعفاء الكبير) من طريق معاوية النصري - ابن سلمة - أبو سلمة الكوفي - عن نهشل - ابن سعيد - عن الضحاك بن مزاحم عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله - ابن مسعود ﷺ مرفوعًا . معاوية بن سلمة النصري . قال البخاري : قال عبد الله بن نمير : كان ثقة ، وقال أبو حاتم : كان مستقيم الحديث (تهذيب الكمال ٧/ ١٥٤) . نهشل بن سعيد بن وردان - الورداني - متروك - وكذبه إسحاق بن راهويه ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال يحيى : ضعيف ، وقال أبو زرعة : ضعيف ، تهذيب الكمال (٧/ ٣٦٣) (ميزان ٤/ ٢٥٢) الضعفاء والمتروكين للدارقطني (٥٥١) وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٣ - ٤/ ٣٢٨) من طريق أبي عقيل يحيى بن المتوكل ثنا عمر بن محمد العمري عن نافع عن ابن عُمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا . أبو عقيل - يحيى بن المتوكل العُمري - صاحب بُهية - قال عبد الله بن المبارك : ضعيف ، وقال أحمد بن حنبل : واهي الحديث ، وقال يحيى : ضعيف ، ليس حديثه بشيء ، وقال عثمان بن سعيد الدارمي : عن يحيى بن معين : ليس به بأس . قال عثمان : هو ضعيف ، وقال يزيد بن الهيثم البادا ، وعن يحيى بن معين : ضعيف ، وقال الغلابي عن يحيى : منكر الحديث ، وعن علي بن المديني : ضعيف ، وقال عَمرو بن علي الفلاس : فيه ضعف شديد ، وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : أحاديثه منكرة ، وقال أبو زرعة : لين ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث يكتب حديثه ، وقال النسائي : ضعيف (تهذيب الكمال ٨/ ٨١ - ٨٢) ، وأخرجه أبو نعيم (٣/ ١٧٦ الحلية) من طريق عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب الغافقي المصري عن عمارة بن غزية عن محمد بن المنكدر مرسلًا . يحيى بن أيوب الغافقي - أبو العباس المصري - قال أحمد بن حنبل : سيء الحفظ ، =

وأخبر أنه: « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ النَّاسِ كَانَ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُ الله ﷻ: اصْبِغُوهُ فِي النَّارِ صبْغَةً فَيَصْبِغُونَهُ صبْغةً ، ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ أَصَبْتَ نَعِيمًا قَطُّ ؟ هَلْ رَأَيْتَ قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ ؟ هَلْ أَصَبْتَ سُرُورًا قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ ، ثُمَّ يَقُولُ : رُدُّوه إِلَى النَّارِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا وَأَجْهَدَهُمْ جُهْدًا ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : اصْبِغُوهُ فِي الجنَّةِ صِبْغَةً فَيُصْبَغُ فِيهَا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ مَا تَكْرَهُ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَكْرَهُهُ »(١).

وفي حديث مناجاة موسى ﷺ الذي رواه الإمام أحمد في كتابِ « الزهد » حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل ، حدثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب ابن منبه فذكره وفيه : ولا تُعْجِبْكُما زينَتَهُ ولا ما مُتِّع به ولا تمدان إلى ذلك أعينكما ، فإنها زهرة [١١٧/ ب]الحياة الدنيا وزينة المترفين ، لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة يعلم فرعونُ حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت ، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي ، وقديما ما خرت لهم في ذلك فإني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة ، وإني لأجنبهم سلوتها وعيشها كما يُجنِّب الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة ، وما ذلك لهوانهم علي ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفرًا لم تكلمه الدنيا ولم يطغه الهوى ، واعلم أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ من الزهدِ في الدنيا ؛ فإنها زينة المتقين عليهم ، منها لباسٌ يعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجههم من أثر السجود أولئك أوليائي حقًّا ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك(٢) ، وذكر الحديث .

= وقال يحيى بن معين : صالح ، وقال مرة : ثقة ، وقال أبو حاتم : محله الصدق ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال أبو داود : صالح ، وقال النسائي : ليس بالقوي (تهذيب الكمال (٨/ ١٧ - ١٨) النسائي عمل اليوم والليلة (٣٦٧) العقيلي . الضعفاء الكبير (٤/ ٣٩١) .

(١) **صحيح**: مسلم (٢٨٠٧) ابن ماجه (٤٣٢١) أحمد (٣/ ٢٠٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا .

(٢) إسناده حسن إلى وهب بن منبه: أحمد (٣٤٢ الزهد) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا غوث بن جابر قال: سمعت محمد بن داود عن أبيه عن وهب قال: قال الحواريون: يا عيسى، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ قال: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالا، وذكرهم إياها فواتا، وفرحهم بما أصابوا منها حُزنا، فما عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وخربت بينهم فليسوا يُعَمِّرونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، رفضوها فكانوا [١١٨/ أ] فيها هم الفرحين، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة، يحبون الله ويحبون ذكره، ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبرٌ عجيبٌ، وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم عُلم الكتاب وبه عُلِمُوا، ليسوا يرون نائلا مع ما نالوا، ولا أمانا دون ما يرجون، ولا خوفا دون ما يحذرون[١].

وحدثنا روح حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قيل لعيسى ابن مريم: يا رسول الله! لو اتخذت حمارًا تركبه لحاجتك، قال: أنا أكرمُ على الله من أن يجعل لي شيئًا يشغلني به[٢]، وقال: اجعلوا كنوزَكُم في السماءِ، فإن قلب المرء عند كنْزه[٣]، وقال:

---

(١) في إسناده من لم أقف على ترجمته. أحمد (٣٣٩ الزهد). غوث بن جابر، قال ابن أبي حاتم: روى عن محمد بن داود عن أبيه عن وهب بن منبه روى عنه أحمد بن حنبل. ثم قال: قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل فيما كتب إلى قال: سئل يحيى بن معين عن غوث بن جابر قال: لم يكن به بأس ما كتبت عنه حديثًا قط، كان يروى حكمة وهب بن منبه (الجرح والتعديل ٧/ ٥٧ - ٥٨). محمد بن داود عن أبيه: لم أقف على ترجمته.

(٢) **إسناده صحيح إلى ثابت**: أحمد (٣٠٩ الزهد).

(٣) **إسناده صحيح إلى إبراهيم بن يزيد شريك التيمي** - أبو أسماء - أحمد (٣١٣ الزهد) حدثنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن أبيه: سعيد بن مسروق الثوري عنه أن عيسى ابن مريم ﷺ قال: فذكره.

اتقوا فضول الدنيا ، فإن فضول الدنيا عند الله رجز(١) ، وقال : يا بني إسرائيل اجعلوا بيوتَكُم كمنازل الأضيافِ ، فما لكم في العالم من منْزل إن أنتم إلا عابري سبيل(٢). وقال : يا معشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر دارًا ؟ قالوا : يا روح الله ومن يقدر على ذلك ؟ قال : إيَّاكُم والدنيا فلا تتخذوها قرارا(٣) ، وقال : أَكْلُ خُبْزِ البُّر ، وشُرْبِ مَاء عَذْبٍ ، ونوم على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد أن يرثَ الفِرْدَوْسَ(٤).

قال أحمد : وحدثنا بهز عن الأعمش عن خيثمة قال : قال المسيح : بشدة ما يدخل الغنيُّ الجنَّةَ(٥) ، وقال المسيح ﷺ : حلاوةُ الدنيا مرارةُ الآخرة ، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة(٦) ، وقال : يا بني إسرائيل تهاونوا بالدنيا تهن عليكم ، وأهينوا الدنيا تكرم عليكم الآخرة ، ولا تكرموا الدنيا تهن عليكم الآخرة ، فإن الدنيا ليست بأهل الكرامة ، وكل يوم تدعو إلى الفتنة والخسارة(٧) ، وقال إسحاق بن هانئ في مسائله : قال أبو عبد الله وأنا أخرج من داره : قال الحسن : أهينوا الدنيـا فوالله لأهنأ ما تكون حـين تهان(٨) ،

---

(١) **إسناده صحيح إلى سالم بن أبي الجعد**: ابن المبارك (٨٤٨ الزهد) ابن أبي الدنيا (٢١٥ ذم الدنيا) واللفظ لابن المبارك ، أخبرنا سفيان - الثوري - عن منصور - ابن المعتمر - عنه قال : قال عيسى ﷺ : « اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم ، انظروا إلى هذا الطير تغدوا وتروح ، ولا تحصد ولا تحرث والله يرزقها ، فإن قلتم نحن أعظم بطوناً من هذا الطير ، فانظروا إلى هذه الأباقر من الوحش والحمر ، فإنها تغدو وتروح ، ولا تحرث ولا تحصد والله يرزقها . اتقوا فضول الدنيا ... ».

(٢) **لم أقف عليه** .

(٣) **إسناده حسن إلى مكحول**: سبق تخريجه .

(٤) **إسناده حسن إلى عُمر بن عبد الأحموسي**: سبق تخريجه .

(٥) **إسناده حسن إلى خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة**: لم أجد عند أحمد ، وهو عند أبو نعيم (٤/١٢٨ الحلية) من طريق أبو خالد الأحمر - سليمان بن حيان - عن الأعمش عنه . قال : قال عيسى ﷺ لرجل من أصحابه وكان غنياً : تصدق بمالك . فكره ذلك . فقال عيسى عليه السلام . فذكره .

(٦) **إسناده ضعيف**: أحمد (٤٨٢ الزهد) حدثنا ابن عياش إسماعيل الحمصي عن عبد الله بن دينار البهراني قال : قال عيسى ابن مريم ﷺ فذكره . عبد الله بن دينار البهراني - أبو محمد الحمصي - ضعيف (تقريب ٣٢٩٦) . إسماعيل بن عياش الحمصي : سبق له ترجمة .

(٧) **لم أعثر عليه** .

(٨) **إسناده صحيح إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى**: وأخرجه أحمد (١٦٢٥ الزهد) ، وابن أبي الدنيا (٣١٤ ذم الدنيا) من طريق روح والفضيل بن عثمان عن سلام بن مسكين عنه به .

وقال الحسن : والله ما أبالي شُرقت أم غُربت . قال : وقال لي أبو عبد الله [١١٨/ ب]: يا إسحق ما أهون الدنيا على الله ﷻ، وقال : الدنيا قليلُها يجزى وكثيرها لا يجزي .

قالوا: وقد تواتر عن السلف : أن حب الدنيا رأس كل الخطايا وأصلها ، وقد روى فيه حديث مرفوع لا يثبت(١) ، ولكنه يروى عن المسيح . قال عبد الله بن أحمد : حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن بديل بن ميسرة قال : حدثني جعفر بن خرفاش : أن عيسى ابن مريم ﷺ قال : رأسُ الخطيئة حبُّ الدنيا ، والنِّساءُ حبالة الشيطان ، والخمرُ جماع كل شر(٢).

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري عن سفيان قال : كان عيسى ابن مريم ﷺ يقول : حبُّ الدنيا أصل كل خطيئة ، والمال فيه داءٌ كبير ، قالوا : وما داؤه ؟ قال : لا يسلم صاحبه من الفخر والخيلاء . قالوا : فإن سلم ؟ قال : يشغله إصلاحه عن ذكر الله ﷻ(٣). قالوا : وذلك معلوم بالتجربة والمشاهدة ؛ فإن حبها يدعو إلى خطيئة ظاهرة وباطنة ، ولا سيما خطيئة يتوقف تحصيلها عليها ، فيُسكرُ عاشقها حبها عن علمه بتلك الخطيئة وقبحها وعن كراهتها ، واجتنابها وحبها يوقع في الشبهات ثم في المكروهات ثم في المحرمات وطالما أوقع في الكفر ، بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا ، فإن الرسلَ لما نهوهم

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٩ ذم الدنيا) حدثني سريج بن يونس نا عباد بن العوام عن هشام أو عوف عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «حب الدنيا رأس كل خطيئة» مرسل - ضعيف . هشام هو ابن حسان : سبق له ترجمة . عوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي العبدي : ثقة (تقريب ٥٢٠٥) . الحسن البصري : سبق له ترجمة .

(٢) **إسناده ضعيف إلى جعفر بن جرفاس التميمي وجعفر** : مستور الحال (الجرح والتعديل ٢/ ٤٧٥) . أحمد (٤٧٢ الزهد) . معاذ بن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي البصري . قال أبو أحمد بن عدي : ولمعاذ عن غير أبيه أحاديث صالحة ، وهو ربما يغلط في الشيء بعد الشيء ، وأرجو أنه صدوق (تهذيب الكمال ٧/ ١٤٥) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - ربما وهو (تقريب ٦٧٣٢) ، وله إسناد آخر عند ابن أبي الدنيا (٤١٦ ذم الدنيا) حدثني محمد ابن إدريس - أبو حاتم الرازي - أنبأنا هريم بن عثمان عن سلام بن مسكين عن مالك بن دينار قوله : إسناده حسن إلى مالك بن دينار .

(٣) **إسناده حسن إلى سفيان الثوري** : أحمد (٤٧٣ الزهد) البيهقي (٢٤٨ الزهد الكبير) عمر بن سعد - أبو داود الحفري - عنه به . إسماعيل بن عمرو البجلي . قال أبو حاتم : ضعيف الحديث (الجرح والتعديل ٢/ ١٩٠) .

عن الشرك والمعاصي التي كانوا يكسبون بها الدنيا حملهم حبها على مخالفتهم وتكذيبهم فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا ، ولا تنس خطيئة الأبوين قديمًا ، فإنما كان سببها حب الخلود في الدنيا ، ولا تنس ذنب إبليس وسببه حب الرياسة التي محبتها شر من محبة الدنيا ، وبسببها كَفَرَ فرعونُ وهامانُ وجنودُهما وأبو جهل وقومُه واليهودُ ، فحبُّ الدنيا والرياسة هو الذي عمر النار بأهلها ، والزهد في الدنيا والرياسة هو الذي عمر الجنة بأهلها ، والسُّكرُ بحبِّ الدُّنيَا أعظمُ من السكر بشرب الخمرِ بكثير ، وصاحبُ هذا السكر لا يفيقُ منه [١١٩/ أ] إلا في ظلمةِ اللَّحدِ ، ولو انكشف عنه غطاؤه في الدنيا لعلم ما كان فيه من السُّكرِ وأنه أشدُّ من سُكْر الخمر ، والدنيا تَسحَرُ العقولَ أعظم سحرٍ .

قال الإمام أحمد : حدثنا سيار حدثنا جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : اتقوا السَّحَّارَةَ ، اتقوا السحارة ؛ فإنها تسحر قلوب العلماء[1].

وقال يحيى بن معاذ الرازي : الدنيا خمرُ الشيطانِ من سَكِرَ منها فلا يفيقُ إلا في عسكر الموتى نادمًا من الخاسرين ، وأقل ما في حبها أنه يلهي عن حب الله وذكره ، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين ، وإذا لها القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان وصرفه حيث أراد ، ومن فقهه في الشرِّ أنه يُرْضِيهُ ببعض أعمال الخير ليريه أنه يفعل فيها الخير، وقد تعبد لها قلبُه فأين يقع ما يفعله من البر مع تعبُّدِه لها ، وقد لعنه رسولُ الله ﷺ ودعا عليه فقال : لُعِنَ عبدُ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ[2] ، وقال : « **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ مُنِعَ سَخَطَ** »[3] . وهذا تفسير منه ﷺ وبيان لعبوديتها . وقد عرضت الدنيا على النبي ﷺبحذافيرها ، وتعرضت له فدفع في صدرها باليدين ، وردَّها على عَقِبَيْهَا ، ثم عُرضت بعده على أصحابه وتعرضتْ لهم ،

---

(١) **إسناده ضعيف إلى مالك بن دينار**: أحمد (١٨٦٨ الزهد) . سيار هو ابن حاتم العنزي : سبق له ترجمة . جعفر هو ابن سليمان الضُّبعي : صدوق - زاهد (تقريب ٩٤٥) .

(٢) **ضعيف**: سبق تخريجه .

(٣) **صحيح**: البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

فمنهم من سلك سبيله ودفعها عنه وهم القليل ، ومنهم من استعرضها وقال : ما فيك ، قالت : فيَّ الحلالُ والشبهة والمكروه والحرام ، فقالوا : هات حلالك ولا حاجة لنا فيما عداه فأخذوا حلالها .

ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا حلالها وحده فقالت : قد ذهب به من قبلكم فأخذوا مكروهها وشبهها ، ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا حلالها فلم يجدوه فطلبوا شبهها ومكرهها ، فقالت : قد أخذه من قبلكم ، فقالوا : هاتِ حرامَكِ فأخذوه . فطلبه من بعدهم ، فقالت : هو في أيدي الظَّلَمة ، قد استأثروا به عليكم ؛ فتحيلوا على تخليصه منهم بالرغبة [١١٩/ ب] والرهبة ، فلا يمدُّ فاجرٌ يده إلى شيء من الحرام إلا وجد أفجر منه وأقوى قد سبقه إليه ، هذا وكلُّهم ضيوفٌ وما بأيديهم عاريةٌ ؛ كما قال ابن مسعود ﷺ : ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيفٌ وماله عاريةٌ ، فالضيفُ مرتحلٌ ، والعارية مؤداة[1].

قالوا : وإنما كان حبُّ الدنيا رأسُ الخطايا ، ومفسدًا للدين من وجوه :

أحدها : أنَّ حبَّها يقتضي تعظيمَها وهي حقيرةٌ عند الله ، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقر اللهُ .

وثانيها : أن الله لعنَها ومقتَها وأبغضَها إلا ما كان له فيها ، ومن أحب ما لعنه الله ومقته وأبغضه فقد تعرض للفتنة ومقتِهِ وغضبِهِ .

وثالثها : أنه إذا أحبَّها صَيَّرها غايته وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة ، فعكس الأمر ، وقلب الحكمة فانتكس قلبه ، وانعكس سيره إلى وراء ، فها هنا أمران :

أحدهما : جعل الوسيلة غاية . **والثاني** : التوسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا ، وهذا شر معكوس من كل وجه ، وقلب منكوس غاية الانتكاس ، وهذا هو الذي انطبق عليه

---

(١) **مرسل إلى عبد الله بن مسعود** ﷺ : أحمد (٩٠٤ الزهد) حدثنا أبو عبيدة - عبد الواحد بن واصل - السدوسي حدثنا قرة بن خالد « السدوسي » - عن الضحاك - ابن مزاحم الهلالي - عنه به . الضحاك ابن مزاحم الهلالي قيل : لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة ، وقال ابن حبان : لقى جماعة من التابعين ولم يشافه أحدًا من الصحابة (تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٤) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - كثير الإرسال (تقريب ٢٩٧٣) .

حذو القَذَّةِ بِالْقَذَّةِ ، قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥- ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] ، فهذه ثلاث آيات يشبه بعضها بعضًا ، وتدل على معنى واحد وهو أن من أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والدار الآخرة فحظه ما أراد وهو نصيبه ليس له نصيب غيره ، والأحاديث عن رسول الله ﷺ مطابقة لذلك مفسرة له ؛ كحديث أبي هريرة ﷺ في الثلاثة الذين أوَّل من تُسَعَّرُ بهم النار : الغازي ، والمتصدِّق ، والقارئ الذين أرادوا بذلك الدنيا والصيت . وهو في صحيح مسلم[1].

وفي سنن النسائي عن أبي أمامة [١٢٠/ أ] ﷺ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! رجلٌ غزا يلتمسُ الأجرَ والذكر ما له ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **لَا شَيْءَ لَهُ** » ؛ فأعادها ثلاث مرات ، يقول له رسول الله ﷺ : « **لَا شَيْءَ لَهُ** » ، ثم قال : « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ** »[2] ؛ فهذا قد بطل أجرُه وحبط عمله مع أنه قصد حصول الأجر لما ضم إليه قصد الذكر بين الناس فلم يخلص عملَه لله فبطل كله .

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن رجلًا قال : يا رسول الله الرجلُ يريدُ الجهادَ في سبيل الله وهو يبتغي عرض الدنيا ، فقال له رسول الله ﷺ : « لا أجر له »

---

(١) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٢) **إسناده حسن** : النسائي (٦/ ٢٥) من طريق عكرمة بن عمار عن شداد - ابن عبد الله القرشي - أبي عمار عن أبي أمامة الباهلي ﷺ مرفوعًا . عكرمة بن عمار البجلي : تكلموا في روايته عن يحيى بن أبي كثير وإياس بن سلمة بن الأكوع ، ولم يتكلوا في روايته عن غيرهما (تهذيب الكمال ٥/ ٢٠٨) . شداد ابن عبد الله القرشي أبو عمار الدمشقي - مولى معاوية بن أبي سفيان - قال عكرمة بن عمار : حدثنا شداد أبو عمار ، وقد لقى أبا أمامة وواثلة وصحب أنسًا إلى الشام وأثنى عليه فضلاً وخيرًا (تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٧) .

فأعظم الناس ذلك ، وقالوا للرجل : عُد إلى رسول الله ﷺ لعله لم يَفْهَمْ ، فعاد فقال : يا رسول الله الرجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرض الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ: « لا أجر له » ثم أعاد الثالثة ، فقال رسول الله ﷺ: «لا أجر له»[١] .

وفى المسند أيضا وسنن النسائي ، عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « من غزا في سبيل الله ﷻ وهو لا ينوى في غزاته إلا عِقَالًا فله ما نوى»[٢].

وفى المسند والسنن عن يعلى بن أمية قال : كان رسول الله ﷺ يبعثني في سرايا فبعثني ذات يوم في سريةٍ ، وكان رجلًا يركب بغلًا فقلت له : ارحلْ فإنَّ النبي قد بعثني في سريةٍ فقال : ما أنا بخارج معك حتى تجعل لي ثلاثةَ دنانير ففعلت ، فلما رجعت من غزاتي ذكـرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: « ليس له من غزاتـه هذه ومن دنيـاه

---

(١) **إسناده مضطرب**: أبو داود (٢٥١٦) أحمد (٢/ ٢٩٠ - ٣٦٦) ابن حبان (١٦٠٤ موارد) الحاكم (٢/ ٨٥) تهذيب الكمال (٦/ ٧٠ - ١/ ٣١٩ - ٣٢٠) من طريق ابن أبي ذئب عن القاسم بن عباس عن بكير بن عبد الله الأشج عن ابن مكرز رجل من أهل الشام عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . القاسم بن عباس بن محمد بن مُعتب بن أبي لهب القرشي الهاشمي ، أبو العباس المدني . قال أبو الحسن بن البراء عن علي بن المديني : لم يروه عنه غير ابن أبي ذئب والقاسم : مجهول ، وابن مكرز : مجهول ، لم يروه عنه غير ابن الأشج (تهذيب الكمال ٦/ ٧٠) ، وقال الذهبي : لينه محمد بن البرقي الحافظ ، وقال ابن المديني : مجهول ، قلت : أي الذهبي : بل هو صدوق مشهور ، روي عباس - الدُّوريُّ عن ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : لا بأس به (ميزان ٣/ ٣٦٠) . ابن مكرز . رجل من أهل الشام عن أبي هريرة ﷺ : لا يعرف وعنه بكير بن عبد الله الأشج ، وما هو بأيوب بن عبد الله بن مكرز ، فإن ذا رجل آخر من أصحاب ابن مسعود قديم (ميزان ٤/ ٥٥٥) قال الحافظ ابن حجر : ابن مكرز ، شامي ، شيخ لبكير بن الأشج ، قيل : هو أيوب بن عبد الله ، وقيل : زيد (تقريب - ترجمة ابن مكرز) قال المزي : وقد روى أحمد بن حنبل هذا الحديث في موضع آخر (٢/ ٣٦٦) عن حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب وسماه - يزيد بن مكرز - فتبين بذلك أن ابن مكرز الذي روى له أبو داود رجل : مجهول . كما قال على بن المديني ، وأنه ليس بأيوب بن عبد الله بن مكرز هذا . والله أعلم (تهذيب الكمال ١/ ٣٢٠) قلت (محمد) : ويزيد بن مكرز . قاله المزي والحافظ ابن حجر : في ترجمة أيوب بن عبد الله (تهذيب الكمال ٨/ ١٥١) (تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٦٢) .

(٢) **إسناده ضعيف** : النسائي (٦/ ٢٤) الدارمي (٢٤١٣) أحمد (٥/ ٣١٥ - ٣٢٠ - ٣٢٩) الحاكم (٢/ ١٠٩) ابن حبان (١٦٠٥ موارد) من طريق يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن جده عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعًا . يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي المدني . قال ابن حجر : قال ابن القطان : مجهول ، وذكره ابن حبان في صحيحه أنه ابن أخي عبادة بن الصامت وأنه . يحيى بن الوليد بن الصامت ، وفيما قاله (أي : ابن حبان) نظر (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٦) ، وقال أيضًا : مقبول (تقريب ٧٦٥٦) .

وآخرته إلا ثلاثة دنانير »[1].

وفي سنن أبي داود أن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : يارسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو ، فقال : « يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت [١٢٠/ب] صابرًا محتسبًا بعثك الله صابرًا محتسبًا ، وإن قاتلت مرائيا مكاثرًا بعثك الله مرائيا مكاثرًا ، يا عبد الله بن عمرو على أي حال قاتلتَ أو قُتِلت بعثك الله على تلك الحال »[2].

وفي المسند والسنن عن أبي أيوب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها سَتُفْتَحُ عليكم الأمصارُ ، وتضربون فيها بعوثًا ، فيكره الرجل منكم البعث ، فيخلص

---

(١) **إسناده ضعيف - مرسل** : من هذا الوجه وله شاهد إسناده حسن : أحمد (٤/ ٢٢٣) الحاكم (٢/ ١٠٩ - ١١٠) من طريق الهيثم بن خارجة ، والربيع بن نافع عن بشير بن طلحة - أبو نصر الحضرمي أو الخشني - عن خالد بن دريك عن يعلى بن أمية ﷺ مرفوعا . بشير بن طلحة الخشني - شامي - قال أحمد بن حنبل : ليس به بأس (الجرح والتعديل ٢/ ٣٧٥) (تعجيل المنفعة ٩٥)، وقال الموصلي : ليس بالقوي (ميزان ١/ ٣٤٠) خالد بن دريك ، قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي وذكر حديثًا رواه أبو توبة عن الربيع بن نافع عن بشير بن طلحة عن خالد بن دريك . قال : سمعت يعلى ﷺ يقول : غزوت مع النبي ﷺ فقال : ما أدري ما هذا ما أحسب خالدًا لقي يعلي . (المراسيل ٥٢) (تحفة التحصيل ٢١٦) وقال الذهبي : وثقه ابن معين ، والنسائي ، ولكن روايته عن الصحابة . مرسلة (١ / ٦١٤) وقال الحافظ ابن حجر : ثقة - يرسل - (تقريب ١٦١٥) والحديث له إسناد آخر عند داود (٢٥٢٧) والحكم (٢/ ١١٢) من طريق عبد الله بن وهب أخبرني عاصم بن حكيم - أبو محمد - عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن فيروز بن الديلمي أن يعلى بن أمية ﷺ قال : آذن رسول الله ﷺ بالعزو وأنا شيخ كبير ليس لي خادم ، فالتمست أجيرًا يكفيني وأجري له سهمه ، فوجدت رجلًا فلما دنا الرحيل أتاني فقال : ما أدري ما السهمان وما يبلغ سهمي ؟ فسمِّ لي شيئًا كان السهم أو لم يكن ، فسميتُ له ثلاثة دنانير ، فلما حضرت غنيمه أردت أن أُجري له سهمه ، فذكرت الدنانير ، فجئت النبي ﷺ فذكرت له أمره ، فقال : ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا الآخرة إلا دنانيره التي سمى : إسناده حسن . عاصم بن حكيم - أبو محمد - ابن أخت عبد الله بن شوذب . قال أبو حاتم : ما أرى بحديثه بأسًا (تهذيب التهذيب ٥/ ٤٠) وقال الحافظ ابن حجر : صدوق (تقريب ٣٠٥٠) وباقي رجاله ثقات .

(٢) **إسناده ضعيف** : أبو داود (٢٥١٩) الحاكم (٢/ ٨٥ - ٨٦ - ١١٢) من طريق محمد بن مسلم بن أبي وضاح عن العلاء بن عبد الله بن رافع عن حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعًا .
محمد بن مسلم بن أبي وضاح ، وثقه أحمد ، ويحيى بن معين ، وأبو داود ، وأما البخاري فقال : فيه نظر (ميزان ٤/ ٣٥ - ٣٦) قال الحافظ ابن حجر : صدوق يهم (تقريب ٦٢٨٨) . العلاء بن عبد الله بن رافع - الحضرمي الجزري - قال ابن القطان : شيخ جزري - لا يعرف حاله (ميزان ٣/ ١٠٠) ذيل ، وقال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ٥٢٣٥) حنان بن خارجة - أشار ابن القطان إلى تضعيفه للجهل بحاله (ميزان ١/ ٦٠٢) وقال الحافظ ابن حجر : مقبول (تقريب ١٥٦٢) .

من قومه ، ويعرض نفسه على القبائل يقول : من أكفيه بعث كذا وكذا ، إلا وذلك الأجير إلى آخر قطرة من دمه »[١] ، فانظر محبة الدنيا ماذا حرمت هذا الجاهد من الأجر ؛ وأفسدت عليه عمله ، وجعلته أَوَّلَ الدَّاخلين إلى النَّارِ .

فصل

ورابعها : أنَّ محبَّتَها تعترضُ بين العبدِ وبين فعلِ ما يعود عليه نفعه في الآخرة باشتغاله عنه بمحبوبه ، والناس ها هنا مراتب .

فمنهم : من يشغلُهُ محبوبُه عن الإيمان وشرائعه ، **ومنهم** : من يشغله عن الواجبات التي تجب عليه لله ؛ ولخلقه ؛ فلا يقوم بها ظاهرًا ولا باطنًا ، **ومنهم** : من يشغله حبها عن كثير من الواجبات ، **ومنهم** : من يشغله عن واجبٍ يعارضُ تحصيلَها وإن قام بغيره ، **ومنهم** : من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي على الوجهِ الذي ينبغي فيفرِّط في وقته وفى حقوقه ، **ومنهم** : من يشغله عن عبودية قلبه في الواجب وتفريغه لله عند أدائه فيؤدِّيه ظاهرًا لا باطنًا ، وأين هذا في عشاق الدنيا ومحبيها ؟ هذا من أندرهم .

وأقلُّ درجاتِ حبِّها أن يشغل عن أعظم سعادة العبد ، وهو تفريغُ قلبه لحُبِّ الله ، ولسانه لذكره ، وجمع قلبه على لسانه ، وجمع لسانَه وقلبَهُ على ربه ، فَعِشْقُهُا ومحبتها تضر بالآخرة ولا بُدَّ ، كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا ، وفى هذا حديث قد روي مرفوعًا : « من أحب دنياه أضرَّ بآخرته ، ومن أحبَّ آخرتَه أضَرَّ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى »[٢].

---

(١) **منكر** : أبو داود (٢٥٢٥) أحمد (٥/ ٤١٣) ميزان (٤/ ٤٩٢) من طريق ابن أخي أيوب عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ مرفوعًا . ابن أخي أبي أيوب - أبو سورة - قال الترمذي : يضعف في الحديث ، ضعفه يحيى بن معين جدًا ، قال : وسمعت محمد بن إسماعيل - البخاري - يقول : أبو سورة هذا : منكر الحديث ، يروى مناكير عن أبي أيوب ﷺ لا يتابع عليها (جامع الترمذي ٢٥٤٤) وقال الدار قطني : أبو سورة : مجهول ، يروى عن أبي أيوب ﷺ (الضعفاء والمتروكين ٦١٧) ، وقال الحافظ ابن حجر : ضعيف ٨١٤٩ .

(٢) **إسناده ضعيف - مرسل** : أحمد (٤/ ٤١٢) ابن حبان (٢٤٧٣ موارد) الروياني (٥٧٨ - ٥٧٩ مسند) الحاكم (٤/ ٣٠٨ - ٣١٩) من طريق عمرو بن أبي عمرو - مولى المطلب - عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا . عمرو بن أبي عمرو - ميسرة ، مولى المطلب المدني - سبق له ترجمه . المطلب بن عبد الله =

فصل

وخامسها : أنَّ محبَّتها تجعلها أكبر همِّ العبد ، وقد روى الترمذيُّ في جامعه من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ [١٢١/ أ] : « مَنْ كانت الآخرةُ همَّه جعل اللهُ غناه في قلبه وجمع له شمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدنيا وهي راغمةٌ ، ومن كانت الدنيا همَّه جعل اللهُ فقره بين عينيه وفرق عليه شَمْلَهُ ، ولم يأته من الدنيا إلَّا ما قُدِّرَ له »(١).

فصل

وسادسها : أنَّ محبَّها أشد الناس عذابًا بها وهو معذب في دوره الثلاثة ، معزب في الدنيا بتحصيلها والسعي فيها ومنازعة أهلها ، وفي دارِ البرزَخ بفواتها والحسرةِ عليها ، وكونه حيل بينه وبين محبوبِهِ على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدًا ، ولم يحصل له هناك محبوبًا يعوِّضه عنه ، فهذا أشد الناس عذابًا في قبره يعمل الهمُّ والغمُّ والحزنُ والحسرةُ في روحه ما تعملُ الديدانُ وهَوَامُ الأرضِ في جسمه ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه أن حزقيل كان ممن سبا بُخْتَنصَر ؛ فذكر عنه حديثا طويلًا وفى آخره قال : فبينا أنا نائم على شط الفرات إذ أتاني ملكٌ فأخذ برأسي فاحتملني حتى وضعني بقاعٍ من الأرضِ ، قد كانت معركةٌ قال : وإذا فيه عشرة آلاف قتيل قد بددت الطير والسباع لحومهم وفرقت أوصالهم قال لي : إن قوما يزعمون أن من مات منهم أو قتل فقد انفلت مني وذهبت

= ابن حنطب . قال أبو حاتم : روى عن أبي موسى ﷺ مرسل (الجرح والتعديل ٨/ ٣٥٩) وقال الترمذي : قال محمد - يعني البخاري - : لا أعرف للمطلب بن عبد الله ، سماعًا من أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ إلا قوله : حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ . قال الترمذي : وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن - الدارمي - يقول : لا نعرف للمطلب سماعًا من أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ . قال : وقال عبد الله - يعني ابن عبد الرحمن الدارمي - وأنكر على ابن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس ﷺ (جامع الترمذي ٢٩١٦) (تحفة التحصيل ١٠٢٧) ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ، وليس يحتج بحديثه ، لأنه يُرسل عن النبي ﷺ كثيرًا ، وليس له لقى ، وعامة أصحابه يُدلسون (تهذيب الكمال ٧/ ١٣٢) .

(١) **إسناده ضعيف من هذا الوجه** : سبق تخريجه ، وله شاهد : **إسناده صحيح** : سبق تخريجه أيضًا .

عنه قدرتي فادعُهم . قال حزقيل : فدعوتهم فإذا كل عظم قد أقبل إلى مفصله الذي انقطع منه ، ما الرجل بصاحبه بأعرف من العظم بمفصله الذي فارقه حتى أم بعضها بعظائم نبت عليها اللحم ثم نبتت عليها العروق ثم انبسطت الجلود وأنا أنظر إلى ذلك ، ثم قال : ادعُ أرواحَهم قال : فدعوتها فإذا كل روح قد أقبل إلى جسده الذي فارق فلما جلسوا سألتهم : فيم كنتم ؟ قالوا : إنا لما متنا وفارقنا الحياة لقينا ملكٌ فقال : هلمُّوا أعمالكم وخذوا أجوركم كذلك سنتنا فيكم وفيمن كان قبلكم وفيمن هو كائن بعدكم ، قال : فنظر في أعمالنا فوجدنا نعبد الأوثان فسلط الدود على أجسادنا وجعلت الأرواح تألم ، وسلط الغم على أرواحنا وجعلت أجسادنا تألم ، فلم نزل كذلك نعذب حتى دعوتَنا ولا يستريح عاشقُ الدنيا[1]. فقولهم : كنا [١٢١/ ب] نعبدُ الأوثانَ ، فسيان عبادة الأثمان وعبادة الأوثان ؛ تعس عبد الدينار ، تعس عبدُ الدِّرهم .

والمقصود : أن محبَّ الدنيا يعذَّبُ في قبره ويعذب يوم لقاء ربه قال تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٥٥]

قال بعض السلف : يعذبهم بجمعها وتزهقُ أنفسُهم بحبها ، وهم كافرون بمنع حق الله فيها .

فصل

وسابعها : أنَّ عاشقَها ومحبَّها الذي يؤثرها على الآخرةِ من أسفهِ الخلق وأقلِّهم عقلا ، إذ آثر الخيالَ على الحقيقة ، والمنامَ على اليقظةِ ، والظلَّ الزائلِ على النعيم المقيم ، والدار الفانيةِ على الدار الباقية ، وباع حياةَ الأبدِ في أرغد عيش بحياة إنما هي أحلامُ نوم أو كظلٍّ زائلٍ ، إن اللبيبَ بمثلها لا يُخدعُ كما نزل أعرابيٌّ بقوم فقدموا له طعامًا فأكلَ ، ثم قام إلى ظلِّ خيمةٍ فنام ، فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس ؛ فانتبه وهو يقول :

---

(١) إسناده حسن إلى وهب ابن منبه : أحمد (٤٢٣ الزهد) .

وَإِنْ امرؤٌ دُنْيَاهُ أَكْبَرُ همِّهِ　　لَمُسْتَمْسِكٌ مِنْهَا بِحَبْلِ غرُورِ

وكان بعض السلف يتمثل بهذا البيت :

يَا أَهْلَ لَذَّاتِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا　　إِنَّ اغْتِرَارًا بِظِلٍّ زَائِلٍ حُمْقُ

قال يونس بن عبد الأعلى : ما شَبَّهْتُ الدُّنْيَا إِلَّا كرجلٍ نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك انتبه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أبو على الطائي ، حدثنا عبد الرحمن المحاربي ، عن ليث قال : رأى عيسى ابن مريم الدنيا في صورة عجوزٍ عليها من كلِّ زينة ، فقال لها : كم تزوجتِ ؟ قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك ، أوكلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قَتَلْتُه . فقال عيسى : بؤسًا لأزواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين تهلكينهم واحدًا واحدًا ولا يكونون منك على حذر(١) .

أَرَى أَشْقِيَاءَ النَّاسِ لَا يَسْأَمُونَهَا　　عَلَى أَنَّهُمْ فِيهَا عُرَاةٌ وَجُوعُ

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحِبُّ فَإِنَّهَا　　سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ [١٢٢/ أ]

أشبه الأشياء بالدنيا الظل ، تحسب له حقيقة ثابتة وتحَسَبُهُ ساكنًا ، وهو في تقلص وانقباض فتتبعه لتدركه فلا تلحقه ، وأشبه الأشياء بها السراب ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور : ٣٩] وأشبه الأشياء بها المنامُ يُرى فيه العبد ما يحب وما يكره ؛ فإذا استيقظ علم

---

(١) **إسناده ضعيف**: ابن أبي الدنيا (٢٧ ذم الدنيا) أبو على الطائي - علي بن حرب بن محمد بن علي الطائي : صدوق - فاضل (تقريب ٤٦٩٢) .

عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي - أبو محمد الكوفي . قال أبو حاتم : صدوق إذا حدث عن الثقات ، ويروى عن المجهولين أحاديث منكرة ، فيفسد حديثه بروايته عن المجهولين (الجرح والتعديل ٥/ ٢٨٢) ، وقال ابن معين والنسائي : ثقة ، وقال النسائي أيضًا : ليس به بأس ، وقال ابن سعد : كان ثقة - كثير الغلط ، وقال عثمان بن أبي شيبة : هو صدوق ولكنه هو كذا - مضطرب ، وقال البزار والدارقطني : ثقة ، وقال عثمان الدارمي : سألت ابن معين عنه فقال : ليس به بأس . قال عثمان : وعبد الرحمن ، ليس بذاك ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه : بلغنا أنه كان يدلس ، وقال العجلي : كان يدلس . أنكر أحمد حديثه عن معمر ، وقال العجلي : لا بأس به ، وقال الساجي : صدوق يهم (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٦٦) . ليث هو ابن أبي سليم : سبق له ترجمة .

أن ذلك لا حقيقة له ، وأشبه الأشياء بها امرأةٌ عجوزٌ شوهاء قبيحة المنظر والمخبر ، غرارةٌ بالأزواج تزينت للخُطَّاب بكل زينة ، وسترت كل قبيح فاغتر بها من لم يجاوز بصره ظاهرها فطلب النكاح ، فقالت : لا مهر إلا نقد الآخرة فإننا ضُرتان واجتماعُنا غير مأذونٍ فيه ولا مستباح ، فآثر الخُطَّاب العاجلة وقالوا : ما على من وصل حبيبته من جُناح ، فلما كشف قِناعَها وحل إزارَها إذا كلُّ آفة وبلية ، فمنهم من طلق واستراح ، ومنهم من اختار المقام فما استتمت ليلةُ عرسه إلَّا بالعويل والصياح ، تالله لقد أذَّنَ مؤذنها على رؤوس الخلائق بحي على غير الفلاح ، فقام المجتهدون والمسلمون لها ، فواصلوا في طلبها الغُدو بالرَّواح ، وسرى القوم ليلهم فلم يحمد القوم السُّري عند الصباح طاروا في صيدها فما رجع أحدٌ منهم إلَّا وهو مكسور الجناح فوقعوا في شبكتها فأسلمتهم للذباح .

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن علي بن شقيق ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض قال : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها باديةٌ مشوهُ خَلقها ، فتشرفُ على الخلائق ، فيقال : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال : هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها ، بها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ، ثم يقذف بها في جهنم فتنادى : يا رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله ﷻ: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها[١].

قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا عوف ، عن أبي العلاء قال : رأيت في النوم عجوزًا كبيرة عليها من كل زينة الدنيا ، والناس عكوف عليها [١٢٢/ ب]متعجبون ينظرون إليها ، فجئت فنظرت فتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها ، فقلت لها : ويلك من أنت ؟ قالت : أما تعرفني ؟

---

(١) **إسناده ضعيف - مرسل**: ابن أبي الدنيا (١٢٣ ذم الدنيا) إبراهيم بن الأشعث - أبو إسحاق -: سبق له ترجمة . الفضيل بن عياض - الزاهد - لم يدرك ابن عباس - رضي الله عنهما - .

قلت : لا . قالت : أنا الدنيا . قلت : أعوذ بالله من شرك ، قالت : فإن أحببت أن تعاذ من شري فابغض الدرهم(١).

قال ابن أبي الدنيا : وحدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا سفيان بن عيينة قال : قال لي أبو بكر بن عياش : رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مُشوَّهةً شمطاءُ تُصفِّقُ بيديها ، وخلفها خلق يتبعونها ، ويصفقون ، ويرقصون ، فلما كانت بحذائي أقبلت على ، فقالت : لو ظفرت بك صنعت بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر(٢).

قال : وحدثنا محمد بن على ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيلَ قال : بلغني أن رجلًا عرج بروحه . قال : فإذا امرأةٌ على قارعة الطريق عليها من كل زينة : الحلي والثياب ، وإذا هي لا يمر بها أحد إلا جرحته ، وإذا هي أدبرت كانت أخس شيء رآه الناس ، وإذا أقبلت أقبح شيء عجوز شمطاء زرقاء عمشاء ، فقلت : أعوذ بالله ، قالت : لا والله ، لا يعيذك الله حتى تبغض الدرهم ، قال : قلت : من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا(٣) ، ووصف عليٌّ ﷺ الدنيا فقال : دارٌ من صح فيها سقم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن ، في حلالها الحساب ، وفى حرامها النار(٤) ، وقال ابن

---

(١) **إسناده حسن إلى العلاء بن زياد بن مطر العدوي** - أبو نصر البصري - ابن أبي الدنيا (٢٨ ذم الدنيا) من طريق عوف - ابن أبي جميلة - الأعرابي - عن أوفى - ابن دهلم العدوي - عنه به . أوفى بن دهلم ، قال الأزدي : فيه نظر ، وقال أبو حاتم : لا يدري من هو ، وقال النسائي : ثقة (ميزان ١/ ٢٩٣) قلت (محمد) قد عرفه الإمام النسائي ، ووثقه ولا يعول على قول من تو. ب فيه ، وقد أخرجه أحمد (١٤٣٣ الزهد) حديث العلاء بن زياد - رحمه الله تعالى - . قال : حدثنا وهب بن رير - ابن حازم ابن زيد - حدثنا أبي - جرير بن حازم - قال سمعت حميد بن هلال - العدوي - أبو نصر البصري - عنه بنحوه . إسناده : رجاله ثقات .

(٢) **إسناده حسن إلى أبي بكر بن عياش** : ابن أبي الدنيا (٢٩ ذم الدنيا) حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا سفيان بن عيينة قال : قال لي أبو بكر بن عياش : ((رأيت الدنيا- يعني في النوم - عجوزًا مشوهة حدباء)) (إسناده صحيح) قال: وحدثني غير إبراهيم بن سعيد ، أن أبا بكر بن عياش قال : رأيت في النوم عجوزًا شمطاء مشوهة تصفق بيديها ، وخلفها خلق يتبعونها ... الحديث . في إسناده مبهم ، وهو من الرقائق .

(٣) **إسناده ضعيف إلى الفضيل بن عياض** : ابن أبي الدنيا (١٢٤ ذم الدنيا) إبراهيم بن الأشعث : سبق له ترجمة .

(٤) **في إسناده مبهم إلى على بن أبي طالب** ﷺ : ابن أبي الدنيا (١٨ ذم الدنيا) . وحدثني الحسين بن عبد الرحمن - أبو علي الجره جرائي - أنبأنا عبيد الله بن محمد التيمي - أبو عبد الرحمن البصري - من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد عن شيخ من بني عدى (عنه به شيخ من بني عدي - لم يسم - مبهم) .

مسعود ﷺ: الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له[1].

وذكر ابن أبي الدنيا:[2] أن الحسن كتب إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد : فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل ابن آدم إليها عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ؛ فإن الزاد منها تركها ، والغنى فيها فقرها ، لها في كل حين قتيل ، تذل من أعزها ، وتفقر من جمعها ، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه ، فكن فيها كالمداوي جراحاته يحتمي قليلًا ، مخافة ما يكره طويلًا ، ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ، فاحذر هذه [١٢٣/أ]الدار الغرارة الخيالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها ، وخيلت بآمالها ، وتشوقت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلوة ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخر بالأول مزدجر ، والعارف بالله تعالى له حين أخبره عنها مدكر ، فالعاشق لها

---

(١) **إسناده مرسل إلى عبد الله بن مسعود ﷺ**: أحمد (٨٨١ الزهد) حدثنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن عبد الله ابن مسعود ﷺ . مالك بن مغول لم يدرك عبد الله بن مسعود ﷺ ، وروى مرفوعًا من حديث عائشة - رضي الله عنها - عند أحمد (٦/ ٧١) ، وابن أبي الدنيا (١٨٢ ذم الدنيا) من طريق الحسين بن محمد - ابن بهرام التميمي - أبو أحمد - ويقال أبو علي المؤدب - عن ذويد - عند أحمد - وأبي سليمان النصيبي - عند ابن أبي الدنيا - عن أبي إسحاق عن زرعة عنها به . (ذويد - لا أدري أهو - ذويد البصري (تعجيل المنفعة ٢٩٤) وهذا بعيد ولم يذكر أنه ممن روى عن أبي إسحاق ، أو هو ، دويد بن نافع - بمهملة - وهو : مقبول ، وكان يرسل (تقريب ١٨٢١) ولم يذكر أحد أنه ممن روى عنه الحسين بن محمد ولا ممن روى عن أبي إسحاق ، أو هو دويد الفلسطيني (الجرح والتعديل ٣/ ٤٣٨) وأيضًا ليس هو ممن روى عنه الحسين بن محمد ولا هو ممن روى عن أبي إسحاق والله أعلم . أبو سليمان النصيبي : لم أقف علي ترجمة . زرعة عن عائشة - رضي الله عنها - لم أقف له على ترجمة والله أعلم . والحديث عند ابن كثير (٤/ ٥٠١ تفسير سورة الأعلى) . قال : قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دريد عن أبي إسحاق عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا . قلت : الإسناد فيه تصحيف في اسم ، دريد خلافًا لما في المسند ، وصحف أيضًا اسم عروة وهو في المسند وعند ابن أبي الدنيا - زرعة - والله أعلم .

(٢) لم أعثر عليه عند ابن أبي الدنيا وهو عند أبي نعيم في الحلية بإسناد ضعيف : أبو نعيم (٦/ ٣٤١ الحلية) ترجمة إبراهيم بن عبد الله بن أبي الأسود . حدثنا محمد بن بدر - الأمير - حدثنا حماد بن مدرك - أبو الفضل الفارسي الفسنجاني - حدثنا يعقوب بن سفيان - الفارسي - أبو يوسف الفسوى - حدثنا محمد بن يزيد الأدمي حدثنا معن بن عيسى - ابن يحيى بن دينار الأشجعي القزاز - أبو يحيى المدني - حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي الأسود عن الحسن به . إبراهيم بن عبد الله بن أبي الأسود الكتاني ، ويقال : إبراهيم بن الأسود قال البخاري : فيه نظر ، وقال الأزدي : ضعيف لا يحتج به (ميزان ١/ ٦٣ - ٤٥) .

قد ظفر منها بحاجته فاغتر ، وطغى ، ونسي المعاد ، فشغل فيها لبه ، حتى زلت عنها قدمه ، فعظمت ندامته ، وكبرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت وألمه ، وحسرات الفوت ونغصه ، فذهب منها بكمد ، ولم يدرك منها ما طلب ، ولم يرح نفسه من التعب ، فخرج بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، وأسَر ما يكون فيها ، أحذر ما يكون لها ، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرورٍ أشخصته إلى مكروهٍ ، السَّارُ فيها غدًا ضار ، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها إلى فناء ، فسرورها مشوب بالحزن ، لا يرجع منها ما ولى فأدبر ، ولا يدرى ما هو آت فينتظر ، أمانيها كاذبةٌ ، وآمالها باطلةٌ ، وصفوها كدرٌ ، وعيشها نكدٌ ، فلو كان الخالق لها لم يخبرْ عنها خبرًا ، ولم يضرب لها مثلًا، لكانت قد أيقظت النائم ، ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله ﷻ عنها زاجر ، وفيها واعظٌ ، فما لها عند الله ﷻ قدر ولا وزن ، وما نظر إليها منذ خلقها ، ولقد عُرِضت على نبينا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا تنقصه عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها ، وكره أن يحب ما أبغض خالقه ، أو يرفع ما وَضَعَ مليكُه ، فزواها عن الصالحين اختيارًا ، وبسطها لأعدائه اغترارًا ، فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ، ونسى ما صنع الله لمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه .

وقال الحسن أيضا : ابن آدم لا تعلق قلبك بالدنيا ؛ فتعلقه بشر مُعلَّقٍ ، قطِّع حبالها ، وغلِّق أبوابها [١٢٣/ ب] ، حسبك يا ابن آدم منها ما يبلغك المحل(١) ، وكان يقول : إن قومًا أكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب ، فأهينوها ، فأهنأ ما تكون إذا أهنتموها ، هيهات هيهات ذهبت الدنيا ، وبقيت الأعمال قلائد في الأعناق(٢).

---

(١) **إسناده ضعيف جدًا إلى الحسن البصري** : ابن أبي الدنيا (٤٠٥ ذم الدنيا) حدثني صالح بن مالك أنبأنا أبو عبيدة الناجي - بكر بن الأسود - عنه به . بكر بن الأسود ويقال : ابن أبي الأسود - أبو عبيدة الناجي - أحد الزهاد ، قال يحيى : كذاب ، وقال مرة : ضعيف ، وكذلك ضعفه النسائي ، والداقطني ، وفي رواية عن النسائي : ليس بثقة ، قال ابن حبان : غلب عليه التقشف حتى غفل عن تعاهد الحديث ، فصار الغالب على حديثه المعضلات ، وكان يحيى بن كثير العنبري يروى عنه ويكذبه (ميزان ١/ ٣٥٢) (المجروحين ١/ ١٩٦) .

(٢) **في إسناده متهم إلى الحسن البصري** : ابن أبي الدنيا (٤٨٩ ذم الدنيا) حدثني الحسين بن عبد الرحمن عن شيخ مولى لبني هاشم قال : قال الحسن : فذكره من قوله . شيخ مولى لبني هاشم : مبهم . وله شاهد سبق بنحوه .

وقال المسيح ﷺ: لا تتخذوا الدنيا ربا فتخذكم عبيدًا ، واعبروها ولا تعمروها ، واعلموا أن أصل كل خطيئة حبُّ الدنيا ، ورب شهوة أورثت أهلها حزنًا طويلًا ما سكنت الدنيا في قلب عبدٍ إلا التاط قلبه منها بثلاثة : شغل لا ينفك عناؤه ، وفقر لا يدرك غناؤه ، وأمل لا يدرك منتهاه ، الدنيا طالبةٌ مطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فتأخذ بعنقه ، يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضى أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا[1].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا مالك بن دينار قال : قال أبو هريرة ﷺ : الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى إلى يوم يفنيها ، تنادى ربها يا رب لم تبغضني ؟ فيقول : اسكتى يا لا شيء ، اسكتى يا لا شيء[2]. وقال الفضيل : تجيء الدنيا يوم القيامة فتتبختر في زينتها ونضرتها ، فتقول : يارب اجعلني لأحسن عبادك دارًا ، فيقول : لا أرضاك له ، أنت لا شيء فكوني هباء منثورا[3].

---

(١) **إسناده ضعيف** : ابن أبي الدنيا (٣١ ذم الدنيا) حدثنا إسحاق بن إسماعيل : الطالقاني - أبو يعقوب - ثنا جرير ابن عبد الحميد الرازي عن شهر بن حوشب به . إسحاق بن إسماعيل - الطالقاني - يعرف باليتيم : ثقة تُكلم في سماعه من جرير بن عبد الحميد وحده (تهذيب الكمال ١/ ١٨٣) (تقريب ٣٤٤) . شهر بن حوشب - الأشعري - تابعي مشهور ، وثقه ابن معين وأحمد بن حنبل ، وقال أبو حاتم : ما هو بدون أبي الزبير ، وقال النسائي وغيره : ليس بالقوي (المغني ٢٨٠٣) ، وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - كثير الإرسال والأوهام (تقريب ٢٨٢٤) والفقرة الأخيرة عند ابن أبي الدنيا (٣٥ ذم الدنيا) حدثنا أزهر بن مروان الرقاشي ، أنبأنا جليس للمعتمر بن سليمان أنبأنا شعيب بن صالح به . جليس المعتمر : مبهم ، وشعيب بن صالح ، لم أقف له على ترجمة .

(٢) **إسناده ضعيف ومنقطع إلى أبي هريرة ﷺ ابن أبي الدنيا** (٣٦٠ ذم الدنيا) سيار ابن حاتم العنْزي : سبق له ترجمة . مالك بن دينار : لم أقف على سماع له من أبي هريرة ﷺ .

(٣) **أخرجه ابن أبي الدنيا** : بإسناد ضعيف إلى الفضيل بن عياض : ابن أبي الدنيا (١٢٥ ذم الدنيا) حدثنا محمد بن على - ابن شقيق - أنبأنا أبو إسحاق - إبراهيم بن الأشعث - عنه به . إبراهيم بن الأشعث - أبو إسحاق : سبق له .

فصل

في ذكر أمثلة تبين حقيقة الدنيا

المثال الأول : للعبد ثلاثة أحوال : حالة لم يكن فيها شيئًا ، وهى ما قبل أن يوجد ، وحالة أخرى وهى من ساعة موته إلى مالا نهاية له في البقاء أكثرمدى ، فلنفسه وجود بعد خروجها من البدن : إما في الجنة ، وإما في النار ، ثم تعاد إلى بدنه فيجازى بعمله ، ويسكن إحدى الدارين في خلودٍ دائمٍ . ثم بين هاتين الحالتين[١٢٤/ أ] وهى – ما بعد وجوده وما قبل موته – حالة متوسطة وهى أيام حياته في الدنيا فانظر إلى مقدار زمانها وأنسبه إلى الحالتين يعلم أنه أقل من طرفة عين في مقدار عمر الدنيا .

ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ، ولم يبالِ كيف تقضت أيامه فيها في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية ، ولهذا لم يضع رسول الله ﷺ لبنة على لبنة ولا قصبه على قصبه وقال : « **مَالِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا** »(١) ، وقال : « **مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبعهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ** »(٢) ، وإلى هذا أشار المسيح عليه السلام بقوله : الدنيا قنطرةٌ فاعبروها ولا تعمروها(٣) ، وهذا مثل صحيح ؛ فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة ، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة ، واللَّحد هو الركن الثاني على آخرها ، ومن الناس من قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها ، وكيف

---

(١) **صحيح لغيرة** : سبق تخريجه .

(٢) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٣) **أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن إلى يحيى بن أبي بكير العبدي** : ابن أبي الدنيا (٣٢ ذم الدنيا) حدثنا إسحاق بن إسماعيل – الطالقاني – حدثني يحيى بن أبي بكير العبدي – الكرماني – كوفي الأصل – أنبأنا بعض العلماء . قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريين ، إني قد كببت لكم الدنيا على وجهها ، فلا تنعشوها بعدي ، فإن من خبث الدنيا أن الله عُصيبي فيها ، وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ، ألا فأعيروا الدنيا ولا تعمروها – ليس فيه الدنيا قنطرة ، وله شاهد أيضًا بإسناد آخر عند ابن أبي الدنيا (٣٣ ذم الدنيا) حدثنا محمد بن علي بن شقيق ، أنبأنا محمد بن العباس أخبرني الحسن بن رشيد عن وهيب المكي – ابن الورد – به – إسناده ضعيف إلى وهيب بن الورد – أبو عثمان المكي . الحسن بن رشيد : مجهول (الجرح والتعديل ٣/ ١٤) .

ما كان فلا بد من العبور ، فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها بأصناف الزينة وهو يستحث العبور ، فهو في غاية الجهل والحمق .

فصل

المثال الثاني : شهواتُ الدنيا في القلب كشهواتِ الأطعمة في المعدة ، وسوف يجد العبدُ عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت في المعدة غايتها ، وكما أن الأطعمة كلما كانت ألذ طعمًا وأكثر دسمًا وحلاوة كان رجيعها أقذر ، فكذلك كل شهوة كانت في النفس ألذ وأقوى ، فالتَّأذِّي بها عند الموت أشد ، كما أن تفجع الإنسان بمحبوبه إذا فقده يقوى بقدر محبة المحبوب .

وفى المسند أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان : « ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه الماء واللبن » قال : بلى . قال : « فإلى ماذا يصير ؟ » قال : إلى ما قد علمت . قال : « فإن الله ﷻ ضرب [١٢٤/ ب] مثلُ الدُّنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم »[1].

كان بعض السلف يقول لأصحابه : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب بهم إلى مزبلة ، فيقول : انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم .

---

(١) **إسناده ضعيف – ومرسل من هذا الوجه ، وله شواهد** : أحمد (٣/ ٤٥٢) ابن أبي الدنيا (١٦٤ الجوع) من طريق أحمد ابن عبد الملك – ابن واقد الحَرّاني – أبو يحيى الأسدي – عند أحمد ، وخالد بن خداش – أبو المهلبي – البصري – عند ابن أبي الدنيا – عن حماد بن زيد عن على بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الضحاك بن سفيان الكلابي ﷺ مرفوعًا . أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني – ثقة – تكلم فيه بلا حجة (تقريب ٦٩) . خالد بن خداش : سبق له ترجمة . الحسن بن أبي الحسن البصري : قال علي بن المديني : لم يسمع من الضحاك بن سفيان (تحفة التحصيل ١٧٨) ترجمة الحسن . وله شواهد بمعناه من حديث أُبيّ بن كعب ﷺ مرفوعا ، وموقوفا : سبق تخريجه ، وأيضًا عند ابن المبارك (٤٩١ الزهد) من قول أبي عثمان – النهدي – عبد الرحمن بن مُلّ ، وقال ابن صاعد : هكذا رواه ابن المبارك ، وآخر عند ابن المبارك (٤٩٢ الزهد) من طريق سفيان بن عيينة عن عاصم بن سليمان الأحول عن أبي عثمان النهدي . قال سفيان : أراه عن سلمان الفارسي ﷺ . قال ابن صاعد : وقد روى هذا الحديث عن أُبيّ بن كعب ﷺ ، ووقفه بعض ورفعه بعض : ابن المبارك (٤٩٢ الزهد ، وقال أيضا : أن محمد بن يوسف الفريابي الراوي عن سفيان بن عيينة ، ذكر سلمان الفارسي ﷺ بالشك . ابن المبارك (٤٩١ الزهد) .

فصل

المثال الثالث : لها ولأهلها في اشتغالهم بنعيمها عن الآخرة وما يعقبهم من الحسرات ، مثل أهلها في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم الإبطاء وخوفهم مرور السفينة ؛ فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليًا ، فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده ، ووقف بعضُهم في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ، ويسمع نغمات طيورها ، ويعجبه حسن أحجارها ، ثم حدثته نفسه بفوت السفينة وسرعة مرورها ، وخطر ذهابها فلم يصادف إلا مكانًا ضيقًا فجلس فيه ، وأكب بعضهم على تلك الحجارة المستحسنة ، والأزهار الفائقة فحمل منها حمله ، فلما جاء لم يجد في السفينة إلا مكانًا ضيقًا وزاده ما حمله ضيقا فصار محمولة ثقلًا عليه ووبالًا ، ولم يقدرْ على نبذه بل لم يجد من حمله بدًّا ولم يجد له في السفينة موضعًا ، فحمله على عنقه وندم على أخذه فلم تنفعه الندامة ، ثم ذبلت الأزهارُ وتغيرت أراييجها وآذاه نتنها ، وتولج بعضهم في تلك الغياض ونسى السفينة وأبعد في تنزهه حتى أن الملاح نادى بالناس عند دفع السفينة فلم يبلغه صوته لاشتغاله بملاهيه فهو تارة يتناول من الثمر ، وتارة يشمُّ تلك الأنوار ، وتارة يعجب من حسن الأشجارِ وهو على ذلك خائف من سبع يخرج عليه ، غير منفك من شوك يتشبث بثيابه ويدخل في قدميه [١٢٥/ أ] أو غصن يجرح بدنه ، أو عوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ، أو صوت هائل يفزعه ، ثم من هؤلاء من لحق السفينة ولم يبق فيها موضع فمات على الساحل ، ومنهم من شغله لهوه فافترسته السباعُ ونهشته الحياتُ ، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ، فهذا مثالُ أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم وعاقبة أمرهم ، وما أقبح بالعاقل أن تغره أحجار ونبات يصير هشيمًا قد شغل باله وعوقه عن نجاته ولم يصحبه .

فصل

المثال الرابع : لاغترار الناس بالدنيا وضعف إيمانهم بالآخرة .

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا هشام بن حسان ، عن الحسن قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازةً غبراءَ ، حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أم ما بقي أنفدوا الزادَ وحسروا الظهرَ ، وبقوا بين ظهراني المفازة لا زادَ ولا حمولة ، فأيقنوا بالهلكة ، فبينما هم كذلك إذ خرجَ عليهم رجلٌ في حلة يقطُرُ رأسَه ، فقالوا : إن هذا قريب عهد بريفٍ ، وما جاءكم هذا إلا من قريب ، قال: فلما انتهى إليهم قال : يا هؤلاء عَلامَ أتيتم ؟ قالوا : على ما ترى ، قال : أرأيتم إن هديتكم على ماء ورواء ورياض خضرٍ ، ما تجعلون لي ؟ قالوا : لا نعصيك شيئًا ، قال : عهودكم ومواثيقكم بالله ، قال : فأعطوه عهودَهم ومواثيقَهم بالله لا يعصونه شيئًا ، قال : فأوردهم ماءً ورياضًا خضراء ، قال : فمكث فيهم ما شاء الله ، ثم قال : يا هؤلاء الرحيلُ ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى ماءٍ ليس كمائكم وإلى رياض ليست كرياضكم ، قال : فقال جُلُّ القوم وهم أكثرهم ، والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لن نجده وما نصنع بعيش هو خير من هذا ، قال : وقالت طائفة وهم أقلهم : ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم [١٢٥/ ب] ومواثيقكم بالله لا تعصونه شيئا ، وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره ، قال : فراحَ فيمن اتبعه وتخلف بقيتُهم فبادرهم عدوٌّ فأصبحوا بين أسير وقتيل»[١].

فصل

المثال الخامس : للدنيا وأهلِهَا ما مثلها به النبي ﷺ كظلِّ شجرةٍ ، والمرءُ مسافر فيها إلى الله ؛ فاستظل في ظل تلك الشجرة في يوم صائف ثم راح وتركها .

---

(١) **إسناده ضعيف** : ابن أبي الدنيا (٨٨ ذم الدنيا) . هشام بن حسان عن الحسن بن أبي الحسن البصري : سبق له ترجمة . وأخرجه عبد الله بن المبارك (٥٠٧ الزهد) بلغنا عن الحسن أنه قال : قال رسول الله ﷺ . فذكره .

فتأمل حسن هذا المثال ومطابقته للواقع سواء ؛ فإنها في خضرتها كشجرة ، وفى سرعة انقضائها وقبضها شيئًا فشيئًا كالظل ، والعبدُ مسافرٌ إلى ربه ، والمسافرُ إذا رأى شجرة في يوم صائفٍ لا يحسن به أن يبني تحتها دارًا ولا يتخذها قرارًا ، بل يستظل بها بقدر الحاجة ، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق .

فصل

المثال السادس : تمثيله لها ﷺ بمدخل إصبعه في اليم ، فالذي يرجع به إصبعه من البحر هو مثل الدنيا بالنسبة إلى الآخرة ، وهذا أيضا من أحسن الأمثال ؛ فإن الدنيا منقطعة فانية ، ولو كانت مدتها أكثر مما هي والآخرة أبدية لا انقطاع لها ، ولا نسبةَ للمحصور إلى غير المحصور ، بل لو فرض أن السماوات والأرض مملوءتان خردلًا ، وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة لفني الخردل والآخرة لا تفنى ، فنسبة الدنيا إلى الآخرة في التمثيل كنسبة خردلة واحدة إلى ذلك الخردل .

ولهذا لو أن البحرَ يمده من بعده سبعة أبحرٍ ، وأشجار الأرض كلها أقلام يكتب بها كلامُ الله ؛ لنفذت الأبحرُ والأقلامُ ولم تنفدْ كلماتُ الله ؛ لأنها لا بدايةَ لها ولا نهاية لها والأبحر والأقلام متناهية .

قال الإمام أحمد وغيره : لم يزلْ الله متكلمًا إذا شاء ، وكماله المقدس مقتض لكلامه ، وكماله من لوازم ذاته فلا يكون إلا كاملًا ، والمتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، وهو سبحانه لم يلحقه كلل ولا تعب ولا سآمة من الكلام ، وهو يخلق ويدبر خلقه بكلماته ؛ فكلماته هي التي أوجد بها خلقه وأمره ، وذلك حقيقة ملكه وربوبيته وإلهيته ، وهو لا يكون [١٢٦/ أ]إلا ربًّا ملكا إلها لا إله إلا هو .

والمقصود: أن الدنيا نفس من أنفاس الآخرة ، وساعة من ساعاتها .

فصل

المثال السابع : ما مثلها به ﷺ في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قام رسولُ الله ﷺ فخطب الناسَ فقال : « **لَا وَاللهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا** » ، فقال رجل : يا رسولَ الله! ، أوَ يأتي الخيرُ بالشَّرِّ ؟ فصمتَ رسول الله ﷺ ، ثم قال : « **كَيْفَ قُلْتَ ؟** » قال : يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر ؟ فقال رسول الله : « **إِنَّ الخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالخَيْرِ ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يَلِمُّ ، إِلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ، ثُمَّ اجْتَرَتْ فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ ، فَمَنْ أَخَذَ مَالًا بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ** »[1] ، فأخبر ﷺ أنه إنما يخاف عليهم الدنيا ، وسماها زهرة ؛ تشبيهًا بالزهر في طيب رائحته وحسن منظره وقلة مقامه ، وأن وراءه ثمرًا خيرًا وأبقى منه .

وقوله : إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم . هذا من أحسن التمثيل المتضمن للتحذير من الدنيا والانهماك عليها والمسرة فيها ، وذلك أن الماشية يروقها نبت الربيع فتأكل منه بأعينها ، فربما هلكت حبطا . والحَبَطَ : انتفاخ بطن الدابة من الامتلاء أو من المرض ، يقال : حبط الرجل والدابة تَحْبِطُ حَبَطًا إذا أصابه ذلك . ولما أصاب الحارث ابن مازن بن عمرو بن تميم ذلك في سفره فمات حبطًا ، فنسب إليه الحبطي ؛ كما يقال : السُّلمي ، فكذلك الشره في المال يقتله شرهه وحرصه ، فإن لم يقتله قارب أن يقتله ، وهو قوله : « **أَوْ يَلِمُّ** » ، وكثير من أرباب الأموال إنما قتلتهم أموالهم فإنهم شرهوا في جمعها ، واحتاج إليها غيرهم فلم يصلوا إليها إلا بقتلهم ، أو ما يقاربه من إذلالهم وقهرهم وأذاهم ، وقوله : « **إِلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ** » هذا تمثيل لمن أخذ من الدنيا حاجته مَثَّلَهُ بالشاة[١٢٦/ ب] الآكلة من الخضر بمقدار حاجتها أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها

---

(١) **صحيح** : البخاري (٦٤٢٧) مسلم (١٠٥٢) النسائي (٥/ ٩٠) ابن ماجه (٣٩٩٥) أحمد (٣/ ٧ - ٢١ - ٩١) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا .

وفى لفظ آخر « امتدت خاصرتاها » وإنما تمتد من امتلائها من الطعام ، وثنى الخاصرتين ؛ لأنهما جانبا البطن ، وفى قوله : « استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت » ثلاث فوائد :

إحداها : أنها لما أخذت حاجتها من الرعي تركته وبركت مستقبلة الشمس لتستمرئ بذلك ما أكلته . **الثانية** : أنها أعرضت عما يضرها من الشره في الرعي ، وأقبلت على ما ينفعها من استقبالِ الشمسِ التي يحصل لها بحرارتها إنضاجُ ما أكلته وإخراجه . **الثالثة** : أنها استفرغت بالبول والثلط ما جمعته من الرعي في بطنها فاستراحت بإخراجه ولو بقى فيها لقتلها ، فكذلك جامعُ المالِ مصلحته أن يفعل به كما فعلت هذه الشاة .

وأول الحديث مثل للشَّره في جمع الدنيا الحريص على تحصيلها ، فمثاله : مثال الدابة التي حملها شرَهُ الأكلِ على أن يقتلَها حبطًا أو ألمَّ بقتلها ، فإن الشَّره الحريص إما هالكٌ وإما قريبٌ من الهلاك ، فإن الربيعَ ينبتُ أنواعَ البقولِ والعشبِ ، فتستكثر منه الدابة حتى ينتفخ بطنها لما جاوزت حد الاحتمال ؛ فتنشق أمعاؤها وتهلك ، كذلك الذي يجمع المال من غير حله ، ويحبسه أو يصرفه في غير حقه ، وآخرُ الحديث مثل للمقتصد بآكل الخضر الذي تنتفع الدابة بأكله ، ولم يحملها شرهها وحرصها على تناولها منه فوق ما تحتمله ، بل أكلت بقدر حاجتها ، وهكذا هذا أخذ ما يحتاج إليه ثم أقبل على ما ينفعه ، وضرب بول الدابة وثلطها مثلًا لإخراجه المال في حقه ؛ حيث يكون حبسُه وإمساكُه مضِرًّا به ، فنجا من وبالَ جمْعِهِ بأخذ قدر حاجته منه ، ونجا من وبال إمساكه بإخراجه ؛ كما نجت الدابة من الهلاك بالبول و الثلط .

وفى هذا الحديث إشارة إلى الاعتدال والتوسط بين الشَّرَهِ في الرعي القاتل بكثرته ، وبين الإعراض عنه وتركه بالكلية ؛ فتهلك جوعًا ، وتضمن الخبر أيضا إرشاد المكثر من المال إلى ما يحفظ عليه قوته وصحته في بدنه وقلبه ، وهو الإخراج منه وإنفاقه ، ولا يحبسه ؛ فيضره حبسه ، وبالله التوفيق . [١٢٧/ أ]

فصل

المثال الثامن : ما رواه عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن سليمان بن يسار ، عن ميمونة – رضي الله عنها – ، قالت : قال رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص : « الدنيا خضرةٌ حلوةٌ ؛ فمن اتقى اللهُ فيها وأصلح وإلا فهو كالآكلِ ولا يشبعُ ، وبين الناسِ في ذلك كبعد الكوكبين : أحدُهما يطلع في المشرق ، والآخرُ يغيب في المغرب »[1] ، فنبه بخضرتها على استحسان العيون لها ، وبحلاوتها على استحلاء الصدور لها ، وبتلك الخضرة والحلاوة زينت لأهلها ، وحببت إليهم لا سيما وهم مخلوقون منها وفيها كما قيل :

نُحِبُّ بَنُو الدُّنْيَا وَمِنْهَا بَنَاتُنَا ... وَمَا أَنْتَ مِنْـهُ فَهُوَ شَيْءٌ مُحَبَّبُ

وجعل الناس فيها قسمين : **أحدهما** : مُنفق مُصلح متقي ، فهذا تقواه وإصلاحُه لا يدعانه ينهمك عليها ، ويشره فيها ، ويأخذها من غير حلها ، ويضعها في غير حقها ، فإن لم ينفقْ ويصلحْ صرف نهمته وقواه وحرصه إلى تحصيلها ، فكان كالذي يأكل ولا يشبع ، وهذا من أحسن الأمثلة ؛ فإن المقصود من الأكل حفظ الصحة والقوة وذلك تابع لقدر الحاجة ، وليس المقصود منه ذاته ونفسه فمن جعل نهمته فوق مقصوده لم يشبع ، ولهذا قال الإمام أحمد : الدنيا قليلها يجزي ، وكثيرها لا يجزي ، وأخبر عن تفاوت الناس في المنْزلتين : أعني منْزلة التقوى والإصلاح ، ومنْزلة الأكل والشره ، وأن بين الرجلين في ذلك كما بين الكوكبين الغارب في الأفق والطالع منه ، وبين ذلك منازل متفاوتة .

المثال التاسع : ما تقدم من حديث المستورد بن شداد ﷺ قال : كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة ، فقال رسول الله ﷺ : « أترونَ هذهِ هانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حَتَّى أَلْقُوهَا ؟ » قالوا : ومن هوانها ألقوها يا رسول الله ، قال :

---

(١) **إسناده ضعيف** : أبو يعلى (٧٠٩٩ مسند) الطبراني (٢٤ج – ٢٤ رقم الكبير) من طريق المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن سليمان بن يسار – مولى ميمونة زوج النبي ﷺ – عن ميمونة – رضي الله عنها – مرفوعًا . المثنى بن الصباح : سبق له ترجمة .

فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لَلدُّنيا أهون على الله ﷻ من هذه على أهلها»[١] قال الترمذي : حديث حسن صحيح . فلم يقتصر ﷺ على تمثيلها بالسخلة الميتة[١٢٧/ ب] بل جعلها أهون على الله منها .

وفى مسند الإمام أحمد في هذا الحديث : « فوالذي نفسي بيده للدنيا عند الله أهون عليه من تلك السخلة على أهلها »[٢] فأكد ذلك بالقسم الصادق ، فإذا كان مثلها عند الله أهون وأحقر من سخلةٍ ميتةٍ على أهلها ، فمحبها وعاشقُها أهون على الله من تلك السخلة ، وكونها سخلة أهون عليهم من كونها شاة كبيرة ؛ لأن تلك ربما انتفعوا بصوفها أو دبغوا جلدها وأما ولد شاة صغير ميت فهي غاية الهوان فالله المستعان .

فصل

المثال العاشر : مثلها مثل البحر الذي لا بدل للخلق كلهم من ركوبه ؛ ليقطعوه إلى الساحل الذي فيه دورهم وأوطانهم ومستقرهم ، ولا يمكن قطعه إلا في سفينة النجاة ؛ فأرسل الله رسله لتعرف الأمم اتخاذ سفن النجاة ، وتأمرهم بعملها وركوبها ، وهى : طاعته ﷻ ، وطاعة رسله ، وعبادته وحده ، وإخلاص العمل له ، والتشمير للآخرة وإرادتها والسعي لها سعيها ، فنهض الموفقون وركبوا السفينة ورغبوا عن خوض البحر لما علموا أنه لا يقطع خوضًا ولا سباحةً ، وأما الحمقى فاستصعبوا عمل السفينة وآلاتها والركوب فيها ، وقالوا : نخوض البحر فإذا عجزنا قطعناه سباحة وهم أكثر أهل الدنيا فخاضوه ، فلما عجزوا عن الخوض أخذوا في السباحة حتى أدركهم الغرق ، ونجا أصحاب السفينة كما نجوا مع نوح ﷺ وغرق أهل الأرض ، فتأمل هذه الدنيا ، وحال أهل الدنيا فيها ، يتبين لك مطابقته للواقع ، وقد ضرب هذا المثل للدنيا والآخرة والقدر والأمر ؛ فإن القدر بحر ، والأمر فيه سفينة لا ينجو إلا من ركبها .

---

(١) **إسناده ضعيف** : سبق تخريجه .

(٢) تابع لما قبله .

فصل

المثال الحادي عشر: مثالها مثال إناء مملوء عسلا رآه الذُّباب ، فأقبل نحوه ؛ فبعضه قعد على حافةِ الإناء وجعل يتناول من العسل حتى أخذ حاجته ثم طار ، وبعضه حمله الشره على أن رمى بنفسه في لجةِ الإناءِ ووسطِهِ فلم يدعه انغماسه فيه أن يتهنأ به إلا قليلا حتى هلك في وسطه .

المثال الثاني عشر: مثال حب قد نثر على وجه الأرض ، وجعلت كل حبة في فخ ، وجعل حول ذلك الحب حب ليس في فخاخ فجاءت الطير ، فمنها من قنع بالجوانب [١٢٨/أ] ولم يرمِ نفسه في وسط الحب فأخذ حاجته ومضى ، ومنها من حمله الشره على اقتحام معظم الحب ووسطه ، فما استتم اللقاط إلا وهو يصيح من أخذة الفخ له .

فصل

المثال الثالث عشر: كمثل رجل أوقد نارا عظيمة فجعلت الفراش والجنادب يرون ضوءها فيقصدونها ويتهافتون فيها ، ومن له علم بحالها جعل يستضئ ويستدفئ بها من بعيد ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المثل بعينه في الحديث الذي رواه مالك بن إسماعيل عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عن عمر ﷺ قال : قال رسولُ الله ﷺ قال : « **إِنِّي مُمْسِكٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَتَتَقَاحَمُونَ فِيهَا تَقَاحُم الفَرَاشِ وَالجَنَادِبِ ، وَيُوشِكُ أَنْ أُرْسِلَ بِحُجَزِكُمْ** »[1] ، وفى لفظ آخر : « **مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَتِ الفَرَاشُ وَالجَنَادِبُ يَتَقَاحَمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَغْلِبُونِي وَتَتَقَاحَمُونَ فِيهَا** »[2] ، وهذا المثال

---

(١) **صحيح لما بعده**: الرامهرمزي (رقم ١٤ ص ٤٥ الأمثال) المطالب العالية (٢٢٥٢) مسند الشهاب (١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠) . حفص بن حميد - القمي - أبو عبيد - قال على بن المديني : مجهول ، وقال النسائي : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب الكمال ٢/ ٢٢١) وقال الحافظ بن حجر : لا بأس به (تقريب ١٣٩٤) .

(٢) **صحيح**: البخاري (٣٤٢٦ - ٦٤٨٣) مسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . مسلم (٢٢٨٥) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا . واللفظ له .

منطبق على أهل الدنيا المنهمكين فيها ، فالرسل تدعوهم إلى الآخرة ، وهم يتقاحمون في الدنيا تقاحم الفراش .

فصل

المثال الرابع عشر : مثلُ قوم خرجوا في سفر بأموالهم وأهليهم فمروا بوادٍ مشعبٍ كثيرِ المياه والفواكه ، فنَزلوا به وضربوا خيامهم ، وبنوا هناك الدور والقصور ، فمر بهم رجل يعرفون نصحه وصدقه وأمانته ، فقال : إني رأيت بعيني هاتين الجيش خلف هذا الوادي وهو قاصدوكم فاتبعوني أسلك بكم على غير طريق العدو فتنجوا منه ؛ فأطاعته طائفة قليلة ، فصاح فيهم : يا قوم ! النجاةَ النجاةَ أتيتم ، وصاح السامعون له بأهليهم وأولادهم وعشائرهم فقالوا : كيف نرحلُ من هذا الوادي وفيه مواشينا وأموالنا ودورنا وقد استوطناه ؟ فقال لهم الناصحُ : لينجُ كل واحدٍ منكم بنفسه وبما خفَّ عليه من متاعه وإلا فهو مأخوذٌ وماله مجتاح ، فثقل على أصحاب الجد والأموال ورؤساء القوم النقلة ومفارقة ما هم فيه من النعيم والرفاهية والدعة ، وقال كلُّ أحمقٍ : لي أسوةٌ بالقاعدين فهم أكثر مني مالًا وأهلًا فما [١٢٨/ب] أصابهم أصابني معهم ، ونهض الأقلون مع الناصح ففازوا بالنجاة ، وصبح الجيش أهل الوادي فقتلهم واجتاح أموالهم .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المثل بعينه في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي بردة عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ ، فَقَالَ : يَاقَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنِي وَأَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاةَ النَّجَاةَ ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا وَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجوا ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ** »[1].

(١) صحيح : البخاري (٧٢٨٣) مسلم (٢٢٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا .

فصل

المثال الخامس عشر: رجل هيأ دارا وزينها ، ووضع فيها من جميع الآلات ، ودعا الناس إليها فكلما دخلها داخل أجلسه على فراش وثير وقدم إليه طبقًا من ذهب عليه لحم ، ووضع بين يديه أوان مفتخرة فيها من كل ما يحتاج إليه وأخدمه عبيده ومماليكه ، فعرف العاقل أن ذلك كله متاع صاحب الدار وملكه وعبيده فاستمتع بتلك الآلات والضيافة مدة مقامه في الدار ، ولم يعلق قلبه بها ولا حدث نفسه بتملكها ، بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمده الضيف يجلس حيث أجلسه ، ويأكل ما قدمه له ، ولا يسأل عما وراء ذلك ؛ اكتفاء منه بعلم صاحب الدار وكرمه ، وما يفعله مع ضيوفه ، فدخل الدار كريمًا ، وتمتع فيها كريما ، وفارقها كريمًا ، ورب الدار غير ذام له ، وأما الأحمق ؛ فحدث نفسه بسكنى الدار ، وحوز تلك الآلات إلى ملكه ، وتصرفه فيها بحسب شهوته [١٢٩/ أ] وإرادته ؛ فتخير المجلس لنفسه ؛ وجعل ينقل تلك الآلات إلى مكان في الدار يخبؤها فيه ، وكلما قدم إليه ربها شيئا أو آلة حدث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الأضياف ، ورب الدار يشاهد ما يصنع وكرمه يمنعه من إخراجه من داره حتى إذا ظن أنه استبد بتلك الآلات وملك الدار وتصرف فيها وفي آلاتها تصرف المالك الحقيقي ، واستوطنها واتخذها دارًا له ، أرسل إليه مالكها عبيده فأخرجوه منها إخراجًا عنيفًا ، وسلبوه كل ما هو فيه ، ولم يصحبه من تلك الآلات شيء ، وحصل على مقت رب الدار له وافتضاحه عنده وبين مماليكه وحشمه وخدمه ، فليتأمل اللبيبُ هذا المثال حقَّ التأمل فإنه مطابق للحقيقة والله المستعان .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : كلُّ أحدٍ في هذه الدنيا ضيفٌ ومالُه عارية ، فالضيفُ مرتحلٌ والعاريةُ مؤداةٌ[١].

(١) إسناده مرسل إلى عبد الله بن مسعود ﷺ : سبق تخريجه .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال : مات ابنٌ لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه ، فجاء فقربت إليه عشاء ؛ فأكل وشرب ، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ؛ فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ، قال : لا ، قالت : فاحتسب ابنك ، قال : فغضب ، قال : تركتيني حتى إذا تلطخت ثم أخبرتيني بابني ؛ فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره ما كان منها ، فقال رسول الله ﷺ : « **بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا** »(١) وذكر الحديث .

فصل

المثال السادس عشر : قوم سلكوا مفازة ، فأصابهم العطشُ ، فانتهوا إلى البحر وماؤه أمر شيء وأملحه ، فلشدة عطشهم لم يجدوا طعم [١٢٩/ ب] مرارته وملوحته ، فشربوا منه فلم يرووا ، وجعلوا كلما ازدادوا شربًا ازدادوا ظمأً حتى تقطعت [أمعاؤهم](٢) وماتوا عطشًا ، وعلم عقلاؤهم أنه مرٌّ مالحٌ ، وأنه كلما ازداد الشارب منه ازداد ظمؤه ، فتباعدوا عنه مسافة حتى وجدوا أرضًا حلوةً ، فحفروا فيها قليبًا ، فنبع لهم ماء عذب فُراتٌ ؛ فشربوا ، وعجنوا ، وطبخوا ، ونادوا إخوانهم الذين على حافة البحر هلموا إلى الماء الفرات ، وكان منهم المستهزئ ، ومنهم المعرض الراضي بما هو فيه ، وكان المجيب واحدًا بعد واحدٍ ، وهذا المثل بعينه قد ضربه المسيح ﷺ فقال : مثلُ طالبُ الدُّنيا كمثلِ شاربِ ماءِ البحرِ ؛ كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتلَهُ »(٣).

---

(١) **صحيح** : البخاري (١٣٠١ - ٥٤٧٠) مسلم (٢١٤٤) أحمد (٣/ ١٠٥ - ١٠٦ - ١٩٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً ، واللفظ لأحمد .

(٢) في المخطوط :[أعناقهم] .

(٣) **في إسناده من لم أقف على ترجمته** : ابن أبي الدنيا (٣٤٢ ذم الدنيا) قرأت كتاب داود بن رشيد - أبو الفضل البغدادي - حدثني أبو عبد الله الصوفي به . أبو عبد الله الصوفي : لم أقف على ترجمته .

فصل

المثال السابع عشر : مثل الإنسان فيها ومثل ماله وعمله وعشيرته مثل رجل له ثلاثة أخوة ، فقضى له سفر بعيد طويل لا بد له منه ، فدعا إخوته الثلاثة ، وقال : قد حضر ما ترون من هذا السفر الطويل وأحوج ما كنت إليكم الآن ، فقال أحدهم : أنا كنت أخاك إلى هذه الحال ، ومن الآن فلست بأخ ولا صاحب ، وما عندي غير هذا ، فقال له : لم تغن عني شيئًا . فقال للآخر : ما عندك ؟ فقال : كنت أخاك وصاحبك إلى الآن ، وأنا معك حتى أجهزك إلى سفرك وتركب راحلتك ، ومن هنالك لست لك بصاحب . فقال له : أنا محتاج إلى مرافقتك في مسيري . فقال : لا سبيل لك إلى ذلك . فقال : لم تغن عني شيئًا . فقال للثالث : ما عندك أنت ؟ فقال : كنتُ صاحبَك في صحتك ومرضك ، وأنا صاحبُك الآن ، وصاحبك إذا ركبتَ راحلتِك ، وصاحبك في مسيرك ؛ فإن سرت سرت معك ، وإن نزلت نزلت معك ، وإذا وصلت إلى بلدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبدًا . فقال : إن كنت لأهون الأصحاب علي ، وكنت أوثر عليك صاحبيك [١٣٠/أ] ، فليتني عرفتُ حقك ، وآثرتك عليهما .

فالأول : ماله ، **والثاني** : أقاربه وعشيرته وأصحابه ، **والثالث** : عمله ، وقد روي في هذا المثل بعينه حديث مرفوع لكنه لا يثبت[١] ، رواه أبو جعفر العقيلي في « كتاب الضعفاء » من حديث ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله عنها - ؛ وعن ابن المسيب ، عن عائشة مرفوعًا ، وهو مثل صحيح في نفسه مطابق للواقع .

---

(١) **قال العقيلي** : ليس له أصل من حديث الزهري : العقيلي (٢/ ٢٧٧ الضعفاء الكبير) الذهبي (٢/ ٣٤٩ ميزان) من طريق عبد الله بن عبد العزيز الليثي ، حدثني محمد بن عبد العزيز عن الزهري - محمد بن مسلم بن شهاب - عن عروة - ابن الزبير - عن عائشة - رضي الله عنها - وعن ابن المسيب - سعيد - عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان قاعدًا وحوله جماعة كثيرة ، فقال : « أيها الناس إنما مثل أحدكم ومثل ماله ، ومثل أهله ، ومثل عمله ، كرجل له إخوة ثلاثة ... الحديث » عبد الله بن عبد العزيز ، هو الزهري ، وهو الليثي ، وهو المدني - كذا قال الذهبي - وقال يحيى : ليس بشيء ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : لا يشتغل به ، وقال أبو زرعة : ليس بالقوى ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال ابن حبان : اختلط بآخره ، فاستحق الترك ، وقال ضمرة : كان قد خُولط ، وقال العقيلي : ليس لما روى أصل .

فصل

المثال الثامن عشر : وهو من أحسن الأمثلة : ملك بنى دارًا لم ير الراؤون ، ولم يسمع السامعون أحسن منها ولا أوسع ولا أجمع لكل ملاذ النفوس منها ، ونصب إليها طريقًا ، وبعث داعيًا يدعو الناس إليها ، وأقعد على الطريق امرأة جميلة قد زينت بأنواع الزينة ، وألبست أنواع الحلي والحلل ، وممر الناس كلهم عليها ، وجعل لها أعوانًا وخدمًا ، وجعل تحت يدها ويد أعوانها زادًا للمارين السائرين إلى الملك في تلك الطريق ، وقال لها ولأعوانها : من غض طرفه عنك ، ولم يشتغل بك عني ، وابتغى منك زادًا يوصله إلي ؛ فاخدميه وزوديه ، ولا تعوقيه عن سفره إلي ، بل أعينيه بكل ما يبلغه في سفره ، ومن مد إليك عينيه ورضى بك وآثرك عليَّ ، وطلب وصالك ؛ فسوميه سوءَ العذابِ ، وأوليه غاية الهوان ، واستخدميه واجعليه يركضُ خلفك ركض الوحش ، ومن نال منك فاخدعيه به قليلًا ثم استرديه منه واسلبيه إياه كله ، وسلطي عليه أتباعك وعبيدك ، وكلما بالغ في محبتك وتعظيمك وإكرامك ؛ فقابليه بأمثاله قِلًى وإهانةً وهجرًا حتى تتقطع نفسه عليك حسرات .

فتأمل هذا المثال ، وحالَ خُطَّابُ الدنيا وخطاب الآخرة ، والله المستعان ، وهذا المثل مأخوذ من الأثر المروي عن الله ﷻ : يا دنيا اخدمي من خدمني ، واستخدمي من [١٣٠/ب] خدمك(١).

فصل

المثال التاسع عشر : ملك خط مدينة في أصح المواضع وأحسنها هواءً وأكثرها مياها ، وشق أنهارها ، وغرس أشجارها ، وقال لرعيته : تسابقوا إلى أحسن الأماكن فيها ؛

---

(١) **موضوع** : الخطيب (٨/ ٤٤ تاريخ بغداد) من طريق الحسين بن داود البلخي . حدثنا الفضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا . قال الخطيب : تفرد بروايته الحسين عن الفضيل وهو موضوع ورجاله ثقات سوى الحسين بن داود: ولم يكن بثقة . الحسين بن داود البلخي - أبو علي -: سبق له ترجمة .

فمن سبق إلى مكان فهو له ، ومن تخلف سبقه الناس إلى المدينة ، وأخذوا منازلهم ، وتبوؤا مساكنهم ، وبقي مع أصحاب الحسرات ، ونصب لهم ميدان السباق ، وجعل على الميدان شجرةً كبيرةً : لها ظل مديد وتحتها مياه جارية ، وفى الشجرة من كل أنواع الفواكه وعليها طيور عجيبة الأصوات ، وقال : لا تغتروا بهذه الشجرة وظلها فعن قليل تجتث من أصلها ، ويذهب ظلُّها ، وينقطع ثمرها ، وتموت أطيارُها ، وأما مدينةُ الملك ؛ فأكلها دائم ، وظلها مديد ، ونعيمها سرمد، وفيها مالا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فسمع الناس بها فخرجوا في طلبها على وجوههم ؛ فمروا في طريقهم بتلك الشجرة على أثر تعب ونصب وحر وظمأ ، فنَزلوا كلهم تحتها ، واستظلوا بظلها ، وذاقوا حلاوة ثمرها ، وسمعوا نغمات أطيارها ، فقيل لهم : إنما نزلتم تحتها لتحموا أنفسكم ، وتضمروا مراكبكم للسباق ، فتهيئوا للركوب وكونوا على أُهبَّةٍ ، فإذا صاح النفير ابتدرتم حلبة السباق فقال الأكثرون : كيف ندع هذا الظل الظليل ، والماء السلسبيل والفاكهة النضجة ، والدعة والراحة ، ونقتحم هذه الحلبة في الحر والغبار والتعب والنصب والسفر البعيد والمفاوز المعطشة التي تنقطع فيها [الأمعاء][1] ؟ وكيف نبيع النقد الحاضر بالنسيئة الغائبة إلى الأجل البعيد ، ونترك ما نراه إلى مالا نراه ، وذرة منقودة أولى من ذرة موعودة بعد غد ، خذ ما تراه ودع شيئًا سمعت به ، ونحن بنو اليوم وهذا عيش حاضر كيف نتركه [١٣١/أ] ، لعيش غائب في بلد بعيد لا ندرى متى نصل إليه ؟ ونهض من كل ألف واحد فقالوا : والله ما مقامنا في ظل زائل تحت شجرة قد دنا قطعها ، وانقطاع ثمرها ، وموت أطيارها ، وترك المسابقة إلى الظل الظليل الذي لا يزول ، والعيش الهنئ الذي لا ينقطع إلا من أعجز العجز ، وهل يليق بالمسافر إذا استراح تحت ظل أن يضرب خباءه عليه ويتخذه وطنه خشية التأذي بالحر وبالبرد ؟ وهل هذا إلا أسفه السفه ؟ فالسِّباقَ السِّباقَ والبِدارَ البِدارَ .

(١) في المخطوط : [الأعناق] .

حُكْمُ المَنِيَّةِ فِي البَرِيَّةِ جَارِي ... مَا هَـٰذِهِ الدُّنْيَـا بِدَارِ قَـرَارِ
اقْضُـوا مَآرِبَكُمْ سِـرَاعًا إِنَّمَـا ... أَعْـمَارُكُـمْ سَـفَرٌ مِنَ الأَسْـفَارِ
وَتَرَاكَضُوا خَـيْلَ السِّبَاقِ وَبَادِرُوا ... أَنْ تُسْتَرَدَّ فَإِنَّهُـنَّ عَـوَارِيَ
وَدَعُـوا الإِقَامَةَ تَحْتَ ظِلٍّ زَائِلٍ ... أَنْتُمْ عَـلَى سَـفَرٍ بِهَـٰذِي الـدَّارِ
مَنْ يَرْجُ طِيبَ الْعَيْشِ فِيهَا إِنَّمَا ... يَبْنِي الرَّجَـاءَ عَـلَى شَـفِيرٍ هَـارِ
وَالْعَيْشُ كُـلُّ الْعَيْشِ بَعْـدَ فِرَاقِهَـا ... فِي دَارِ أَهْـلِ السَّبْقِ أَكْـرَمَ دَارِ

فاقتحموا حلبة السِّباقِ ، ولم يستوحشوا من قلة الرفاق ، وساروا على ظهور العزائم ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم ، والمتخلفُ في ظل الشجرة نائمٌ فوالله ما كان إلا قليل حتى ذوت أغصان تلك الشجرة ، وتساقطت أوراقها ، وانقطعت ثمارها ، ويبست فروعها ، وانقطع مشربها ، فقلعها قَيِّمُها من أصلها ، فأصبح أهلها في حر السموم يتقلبون ، وعلى ما فاتهم من العيش في ظلها يتحسرون ، ثم أحرقها قيمها فصارت هي وما حولها نارًا تلظَّى ، وأحاطت النار من تحتها فلم يستطع أحد منهم الخروج منها ، فقالوا : ما فعل الركب الذين استظلوا معنا تحتها ثم راحوا وتركوه ؟ فقيل لهم : ارفعوا أبصاركم تروا منازلهم من البعد في قصور مدينة الملك [١٣١/ب] وغرفها يتمتعون بأنواع اللذات ؛ فتضاعفت عليهم الحسرات ألا يكونوا معهم ، وزاد تضاعفها بأن حيل بينهم وبين ما يشتهون ، وقيل : هذا جزاء المتخلفين : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل : ١١٨]

فصل

المثال العشرون : ما مثَّلَها به النبي ﷺ من الثوب الذي شق ، وبقى معلقًا بخيط في آخره ، فما بقاء ذلك الخيط ؟

قال ابن أبى الدنيا : حدثني الفضل بن جعفر ، حدثنا وهب بن بيان ، حدثنا يحيى ابن سعيد القطان ، حدثنا أبو سعيد خلف بن حبيب عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال

رسول الله ﷺ : «مَثَلُ هَذِهِ الدُّنْيَا مَثَلُ ثَوْبٍ شُقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ؛ فَبَقِيَ مُعَلَّقًا بِخَيْطٍ فِي آخِرِهِ ؛ فَيُوشِكُ ذَلِكَ الخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ »(١) ، وإن أردت لهذا المثل زيادة إيضاح ؛ فانظر إلى ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال : صلى بنا رسول الله ﷺ العصر بنهارٍ ، ثم خطبنا ، فلم يترك شيئا قبل قيام الساعة إلا أخبر به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شيء ؟ فقال : « **أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ** »(٢).

وروى حفص بن غياث عن ليث عن المغيرة بن حكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما - قال : خرج علينا رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السَّعف ، فقال : « **مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مِثْلَ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ** »(٣).

وروى ابن أبى الدنيا ، عن إبراهيم بن سعد ، حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا موسى

---

(١) **ضعيف** : ابن أبي الدنيا (٢٢١ ذم الدنيا) حدثني الفضل بن جعفر بن عبد الله أنبأنا وهب بن بيان أنبأنا يحيى بن سعيد العطار حدثنا أبو سعيد خلف بن حبيب عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . يحيى بن سعيد العطار - أبو زكريا الشامي -: ضعيف (تقريب ٧٥٤٧) . أبو سعيد - خلف بن حبيب -: لم أعثر على ترجمته . وأخرجه أبو نعيم (٨ / ١٣٨ الحلية) من طريق الفضيل بن عياض عن أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . أبان بن أبي عياش : متروك (تقريب ١٤٢) .

(٢) **صحيح لما بعده** : الترمذي (٢١٩١) أحمد (٣/ ١٩ - ٦١) من طريق على بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة - المنذر بن مالك بن قطعة - عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا . علي بن زيد بن جدعان : سبق له ترجمة .

(٣) **صحيح لما قبله وما بعده ولشواهده** : ابن أبي الدنيا (١٢٠ قصر الأمل) حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا حفص بن غياث عن ليث - ابن أبي سليم -عن المغيرة بن حكيم عن ابن عُمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا . ليث ابن أبي سليم : سبق له ترجمة . وله شاهد بمعناه عند الطبراني (٤٩٨ الأوسط ، ١/ ٢٧ الصغير) من طريق معن ابن عيسى القزاز حدثنا مالك بن أنس عن وهب بن كيسان عن ابن عُمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا « إنما أجلكم فيما خلا قبلكم من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس » إسناده صحيح ، وشاهد آخر عند الطبراني (١٣٥١٩ الكبير) من طريق أبي نعيم - عبد الرحمن بن هانئ بن سعيد - الكوفي - النخعي ثنا شريك « ابن عبد الله - النخعي » . قال سمعت سلمة بن كهيل يحدث عن مجاهد عن ابن عُمر - رضي الله عنهما - مرفوعًا . أبو نعيم - عبد الرحمن بن هانيء بن سعيد النخعي : صدوق له أغلاط - أفرط بن معين فكذبه ، وقال البخاري : هو في الأصل : صدوق (تقريب ٤٠٢٣) . شريك بن عبد الله بن أبي شريك - النخعي -: صدوق - يخطيء كثيرًا ، تغير حفظه منذ ولى القضاء بالكوفة (تقريب ٢٧٨٠).

ابن خلف ، عن قتادةَ عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ عِنْدَ مغبران الشَّمْسِ فَقَالَ : « **مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ** »[١] ، فالدنيا [١٣٢/أ] كلها كيوم واحد ، بُعِثَ رسولُ الله ﷺ في آخره قبل غروب شمسه بيسير ، وقال جابر وأبو هريرة - رضي الله عنهما - عنه ﷺ : « **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ، وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبعَيْهِ : السَّبَّابَةُ وَالوُسْطَى** »[٢] ، وكان بعض السلف يقول : تصبروا فإنما هي أيام قلائل ، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، وإنه قد نعيت إليك أنفسكم ، والموت جسر لا بد منه ، والله بالمرصاد ، وإنما تخرج هذه النفوس على آخر سورة الواقعة .

فصل

المثال الحادي والعشرون : مثال الدنيا كحوض كبير مُلِئ ماء ، وجعل موردًا للأنام والأنعام ، فجعل الحوض ينقص على كثرة الوارد حتى لم يبق منه إلا وشل كدر في أسفله ، قد بالت فيه الدواب ، وخاضه الناس والأنعام ؛ كما روى مسلم في صحيحه عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم ، فقال في خطبته : « إن الدنيا قد آذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها ، وإنكم منتقلون عنها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم »[٣] ، وقال عبد الله بن مسعود : إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلا ، فما بقي منها إلا قليل من قليل ، ومثل ما بقي منها كالثَّغب

---

(١) **صحيح لما بعده** : ابن أبي الدنيا (١٢١ قصر الأمل) حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا موسى بن خلف عن قتادة عن أنس ﷺ مرفوعًا . خلف بن موسى - العمى - وثق ، وضعفه ابن معين . قال ابن حبان : أكثر من المناكير (المغني ٦٤٨٧) وقال الحافظ ابن حجر : صدوق - عابد - له أوهام (تقريب ٦٩٤٨) .

(٢) **صحيح** : البخاري (٦٥٠٥) ابن ماجه (٤٠٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . النسائي (٣/ ١٨٨) ابن ماجه (٤٥) من حديث جابر ﷺ مرفوعًا . البخاري (٦٥٠٤) مسلم (٢٩٥١) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . البخاري (٦٥٠٣ - ٤٩٣٦) مسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ مرفوعًا .

(٣) صحيح من قول عتبة بن غزوان ﷺ : مسلم (٢٩٦٧) ابن المبارك (٥٣٤ الزهد) ابن أبي الدنيا (١٠٥ ذم الدنيا) أبو نعيم (١/ ٢٢٦ الحلية) من قول عتبة بن غزوان ﷺ .

شرب ، صفوه وبقي كدره[1]. الثغبُ : الغدير .

فصل

المثال الثاني والعشرون : قوم سكنوا مدينةً مدَّةً من الزمان ، فكثرت فيها الأحداث والآفات ، وطرقها وأغارت عليها عساكر الجور والفساد ، فبنى ملكهم مدينة في محل لا يطرقها آفة ولا عاهة ، وعزم على تخريب المدينة الأولى ، فأرسل إلى سكانها فنودي فيهم بالرحيل بعد ثلاث ، ولا يتخلف منهم أحد ، وأمرهم أن ينقلوا إلى مدينة الملك الثانية خير ما في تلك [١٣٢/ب] المدينة وأنفعه وأجله من الجواهر واللآلىء والذهب والفضة ، وما خف حمله من المتاع وعظم قدره ، وصلح للملوك ، وأرسل إليهم الأدلاء وآلات النقلة ، ونهج لهم الطريق ، ونصب لهم الأعلام ، وتابع الرسل يستحثونهم بعضهم في أثر بعض ، فانقسموا فرقا :

فالأقلون علموا قصر مدة مقامهم في تلك المدينة ، وتيقنوا أنهم إن لم يبادروا بتحصيل خير ما فيها وحمله إلى مدينة الملك ، وإلا فاتهم ذلك فلم يقدروا عليه ، فرأوا غبنا أن يقطعوا تلك المدة في جمع المفضول والاشتغال به عن الفاضل ، فسألوا عن خير ما في المدينة وأنفسه وأحبه إلى الملك وأنفعه في مدينته ، فلما عرفوه لم يلتفتوا إلى ما دونه ، ورأوا أن أحدهم إذا وافى بجوهرة عظيمة كانت أحب إلى الملك من أن يوافيه بأحمال

---

(١) **إسناده ضعيف جدا من هذا الوجه والمتن له شاهد صحيح** : ابن أبي الدنيا (١٢٣ قصر الأمل) حدثني أبو إسحاق الأدمي - لعله إبراهيم بن راشد بن سليمان - حدثنا زيد بن عوف - أبو ربيعة - ولقبه فهد - حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة - ابن أبي النجود - عن أبي وائل - شقيق بن سلمة - عنه به ، وعند البخاري (٢٩٦٤) بنحوه من حديث ابن مسعود ﷺ . زيد بن عوف ، ولقبه فهد بن عوف - أبو ربيعة القطعي - قال عَمرو بن علي الفلاس : متروك الحديث ، وقال أبو حاتم : تعرف وتنكر وحرك يده ، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : قلت لأبي زرعة : يُكتب حديثه ؟ فقال : أصحاب الحديث ، وقال أبو حاتم : تعرف وتنكر ، وحرك يده ، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : قلت لأبي زرعة : يُكتب حديثه ؟ فقال : أصحاب الحديث ، ربما أراهم يكتبونه ، وقال عثمان بن سعيد الدارمي : قلت ليحيى بن معين : أبو ربيعة ؟ قال : ليس لي به علم ، لا أعرفه ولم أكتب عنه - يعني زيد بن عوف البصري - (الجرح والتعديل ٣/ ٥٧٠ - ٥٧١) وضعفه الدارقطني (الضعفاء والمتروكين ٢٣٣ - ٤٣٦) .

كثيرة من الفلوس والحديد ونحوها ؛ فكان همهم في تحصيل ما هو أحب إلى الملك وأنفس عنده ولو قل في رأى العين ، وأقبلت فرقة أخرى على تعبئة الأحمال المحملة وتنافسوا في كثرتها ، وهم على مراتب فمنهم من أحمالُه أثمان ، ومنهم من أحمالهم دون ذلك على قدر هممهم وما يليق بهم ، لكن هممهم مصروفة إلى تعبئة الأحمال والانتقال من المدينة ، وأقبلت فرقة أخرى على عمارةِ القصور في تلك المدينة ، والاشتغال بطيباتها ولذاتها ونزهها ، وحاربوا العازمين على النقلة ، وقالوا : لا ندعكم تأخذون من متاعنا شيئًا ، فإن شاركتمونا في عمارة المدينة واستيطانها وعيشنا فيها ، وإلا لم نمكنكم من النقلة ، ولا من شيء من المتاع ، فوقعت الحرب بينهم فقاتلوا السائرين ؛ وعدموا كُلَّ أموالهم وأهليهم وما [١٣٣/أ] نقموا منهم إلا سيرهم إلى دار الملك وإجابة داعيه ، والرغبة عن تلك الدار التي أمرهم بتركها .

وأقبلت فرقة أخرى على التَّنَزُّه والبطالة والراحة والدعة ، وقالوا : لا نتعب أنفسنا في عمارتها ، ولا ننتقل منها ولا نعارض من أراد النقلة ولا نحاربهم ولا نعاونهم ، وكان للملك فيها قصر فيه حريم له وقد أحاط عليه سورًا ، وأقام عليه حرسًا ، ومنع أهل المدينة من قربانه ، وطاف به القاعدون فلم يجدوا فيه بابا يدخلون منه ، فغدوا على جدرانه فنقبوها ، ووصلوا إلى حريمه فأفسدوهم ، ونالوا منهم ما أسخط الملك وأغضبه وشق عليه ، ولم يقتصروا على ذلك حتى دعوا غيرهم إلى إفساد حريمه والنيل منهم ، فبينما هم على تلك الحال ، وإذا بالنفير قد صاح فيهم كلهم فلم يمكن أحدًا منهم من التخلف ، فحملوا على تلك الحال وأحضروا بين يدي الملك ، فاستعرضهم واحدًا واحدًا ، وعرضت بضائعهم وما قدموا به من تلك المدينة عليه ؛ فقبل منها ما يصلح له ، وأعاض أربابه أضعاف أضعاف قيمته ، وأنزلهم منازلهم من قربه ، ورد منها مالا يصلح له وضرب به وجوه أصحابه ، وقابل من نقب حماه وأفسد حريمه بما يقابل به المفسدون ، فسألوا الرجعة إلى المدينة ليعمروا قصره ، ويحفظوا حريمه ، ويقدموا عليه من البضائع بمثل ما قدم به التجار ، فقال : هيهات قد خربت المدينة خرابا لا تعمر بعده أبدًا وليس بعدها إلا هذه المدينة التي لا تخربُ أبدًا .

فصل

المثال الثالث والعشرون(١): وقد مُثِّلَتْ الدنيا بمنام ، والعيش فيها بالحلم ، والموت باليقظة . ومثلت بمزرعة ، والعمل فيها بالبذر ، والحصاد يوم المعاد . ومثلت بدار لها بابان : باب [١٣٣/ب] يدخل منه الناس ، وباب يخرجون منه . ومثلت بجنية ناعمة الملمس ، حسنة اللون وضربتها الموت . ومثلث بطعام مسموم ، لذيذ الطعم ، طيب الرائحة ، من تناول منه بقدر حاجته كان فيه شفاؤه ، ومن زاد على حاجته كان فيه حتفه . ومثلت بالطعام في المعدة إذا أخذت الأعضاء منه حاجتها فحبسه قاتل أو مؤذ ولا راحة لصاحبه إلا في خروجه ، كما أشار إليه النبي ﷺ في آكلة الخضر وقد تقدم . ومثلت بامرأة من أقبح النساء قد انتقبت على عينين فتنت بهما الناس وهى تدعو الناس إلى منْزلها ، فإذا أجابوها كشفت لهم عن منظرها دعتهم لمساكنتها وألقتهم في الحفر ، وقد سلطت على عشاقها تفعل بهم ذلك قديمًا وحديثًا ، والعجب أن عشاقها يرون إخوانهم صرعى قد حلت بهم الآفات ، وهم ينافسون في مصارعهم ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم : ٤٥] ويكفي في تمثيلها ما مثلها الله سبحانه في كتابه فهو المثل المنطبق عليها .

قالوا : وإذا كان هذا شأنها فالتقلل منها والزهد فيها خير من الاستكثار منها والرغبة فيها . **قالوا** : ومن المعلوم أنه لا تجتمع الرغبة فيها مع الرغبة في الله والدار الآخرة أبدًا ، ولا تسكن هاتان الرغبتان في مكان واحد إلا وطردت إحداهما الأخرى ، واستبدت بالمسكن ، ولا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا . **قالوا** : ويكفى أن رسول الله ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوزها ، ولو أخذها لكان أشكر خلق الله بها ، ولم تنقصه مما له عند الله شيئًا ؛ فاختار جوع يوم وشبع يوم ، ومات ودرعه مرهونة على طعام لأهله ؛ كما تقدم ذكره . **قالوا** : وقد انقسم الناس بعد رسول الله

(١) زيادة في المطبوع

ﷺ أربعة أقسام : قسم لم يريدوا الدنيا ولم [١٣٤/أ] تردهم ؛ كالصديق ﷺ ومن سلك سبيله . وقسم أرادتهم الدنيا ولم يريدوها ؛ كعمر بن الخطاب ﷺ ومن سلك سبيله . وقسم أرادوا الدنيا وأرادتهم الدنيا ؛ كخلفاء بنى أمية ومن سلك سبيلهم ، حاشا عمر ابن عبد العزيز فإنها أرادته ولم يردها . وقسم أرادوها ولم تردهم ؛ كمن أفقر الله منها يده ، وأسكنها في قلبه ، وامتحنه بجمعها . ولا يخفى أن خير الأقسام القسم الأول ، والثاني إنما فضل ، لأنه لم يردها فالتحق بالأول قالوا : وقد سأل رجل رسول الله ﷺ أن يدله على عمل إذا فعله أحبه الله وأحبه الناس ؛ فقال له : « ازهد في الدنيا يحبك اللهُ ، وازهد فيما في أيدي الناسِ يحبك الناسُ »[1] فلو كان الغنى أفضل لدله عليه .

قالوا: وقد شرع الله سبحانه قتال الكفار ، وشرع الكف عن الرهبان لاعتزالهم عن

---

(١) **ضعيف**: ابن ماجة (٤١٠٢) الطبراني (٥٩٧٢ الكبير) الحاكم (٤/ ٣١٣) أبو نعيم (٧/ ١٥٥ الحلية) ابن أبي حاتم (٢/ ١٠٦ العلل) العقيلي (٢/ ١١ الضعفاء الكبير) ميزان الاعتدال (١/ ٦٢٠) الخليلي (١٣٣ - ١٣٤ الإرشاد) من طريق خالد بن عمرو القرشي ثنا سفيان الثوري عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ مرفوعًا ، وأخرجه الخليلي (١٣٣ الإرشاد) من طريق محمد بن كثير - الصنعاني - صنعاء دمشق - عن سفيان الثوري به . قال الخليلي : لم يروه عن سفيان غير محمد بن كثير الشامي وخالد بن عمرو الأموي ، وقال العقيلي بعد إيراده لحديث خالد بن عمرو : وليس له أصل من حديث سفيان الثوري وقد تابعه محمد بن كثير الصنعاني ، ولعله أخذه عنه ودلسه لأن المشهور به ، خالد هذا .ا.هـ ، وقال ابن أبي حاتم بعد إيراده لحديث محمد بن كثير : قال أبي : هذا أيضًا حديث باطل - يعني بهذا الإسناد .ا.هـ . خالد بن عمرو القرشي الأموي : سبق له ترجمة . محمد بن كثير - أبو يوسف - هو الصنعاني ، والشامي ، والمصيصي ، والثقفي : سبق له ترجمة . وأخرجه أبو نعيم (٨/ ٤٢ الحلية) بإسناد آخر من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . قال : حدثنا أبو القاسم زيد بن علي بن أبي بلال المقري ، حدثنا أبو أحمد إبراهيم بن محمد بن أحمد الهمداني - بالكوفة - حدثنا أبو حفص عمر بن إبراهيم المستملي ، حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا المفضل بن يونس حدثنا إبراهيم بن أدهم عن منصور عن مجاهد عن أنس ﷺ مرفوعًا به . قال أبو نعيم : ذكر أنس في هذا الحديث وهم من عمر ، أو أبي أحمد ، فقد رواه الأثبات عن الحسن فلم يجاوز فيه مجاهدًا .ا.هـ قلت (محمد) : أبو عبيدة بن أبي السفر - أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله - أيضًا : صدوق له أوهام (تقريب ٦٠) وأخرجه ابن منده (١٧ - مسند إبراهيم بن أدهم) من طريق الحسن بن الربيع ثنا المفضل بن يونس - الجُعفي - أبو يونس الكوفي - عن إبراهيم - ابن أدهم - عن منصور - ابن المعتمر - عن مجاهد - ابن جبر - مرسلًا به . قال المفضل : لم يسند لنا إبراهيم غير هذا .ا.هـ ، وأخرجه أبو نعيم (٨/ ٥٦ الحلية) من طريق ابن كثير - محمد بن كثير - أبو يوسف - عن إبراهيم بن أدهم عن أرطأة - يعني ابن المنذر - ابن الأسود الألهاني - مرسلًا به . قال أبو نعيم : كذا رواه ابن كثير عن إبراهيم فقال : أرطاة ، والمشهور ما رواه المفضل بن يونس عن إبراهيم عن منصور عن مجاهد ، ورواه خلف بن تميم أيضًا ، عن إبراهيم ، عن منصور ، فخالف المفضل .ا.هـ .

الدنيا وزهدهم فيها ، فمضت السنة بأن لا يقاتلوا ولا يضرب عليهم جزية ، هذا وهم أعداؤه وأعداء رسله ودينه ، فعلم أن الزهد فيها عند الله بمكان .

قالوا : وكذلك استقرت حكمته في شرعه على أن عقوبة الواجد أعظم من عقوبة الفاقد ؛ فهذا الزاني المحصن عقوبته الرجم ، وعقوبة من لم يحصن الجلد والتغريب ، وهكذا يكون ثواب الفاقد أعظم من ثواب الواجد .

قالوا : وكيف يستوي عند الله سبحانه ذلة الفقر ، وكسرته ، وخضوعه ، وتجرع مرارته ، وتحمل أعبائه ومشاقه ، وعزة الغنى ، ولذته ، وصولته ، والتمتع بلذاته ، ومباشرة حلاوته ، فبعين الله ما يتحمل الفقراء من مرارة فقرهم وصبرهم ورضاهم به عن ربهم تبارك وتعالى ، وأين أجر مشقة المجاهدين إلى أجر عبادة القاعدين في الأمن ، والدعة ، والراحة .

قالوا : وكيف يستوي أمران : **أحدهما** : حفت به الجنة ، **والثاني** : حفت به النار [١٣٤/ب] ، فإن أصل الشهوات من قبل المال ، وأصل المكاره من قبل الفقر .

قالوا : والفقير لا ينفك في خصاصة من مضض الفقر ، والجوع ، والعُرى ، والحاجة وآلام الفقر وكل واحد منها يكفر ما يقاومه من السيئات ، وذلك زيادة على أجره بأعمال البر ، فقد شارك الأغنياء في أعمال البر ، وامتاز عنهم بما يكفر سيئاته ، وما امتازوا به عليه من الإنفاق والصدقة والنفع المتعدي فله سبيل إلى لحاقهم فيه ، وله مثل أجورهم ، وهو أن يعلم الله من نيته أنه لو أوتي مثل ما أوتوه لفعل كما يفعلون ، فيقول : لو أن لي مالا لعملت بأعمالهم فهو بنيته وأجرهما سواء ، كما أخبر به الصادق المصدوق في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري .

قالوا : والفقير في الدنيا بمنْزلة المسجون إذ هو ممنوع من الوصول إلى شهواته وملاذها ، والغنى متخلص من هذا السجن ، وقد قال النبي ﷺ : « **الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ** »[1] فالغني إن لم يسجن نفسه عن دواعي الغنى وطغيانه وأرسلها في ميادين

---

(١) حسن : سبق تخريجه .

شهواتها كانت الدنيا جنة له ، فإنما نال الفضل بتشبهه بالفقير الذي هو في سجن فقره .

قالوا : وقد ذم الله ورسولُه من عُجِّلت له طيباتُه في الحياة الدنيا ، وإنه لحري أن يكون عوضًا عن طيبات الآخرة أو منقصة لها ، ولا بد كما تقدم بيانه ، بخلاف من استكمل طيباته في الآخرة لما منع منها في الدنيا ، وأتى رسول الله ﷺ بسويق لوز ؛ فأبى أن يشربه ، وقال : « هذا شرابُ المترفين »[1].

قالوا : وقد سئل الحسن البصري فقيل له : رجلان أحدهما تارك للدنيا ، والآخر يكتسبها ويتصدق بها ، فقال : « التارك لها أحب إليَّ »[2]. **قالوا**: وقد سئل المسيح عليه السلام عن هذه المسألة ، عن رجلين مر أحدهما بلبنة ذهب فتخطاها ولم يلتفت إليها ، ومر بها الآخر [١٣٥/أ] فأخذها وتصدق بها ، فقال : الذي لم يلتفت إليها أفضل ، ويدل على هذا أن رسول الله مر بها ولم يلتفت إليها ، ولو أخذها لأنفقها في سبيل الله .

قالوا: والفقير الفقيه في فقره يمكنه لحاق الغنى في جميع ما ناله بغناه بنيته ، وقوله ؛ فيساويه في أجره ، ويتميز عنه بعدم الحساب على المال ، فساواه في ثوابه ، وتخلص من حسابه ؛ كما تميز عنه بسبقه إلى الجنة بخمسمائة عام ، وتميز عنه بثواب صبره على ألم الفقر وخصاصته .

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن محمد بن نمير ، حدثنا عبادة بن مسلم ، حدثني يونس بن خباب ، عن أبي البحتري الطائي عن أبي كبشة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثٌ أقسمُ عليهنَّ ، وأحدثُكم حديثًا فاحْفَظُوه ، فأما الثلاثُ التي أُقسم عليهن : فإنَّهُ ما نَقُصَ مالُ عبدٍ من صدقةٍ ، ولا ظلمَ عبدٌ مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عز وجل بها عزًّا ، ولا يفتحُ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلَّا فتحَ اللهُ له باب فقرٍ ، وأمَّا الذي أُحدثُكُم

---

(١) **ضعيف مرسل**: ابن المبارك (٢٠٠ زوائد الزهد) أحمد (٢٢ الزهد) من طريق حميد بن زياد أبو صخر عن يزيد ابن قسيط . مرسلًا . حميد بن زياد - أبو صخر - ضعفه أحمد وابن معين في قول ، ووثقه جماعة (المغني ١٧٧٢) . يزيد بن عبد الله بن قسيط : لم يدرك النبي ﷺ .

(٢) في إسناده إلى الحسن البصري من لم أعثر على ترجمته . ابن المبارك (٥٦٤ الزهد) أحمد (١٥٥٩ الزهد) ابن أبي الدنيا (١٥١ ذم الدنيا) البيهقي (٤٢٦ الزهد الكبير) من طريق الأسود بن شيبان السدوسي . قال : قال الفضل بن ثور بن شقيق بن ثور ، وكانت تهمه نفسه . قلت للحسن . فذكره . الفضل بن شقيق بن ثور : لم أقف على ترجمته .

حديثًا فاحْفَظُوه فإنَّهُ قال : إنَّمَا الدُّنْيَا لأربعةِ نفرٍ : عبدٌ رزقَهُ اللهُ مالًا وعلمًا ؛ فهو يتَّقِي فيه ربَّه ، ويصلُ فيه رَحِمَهُ ، ويعلمُ فيه لله حقًّا ؛ فهذا بأفضلِ المنازلِ عندَ الله ، وعبدٌ رزقَهُ اللهُ علمًا ، ولم يرزقْهُ مالًا ، فهو يقولُ : لو كانَ لي مالٌ عملتُ فيه بعملِ فلانٍ ، قال : فأجرهما سواءٌ ، وعبدٌ رزقَهُ اللهُ مالًا ، ولم يرزقْهُ علمًا ؛ فهو يتخبَّطُ في مالِهِ بغيرِ علمٍ لا يتَّقِي فيه ربَّهُ ، ولا يصلُ فيه رحمَهُ ، ولا يعلمُ لله فيه حقًّا ، فهذا بأخبثِ المنازلِ عندَ الله ، وعبدٌ لمْ يرزقْهُ اللهُ مَالًا ولا علمًا ، فهو يقول : لَو كانَ لي مالٌ لفعلتُ بفعلِ فلانٍ . قال : فهو بنِيَّتِهِ ووزْرِهُمَا سواءٌ »[1].

فلما فضل الغنى بفعله ألحق الفقير الصادق به بنيته ، والغني هناك إنما نقص بتخلفه عن العمل ، والفقير إنما نقص بسوء نيته فلم ينفع الغني غناه مع التخلف ، ولا ضر الفقير فقره [١٣٥/ب] مع حسن النية ، ولا نفعه فقره مع سوء نيته . قالوا : ففي هذا بيان كاف شافٍ في المسألة ، حاكم بين الفريقين ، وبالله التوفيق .

---

(١) **إسناده ضعيف** : الترمذي (٢٣٢٥) أحمد (٤/ ٢٣١) من طريق يونس بن خباب عن سعيد أبي البختري الطائي - سعيد بن فيروز - عن أبي كبشة الأنماري ﷺ مرفوعًا . يونس بن خباب - الأسيدي - أبو حمزة ويقال : أبو الجهم : كذبه القطان ، وضعفه النسائي وغيره ، وزعم أن عثمان ﷺ قتل ابنتي النبي ﷺ ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه (المغني ٧٢٦٤) ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : مضطرب الحديث ، ليس بالقوي ، وقال الجوزجاني : كذاب مفتري ، وقال يحيى بن معين : رجل سوء ، كان يشتم عثمان ﷺ (تهذيب الكمال ٨/ ٢١٠) قال الحافظ ابن حجر : صدوق ، يخطئ (تقريب ٧٨٩٦) . سعيد بن فيروز أبو البختري الطائي : كثير الإرسال . قال ابن سعد : كان أبو البختري كثير الحديث ، يرسل حديثه ويروى عن أصحاب رسول الله ﷺ ولم يسمع من كبير أحد ، فما كان من حديثه سماعًا فهو حسن ، وما كان ((عن)) فهو ضعيف (تهذيب التهذيب ٤/ ٧٣) ، وقال ابن حجر : ثقة ثبت ، كثير الإرسال (تقريب ٢٣٧٢) ، والفقرة الأولى لها شاهد عند مسلم (٢٥٨٨) الترمذي (٢٠٢٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا)) ، وللحديث شاهد عن ابن ماجة (٤٢٢٨) أحمد (٤/ ٢٣٠ - ٢٣١) بمعناه . من طريق سليمان الأعمش عن سالم ابن أبي الجعد عن أبي كبشة ﷺ مرفوعًا ((مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر ... الحديث)) ، وأيضًا عن سفيان ومعمر ومفضل كلهم عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ابن أبي كبشة عن أبيه مرفوعًا . سالم بن أبي الجعد : ثقة ، وكان يرسل كثيرًا (تقريب ٢١٥٩) . ابن أبي كبشة عن أبيه : مقبول (تقريب ٨٤٨٤) . وعند أحمد (٤/ ٢٣٠) حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سليمان - الأعمش - عن سالم بن أبي الجعد وسمعته منه يحدث عن أبي كبشة الأنماري عن غطفان عن النبي ﷺ فذكر الحديث ، وعنده أيضًا حدثنا روح ثنا شعبة عن سليمان - يعني الأعمش - قال : سمعت سالم بن أبي الجعد قال : سمعت أبا كبشة الأنماري قال : قال رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث .

الباب الرابع والعشرون
في ذكر ما احتجت به الأغنياء
من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار

قالت الأغنياء : لقد أجلبتم علينا أيها الفقراء بخَيلِ الأدلة ورجلِها ، ونحن نعلم أن عندكم مثلها وأكثر من مثلها ، ولكن توسطتم بين التطويل والاختصار ، وظننتم أنها حكمت لكم بالفضل دون ذوي اليسار ، ونحن نحاكمكم إلى ما حاكمتمونا إليه ، ونعرض بضاعتنا على من عرضتم بضاعتكم عليه ، ونضع أدلتنا وأدلتكم في ميزان الشرع والعقل الذي لا يعزل ، فحينئذ يتبين لنا ولكم الفاضل من المفضول ، ولكن اخرجوا من بيننا من تشبه بالفقراء الصادقين الصابرين ، ولبس لباسهم على قلب أحرص الناس على الدنيا وأشحهم عليها وأبعدهم من الفقر والصبر من كل مظهر للفقر مبطن للحرص غافل عن ربه متبع لهواه مفرط في أمر معاده ، قد جعل زي الفقر صناعته ، والتحلي بما هو أبعد الناس منه بضاعته أو فقير حائجة فقره اضطرارًا لا اختيارًا فزهده زهد إفلاس لا زهد رغبة في الله والدار الآخرة ، أو فقير يشكو ربه بلسان قاله وحاله غير راض عن ربه في فقره ، بل إن أعطي رضي وإن منع سخط شديد اللهف على الدنيا والحسرة عليها ، وهو أفقر الناس فيها فهو أرغب شئ فيها ، وهي أزهد شيء فيه ، وأخرجوا من بيننا ذي الثروة الجموع المنوع المكاثر بماله المستأثر به ، الذي عض عليه بناجذه وثنى عليه خنصره ، يفرح بزيادته ويأسى على نقصانه ، فقلبه به مشغوف ، وهو على تحصيله ملهوف ، إن عرض سوق الإنفاق والبذل أعطي قليلًا وأكدى ، وإن دُعي إلى الإيثار أمعن في الهرب جدًّا ، وأخلصونا وإخواننا من سباق الطائفتين وسادات الفريقين الذين تسابقوا إلى الله والدار الآخرة بإيمانهم وأحوالهم ، ونافسوا في القرب منه بأعمالهم وأموالهم ، فقلوبهم عاكفة عليه ، وهمتهم المسابقة إليه [١٣٦/أ] ، ينظر غنيهم إلى فقيرهم ، فإذا رآه قد سبقه إلى عمل صالح شمر إلى اللحاق به ، وينظر فقيرهم إلى غنيهم فإذا رآه قد فاقه بإنفاق في طاعة الله أنفق هو من أعماله

وأقواله وصبره وزهده نظير ذلك أو أكثر منه ، فهؤلاء إخواننا الذين تكلم الناس في التفضيل بينهم وأيهم أعلى درجة ، وأما أولئك فإنما ينظر أيهم تحت الآخر في العذاب ، وأسفل منه ، والله المستعان .

إذا عُرف هذا ، فقد مدح الله سبحانه في كتابه أعمالًا ، وأثنى على أصحابها ، ولا تحصل إلا بالغنى ؛ كالزكاة والإنفاق في وجوه البر ، والجهاد في سبيل الله بالمال ، وتجهيز الغزاة ، وإعانة المحاويج ، وفك الرقاب ، والإطعام في زمن المسغبة ، وأين يقع صبر الفقير من فرحة الملهوف المضطر المشرف على الهلاك إذا أعانه الغني ونصره على فقره ومخمصته ؟ وأين يقعُ صبرُه من نفع الغني بماله في نصرة دين الله وإعلاء كلمته وكسر أعدائه ؟ وأين يقع صبر أبي ذر على فقره إلى شكر الصديق ربه وشرائه المعذبين في الله وإعتاقهم وإنفاقه على نصرة الإسلام حين قال النبي ﷺ: « **مَا نَفَعَنِي مالُ أَحَدٍ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ** ؟ »[(١)] ، وأين يقعُ صبرُ أهل الصفة من إنفاق عثمان بن عفان تلك النفقات العظيمة التي قال له رسول الله ﷺ في بعضها : « **مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ** »[(٢)] ، ثم

---

(١) **إسناده صحيح** : ابن ماجة (٩٤) أحمد (٢/ ٢٥٣) ابن حبان (٢١٦٦ موارد) عن طريق أبو معاوية – الضرير – قال : حدثنا الأعمش – سليمان بن مهران – عن أبي صالح – ذكوان السمان – عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ، وله إسناد آخر عند الترمذي (٣٦٦١) من طريق محبوب بن محرز – القواريري – عن داود بن يزيد الأودي عن أبيه – يزيد بن عبد الرحمن الأودي – عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا – محبوب ابن محرز القواريري – ضعفه الدارقطني . وسُئل عنه أبو حاتم فقال : يكتب حديثه قيل : أيحتج به ؟ فقال : يحتج بشعبة وسفيان (ميزان ٣/ ٤٢٨) ، وقال ابن حجر : لين الحديث (تقريب ٦٤٨٣) . داود بن يزيد الأودي : ضعيف (تقريب ١٨٠٧) . والد . داود ، هو يزيد بن عبد الرحمن الأودي : مقبول (تقريب ٧٧٣٦) . قلت (محمد) : وقد ضعف الترمذي هذا الوجه ، قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .ا.هـ .

(٢) **حسن لغيره** : الترمذي (٣٧٠١) أحمد (٥/ ٦٣) أبو نعيم (١/ ٩٧ الحلية) الحاكم (٣/ ١٠٣) من طريق كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ مرفوعًا . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .ا.هـ . كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة ، قال ابن حزم : مجهول ، وذكره ابن حبان في الثقات (ميزان ٣ / ٣٩٨) ، وقال العجلي : بصري – تابعي – ثقة (١٤١٢ تاريخ الثقات) ، وقال ابن حجر : مقبول ، ووهم من عدَّه صحابيًّا (تقريب ٥٦١٧) وله شاهد عند الترمذي (٣٧٠٠) أحمد (٤/ ٧٥) أبو نعيم (١/ ٩٧ الحلية) من طريق فرقد أبي طلحة عن عبد الرحمن بن خباب السلمي ﷺ مرفوعًا . فرقد أبي طلحة : مجهول (تقريب ٥٣٧٦) .

قال : « غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَرْتَ ، وَمَا أَعْلَنْتَ ، وَمَا أَخْفَيْتَ ، وَمَا أَبْدَيْتَ »[1] أو كما قال ﷺ .

وإذا تأملتم القرآن ، وجدتم الثناء فيه على المنفقين أضعاف الثناء فيه على الفقراء الصابرين ، وقد شهد رسول الله ﷺ بأن اليد العُليا خير من اليد السفلى ، وفسر اليد العليا بالمعطية ، والسفلى بالسائلة[2] ، وقد عدَّد الله سبحانه على رسوله ﷺ من نعمه أن أغناه بعد فقره ، وكان غناه هو الحالة التي نقله إليها ، وكان فقره هو الحالة التي نقله

---

(١) **حسن بمجموع طرقه** : ابن أبي شيبة (١٢/ ٥٤ مصنف) ابن عدي (٦/ ٢٤٩ الكامل) من طريق محمد بن القاسم الأسدي عن الأوزاعي عن حسان بن عطية مرسلًا . محمد بن القاسم الأسدي - أبو إبراهيم الكوفي - شامي الأصل ، قيل : إن لقبه كاو ، قال ابن حبان : كان ممن يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم ، ويأتي عن الأثبات بما لم يُحدثوا ، لا يجوز الاحتجاج به ، ولا الرواية عنه بحال ، كان أحمد بن حنبل يُكذبه (٢/ ٢٨٨ المجروحين) ، وقال الترمذي : قد تكلم فيه أحمد بن حنبل وضعفه ، وقال النسائي : ليس بثقة ، كذبه أحمد بن حنبل ، وقال أبو بكر بن أبي خثيمة ، عن يحيى بن معين : ثقة ، وقد كتبت عنه ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، ولا يُعجبني حديثه ، وقال ابن عدي : وعامة حديثه لا يُتابع عليه (تهذيب الكمال ٦/ ٤٨٠) ، وقال بشار عواد في حاشية على تهذيب الكمال : وقال ابن محرز : سألت يحيى بن معين ، عن محمد بن القاسم الأسدي صاحب حديث الأوزاعي عن حسان بن عطية . غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، وقلت له : حدث أبو الأحوص سلام بن سليم هذا الحديث عن إبراهيم عن الأوزاعي ، فقال : هو هذا محمد بن القاسم ، ليس بشيء ، كان يكذب ، قد سمعت منه - سؤالاته ، الترجمه ٣ - وله إسناد آخر أيضًا عند ابن عدي (١/ ٣٤٠ الكامل) من طريق إسحاق بن إبراهيم الثقفي حدثنا أبو إسحاق الهمداني - عمرو بن عبد الله السبيعي - عن أبي وائل - شقيق بن سلمة - عن حذيفة بن اليمان ﷺ مرفوعًا بنحوه . إسحاق بن إبراهيم الثقفي - أبو يعقوب الكوفي - قال ابن عدي : روى عن الثقات .ا لا يتابع عليه ، وأحاديثه غير محفوظة ، وقال ابن حجر : وثقه ابن حبان ، وفيه ضعف (تقريب ٣٣٩) طريق خر عند أبي نعيم (١/ ٩٧ الحلية) حدثنا سليمان بن أحمد - الطبراني - حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا رجاء بن مصعب الأذني حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني حدثني عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله - ابن مسعود - ﷺ قال : رأى رسول الله ﷺ عثمان بن عفان يوم جيش العسرة جائيًا وذاهبًا ، فقال : اللهم اغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر ، وما أخفى وما أعلن ، وما أسر وما أجهر : إسناده حسن . قال محمد بن إسحاق : ما حفظت من الشعبي إلا هذا الحديث الواحد .ا.هـ الحسين بن إسحاق التستري - من شيوخ الطبراني . روى عن رجاء بن محمد بن رجاء العُذْريُّ - أبو الحسن البصري - السقطي - وليس رجاء بن مصعب الأذني ، ولعله تصحيف من الناسخ ، وأما رجاء بن مصعب الأذني - لم أعثر على ترجمة . رجاء بن محمد بن رجاء العُذْري . قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سمع منه أبي بالبصرة في الرحلة الثانية ، وقال النسائي : لا بأس به ، وقال أبو بكر بن أبي عاصم : ثقة (تهذيب الكمال ٢/ ٤٧٩) .

(٢) **صحيح** : البخاري (١٤٢٩) مسلم (١٠٣٣) من حديث عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

منها ، وهو سبحانه كان ينقله من الشيء إلى ما هو [١٣٦/ب] خير منه ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الضحى : ٤] إن المراد به الحالتان أي : كل حالة خير لك مما قبلها ، ولهذا أعقبه بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٥] ؛ فهذا يدخل فيه عطاؤه في الدنيا والآخرة .

قالوا: والغنى مع الشكر زيادةُ فضلٍ ورحمةٍ : ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة : ١٠٥] **قالوا** : والأغنياءُ الشاكرون سببٌ لطاعةِ الفقراء الصابرين ؛ لتقويتهم إياهم بالصدقة عليهم ، والإحسان إليهم وإعانتهم على طاعتهم ؛ فلهم نصيب وافر من أجور الفقراء زيادة إلى نصيبهم من أجر الإنفاق وطاعتهم التي تخصهم ؛ كما في صحيح ابن خزيمة من رواية سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ وذكر شهر رمضان ؛ فقال : « من فطَّر فيه صائمًا كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبتِهِ من النَّار ، وكان له مثلُ أجره من غير أن ينقصَ من أجره شيء »[1] فقد جاز الغني الشاكر أجرَ صيامِهِ ، ومثل أجر الفقير الذي فطَّره .

قالوا : ولو لم يكن للغنى الشاكر إلا فضل الصدقة التي لما تفاخرت الأعمالُ كان الفخر لها عليهن ؛ كما ذكر النضر بن شميل عن قرة عن سعيد بن المسيب أنه حدث عن عمر بن الخطاب قال : ذكر أن الأعمال الصالحة تتباهى ، فتقول الصدقة : أنا أفضلكم .

قالوا : والصدقة وقاية بين العبد وبين النار ، والمخلص المسر بها مستظل بها يوم القيامة في ظل العرش .

---

(١) **منكر** : ابن خزيمة (١٨٨٧ - ٣/ ١٩١ صحيح) ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٩ العلل) من طريق عبد الله بن بكر السهمي حدثني إياس عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي ﷺ مرفوعًا « يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليلة تطوعًا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساه ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، ومن فطر صائمًا كان مغفرة لذنوبه ... الحديث » قال أبو حاتم : هذا حديث منكر ، غلط فيه عبد الله بن بكر ، إنما هو أبان بن أبي عياش ، فجعل عبد الله بن بكر - أبان - إياس - أبان بن أبي عياش : سبق له ترجمة . على بن زيد بن جدعان : سبق له ترجمة .

وقد روى عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الصدقةَ لتطفيءُ على أَهْلِهَا حرَّ القبورِ ، وإنما يستظلُّ المؤمنُ يومَ القيامةِ في ظلِّ صدقتِهِ »[1] ، وقال يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة يرفعه : « **كُلُّ امْرِىءٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ** »[2] قال يزيد : وكان أبو الخير لا يأتي عليه يوم إلا تصدق [١٣٧/أ] فيه ولو بكعكةٍ أو بصلةٍ ، وفي حديث معاذ ﷺ عن النبي ﷺ : « والصدقةُ تطفيءُ الخطيئةَ كما يطفيءُ الماءُ النَّارَ »[3].

---

(١) **ضعيف** : الطبراني (٨٨ - ١٧/ ٢٨٦ الكبير) من طريق سعيد بن أبي مريم - ابن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي - أبو محمد المصري - حدثنا رشدين بن سعد - ابن مفلح المهري - أبو الحجاج المصري - حدثني عمرو بن الحارث وابن لهيعة والحسن بن ثوبان عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا . رشدين بن سعد : سبق له ترجمة . والفقرة الأولى عند الطبراني أيضًا (٨٧ - ١٧/ ٢٨٦ الكبير) من طريق سليمان ابن عبد الرحمن الدمشقي ثنا الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربي ثنا عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا : منكر . سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي - أبو أيوب - ابن بنت شُرحبيل بن مسلم الخولاني . قال أبو حاتم : صدوق مستقيم الحديث ولكنه أروى الناس عن الضعفاء والمجهولين وكان عندي في حد : لو أن رجلاً وضع له حديثًا لم يفهم ، وكان لا يميز ، وقال الحاكم أبو عبد الله : قلت للدارقطني : سليمان بن عبد الرحمن ؟ قال : ثقة . قلت : أليس عنده مناكير ؟ قال : حدث بها عن قوم ضعفى ، فأما هو فثقة (تهذيب الكمال ٣/ ٢٩٠) . الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربي - الرعيني - الكوفى - قال أبو حاتم : متروك الحديث : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث - منكر الحديث (الجرح والتعديل ٣/ ١٣٠) والفقرة الأخيرة لها شواهد منها ما سيأتي .

(٢) **إسناده صحيح** : ابن المبارك (٦٤٥ الزهد) أحمد (٤/ ١٤٧ - ١٤٨) ابن حبان (٨١٧ موارد) أبو نعيم (٨/ ١٩٣ الحلية) ابن خزيمة (٤/ ٩٤ - ٢٤٣ صحيح) الحاكم (١/ ٤١٦) كلهم من طريق عبد الله بن المبارك أنبأنا حرملة بن عمران - ابن قُراد - التجيبي - أبو حفص المصري - جد حرملة بن يحيى بن عبد الله - صاحب الشافعي - أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يحدث أن أبا الخير - مرشد بن عبد الله اليزني - حدثه أنه سمع عقبة بن عامر ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكره .

(٣) **ضعيف** : الترمذي (٢٦١٦) ابن ماجة (٣٩٧٣) أحمد (٥/ ٢٣١) من طريق معمر بن راشد عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل - شقيق بن سلمة - عن معاذ بن جبل ﷺ قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير ، فقلت : يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار . قال : « لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » ، ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ... الحديث » واللفظ للترمذي . معمر بن راشد عن عاصم بن أبي النجود : سبق له ترجمة . شقيق بن سلمة - أبو وائل - الكوفي : ثقة مخضرم ، قال ابن العراقي : ووجدت بخط والدي . قال ابن الطاهر : لا يعرف لأبي وائل عن =

وروى البيهقي من حديث أبي يوسف القاضي ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس يرفعه : « باكروا بالصدقةِ ؛ فإن البلاءَ لا يتخطى الصدقةَ »[1].

= معاذ رواية (تحفة التحصيل ٣٧٩) ، وله طريق آخر من حديث معاذ ﷺ عند أحمد (٥/ ٢٤٨) حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة - ابن أبي النجود - عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال : ((سأنبئك بأبواب من الخير. الحديث)) مختصرًا . شهر بن حوشب : لم يسمع من معاذ بن جبل ﷺ (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٧١) وقال ابن حجر :صدوق -كثير الإرسال والأوهام (تقريب-٢٨٢٤) ، وأخرجه أيضًا من حديث معاذ ﷺ ابن جرير الطبري (٢١/ ٦٤ تفسير) الحاكم (٢/ ٤١٣) من طريق الأعمش - سليمان بن مهران - عن حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبي شبيب عنه به . ميمون بن أبي شبيب ، قال أبو حاتم : روى عن أبي ذر مرسلًا ، وعن معاذ بن جبل مرسلًا (الجرح والتعديل ٨/ ٢٣٤) ، وأخرجه ابن أبي شيبة (١ الإيمان) وابن جرير الطبري (٢١/ ٦٤ تفسير) من طريق محمد بن جعفر - غندر - ثنا شعبة عن الحكم - ابن عتيبة - قال سمعت عروة بن النـزال يحدث عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا . قلت (محمد) : وقد صحف عند ابن جرير إلى - عروة بن الزبير - وهو خطأ لعله من الناسخ كما هو عند النسائي (٤/ ١٦٦) .ا.هـ

وقال روح بن عبادة لشعبة : عروة بن النزال أن النزال بن عروة ، سمعه من معاذ ؟ قال : لم يسمعه منه وقد أدركه (تهيب الكمال ٥/ ١٦٠) ، وله طريق آخر عند ابن المبارك (٦٥١ الزهد) من طريق عبد الملك - ابن عيسى بن عبد الرحمن بن جارية - الثقفي قال سمعت عكرمة يقول : قال رسول الله ﷺ فذكره (عكرمة مولى ابن عباس لم يدرك النبي ﷺ وعبد الملك بن عيسى بن عبد الرحمن بن جارية - الثقفي - : مقبول (تقريب ٤١٩٣) ، وله طرق آخر عند الترمذي (٦١٤) وأحمد (٣/ ٣٢١ - ٣٩٩) وابن حبان (١٥٦٩ موارد) عند الترمذي من حديث كعب بن عجرة من طريق عبيد الله بن موسى عن غالب أبو بشر - ابن نجيح - عن أيوب بن عائذ الطائي عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن كعب بن عجرة ﷺ مرفوعًا - في حديث طويل - قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث عُبيد الله بن موسى وأيوب بن عائذ الطائي ، يضعف ، ويقال كان يرى رأى الإرجاء ، وسألت محمدًا - يعنى البخاري - عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عُبيد الله بن موسى واستغربه جدًّا وقال محمد - يعني البخاري : حدثنا ابن نمير عن عبيد الله بن موسى عن غالب بهذا . غالب بن نجيح بن بشر الكوفي : مقبول (تقريب ٥٣٤١) وإسناد أحمد وابن حبان من طريق عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا . عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - . قيل ليحيى بن معين : سمع عبد الرحمن من سعد بن أبي وقاص ؟ قال : لا ، قيل من أبي أمامة ؟ قال : لا ، قيل من جابر ؟ قال : لا هو مرسل (تهذيب التهذيب ٦/ ١٨٠) ، وقال ابن العراقي : قال أبو زرعة : وعن سعد بن أبي وقاص وأبي أمامة وجابر ، مرسل . قال ابن معين : هو مرسل لم يسمع منهم (تحفة التحصيل ٥٦٨) ، وعند ابن ماجه (٤٢١٠) من طريق عيسى بن أبي عيسى الحناط عن أبي الزناد عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . عيسى بن أبي عيسى الحناط : متروك (تقريب ٥٣٠٨) .

(١) **ضعيف جدًّا** : البيهقي (٤/ ١٨٩ السنن الكبرى) من طريق بشر بن عبيد - أبو على الدارسي - حدثنا أبو يوسف القاضي - يعقوب بن إبراهيم - صاحب أبي حنيفة - عن المختار بن فُلفُل عن أنس ﷺ مرفوعًا . بشر بن عبيد .=

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إِذَا تَصَدَّقَ العبدُ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا طَيِّبًا ، أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ ؛ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِهِمْ كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ الْعَظِيمِ** »(١).

= قال ابن عدي : منكر الحديث عن الأئمة ، بين الضعف جدًا (لسان الميزان ٢/ ٣٣) ، وقال الأزدي : كذاب (المغني ٩٠٨) ، أبو يوسف القاضي - يعقوب بن إبراهيم - صاحب أبو حنيفة - قال الفلاس : صدوق - كثير الغلط ، وقال البخاري : تركوه ، وقال المزني : أبو يوسف أتبع القوم للحديث ، وقال عمرو الناقد : كان صاحب سنة ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه (المغني ٧١٧٧) ، وقال ابن عدي : ليس في أصحاب الرأي أكثر حديثاً منه ، إلا أنه يروى عن الضعفاء ، مثل الحسن عمارة وغيره ، وكثير ما يخالف أصحابه ويتبع الأثر وإذا روى عنه ثقة ، وروى هو عن ثقة ، فلا بأس ، وقال النسائي في كتاب الضعفاء لما ذكر أصحاب أبي حنيفة : أبو يوسف رحمه الله : ثقة ، وذكر العقيلي بسند صحيح عن ابن المبارك ، أنه وهاهُ وعن يزيد بن هارون : لا تحل الرواية عنه ، كان يعطي أموال اليتامى مضاربة ، ويجعل الربح لنفسه - يعني أنه كان يقترضها على ذمته - وعن الفضيل بن عياض ، وقيل له : ما تقول في علم أبي يوسف ؟ قال : أي علم هو ؟ (لسان الميزان ٦/ ٣٦٨ - ٣٦٩) وله طريق آخر عند ابن عدي (٣/ ٢٤٨ الكامل) من طريق يحيى بن سعيد العطار حدثنا سليمان بن عمرو - ابن عبد الله بن وهب - عن المختار بن فُلفُل عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا . يحيى بن سعيد العطار : سبق له ترجمة . سليمان بن عمرو بن عبد الله ابن وهب - النخعي - أبو داود - قال البخاري : معروف بالكذب ، سمعت قُتيبة يقوله (الضعفاء الصغير ١٤٤) وقال النسائي : متروك (الضعفاء والمتروكين ٢٤٧) وله طريق آخر عند الطبراني (٥٦٣٩ الوسط) حدثنا محمد ابن عبد الله الحضرمي حدثنا حمزة بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، حدثني عمي عيسى ابن عبد الله عن أبي عن جده عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعًا . عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي العلوي - عن أبيه - قال الدارقطني : متروك (الضعفاء والمتروكين ٥٣)، وقال أبو حاتم : لم يكن بقوي الحديث (الجرح والتعديل ٦/ ٢٨٠) ، وقال ابن حبان : يروى عن أبيه عن آبائه أشياء موضوعة ، لا يحل الاحتجاج به ، كأنه كان يهم ويخطئ حتى كان يجئ بالأشياء الموضوعة عن أسلافه ، فبطل الاحتجاج بما يرويه لما وصفت (المجروحين ٢/ ١٢٢) . قال السخاوي : وكذا رواه الصقر عن عبد الرحمن ابن بنت مالك بن مغول عن عبد الله ابن إدريس - ابن يزيد الأودي - الزعافري - الكوفي عن المختار به ، وتابعهما سليمان بن عمرو النخعي ، وعبد الأعلى بن أبي المساور ، وهما كذابان ، وكذا كذب الأزدي بشرًا - ابن عبيد - أبو علي الداريسي - وأما الصقر ، فصدقه أبو حاتم (الجرح والتعديل ٤/ ٤٥٢ - ٣١٠) وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : إن له حديثًا منكرًا في الخلافة ، نعم ، وكذبه مطين وصالح جزرة (المقاصد الحسنة ح ٢٨١) ، وقال ابن أبي حاتم : قلت لأبي : لا يتكلمون فيه ؟ قال : لا ، حدثنا عبد الرحمن حدثني محمد بن أبي الحسين ابن بنت أبي سعد الهروي قال : سمعت أبا جعفر الحضرمي المعروف بالمطين يقول : عبد الرحمن بن مالك بن مغول : كذاب ، وابنه أبو بهز السقر بن عبد الرحمن - الصقر - أكذب منه ، روى عن ابن إدريس - عبد الله - عن المختار بن فُلفُل عن أنس عثمان ﷺ (الجرح والتعديل ٤/ ٣١٠) .

(١) **صحيح** : البخاري (٧٤٣٠) مسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

وفى لفظ البيهقي في هذا الحديث « **حَتَّى إِنَّ التَّمْرَةَ أَوِ اللُّقْمَةَ لَتَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ أُحُدٍ** »[1] وقال محمد بن المنكدر : من موجبات المغفرةِ إطعامُ المسلم السغبان ، وقد روي مرفوعًا من غير وجه[2] ، وإذا كان الله سبحانه قد غفر لمن سقى كلبًا على شدة ظمئه ، فكيف بمن سقى العطاش ، وأشبع الجياع ، وكسا العراة من المسلمين ؟ وقد قال رسول الله ﷺ: « **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ** »[3] ، فجعل الكلم الطيب عوضا عن الصدقة لمن لا يقدر عليها .

قالوا : وأين لذة الصدقةِ والإحسانِ ، وتفريحها القلب ، وتقويتها إياه ، وما يلقى الله سبحانه للمتصدقين من المحبة والتعظيم في قلوب عباده والدعاء لهم والثناء عليهم ، وإدخال المسرات عليهم ، من أجر الصبر على الفقر ؟ نعم إن له لأجرًا عظيمًا لكن الأجر درجات عند الله .

قالوا : وأيضا ؛ فالصَّدقةُ والإحسانُ والإعطاءُ وصف الرب تعالى ، وأحبُّ عباده إليه من اتصف بذلك كما قال النبي ﷺ: « **الخلقُ عيالُ الله فأحبهم إليه أنفعهم لعيالِهِ** »[4].

---

(١) **إسناده صحيح** : البيهقي (٣/ ٢٥٨ - ٣٤٧٦ الشعب) أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن بن الشرقي - أبو حامد - أنبأنا أحمد بن الأزهر - ابن منيع - أبو الأزهر النيسابوري - أنبأنا وهب بن جرير أنبأنا أبي - جرير بن حازم - أبو النضر البصري - قال : سمعت عبيد الله بن عمر - ابن حفص بن عاصم العمري - أبو عثمان المدني - يحدث عن خبيب بن عبد الرحمن - ابن خبيب بن يساف - أبو الحارث المدني - عن حفص بن عاصم - ابن عمر بن الخطاب - المدني - عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٢) **ضعيف جدًا** : الحاكم (٢/ ٥٢٤) من طريق طلحة بن عمرو - ابن عثمان الحضرمي المكي - ثنا محمد ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - مرفوعًا . طلحة بن عمرو الحضرمي : متروك (تقريب ٣٠٢٥) .

(٣) **صحيح** : البخاري (١٤١٧) مسلم (١٠١٦) واللفظ له من حديث عدي بن حاتم الطائي ﷺ مرفوعًا .

(٤) **ضعيف جدًا** : أبو يعلى (٣٣١٥ مسند) البزار (١٩٤٩ كشف الأستار) ابن أبي الدنيا (٢٤ قضاء الحوائج) ابن عدي (٧/ ١٥٢ الكامل) من طريق يوسف بن عطية - ابن ثابت الصفار - عن ثابت عن أنس ﷺ مرفوعًا . يوسف بن عطية الصفار : متروك (تقريب ٧٨٦٦) ، وله إسناد آخر عند الطبراني (١٠٠٣٣ الكبير ٥٥٣٧ الأوسط ٢٩٣٥ مجمع البحرين) البزار (٣٩٨ كشف الأستار) أبو نعيم (٢/ ١١٩ - ٤/ ٢٦٤ الحلية) الخطيب (٦/ ٣٣٤ تاريخ بغداد) ابن عدي (٦/ ٣٤١ الكامل) من طريق موسى بن عمير - القرشي - أبو هارون الكوفي الأعمى - عن الحكم - ابن عتيبة - عن إبراهيم - النخعي - عن الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا . موسى بن عمير - القرشي - أبو هارون الكوفي الأعمى : متروك ، وقد كذبه أبو حاتم (تقريب ٦٩٨٧) ، وله =

قالوا : وقد ذكر الله سبحانه أصناف السعداء ؛ فبدأ بالمتصدقين أولهم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد : ١٨ ، ١٩] [١٣٧/ب] ، فهؤلاء أصناف السعداء ومقتدموهم المصدقين والمصدقات .

قالوا : وفي الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها إلا الله ؛ فمنها : أنها تقي مصارع السوء ، وتدفع البلاء حتى إنها لتدفع عن الظالم . قال إبراهيم النخعي : وكانوا يرون أن الصدقة تدفع عن الرجل الظَّلوم ، وتطفئُ الخطيئة ، وتحفظُ المالَ ، وتجلب الرزقَ ، وتفرح القلب ، وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به ، كما أن البخل يُوجبُ سوء الظن بالله ، وترغم الشيطان - يعنى الصدقة - وتزكي النفس وتنميها ، وتحبب العبد إلى الله وإلى خلقه ، وتستر عليه كل عيب ، كما أن البخل يغطي عليه كل حسنة ، وتزيد في العمر ، وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم ،وتدفع عن صاحبها عذاب القبر ، وتكون عليه ظلا يوم القيامة ، وتشفع له عند الله وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة ، وتدعوه إلى سائر أعمال البر فلا تستعصي عليه . وفوائدها ومنافعها أضعاف ذلك .

قالوا: ولو لم يكن في النفع والإحسان إلا أنه صفة الله وهو سبحانه يحب من اتصف بموجب صفاته وآثارها ؛ فيحب العليم والجواد والحيي والستير ، والمؤمن القوى أحب إليه من المؤمن الضعيف ، ويحب العدل والعفو والرحيم والشكور والبر والكريم ؛ فصفته الغنى والجود ، و هو يحب الغني الجوَّاد .

= طريق آخر ابن عدي (٥/ ١٦٢ الكامل) من طريق عمار بن يسار - الدارمي - عن أبي عمرو القرشي - عثمان ابن عبد الرحمن القرشي الجمحي - أبو عمرو - ويقال : أبو عمر البصري - عن حماد بن أبي سليمان عن شقيق - ابن سلمة - أبو وائل - عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا . عمار بن يسار الدارمي - قال أبو حاتم : رجل مجهول (الجرح والتعديل ٦/ ٣٢٢) (المغني ٣٠٠٣) . عثمان بن عبد الرحمن القرشي - أبو عمرو القرشي - قال البخاري : مجهول ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوي - يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه مناكير (تهذيب التهذيب ٧/ ١٣٦) .

قالوا: ويكفي في فضل النفع المتعدي بالمال أن الجزاء عليه من جنس العمل ، فمن كسا مؤمنًا كساه الله من حلل الجنة ، ومن أشبع جائعًا أشبعه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى ظمآناسقاه الله من شراب الجنة ، ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه ، ومن يَسَّرَ على [١٣٨/أ]معسرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه .

قالوا: ونحن لا ننكرُ فضيلة الصبر على الفقر ، ولكن أين تقع من هذه الفضائل ؟ وقد جعل الله لكل شيءٍ قدْرًا .

قالوا: وقد جعل رسول الله ﷺ: الطاعم الشاكر بمنْزلة الصائم الصابر[١] ، ومعلوم أنه إذا تعدَّى شكره إلى الإحسان إلى الغير ازداد درجةً أخرى ، فإن الشكر يتضاعف إلى ما لا نهاية له بخلاف الصبر فإن له حدًّا يقف عنده . وهذا دليلٌ مستقل في المسألة يوضحه : أن الشكرَ أفضلُ من الرضى الذي هو أعلى من الصبر ، فإذا كان الشاكر أفضل من الراضي الذي هو أفضل من الصابر كان أفضل من الصابر في درجتين .

قالوا: وفى الصحيحين من حديث الزهري عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ: « **لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** »[٢] ؛ فجعل الغِنى مع الإنفاق بمنْزلة القرآن مع القيام به .

قالوا: وقد صرح في حديث أبي كبشه الأنماري[٣] : أن صاحب المال إذا عمل في ماله بعلمه ، واتقى فيه ربَّه ، ووصل به رحمه ، وأخرج منه حقَّ الله فهو في أعلى المنازل عند الله ، وهذا صريحٌ في تفضيله ، وجعل الفقير الصادق إذا نوى أن يعملَ بعمله ، وقال

---

(١) **صحيح لغيره** : سبق تخريجه .
(٢) **صحيح** : البخاري (٧٥٢٩) مسلم (٨١٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .
(٣) **إسناده ضعيف** : سبق تخريجه .

ذلك بلسانه ثانيًا ، وأنه بنيته وقوله وأجرهما سواء ، فإن كلا منهما نوى خيرًا وعمل ما يقدر عليه ، فالغني نواه ونفذه بعمله ، والفقير العالم نواه ونفذه بلسانه ، فاستويا في الأجر من هذه الجهة ، ولا يلزم من استوائهما في أصل الأجر استواؤهما في كيفيته وتفاضله ؛ فإن الأجر على العمل والنية له مزية على الأجر على مجرد النية التي قارنها القول ، ومن نوى الحج ولم يكن له مال يحجُّ به وإن أثيب [١٣٨/ب] على ذلك ، فإن ثواب من باشر أعمال الحجِّ مع النية له مزيةٌ عليه .

وإذا أردت فهمَ هذا ؛ فتأمل قول النبي ﷺ : « **مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ** »[١] ولا ريب أن ما حصل للمقتول في سبيل الله من ثواب الشهادة تزيد كيفيته وصفاته على ما حصل لناوي ذلك إذا مات على فراشه وإن بلغ منْزلة الشَّهيد ؛ فها هنا أمران : أجرٌ وقرب فإن استويا في أصل الأجر لكن الأعمال التي قام بها العاملُ تقتضي أثرًا زائدًا وقربا خاصا ، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء ، وقد قال ﷺ : « **إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ** » قالوا : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « **إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ** »[٢] ؛ فاستويا في دخول النار ، ولا يلزم استواؤهما في الدَّرجةِ ومقدار العذاب ؛ فأعطِ ألفاظ رسول الله ﷺ حقَّها ، ونزلها منازلها يتبين لك المراد .

يوضح هذا : أنَّ فقراءَ المهاجرين شكوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ؛ يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضول أموال يحجون بها ، ويعتمرون ، ويجاهدون ، ويتصدقون قال : « **أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدكُمْ ، وَلَا يَكُونُ أَحَد أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ** ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « **تُسَبِّحُونَ ، وَتُحَمِّدُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثلاثًا وَثَلَاثِينَ** » فرجع فقراءُ المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع إخواننا

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٩٠٩) من حديث سهل بن حنيف ﷺ مرفوعًا .

(٢) **صحيح**: البخاري (٧٠٨٣) مسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا .

أهل الأموال بها فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾(١) [الحديد : ٢١] فلو كانوا يلحقون بهم في مقدار الأجر بمجرد النية ، لقال لهم : أنووا أن تفعلوا مثل فعلهم فتنالوا مثل أجرهم ، فلما أعاضهم عما فاتهم من ثواب الصدقة [١٣٩/أ] والعتق والحجّ والاعتمار بما يتحصل نظيره بالذكر عُلِمَ أن الأغنياءَ قد فضلوهم بالإنفاق ، فلما شاركوهم في الذكر بقيت مزية الإنفاق ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ أن الامتياز لم يزل ، وأنهم قد ساوونا في الذكر كما ساوونا في الصوم والصلاة ؛ فأخبرهم : أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فلو كان لهم سبيل إلى مساواتهم من كل وجه بالنية والقول لدلهم عليها . قال الفقراء : هذا الحديث حُجة لنا إذا فهم على الحقيقة ، وذلك أن معناه : أنهم وإن كانوا قد ساووكم في الإيمان والإسلام والصلاة والصيام ، ثم فضلوكم في الإنفاق ففي التكبير والتسبيح والتهليل ما يلحقكم بدرجتهم ، وقد ساويتموهم أيضا بحسن النية إذ لو أمكنكم لأنفقتم مثلهم ، وفي بعض ألفاظ هذا الحديث : إنْ أخذتم به سبقتُم من قبلكم ، ولم يلحقْكُم من بعدكُم ، وهذا يدلُّ على أن الأغنياء لا يلحقونهم وإن قالوا مثل قولهم .

وقوله ﷺ : « **ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** » معناه : أن فضل الله ليس مقصورًا عليكم دونهم ، فكما آتاكم الله من فضله بالذكر كذلك يؤتيهم إياه إذا عملوا مثلكم أيضًا ، وليس في هذا دليل أنهما أفضل منكم وإنما معناه أن فضل الله الذي بينا لكم بذكره تناولهم مثلكم أيضًا ، فأنتم فهمتم من الفضل التخصيص فوضعتموه في غير موضعه ، وإنما معناه العموم والشمول ، وإن فضله عام شامل للأغنياء والفقراء فلا تذهبون به دونهم ، فأين في هذا الحديث التفضيل لكم علينا ؟

قالوا : ويحتمل قوله : « ذَلِكَ فَضْلُ الله » ثلاثة أمور : **أحدها** : سبقهم لكم بالإنفاق ، **والثاني** : مساواتكم لهم في فضيلة الذكر فلَم يختصوا به دونهم ، **والثالث** : سبقكم لهم إلى الجنة بنصف يوم ، وهذا وإن كان لا ذكر له في هذه الرواية فهو مذكور في بعض طُرقه .

---

(١) **صحيح** : البخاري (٨٤٣) مسلم (٥٩٥) واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

قال البزار في مسنده : حدثنا الوليد بن عمرو حدثنا محمد بن الزبرقان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمرو ﷺ قال : اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ما فضل به أغنياؤهم ، فقالوا : يارسول الله إخواننا [١٣٩/ب] صدقوا تصديقنا ، وآمنوا إيماننا ، وصامُوا صيامَنَا ، ولهم أموال يتصدقون منها ، ويصلون منها الرحم ، وينفقونها في سبيل الله ، ونحن مساكين لا نقدر على ذلك ، فقال : « أَلَا أُخبركم بشيءٍ إذا أنتم فعلتمُوهُ أدركتم مثل فضلهم ، قولوا : الله أكبر في كل صلاة إحدى عشرة مرة ، والحمدُ لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثلُ ذلك ، وسبحان الله مثل ذلك ، تدركون مثل فضلهم » ؛ ففعلوا ، فذكروا ذلك للأغنياء ففعلوا مثل ذلك ، فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له ، فقالوا : هؤلاء إخواننا فعلوا مثل ما نقول ، فقال : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، يا معشرَ الفقراءِ ألا أبشركم أن فقراءَ المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصفِ يوم وهو خمسُمائةِ عام ، وتلا موسى بن عبيدة ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] »⁽¹⁾ **قالوا** : فهذا خبر واحد ، وكلام متصل ، ذكره ببشارة لهم عندما ذكروا مساواةَ الأغنياءِ لهم في القول المذكور ؛ فأشبه أن يرجع الفضل إلى سبق الفقراء للأغنياء ، وأنهم بهذه البشارة مخصصون ؛ فكان السبقُ لهم دون غيرهم ، وإن ساووهم في القول ، وساووهم في الإنفاق بالنية ؛ كما في حديث أبي كبشة المتقدم ، وحصلت لهم مزية الفقر .

قالت الأغنياء : لقد بالغتم في صرف الحديث عن مقصودِه إلى جهتكم ، وهو صريحٌ في تفضيل هذا الجانب لمن انصف فإن قوله : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » خرج جوابًا للفقراء عن قولهم : إن أهل الدثور قد ساووهم في الذكر كما ساووهم في الصلاة والصوم والإيمان ، وبقيت مزية الإنفاق ، ولم يحصل لهم ما يلحقهم فيها ، وما

---

(١) منكر : البزار (٣٠٩٤ - ٤/ ١٩ كشف الأستار) . موسى بن عبيدة - الزبدي : مشهور - ضعفوه ، وقال أحمد بن حنبل أيضًا : يروى عن عبد الله بن دينار شيئاً لا يرويه الناس ، وقال يحيى بن معين : إنما ضعف حديثه لأنه روى عن عبد الله بن دينار ، أحاديث مناكير ، وقال أبو زرعة : ليس بقوى الحديث ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث (تهذيب الكمال ٧/ ٢٦٩ - ٢٧٠) ، وقال ابن حجر : ضعيف ، ولاسيما في عبد الله بن دينار (تقريب ٦٩٧٩) .

علمتنا من الذكر قد لحقونا فيه ، فقال لهم حينئذ : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » وهذا صريح جدًّا في مقصوده ، فلما انكسر القوم بتحقق السبق بالإنفاق الذي عجزوا عنه أخبرهم بالبشارة بالسبق إلى دخول الجنة [١٤٠/أ]بنصف يوم ، وأن هذا السبق في مقابلة ما فاتكم من فضيلة الغنى والإنفاق ، ولكن لا يلزم من ذلك رفعتهم عليهم في المنْزلة والدرجة ؛ فهؤلاء السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب من الموقوفين للحساب من هو أفضل من أكثرهم وأعلى منه درجة .

قالوا : وقد سمى اللهُ سبحانه المال خيرًا في غير موضع من كتابه ؛ كقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة : ١٨٠] وقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات : ٨]، وأخبر رسول الله ﷺ: « **أَنَّ الخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالخَيْرِ** » كما تقدم ، وإنما يأتي بالشر معصية الله في الخير لا نفسه ، و الله سبحانه جعل المالَ قوامًا للأنفس ، وأمر بحفظها ، ونهى أن يؤتى السفهاء من النساء والأولاد وغيرهم ، ومدحه النبي ﷺبقوله : « **نِعْمَ المَالُ الصَّالِحِ مَعَ المَرْءِ الصَّالِحِ** »(١).

وقال سعيد بن المسيب : لا خيرَ فيمن لا يريدُ جمعَ المالِ من حله ، يكفُّ به وجهه عن النَّاس ، ويصلُ به رحمَهُ ، ويعطي حَقَّهُ .

وقال أبو إسحاق السبيعي : كانوا يرون السعة عونا على الدين .

وقال محمد بن المنكدر : نعم العون على التقوى الغنى .

وقال سفيان الثوري : المالُ في زماننا هذا سلاحُ المؤمن .

وقال يوسف بن أسباط : ما كان المالُ في زمان منذ خلقت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان ، والخيرُ كالخيل لرجلٍ [أجر ، ولرجل](٢) ستر ، وعلى رجل وزرٌ .

قالوا : وقد جعل اللهُ سبحانه المالَ سببًا لحفظ البدنِ ، وحفظُه سبب لحفظ النفس التي

---

(١) **إسناده حسن** : أحمد (٤/ ١٩٧) الأدب المفرد (٢٩٩) الحاكم (٢/ ٢٣٦) من طريق موسى بن علي ابن رباح - اللخمي - قال سمعت أبي يقول : سمعت عمرو بن العاص ﷺ مرفوعًا . موسى بن علي بن رباح ، قال أحمد بن حنبل : كان ثقة وقال الساجي : صدوق ، وقال : وقال ابن معين : لم يكن بالقوي (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦٤) .

(٢) زيادة في المطبوع

هي محلُ معرفةِ الله والإيمان به ، وتصديق رسله ، ومحبته ، والإنابة إليه ، فهو سبب عمارة الدنيا والآخرةِ ، وإنما يُذَمُّ منه ما استخرج من غير وجهه ، وصُرف في غير حقه ، واستعبدَ صاحبَه وملك قلبه ، وشغله عن الله والدار الآخرة ، فيذمُّ منه ما توصل به صاحبه إلى المقاصد الفاسدة أو شغله عن المقاصد المحمودة ؛ فالذمُّ للجاعل لا للمجعول . قال النبي ﷺ: ((**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ**))[(١)] ، فذم عبدهما دونهما .

قال الإمام أحمد:[(٢)] حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، عن يزيد بن ميسرة قال : كان رجلٌ ممن مضى جمع مالًا [١٤٠/ب]؛ فأوعى ، ثم أقبل على نفسه وهو في أهله ، فقال : أنعمر سنين ؟ ؛ فأتاه ملكُ الموت ؛ [فقرع الباب][(٣)] في صورة مسكينٍ فخرجوا إليه ، فقال : ادعوا لي صاحب الدار . فقالوا : يخرج سيدنا إلى مثلك ؟ ثم مكث قليلاً ، ثم عاد فقرع باب الدار وصنع مثل ذلك وقال : أخبروه أنى ملك الموت ، فلما سمع

---

(١) **صحيح**: البخاري (٢٨٨٦ - ٢٨٨٧ - ٦٤٣٥) وابن ماجه (٤١٣٥) من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا . قال الحافظ ابن حجر : قال الإسماعيلي : وافق أبا بكر على رفعه : شريك القاضي ، وقيس بن الربيع عن أبي حصين ، وخالفهم إسرائيل ورواه عن أبي حصين موقوفا . قلت : ابن حجر : إسرائيل أثبت منهم ، ولكن اجتماع الجماعة يقاوم ذلك ، وحينئذ تتم المعارضة بين الرفع والوقف فيكون للرفع والله أعلم .ا.هـ (فتح الباري ١١/ ٢٥٩) .

(٢) **إسناده صحيح إلى يزيد بن ميسرة**: لم أعثر عليه عند أحمد : في أي من كتبه التي بين يدي ، وعزاه أبو نعيم (٥/ ٢٧٣ الحلية) إلى الإمام أحمد قال : حدثنا أبو المغيرة - عبد القدوس بن الحجاج الخولاني - الشامي الحمصي . حدثنا صفوان بن عمرو - السكسكي - أبو عمرو الحمصي - عن يزيد بن ميسرة ، - ح - ((معناه تحويل السند ، وأصبح لأبي نعيم)) - وحدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن حدثنا أبو الحسن بن أبان ، حدثنا أبو بكر بن عبيد ، حدثنا محمد بن الحسين حدثنا هشام بن عبد الله الرازي ، حدثنا بقية - ابن الوليد - عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي عن يزيد بن ميسرة به . بقية بن الوليد : سبق له ترجمة ، وصفوان بن عمرو بن هرم السكسكي . ثبت له سماع من شريح بن عبيد الحضرمي ، ومن صفوان بن عمرو ، وبهذا لا يعكر على إسناده الإمام أحمد .ا.هـ . يزيد بن ميسرة بن حلبس الجبيري الدمشقي يكنى أبا ميسرة ويقال : أبو حلبس ويقال أبو يوسف ، روى عن أبي إدريس الخولاني وأم الدرداء ، روى عنه صفوان بن عمرو ومعاوية بن صالح ، ذكره ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨) ولم يذكر فيه شيء ، وذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٦٢٠) واستدركه شيخنا الهيثمي (تعجيل المنفعة ١١٩٠) . **قلت (محمد)** : يعني أنه مجهول الحال .

(٣) زيادة في المطبوع

سيدهم فقام فزعًا ، وقال : لينوا له الكلام . قالوا : ما تريد غير سيدنا بارك الله فيك . قال : لا ، فدخل عليه ، فقال : قم فأوص ما كنت موصيًا ، فإني قابض نفسك قبل أن أخرج . قال : فصرخ أهلُه وبكوا ثم قال : افتحوا الصناديق وافتحوا أوعيةَ المال ففتحوها جميعا فأقبل على المال يلعنه ويسبه ، يقول : لعنت من مال ، أنت الذي أنسيتني ربى وشغلتني عن العمل لآخرتي حتى بلغني أجلى ، فتكلم المال فقال : لا تسبني ، ألم تكن وضيعا في أعين الناس فرفعتك ؟ [ألم ير عليك من أثري][1] وكنت تحضر سدد الملوك [والسادة فتدخل][2] ، ويحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون ؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة فتنكح ، ويخطب عباد الله الصالحون فلا ينكحون ؟ ألم تكن تنفقني في سبيل الخبث فلا أتعاصى ؟ ولو أنفقتني في سبيل الله لم أتعاص عليك وأنت ألوم منى خلقت أنا وأنتم يا بنى آدم من تراب ، فمنطلق ببر ومنطلق بإثم ؛ فهكذا يقول المال فاحذروا ، وفى يقول الله تبارك وتعالى : أموالنا رجعت إلينا ، سعد بها من سعد ، وشقي بها من شقي[3].

قالوا : ومن فوائد المال : أنه قوامُ العبادات والطاعات ، وبه قام سوق بر الحج والجهاد ، وبه حصل الإنفاق الواجب والمستحب ، وبه حصلت قربات العتق والوقف وبناء المساجد والقناطر وغيرها ، وبه يتوصل إلى النكاح الذي هو أفضل من التخلي لنوافل العبادة ، وعليه قام سوق المروءة وبه ظهرت صفة الجود والسخاء وبه وُقيت الأعراض ، وبه اكتسب الإخوان والأصدقاء ، وبه توصل الأبرار إلى الدرجات العلا ومرافقة الذين أنعم الله عليهم ؛ فهو مرقاة [١٤١/أ] يصعد فيها إلى أعلى غرف الجنة ، ويهبط منها إلى أسفل سافلين ، وهو مقيم مجد الماجد ؛ **كان بعض السلف يقول**: لا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، **وكان بعضهم يقول** : اللهم إني من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى ، وهو من أسباب رضى الله عن العبد ؛ كما يكون من أسباب سخطه

---

(١) زيادة في المطبوع .
(٢) زيادة في المطبوع .
(٣) لم أعثر عليه .

عليه ، وهؤلاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله به : الأبرص ، والأقرع ، والأعمى ، نال به الأعمى رضى ربه ، ونالا به سخطه[١] ، والجهاد ذروةُ سنام العمل ، وتارة يكون بالنفس ، وتارة يكون بالمال ، وربما كان الجهاد بالمال أنكى وأنفع ، وبأي شيء فضل عثمان علي عليٍّ ، وعليٌّ أكثر جهادًا بنفسه وأسبق إسلامًا من عثمان ؟ وهذا الزبير وعبد الرحمن بن عوف أفضل من جمهور الصحابة مع الغنى الوافر وتأثيرهما في الدين أعظم من تأثير أهل الصفة ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعته[٢] وأخبر أن ترك الرجل ورثته أغنياء خير له من تركهم فقراء[٣] . وأخبر أن صاحب المال لن ينفق نفقة يبتغي بها وجه الله إلا ازداد بها درجة ورفعة[٤] ، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الفقر وقرنه بالكفر فقال : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ** »[٥] ، فإن الخير نوعان : خير الآخرة

---

(١) **صحيح** : البخاري (٣٤٦٤) مسلم (٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٢) **صحيح** : البخاري (٢٤٠٨) مسلم (٥٩٣ باب النهي عن كثرة المسائل من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ مرفوعًا « **إن الله حرم عليكم ، عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات ، وكره لكم ، قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** » ، وأخرجه مسلم (١٧١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ، ويكره ثلاثًا ... الحديث » .

(٣) **صحيح** : البخاري (١٢٩٥) مسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ مرفوعًا « **أفأتصدق بثُلُثي مالي ؟ قال : لا ، قلت : أفأتصدق بشطْره ؟ قال : لا . الثُلُث ، والثُلُث كثير كبير** ... الحديث » .

(٤) **صحيح** : سبق تخريجه .

(٥) **صحيح لشواهده** : النسائي (٣/ ٧٣ - ٧٤) أحمد (٥/ ٣٦) الحاكم (١/ ٣٥ - ٢٣٥) ميزان (٣/ ٦٠) من طريق عثمان الشحام عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه - نفيع بن الحارث بن كلده أبو عمرو الثقفي - أبو بكرة ﷺ مرفوعًا . عثمان الشحام : قال الإمام أحمد وغيره : ليس به بأس ، وقال يحيى القطان : تعرف وتنكر ، له حديث عند مسلم شاهد في الفتنة (المغني ٤٠٧٥) وقال ابن حجر : لا بأس به (تقريب ٤٥٢٢) وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال ابن عدي : ليس به بأس (ميزان ٣/ ٦٠) وله شاهد عند النسائي (٨/ ٢٦٥ - ٢٦٧) ابن حبان (٢٤٣٨ موارد) من طريق سالم بن غيلان التجيبي عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا مثله . سالم بن غيلان التجيبي - المصري - قال أحمد : ما أرى به بأس ، وقال أبو داود : لا بأس به ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال ابن يونس : كان فقيهًا ، وقال العجلي : ثقة ، وفي الميزان عن الدارقطني أنه : متروك (تهذيب التهذيب ٣/ ٤٤٢ - ٤٤٣) . دراج أبي السمح : صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف (تقريب ١٨١٣) ، وله شاهد آخر عند أبي داود (١٥٤٤) النسائي (٨/ ٢٦١) أحمد (٢/ ٣٠٥) الحاكم (١/ ٥٤٠) . من طريق حماد بن سلمة أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا « **اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة ، والذل ، وأعوذ بك أن أظلم أو أُظلم** » .

والكفر مضاده ، وخير الدنيا والفقر مضاده ، فالفقر سبب عذاب الدنيا ، والكفر سبب عذاب الآخرة ، والله سبحانه وتعالى جعل إعطاء الزكاة وظيفة الأغنياء ، وأخذها وظيفة الفقراء ، وفرق بين اليدين شرعًا وقدرًا ، وجعل يد المعطى أعلى من يد الآخذ ، وجعل الزكاة أوساخ المال ، ولذلك حرمها على أطيب خلقه وعلى آله صيانة لهم وتشريفًا ورفعًا لأقدارهم .

ونحن لا ننكر أن رسول الله ﷺ كان فقيرًا ثم أغناه الله ، والله فتح عليه وخوله ووسع عليه ، وكان يدخر لأهله قوت سنة ، ويعطى العطايا التي لم يعطها أحد غيره ، وكان [١٤١/ب] يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، ومات عن فدك والنضير وأموال خصه الله بها وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الحشر : ٧] ؛ فنَزهه ربه سبحانه عن الفقر الذي يسوِّغُ أخذ الصدقة ، وعوضه عما نزهه عنه بأشرف المال وأحله وأفضله ، وهو ما أخذه بظل رمحه [وقائم سيفه][1] من أعداء الله الذين كان مال الله بأيديهم ظلما وعدوانا ، فإنه خلق المال ليستعان به على طاعته وهو بأيدي الكفار والفجار ظلما وعدوانا ، فإذا رجع إلى أوليائه وأهل طاعته فاء إليهم ما خلق لهم ، ولكن لم يكن غنى رسول الله ﷺ وملكه من جنس غنى بنى الدنيا وأملاكهم ؛ فإن غناهم بالشيء ، وغناه ﷺ عن الشيء وهو الغنى العالي ، وملكهم ملك يتصرفون فيه بحسب إرادتهم ، وهو ﷺ إنما يتصرف في ملكه تصرف العبد الذي لا يتصرف إلا بأمر سيده .

وقد اختلف الفقهاء في الفيء هل كان ملكا للنبي ﷺ ؟ على قولين ، هما روايتان عن أحمد ، **والتحقيق** : أن ملكه له كان نوعًا آخر من الملك ، وهو ملك يتصرف فيه بالأمر كما قال ﷺ : « **وَالله لَا أُعْطِي أَحَدًا وَلَا أَمْنَعُ أَحَدًا ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ** »[2] ذلك من كمال مرتبة عبوديته ، ولأجل ذلك لم يورث ؛ فإنه عبد محض من كل وجه لربه ﷻ ، والعبد لا مال له فيورث عنه ، فجمع الله له سبحانه بين أعلى أنواع الغنى وأشرف

---

(١) زيادة في المطبوع .

(٢) **صحيح** : البخاري (٣١١٧) أحمد (٢/ ٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

أنواع الفقر فكمل له مراتب الكمال ، فليست إحدى الطائفتين بأحق به من الأخرى ، فكان رسول الله ﷺ في فقره أصبر خلق الله وأشكرهم له ، وكذلك كان في غناه ، والله تعالى جعله قدوةً للأغنياءِ والفقراء ، وأي غنى أعظم من غنى من عُرضت عليه مفاتيحُ كنوز الأرض[١] ، وعرض عليه أن يجعلَ له الصفا ذهبًا[٢] ، وخير بين أن يكون ملكًا نبيًّا وبين أن يكون عبدًا نبيًّا ؛ فاختار أن يكون عبدًا نبيًّا[٣] ، ومع هذا فَجُبِيَتْ إليه أموالُ

(١) **ضعيف**: سبق تخريجه .

(٢) **إسناده صحيح**: أحمد (١/ ٢٤٢) الحاكم (٢/ ٣١٤) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن عمران بن الحكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك ، قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم ، قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا ، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة ، قال : بل باب التوبة والرحمة . عمران بن الحكم السلمي : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كذا وقع والصواب ، عمران بن الحارث أبو الحكم - كما في صحيح مسلم وغيره (تعجيل المنفعة ٨١٠) قلت : قوله كما في صحيح مسلم - يعني غير هذا الحديث - وهذا الحديث ليس في مسلم . قال أبو حاتم : صالح الحديث (الجرح والتعديل ٦/ ٢٩٦) وله شاهد عند الإمام أحمد (١/ ٢٥٨) حدثنا عثمان بن محمد - أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي - قال عبد الله بن أحمد : وسمعته أنا منه ، حدثنا جرير - ابن عبد الحميد - عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا ، وأن يُنحى الجبال عنهم فيزدرعوا ، فقيل له : إن شئت أن تستأنى بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا ... الحديث .

قلت : هو مرسل صحابي ولا يضر ، لأن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم يدرك القصة ، ومراسيل الصحابة لها حكم المرفوع .ا.هـ . عثمان بن محمد - أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي -: ثقة حافظ شهير ، وله أوهام ، وقيل كان لايحفظ القرآن (تقريب ٤٥٠٤) . الأعمش - سليمان بن مهران - يخشى من عنعنته وروايته عن جعفر بن إياس ، وهو ابن أبي وحشية . أبو بشر الواسطي ، خارج الصحيحين ، وهو من أقرانه ، ولكن لم أقف على أحد من أهل العلم تكلم في رواية الأعمش عن جعفر ابن إياس والله أعلم .

(٣) **صحيح لغيرة**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٣١) ابن حبان (٢١٣٧ موارد) من طريق محمد بن فضيل - ابن عزوان - عن عمارة - ابن القعقاع - عن أبي زرعة - ابن عمرو بن جرير البجلي - عن أبي هريرة ﷺ قال : جلس جبريل إلى النبي ﷺ ، فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينْزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد ، أرسلني إليك ربك ، قال : أفملكًا نبيًّا يجعلك ، أو عبدًا رسولًا . قال جبريل : تواضع لربك يا محمد ، قال : بل عبدًا رسولًا . إسناد أحمد ، قال أبو زرعة : ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة . قلت : ربما يعني أنه من كلام أبي هريرة ﷺ ولم يسنده إلى النبي ﷺ ، وهذا لا يضر في صحة الحديث لأن هذا لا يقال من قبل الرأى وله حكم المرفوع ولا يبعد أن هريرة ﷺ قد سمعه من النبي ﷺ ثم حكاه من غير أن يعزوه إليه . والله أعلم ، وله شاهد =

جزيرةِ العرب واليمن ، فأنفقها [١٤٢/أ] كلها ولم يستأثر منها بشيء ، بل تحمل عيال المسلمين ودينهم ، فقال : « **مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ كَلًّا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ** »(١) فرفع الله سبحانه قدره أن يكون من جملةِ الفقراء الذين تحل لهم الصدقة ، كما نزهه أن يكون من جملة الأغنياء الذين أغناهم بالأموال الموروثة ، بل أغناه به عن سواه ، وأغنى قلبه كل الغنى ، ووسع عليه غاية السعة ، فأنفق غاية الإنفاق ، وأعطى أجل العطايا ، وما استأثر بالمال ، ولا اتخذ منه عقارًا ولا أرضًا ولا ترك شاة ولا بعيرًا ولا عبدًا ولا أمة ولا دينارًا ولا درهما ؛ فإذا احتج الغنى الشاكر بحاله ﷺ لم يمكنه ذلك إلا بعد أن يفعل فعله ، كما أن الفقير الصابر إذا احتج بحاله ﷺ لم يمكنه ذلك إلا بعد أن يصبر صبره ويترك الدنيا اختيارا لا اضطرارا ، فرسول الله ﷺ وفَّى كُلَّ مرتبة من مرتبتي الفقر والغنى حقها وعبوديتها ، وأيضا ؛ فإن الله سبحانه أغنى به الفقراء فما نالت أمته الغنى إلا

= عند أبي الشيخ (ص ٢١٣ أخلاق النبي . ذكر تواضعه في أكله ﷺ، قال : أخبرنا أبو يعلى ، أنبأنا محمد بن بكار ابن الريان الرُصافي ثنا أبو معشر - نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني - عن سعيد - يعني المقبري - عن عائشة ﵂ قالت : قال رسول ﷺ: يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب ، جاءني ملك إن حُجزته لتساوي الكعبة فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول : إن شئت نبيًّا عبدًا ، وإن شئت نبيًّا ملكًا ؟» الحديث)) أبو معشر - نجيح بن عبد الرحمن السندي - ضعيف أسن واختلط (تقريب ٧٠٩١) سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري : ثقة - تغير قبل موته . قال أبو حاتم : لم يسمع من عائشة (تحفة التحصيل ٣٢٢) ، وله شاهد آخر عند أبي الشيخ (المصدر السابق) من طريق سلمة بن الخليل الكلاعي أنبأنا بقية بن الوليد عن الزبيدي - محمد بن الوليد - عن الزهري - محمد بن مسلم بن شهاب - عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال : كان ابن عباس يحدث : أن الله ﷻ أرسل إلى نبيه ﷺ ملكاً من الملائكة ، معه جبريل ، فقال الملك لرسول ﷺ((إن الله ﷻ يخيرك بين أن تكون عبدًا نبيًّا ، وبين أن تكون ملكًا نبيًّا» الحديث)) سلمة بن الخليل الكلاعي - لم أعثر له على ترجمة . بقية بن الوليد - مدلس ولم يصرح بالتحديث . محمد بن على بن عبد الله بن عباس : ثقة ، لم يثبت له سماع من جده (٦١٤٨) ، وله شاهد بالإسناد السابق عند الطبراني (١٠٦٨٦ - ١٠ الكبير) يعنى في إسناده عنعنة بقية ، وانقطاع السند بين محمد بن على بن عبد الله بن عباس وبين جده عبد الله بن عباس ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٣٩٣- علل) قال ابن أبي حاتم :سألت أبي عن حديث رواه الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس عن ابن عباس . فذكره ، ورواه أبو بكر بن عياش عن مبشر عن الزهري عن ابن عباس مرفوعًا ، قلت لأبي : المتصل محفوظ ؟ قال :نعم ، قلت : من مبشر هذا ؟ السعيدي ؟ قال : هو أموي ،وأدرى حديثه مستقيما ، يكثر الرواية عن الزهري ا. هـ

(١) **صحيح** : البخاري (٦٧٦٣) مسلم (١٦١٩) من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعًا .

به ، وأغنى الناس من صار غيره به غنيًّا .

قال علي بن أبي رباح اللخمي[1] : كنت عند مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو يومئذ على مصر وعبد الله بن عمرو بن العاص جالس معه ، فتمثل مسلمة ببيت من شعر أبي طالب فقال : لو أن أبا طالب رأى ما نحن فيه اليوم من نعمة الله وكرامته لعلم أن ابن أخيه سيد قد جاء بخير كثير ، فقال عبد الله بن عمرو : ويومئذ قد كان سيدًا كريمًا قد جاء بخير ، فقال مسلمة : ألم يقل الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى : ٦ - ٨] فقال عبد الله بن عمرو : أما اليتيم فقد كان يتيما من أبويه ، وأما العيلة فكل ما كان بأيدي العرب إلى القلة ، يقول : إن العرب كانت كلها مقلة حتى فتح الله عليه وعلى العرب الذين أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجًا ، ثم توفاه الله قبل أن يتلبس منها بشيء ، ومضى وتركها ، وحذر منها ومن فتنتها قال : وذلك معنى قوله : ﴿ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ : وأما قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٥] فلم تكن الدنيا لترضيه وهو لا يرضاها كلها لأمته وهو يحذر منها ، وتعرض عليه فيأباها ، وإنما هو ما يعطيه من الثواب ، وما يفتح عليه وعلى أمته من ملك كسرى وقيصر ، ودخول الناس في الإسلام ، وظهور الدين إذا كان ذلك محبته ورضاه صلوات الله وسلامه عليه .

وروى سفيان الثوري عن الأوزاعي عن إسماعيل عبيد الله عن علي بن [١٤٢/ب]عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ قال : « رأيتُ ما هو مفتوحٌ بعدي كفرًا كفرًا فسرني ذلك ؛ فنزلت : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ١ - ٥] قال : أعطي ألف قصر من لؤلؤ ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي

---

(١) **إسناده حسن** إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - ابن أبي حاتم (١٠/ ١٩٣٧٧ تفسير) البيهقي (٧/ ٦٢ دلائل النبوة) الدر المنثور (٦/ ٦١١) ابن القيم (٥/ ٥٧ بدائع التفسير) من طريق موسى بن على بن أبي رباح عن أبيه عنه به . موسى بن علي بن أبي رباح . قال يحيى بن معين : ثقة وكذلك الإمام أحمد والنسائي والعجلي ، وقال أبو حاتم : كان رجلاً صالحاً يُتقن حديثه ، لا يزيد ولا ينقص ، صالح الحديث ، وكان من ثقات المصريين (تهذيب الكمال ٧/ ٢٧٣) وقال ابن حجر : صدوق ربما أخطأ (تقريب ٦٩٨٤) .

لـه))[1].

---

(١) **إسناده ضعيف مرفوعاً** : البيهقي (٧/ ٦١ دلائل النبوة) من طريق قبيصة بن عقبة بن محمد – السوائي – أبو عامر الكوفي . قال حدثنا سفيان – الثوري – عن الأوزاعي عن إسماعيل – ابن عبيد المخزومي – عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه – عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا . فذكره ، إلى أن قال : أُعطى ألف قصر.. إلى آخره . قال البيهقي : سمعت أبا على الحافظ يقول : لم يحدث به عن الثوري غير قبيصة ، ورواه يحيى بن اليمان : عن الثوري . فوقفه ، قلت : البيهقي : رواه أحمد بن محمد بن أيوب عن إبراهيم بن سعد عن سفيان مرفوعا ، وأخبرنا أبو محمد ابن يوسف قال أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا إبراهيم بن هانئ النيسابوري قال حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد عن علي بن عبد الله بن عباس مرسلاً . قبيصة بن عقبة بن محمد – السوائي – أبو عامر الكوفي – قال ابن معين : هو ثقة ، إلا في حديث الثوري (المغني ٥٠٢٧) وقال صالح بن محمد الحافظ : كان رجلا صالحا ، إلا أنهم تكلموا في سماعه من سفيان (تهذيب الكمال ٦/ ٩٦) ، وقال ابن حجر : صدوق ، ربما خالف (تقريب ٥٥٠٤) . أحمد بن محمد بن أيوب : صدوق .لينه يحيى بن معين . قال يعقوب : ليس من أصحاب الحديث ، وقال ابن عدي : حدث بمناكير (المغني ٤٠٨) ، وقال ابن حجر : أحمد بن محمد بن أيوب – صاحب المغازي – يكنى أبا جعفر : صدوق ، كانت فيه غفلة ، لم يُدفع بحجة . قاله أحمد (تقريب ٩٣) وأخرجه ابن جرير (٣٠/ ١٤٩ تفسير) الطبراني (١٠٦٥٠ – ١٠/ ٣٣٧ الكبير ٣٢٣٣ – ٤/ ١٣٨ – ٥٧٦ – ١ / ٣٤١ الأوسط) أبو نعيم (٣/ ٢٤٦ الحلية) من طريق عمرو بن هشام البيروتي قال : سمعت الأوزاعي يحدث عن إسماعيل – ابن عبيد الله المخزومي – عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه موقوفًا . عمرو بن هشام البيروتي . قال أبو حاتم : ليس بذاك ، وكان صغيرًا حين كتب عن الأوزاعي ، وقال ابن عدي : ليس به بأس (تهذيب الكمال ٥/ ٤٧١ – ٤٧٢ ، وقال ابن حجر : صدوق – يخطئ (تقريب ٥١١٧) . إسناد الطبراني (٣٢٣٣ الأوسط) من طريق مروان بن معاوية الفزاري عن معاوية بن أبي العباس عن إسماعيل بن عبيد الله المخزومي به مرفوعًا . غير قوله : أعطاه الله في الجنة ألف قصر ... الحديث . فهو من قوله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . مروان بن معاوية الفزاري : ثقة حافظ ، وكان يدلس أسماء الشيوخ (تقريب ٦٥٦٥) وقال العجلي : ثقة ، ثبت ، ما حدث عن المعروفين فصحيح ، وما حدث عن المجهولين ففيه ما فيه وليس بشيء ، وقال أبو حاتم : صدوق لا يُدفع عن صدق ، وتكثر روايته عن الشيوخ المجهولين ، وقال علي بن المديني : ثقة فيما روى عن المعروفين ، وضعفه فيما روى عن المجهولين (تهذيب الكمال) ، وقال أبو داود : كان يقلب الأسماء ، وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : كان مردان يغير الأسماء ، يُعمى على الناس ، وكان يحدثنا عن الحكم بن أبي خالد ، وإنما هو حكم بن ظهير (تهذيب التهذيب ١٠/ ٩٨) .

قلت (محمد) : وهذا ما حدث بالفعل ، دلس اسم معاوية بن أبي العباس وهو معاوية بن هشام القصار .ا.هـ . معاوية بن أبي العباس هو : معاوية بن هشام القصار – أبو الحسن الكوفي – دلسه مروان . قال ابن معين : صالح وليس بذاك ، وقال أبو حاتم : قلت لعلي بن المديني : معاوية بن هشام وقبيصة والفريابي ؟ قال : متقاربون ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن يحيى بن يمان ومعاوية بن هشام قال : ما أقربهما ، ثم قال : معاوية بن هشام كان أقوم حديثًا وهو صدوق ، وقال عثمان بن أبي شيبة : معاوية بن هشام رجل صدق وليس بحجة ، وقال أحمد بن حنبل :=

قالوا : وما ذكرتم من الزهد في الدنيا والتقلل منها ؛ فالزهد فيها لا ينافى الغنى ، بل زهد الغنى أكمل من زهد الفقير ؛ فإن الغنى زهد عن قدرة ، والفقير عن عجز ، وبينهما بونٌ بعيدٌ ؛ ولهذا قال بعض السلف وقد سمى له جماعة من الزهاد فقال : الزاهد عمر ابن عبد العزيز الذي جاءت الدنيا إلى تحت قدميه فزهد فيها ، وقد كان رسول الله ﷺ في حال غناه أزهد الخلق وكذلك إبراهيم الخليل كان كثير المال وهو أزهد الناس في الدنيا .

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال : « الزهادةُ في الدنيا ليست بتحريم الحلالِ ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب في ثوابها

= هو كثير الخطأ ، وقال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الضعفاء : معاوية بن هشام وقيل هو معاوية بن أبي العباس ، روى ما ليس من سماعه ليس من سماعه فتركوه ، وقال الذهبي (٤/ ١٢٨ ميزان) : هذا خطأ منك - يعني ابن الجوزي - ما تركه أحد ، وقد قال فيه ابن معين : صالح ليس بذاك (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢١٨) ، وقال ابن حجر : صدوق له أوهام (تقريب ٦٧٦١) وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٩٢ - ٩٣ العلل) من طريق موسى بن سهل - ابن قادم - أبو عمران - الرملي عن عمرو بن هشام البيروتي عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي ، عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كفرًا كفرًا ، فسُر بذلك ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ فأعطاه الله في الجنة ألف قصر ... الحديث . قال ابن أبي حاتم : فسمعت أبي يقول : هذا غلط ، إنما هو عن علي بن عبد الله قال : عرض على رسول الله ﷺ بلا أبيه - يعني ليس فيه أبيه - وهذا مما أُنْكِر على عمرو بن هشام . قال أبو محمد - ابن أبي حاتم : وحدثنا بهذا الحديث أبو زرعة قال : حدثنا عمرو بن هشام البيروتي بمكة عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله ابن المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس قال : عرض على رسول الله ﷺ ليس فيه عن أبيه - يعني مرسلاً - فأحسب أنه سمع أبو زرعة من عمرو بن هشام بمكة على الصحة ، ثم لعله لُقن بعد ذلك - عن أبيه - فتلقن ، فسمع موسى بن سهل منه على تلقين الخطأ مع أن يحيى بن يمان قد روى عن سفيان عن الأوزاعي ، عن علي بن عبد الله بن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وأسقط إسماعيل بن عبيد الله من الإسناد ، فسمعت أبا زرعة وكان حدثنا به : عن ابن نمير ، عن يحيى بن يمان هكذا فقال أبو زرعة : حديث ابن يمان خطأ ، أسقط إسماعيل بن عبيد الله وقال ابن عباس ، قال ابن أبي حاتم : وروى رواد بن الجراح ، عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن عبيد الله بن عبد الله بن العباس ، فسمعت أبا زرعة يقول في حديث رواد أيضًا : وهم فيما قال : عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، وإنما هو عن على بن عبد الله بن عباس - يعني مرسلًا - قال ابن أبي حاتم : والصحيح عند أبي زرعة ما حدثنا به قبيصة بن عقبة ، عن سفيان عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن علي ابن عبد الله بن عباس - مرسل - وما وقع عنده عن عمرو بن هشام - مرسل -.ا.هـ

لو أنها بقيت لك»[1] ، وسئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ألف دينار وهل يكون زاهدًا ؟ قال : نعم ، بشرط أن لا يفرح إذا زادت ، ولا يحزن إذا نقصت .

وقال بعض السلف : الزاهدُ من لا يغلب الحلالُ شكرَهُ ، ولا الحرامُ صبره وهذا من أحسن الحدود ، فإن الزهد حقيقة مركبة من الصبر والشكر فلا يستحق اسم الزاهد من لم يتصف بهما ؛ فمن غلب شكره لما وسع عليه من الحلال وصبره لما عرض له من الحرام ؛ فهو الزاهد على الحقيقة بخلاف من غلب الحلال شكره والحرام صبره ؛ فكان شكره وصبره مغلوبين ، فإن هذا ليس بزاهد .

وسمعت شيخ الإسلام يقول : الزهد تركك مالا ينفعك ، والورع تركك ما قد يضرك ، فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد منها ، ويقابله الشح والحرص ، وهو ثلاثة أقسام : زهد في الحرام ، وزهد[١٤٣/أ] في الشبهات والمكروهات ، وزهد في الفضلات .

فالأول : فرض . **والثالث** : فضل . **والثاني** : متوسط بينهما بحسب درجة الشبهة ، وإن قويت التحق بالأول وإلا فبالثالث ، وقد يكون الثالث واجبا بمعنى : أنه لا بد منه ، وذلك لمن شمر إلى الله والدار الآخرة ، فزهد الفضلة يكون ضرورة ، فإن إرادة الدنيا قادحة في إرادة الآخرة ، ولا يصح للعبدِ مقام الإرادة حتى يفرد طلبه وإرادته ومطلوبه ؛ فلا ينقسم المطلوب ولا الطلب .

أما توحيد المطلوب : أن لا يتعلق طلبه وإرادته بغير الله ، وما يقرب إليه ويدني منه .

وأما توحيده في الطلب : أن يستأصل الطلب والإرادة نوازع الشهوات وجواذب الهوى ، وتسكن الإرادة في أقطار النفس ؛ فتملأها ، فلا يدع فيها فضلا لغير الانجذاب إلى جانب

---

(١) **منكر** : الترمذي (٢٣٤٠) ابن ماجة (٤١٠٠) من طريق عمرو بن واقد القرشي - مولاهم - الدمشقي - حدثنا يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبي إدريس الخولاني - عائذ بن عبد الله - عن أبي ذر الغفاري ﷺ مرفوعًا . عمرو ابن واقد - الدمشقي - قال البخاري : عمرو بن واقد ، مولى بني هاشم : منكر الحديث ، أو مولى بني أمية ، دمشقي (الضعفاء الصغير ٢٦٣) ، وقال النسائي : عمرو بن واقد ، دمشقي ، متروك الحديث (الضعفاء والمتروكين ٤٥٣) وقال الدارقطني : متروك ، وقال ابن مسهر : ليس بشيء (ميزان ٣/ ٢٨٠) وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث . منكر الحديث (الجرح والتعديل ٦/ ٢٦٧) وقال ابن حجر : متروك (تقريب ٥١٢٢) ، وقال الترمذي : منكر الحديث (١٢٣٤٠) .

الحق جل جلاله ؛ فتتمحض الإرادة له ، ومتى تمحضت كان الزهد لصاحبها ضرورة ، فإنه يفرغه لعمارة وقته وجمع قلبه على ما هو بصدده وقطع موارد طمعه اللاتي هي من أفسد شيء للقلب ، بل أصل المعاصي والفساد والفجور كله من الطمع ، فالزهد يقطع مواده ، ويفرغ البال ، ويملأ القلب ، ويستحث الجوارح ، وتذهب الوحشة التي بين العبد وبين ربه ، ويجلب الأُنس به ، وتقوى الرغبة في ثوابه إن ضعف عن الرغبة في قربه والدنو منه وذوق حلاوة معرفته ومحبته ، فالزاهد أروح الناس بدنا وقلبا ؛ فإن كان زهده وفراغه من الدنيا قوة له في إرادة الله والدار الآخرة ، بحيث فرغ قلبه لله ، وجعل حرصه على التقرب إليه [وشحه على وقته أن يضيع منه شئ في غير ما هو أرضى لله وأحب إليه][1] كان من أنعم الناس عيشًا ، وأقرهم عينًا ، وأطيبهم نفسًا ، وأفرحهم قلبًا ، فإن الرغبة في الدنيا تشتت القلب وتبدد الشمل ، وتطيل الهم والغم والحزن ، فهي عذاب حاضر يؤدى إلى عذاب منتظر أشد منه ، وتفوت على العبد من النعم أضعاف ما يروم تحصيله بالرغبة في الدنيا .

قال الإمام أحمد : حدثنا الهيثم بن جميل ، حدثنا محمد يعني [١٤٣/ب] ابن مسلم عن إبراهيم يعنى ابن ميسرة عن طاووس قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الزهدَ في الدنيا يريح القلبَ والبدنَ ، وأن الرغبة في الدنيا تطيل الهمَّ والحزنَ »[2] وإنما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين : **إحداهما** : الرغبة في الدنيا والحرص عليها . **والثاني** : التقصير في أعمال البر والطاعة . قال عبد الله بن أحمد : حدثني بيان بن الحكم ، حدثنا محمد بن حاتم عن بشر بن الحارث قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن ليث عن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قصَّرَ العبدُ بالعملِ ابتلاه الله ﷻ بالهمِّ »[3] وكما أن الرغبة

---

(١) زيادة في المطبوع

(٢) **إسناده ضعيف** : أحمد (٥٠ الزهد) عن طاووس عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ابن أبي الدنيا (١٣١ ذم الدنيا) عن طاووس قال : قال النبي ﷺ وسبق تخريجه .

(٣) **ضعيف** : وقال الذهبي - معضل : أحمد (٥٢ الزهد) ميزان الاعتدال (١/ ٣٦٥) . بيان بن الحكم - قال الذهبي : لا يعرف (ميزان ١/ ٣٦٥) . أبو بكر بن أبي عياش : سبق له ترجمة . الحديث ذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٢/ ٨٤) في ترجمة بيان بن الحكم .

في الدنيا أصلُ المعاصي الظاهرة ؛ فهي أصلُ معاصي القلب ، من التَّسخطِ ، والحسدِ ، والكبرِ ، والفخرِ ، والخيلاء ، والتكاثر ، وهذا كله من امتلاء القلب بها لا من كونها في اليد ، وامتلاء القلب بها ينافي الشكر ، ورأس الشكر تفريغ القلب منها ، وبالله التوفيق .
وامتداد المال كامتداد العمر والجاه ؛ فخير الناس من طال عمره وحسن عمله ، فهكذا من امتد ماله وكثر به خيره ، فنعم المرء وماله وجاهه ، إما أن يرفعه درجات ، وإما أن يضعه درجات .

وسر المسألة : أن طريقَ الفقرِ والتقلل طريق سلامة مع الصبر ، وطريق الغنى والسعة في الغالب طريق عطب ، فإن اتقى الله في ماله ، ووصلَ به رَحِمَهُ ، وأخرج منه حق الله ، وليس مقصورًا على الزكاة بل من حقه إشباع الجائع ، وكسوة العاري وإغاثة الملهوف ، وإعانة المحتاج والمضطر ، فطريقه طريق غنيمة وهى فوق السلامة ؛ فمثل صاحب الفقر كمثل مريض قد حبس بمرضه عن أغراضه ، فهو يثاب على حسن صبره على حبسه ، وأما الغنى فخطره عظيم في جمعه وكسبه وصرفه ، فإذا سلم كسبه وحسن أخذه من وجهه وصرفه في حقه كان أنفع له ، فالفقير كالمتعبد المنقطع عن الناس ، والغني المنفق في وجوه الخير كالمفتي والمعلم والمجاهد [١٤٤/أ] ؛ ولهذا جعله النبي ﷺ قرين الذي آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ، ويعلمها ؛ فهو أحد المحسودين الذين لا ثالث لهما ، والجهلة يغبطون المنقطع المتخلي المقصور النفع على نفسه ، ويجعلونه أولى بالحسد من الغني المنفق والعالم المعلم .

فإن قيل : فأيهما أفضل من يختار الغنى و التصدق والإنفاق في وجوه البر ؟ أم من يختار الفقر والتقلل ؛ ليبعد عن الفتنة ويسلم من الآفة ، ويرفه قلبه على الاستعداد للآخرة فلا يشغله بالدنيا ؟ أم من لا يختار لا هذا ولا ذاك بل يختار ما يختاره الله له فلا يعين باختياره واحدًا من الأمرين ؟ .

قيل : هذا موضع اختلف فيه حال السلف الصالح : فمنهم : من اختار المال للجهاد به ، والإنفاق ، وصرفه في وجوه البر ؛ كعبد الرحمن بن عوف وغيره من مياسير

الصحابة ، وكان قيس بن سعد يقول : اللهم إني من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى . ومنهم : من اختار الفقر والتقلل كأبي ذر وجماعة من الصحابة معه ، وهؤلاء نظروا إلى آفات الدنيا ، وخشوا الفتنة بها ، وأولئك نظروا إلى مصالح الإنفاق وثمراته العاجلة والآجلة . والفرقة الثالثة لم تختر شيئًا بل كان اختيارها ما اختاره الله لها . وكذلك اختيار طول البقاء في الدنيا لإقامة دين الله وعبادته : فطائفة اختارته وتمنته [وطائفة أحبت الموت ولقاء الله ، والراحة من الدنيا][1] . وطائفة ثالثة لم تختر هذا ولا ذاك ، بل اختارت ما يختاره الله لها ، وكان اختيارهم معلقًا بما يريده الله دون مراد معين منهم ، وهي حال الصديق ﷺ فإنهم قالوا له في مرض موته : ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال : قد رآني ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : قال لي : إني فعال لما أريد[2].

والأولى : حال موسى ﷺ فإنه لما جاءه ملك الموت لطمه ؛ ففقأ عينه ولم يكن ذلك حبًّا منه للدنيا والعيش فيها ، ولكن لينفذ أوامر ربه ، ويقيم دينه ، ويجاهد أعداءه ، فكأنه قال لملك الموت : أنت عبد مأمور ، وأنا عبد مأمور ، وأنا في تنفيذ أوامر ربي وإقامة [١٤٤/ب] دينه ، فلما عرضت عليه الحياة الطويلة وعلم أن الموت بعدها اختار ما اختاره الله له[3].

وأما نبينا صلوات الله وسلامه عليه فإن ربه [أرسل إليه يخيره وكان أعلم الخلق بالله ، فعلم أن ربه][4] تبارك وتعالى يحب لقاءه ويختاره له فاختار لقاء الله ، ولو علم أن ربه يحب له البقاء في الدنيا لتنفيذ أوامره وإقامة دينه لما اختار غير ذلك ، فكان اختياره تابعا لاختيار ربه ﷻ ، فكما أنه لما خيره ربه ﷻ بين أن يكون ملكًا نبيا وبين أن يكون عبدًا نبيًّا وعلم أن ربه يختار له أن يكون عبدًا نبيًّا اختار ما اختاره الله له ، فكان اختياره في جميع أموره تابعا لاختيار الله له ، ولهذا يوم الحديبية احتمل ما احتمل من تلك الشروط ،

---

(١) زيادة في المطبوع

(٢) **إسناده منقطع** : سبق تخريجه .

(٣) **صحيح** : البخاري (١٣٣٩) مسلم (٢٣٧٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٤) زيادة في المطبوع

ووفى هذا المقام حقه ، ولم يثبت عليه من كل وجه إلا الصديق ، فلم يكن له اختيار في سوى ما اختاره الله له ولأصحابه من تلك الحال التي تقرر الأمر عليها ، فكان راضيًا بها مختارًا لها مشاهدًا اختيار ربه لها ، وهذا غاية العبودية ، فشكر الله له ذلك ، وجعل شكرانه ما بشره به في أول سورة الفتح حتى هنأه الصحابة به ، وقالوا : هنيئا لك يا رسول الله ، وحق له أن يهنأ بأعظم ما هنأ به بشر صلوات الله وسلامه عليه .

فصل

ومما ينبغي أن يُعلمَ : أن كل خصلة من خصال الفضل قد أحل الله سبحانه رسوله ﷺ في أعلاها ، وخصه بذروة سنامها ، فإذا احتجت بحاله فرقة من فرق الأمة التي تفرقت تلك الخصال وتقاسمتها على فضلها على غيرها ، أمكن الفرقة الأخرى أن تحتج به على فضلها أيضا : فإذا احتج به الغزاة والمجاهدون على أنهم أفضل الطوائف ، احتج به العلماء والفقهاء على مثل ما احتج به أولئك .

وإذا احتج به الزهاد والمتخلفون عن الدنيا على فضلهم ، احتج به الداخلون في الدنيا والولاية وسياسة الرعية لإقامة دين الله ، وتنفيذ أمره .

وإذا احتج به الفقير الصابر احتج به الغنى الشاكر .

وإذا احتج به العباد على فضل نوافل العبادة وترجيحها . احتج به العارفون على فضل المعرفة .

وإذا احتج به أرباب التواضع [١٤٥/أ] والحلم ، احتج به أرباب العز والقهر للمبطلين والغلظة عليهم والبطش بهم .

وإذا احتج به أرباب الوقار والهيبة والرزانة ، احتج به أرباب الخلق الحسن والمزاح المباح الذي لا يخرج عن الحق وحسن العشرة للأهل والأصحاب .

وإذا احتج به أصحاب الصدع بالحق والقول به في المشهد والمغيب ، احتج به أصحاب المداراة والحياء والكرم أن يبادروا الرجل بما يكره في وجهه .

وإذا احتج به المتورعون على الورع المحمود ، احتج به الميسرون المسهلون الذين لا يخرجون عن سعة شريعته ويسرها وسهولتها .

وإذا احتج به من صرف عنايته إلى إصلاح دينه وقلبه ، احتج به من راعى إصلاح بدنه ومعيشته ودنياه ؛ فإنه ﷺ بعث لصلاح الدنيا والدين .

وإذا احتج به من لم يعلق قلبه بالأسباب ولا ركن إليها ، احتج به من قام بالأسباب ووضعها مواضعها وأعطاها حقها .

وإذا احتج به من جاع وصبر على الجوع ، احتج به من شبع وشكر ربه على الشبع .

وإذا احتج به من أخذ بالعفو والصفح والاحتمال ، احتج به من انتقم في مواضع الانتقام ، وإذا احتج به من أعطى لله ووالى لله ، احتج به من منع لله وعادى لله .

وإذا احتج به من لم يدخر شيئًا لغد ، احتج به من يدخر لأهله قوت سنة .

وإذا احتج به من يأكل الخشن من القوت والأدم كخبز الشعير والخل ، احتج به من يأكل اللذيذ الطيب كالشواء والحلوى والفاكهة والبطيخ ونحوه .

وإذا احتج به من سرد الصوم ، احتج به من سرد الفطر ؛ فكان يصوم حتى يقال لا يفطر ، ويفطر حتى يقال لا يصوم .

وإذا احتج به من رغب عن الطيبات والمشتهيات ، احتج به من أحب أطيب ما في الدنيا وهو النساء والطيب .

وإذا احتج به من ألان جانبه وخفض جناحه لنسائه ، احتج به من أدبهن وآلى منهن وطلق وهجرهن وخيرهن .

وإذا احتج به من ترك مباشرة أسباب المعيشة بنفسه ، احتج به من باشرها بنفسه فأجر واستأجر ، وباع واشترى ، واستلف ، وأدان ، ورهن .

وإذا احتج [١٤٥/ ب] **به** من يجتنب النساء بالكلية في الحيض والصيام ، احتج به من يباشر امرأته وهي حائض بغير الوطء ، ومن يقبل امرأته وهو صائم .

وإذا احتج به من رحم أهل المعاصي بالقدر ، احتج به من أقام عليهم حدود الله فقطع السارق ، ورجم الزاني ، وجلد الشارب .

وإذا احتج به من أرباب الحكم بالظاهر ، احتج به أرباب السياسة العادلة المبنية على القرائن الظاهرة ؛ فإنه حبس في تهمة ، وعاقب في تهمة ، وأخبر عن نبي الله سليمان أنه ﷺ حكم بالولد للمرأة بالقرينة الظاهرة مع اعترافها لصاحبتها به ؛ فلم يحكم بالاعتراف الذي ظهر له بطلانه بالقرينة[1] ، وترجم أبو عبد الرحمن[2] على الحديث ترجمتين : إحداهما : قال : التوسعة للحاكم أن يقول للشيء الذي لا يفعله : أفعله ليستبين به الحق ، ثم قال : الحكم بخلاف ما يعترف به المحكوم عليه ، إذا تبين للحاكم أن الحق غير ما اعترف به ، وكذلك الصحابة عملوا بالقرائن في حياته وبعده ، فقال علي ﷺ للمرأة التي حملت كتاب حاطب : لتخرجن الكتاب أو لأُجَرِّدَنَّكِ[3] ، وحد عمر ﷺ في الزنا بالحَبَل وفى الخمر بالرائحة .

وحكى الله سبحانه عن شاهد يوسف حكاية تقرير غير منكر أنه حكم بقرينة شق القميص من دبر على براءته ، وقال ﷺ لابن أبى الحقيق وقد زعم أن النفقة أذهبت كنز حيي بن أخطب : العهد قريب والمال أكثر من ذلك[4] ، فاعتبر قرينتين دالتين على بقاء المال ، وعاقبه حتى أقرَّ به ، وجوز لأولياء القتيل أن يحلفوا على رجل أنه قتله ؛ ويقتلونه به بناء على القرائن المرجحة صدقهم ، وشرع الله سبحانه رجم المرأة إذا شهد عليها زوجها في اللِّعان ، وأبت أن تلاعن للقرينة الظاهرة على صدقه .

وشريعته ﷺ طافحة بذلك لمن تأملها ؛ فالحكم بالقرائن الظاهرة من نفس [١٤٦/أ]

---

(١) **صحيح** : البخاري (٦٧٦٩) مسلم (١٧٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

(٢) هو النسائي في المجتبى (٨/ ٢٣٦) ، ١- باب السعة للحاكم في أن يقول للشيء الذي لا يفعله : افعل ليستبين الحق . ٢- باب نقض الحاكم ما يحكم به غيره ممن هو مثله أو أجل منه .

(٣) **صحيح** : البخاري (٤٢٧٤) من حديث عبيد الله بن أبي رافع المدني – مولى النبي ﷺ – كان كاتب على ﷺ عنه به .

(٤) **إسناده حسن** : ابن حبان (١٦٩٧ موارد) أخبرنا خالد بن النضر بن عمرو بن النضر القرشي المعدل أبو زيد بالبصرة حدثنا عبد الواحد بن غياث – المربدي – حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا عبيد الله بن عمر – العمري – فيما يحسبه أبو سلمة – يعني حماد بن سلمة – عن نافع عن ابن عُمر رضي الله عنهما مرفوعا . خالد بن النضر بن عمرو ابن النضر القرشي – قال الدارقطني –: ثقة . سؤلات حمزة بن يوسف السهمي ٢٨٧ . عبد الواحد بن غياث المربدي – أبو بحر الصيرفي – البصري – قال أبو زرعة : صدوق ، وقال صالح بن محمد البغدادي : لا بأس به ، وقال أبو بكر الخطيب : كان ثقة – قدم بغداد وحدث بها – (تهذيب الكمال ٥/ ١٠ – ١١) .

شريعته ، وما جاء به فهو حجة لقضاة الحق وولاة العدل كما أنه حجة على قضاة السوء ، وولاة الجور ، والله المستعان .

والمقصود بهذا الفصل : أنه ليس الفقراء الصابرون بأحق به ﷺ من الأغنياء الشاكرين ، وأحق الناس به أتبعهم لسنته وأعلمهم بها ، وبالله التوفيق .

الباب الخامس والعشرون
في بيان الأمور المضادة للصبر والمنافية له والقادحة فيه

لما كان الصبرُ حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله ، والقلب عن السخط ، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها ، كان ما يضاده واقعا على هذه الجملة فمنه : الشكوى إلى المخلوق ، فإذا شكا العبد ربه إلى مخلوق مثله فقد شكا من يرحمه إلى من لا يرحمه ، ولا تضاده الشكوى إلى الله كما تقدم في شكاية يعقوب إلى الله مع قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف : ١٨ ، ٨٣]

وأما إخبار المخلوق بالحال ؛ فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال صرورة لم يقدح ذلك في الصبر ، كإخبار المريض للطبيب بشكايته ، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله ، وإخبار المبتلى ببلائه لمن يرجو أن يكون فرجه على يديه ، وقد كان النبي ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله ويقول : « كيف تجدك »[1] ؛

---

(١) **إسناده ضعيف مرفوعًا - والصحيح أنه مرسل** : الترمذي (٩٨٣) ابن ماجه (٤٢٦١) ابن أبي حاتم (٢/ ١٠٤ العلل) من طريق سيار بن حاتم العنْزي حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت - البناني - عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت ، فقال : كيف تجدك ؟ قال : والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي . فقال رسول ﷺ : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن ، وإلا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ . مرسلًا .ا.هـ ، وقال ابن أبي حاتم : قال أبي : حدثنا أبو الظفر عن جعفر - ابن سليمان الضبعي - عن ثابت عن النبي ﷺ مرسل ، ولم يذكر أنسًا ، وهو أشبه .ا.هـ . سيار بن حاتم العنْزي : سبق له ترجمة . أبو الظفر - عبد السلام بن مطهر - قال أبو داود : كان ضابطًا ، ورأيت يحيى بن معين عنده - سؤلات الآجري (لأبي داود ٥/ ٨) وقال الدارقطني : ثقة سؤلات الحاكم النيسابوري (٤٠١) ، وقال ابن حجر : صدوق (تقريب ٤٠٦٦) .

وهذا استخبار منه واستعلام بحاله ، وأما الأنين فهل يقدح في الصبر ؟ فيه روايتان عن الإمام أحمد . قال أبو الحسين : أصحهما الكراهة ؛ لما روي عن طاووس : أنه كان يكره الأنين في المرض . وقال مجاهد : كل شيء يكتب على ابن آدم ما يتكلم حتى أنينه في مرضه . قال هؤلاء : وإن الأنين شكوى بلسان الحال ينافي الصبر .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : قال لي أبي في مرضه الذي توفي فيه : أخرج إلي كتاب عبد الله بن إدريس فأخرجت الكتاب ، فقال : أخرج أحاديث ليث بن أبي سليم فأخرجت أحاديث ليث ، فقال : اقرأ علي أحاديث ليث . قال : قلت لطلحة إن طاووسًا كان يكره الأنين في المرض ، فما سمع له أنين حتى مات ؛ فما سمعت أبي أن في مرضه ذلك إلى أن توفي . والرواية الثانية : أنه لا يكره ، ولا يقدح في الصبر [١٤٦/ب] ، قال بكر بن محمد عن أبيه : سئل أحمد عن المريض يشكو ما يجد من الوجع ؟ فقال : تعرف فيه شيئًا عن رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم حديث عائشة « **وَارَأْسَاهُ** »[١] وجعل يستحسنه ، وقال المروذي : دخلت على أبي عبد الله وهو مريض ؛ فسألته فتغرغرت عينيه ، وجعل يخبرني ما مر به في ليلته من العلة .

والتحقيق : أن الأنين على قسمين : أنين شكوى ؛ فيكره . وأنين استراحة وتفريج ، فلا يكره ، والله أعلم .

وقد روى في أثر : أن المريض إذا بدأ بحمد الله ثم أخبر بحاله لم يكن بشكوى[٢].

وقال شقيق البلخي : من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبدًا .

---

(١) **صحيح** : البخاري (٥٦٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : وارأساه . فقال رسول الله ﷺ : ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك«الحديث .

(٢) **لم أعثر عليه** .

فصل

والشكوى نوعان : شكوى بلسان الحال ، وشكوى بلسان القال ، ولعلها أعظمها ، ولهذا أمر النبي ﷺ من أنعم عليه أن يظهر أثر نعمة الله عليه ، وأعظم من ذلك من يشكي ربه وهو بخير ؛ فهذا أمقت الخلق عند ربه .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا كهمس عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب الأحبار : إن من حسن العمل سبحة الحديث ، ومن شر العمل التحذيف(١). قيل لعبد الله : ما سبحة الحديث ؟ قال : سبحان الله وبحمده في خلال الحديث . قيل : فما التحذيف ؟ قال : يصبح الناس بخير ؛ فينالون ، فيزعمون : أنهم بشر .

فصل

ومما ينافي الصبر : شق الثياب عند المصيبة ، ولطم الوجه ، والضرب بإحدى اليدين على الأخرى ، وحلق الشعر ، والدعاء بالويل ، ولهذا بريء رسول الله ﷺ ممن صلق وحلق وخرق . صلق : رفع صوته عند المصيبة ، وحلق رأسه وشق ثيابه ، ولا ينافيه البكاء والحزن ، قال الله تعالى عن يعقوب : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤] . قال قتادة : كظيم على الحزن ، فلم يقل إلا خيرًا .

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال : ما كان من العين والقلب فمن الله والرحمة ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان(٢) ، وقال هشيم [١٤٧/أ] عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة

---

(١) لم أعثر عليه فيما بين يدي من كتب الإمام أحمد رحمه الله تعالى وإسناد صحيح إلى كعب الأحبار . عبد الله بن يزيد - القرشي العدوي - مولى آل عمر بن الخطاب - أبو عبد الرحمن المقرئ : ثقة فاضل (تقريب ٣٧٠٧) كهمس - ابن الحسن التميمي - أبو الحسن البصري - ثقة (تقريب ٥٦٦١) عبد الله بن شقيق - العقيلي - بصري : ثقة (تقريب ٣٣٨٠) .

(٢) **ضعيف** : سبق تخريجه .

قال : قال رسول الله ﷺ : « من بثَّ لم يصبرْ »(١) ، وقال خالد بن أبي عثمان مات ابن لي فرآني سعيد بن جبير متقنعًا ، فقال : إياك والتقنع ؛ فإنه من الاستكانة ، وقال بكر بن عبد الله المزني : كان يقال من الاستكانة الجلوس في البيت بعد المصيبة ، وقال عبيد بن عمير : ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب ، ولكن الجزع القول السيىء والظن السيىء ، [وسئل القاسم بن محمد عن الجزع ؟ فقال : القول السيىء والظن السيىء](٢) ، ومات ابنٌ لبعض قضاة البصرة ؛ فاجتمع إليه العلماء والفقهاء ؛ فتذاكروا ما يتبين به من جزع الرجل من صبره ؛ فأجمعوا : أنه إذا ترك شيئًا كما كان يصنعه ؛ فقد جزع .

وقال الحسن بن عبد العزيز الجروي : [مات ابن لي نفيس ؛ فقلت لأمه : اتقِ الله ، واحتسبيه ، واصبري . فقالت : مصيبتي به أعظم من أن أفسدها بالجزع](٣) . **وقال عبد الله ابن المبارك** : أتى رجل يزيد بن يزيد وهو يصلي وابنه في الموت ، فقال : ابنُكَ يقضي وأنت تصلي ؟ فقال : إن الرجل إذا كان له عمل يعمله ، فتركه يومًا واحدًا كان ذلك خللا في عمله .

وقال ثابت : أصيب عبد الله بن مطرف بمصيبة فرأيته أحسن شيء سارة وأطيبه ريحًا ؛ فذكرت له ما رأيت منه ، فقال : تأمرني يا أبا محمد أن أستكين للشيطان ، وأريه أنه قد أصابني سوء ، والله يا أبا محمد : لو كانت لي الدنيا كلها ، ثم أخذها مني ، ثم سقاني شربة يوم القيامة ما رأيتها ثمنًا لتلك الشربة ، ومما يقدح في الصبر : إظهار المصيبة والتحدث بها ، وكتمانها رأس الصبر . وقال الحسن بن الصباح في مسنده : حدثنا خلف بن تميم ، حدثنا زافر بن سليمان ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « منَ البرِّ كتمانُ المصائب والأمراض والصدقة ،

---

(١) **مرسل - ضعيف** : ابن جرير (١٢/ ٩٩ تفسير) حبان بن أبي جبلة : ثقة (تقريب ١٠٧٤) .

قلت (محمد) : وروايته عن ابن عباس . قال أحمد : لا ينبغي أن يكون سمع منه (تحفة التحصيل ١٥٣) فكيف بروايته عن النبي ﷺ ، وللحديث طريق آخر : سبق تخريجه .

(٢) زيادة في المطبوع

(٣) زيادة في المطبوع

وذكر أنه من بث لم يصبر))[1].

---

(١) **ضعيف من جميع الطرق** : الروياني (١٤٤٧ مسند) أبو نعيم (٨/ ٢١٣ الحلية) البيهقي (١٠٠٤٧ - ١٠٠٤٨ - ١٠٠٤٩ - ١٠٠٥٠ شعب الإيمان) ابن أبي حاتم (٢/ ٣٣١ علل) ابن عدي (٣/ ١٠٨٨ الكامل) ابن حبان (٢/ ١٣٨ المجروحين) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا . قال ابن أبي حاتم : قال أبو زرعة : هذا حديث باطل ، وامتنع أن يحدث به (علل الحديث ٢/ ٣٣١) عبد العزيز بن أبي رواد - أبو عبد الرحمن - قال أحمد : كان رجلًا صالحًا وكان مرجئًا ، وليس هو في التثبت مثل غيره ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق - ثقة في الحديث - متعبد ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال يحيى بن سعيد القطان : ثقة في الحديث . ليس ينبغي أن يترك حديثه لرأي أخطأ فيه - يعني الإرجاء - ، قال ابن عدي : وفي بعض أحاديثه ما لا يتابع عليه ، وقال ابن حبان : كان يحدث على الوهم والحسبان فسقط الاحتجاج به .
قلت (محمد) : وقال أيضًا : روى عن نافع عن ابن عمر ، نسخة موضوعة لا يحل ذكرها إلا على سبيل الاعتبار .ا.هـ ، وقال علي بن الجنيد : كان ضعيفًا وأحاديثه منكرات ، وقال الحاكم : ثقة عابد ، وقال الدارقطني : هو متوسط في الحديث ، وربما وهم في حديثه (تهذيب التهذيب ٦/ ٣٣٨ - ٣٣٩) (المجروحين ٢/ ١٣٦ - ١٣٧) وله إسناد آخر عند أبي نعيم (٧/ ١٣٠ الحلية) من طريق الجارود بن يزيد حدثنا سفيان الثوري عن أشعث بن عبد الملك الحمراني عن ابن سيرين عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثلاث من كنوز البر ... الحديث : موضوع ، وقال أبو نعيم : تفرد به الجارود عن سفيان .ا.هـ . الجارود بن يزيد النيسابوري . قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : كان أبو أسامة يرميه بالكذب ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وقال أبو حاتم : هو منكر الحديث ، لا يكتب حديثه ، كذاب (الجرح والتعديل ٢/ ٥٢٥) وقال الدارقطني : متروك (الضعفاء والمتروكين ١٥١) ، وقال البخاري : منكر الحديث ، كان أبو أسامة يرميه بالكذب (الضعفاء الصغير ٥٣) وقال النسائي : متروك الحديث (الضعفاء والمتروكين ١٠٠) وقال الحاكم في المدخل : روى عن الثوري - سفيان - أحاديث موضوعة ، وقال في سؤلات مسعود السجزي : كان ضعيفًا ، وقال الساجي :منكر الحديث ، وقال الخليلي : وله عن الثوري أحاديث لا يتابع عليها ، وقال الفلاس : ضعيف (لسان الميزان ٢/ ١١٧) ، وله إسناد آخر عند الشيخ ناصر الألباني رحمه الله تعالى (٦٩٢ ضعيفة) عزاه لتمام (٩/ ١٤٠/ ١) من طريق ناشب بن عمرو ثنا مقاتل بن حبان عن قيس بن السكن عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا : ((ثلاث من كنوز البر ... الحديث : منكر . ناشب بن عمرو . قال الدارقطني : ضعيف ، وقال البخاري : منكر الحديث (لسان الميزان ٦/ ١٧١) وله طريق آخر عند البيهقي (١٠٠٥١) شعب الإيمان) من طريق خالد بن مخلد - القطواني - أنبأنا محمد بن جعفر - ابن أبي كثير - حدثني العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب - الحرقي - قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : ((ثلاث من كنوز البر ... الحديث . خالد بن مخلد : سبق له ترجمة . العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب : صدوق ربما وهم (تقريب ٥٢٣٧) ، وله طريق آخر عند ابن منده (٢٠ مسند إبراهيم بن أدهم) من طريق عتبة بن السكن ثنا إبراهيم بن أدهم عن سفيان الثوري قال : قال رسول الله ﷺ: ((كتمان المصائب من كنوز البر)) . عتبة بن السكن . قال الدارقطني : متروك الحديث ، وقال البيهقي : منسوب إلى الوضع (المغني ٣٩٩٥) ، وله طريق آخر عند أبي نعيم (٢/ ٤٢ أخبار أصبهان) من طريق داود بن المحبر ثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي - ابن عنبسة بن سعيد =

وروي من وجه آخر عن أنس يرفعه : « من كنوز البر كتمان المصائب ، وما صبر من بث »[1] ، ولما نزل في إحدى عيني عطاء الماء مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله حتى جاء ابنه يومًا من قبل عينيه ، فعلم أن الشيخ قد أصيب ، ودخل رجل على داود الطائي في فراشه فرآه يرجف ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له : مه لا تعلم بهذا أحدًا ، وقد أقعد قبل ذلك بأربعة أشهر [١٤٧/ ب] لم يعلم بذلك أحد ، وقال مغيرة : شكا الأحنف إلى عمه وجع ضرسه ؛ فكرر ذلك عليه ، فقال : ما تكرر علي ، لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها إلى أحد .

فصل

ويضاد الصبر الهلع ، وهو : الجزع عند ورود المصيبة ، والمنع عند ورود النعمة **قال تعالى**: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج : ١٩ - ٢١]، وهذا تفسير الهلوع : قال الجوهري : الهلع : أفحش الجزع ، وقد هَلِع بالكسر ؛ فهو هَلِعٌ وهَلُوعٌ ، وفي الحديث : « **شَرُّ مَا فِي الْعَبْدِ شُحٌّ هَالِعٌ ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ** »[2].

قلت: هنا أمران : أمرٌ لفظيٌّ . وأمر معنوي . فأما اللفظي ؛ فإنه وصف الشح بكونه هالعًا ، والهالعُ صاحبه ، وأكثر ما يسمى هلوعًا ، ولا يقال هالع له ؛ فإنه لا يتعدى ، ففيه وجهان : **أحدهما**: أنه على النسب ؛ كقولهم : ليل نائم ، وسر كاتم ونهار صائم ، ويوم عاصف ؛ كله عند سيبويه على النسب ؛ أي : ذو كذا كما قالوا : تامر ، ولابن .

والثاني: أن اللفظة غيرت عن بابها للازدواج مع خالع ، وله نظير .

= ابن العاص الأموي - ثنا عبد الرحمن بن الأسود الأصبهاني عن أنس ﷺ مرفوعًا ((من البر كتمان المصائب وما صبر من بث : منكر . داود بن المحبر - البكراوي - أبو سليمان البصري : متروك (تقريب ١٨٠٠) . عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة : متروك ، ورماه أبو حاتم بالوضع (تقريب ٥١٩٦) .

(١) **لم أعثر عليه من حديث الحسن** .

(٢) **إسناده حسن**: أبو داود (٢٥١١) أحمد (٢/ ٣٠٢) ابن حبان (٨٠٨ موارد) أبو نعيم (٩/ ٥٥ الحلية) تهذيب الكمال (٤/ ٥٣٠) من طريق موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه عن عبد العزيز بن مروان - والد عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين - عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . موسى بن علي بن رباح اللخمي : سبق له ترجمة .

وأما المعنوي : فإن الشح والجبن أردى صفتين في العبد ؛ ولا سيما إذا كان شحه هالعًا ؛ أي : ملق له في الهلع ، وجبنه خالعًا ، أي : قد خلع قلبه من مكانه ، فلا سماحة ، ولا شجاعة ، ولا نفع بماله ولا ببدنه ؛ كما يقال : لا طعنة ولا حفنة ، ولا يطرد ولا يشرد ، بل قد قمعه وصغره وحقره ودساه الشح والخوف والطمع والفزع ، وإذا أردت معرفة الهلوع ؛ فهو الذي إذا أصابه الجوع مثلا أظهر الاستجاعة وأسرع بها ، وإذا أصابه الألم أسرع الشكاية وأظهرها ، وإذا أصابه القهر أظهر الاستظامة والاستكانة وباء بها سريعًا . وإذا أصابه الوجع أسرع الانطراح على جنبه ، وأظهر الشكاية . وإذا بدا له ما أخذ طمع طار إليه سريعًا . وإذا ظفر به أحله من نفسه محل الروح فلا احتمال ولا إفضال ، وهذا كله من صغر النفس ، ودناءتها ، وتدسيسها في البدن وإخفائها وتحقيرها ، والله المستعان .

الباب السادس والعشرون
في بيان دخول الصبر والشكر في صفات الرب جل جلاله وتسميته بالصبور والشكور ولو لم يكن للصبر والشكر من الفضيلة إلا ذلك لكفى به

أما الصبر [١٤٨/ أ] فقد أطلقه عليه أعرف الخلق به ، وأعظمهم تنزيها له بصيغة المبالغة ؛ ففي الصحيحين من حديث الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « **مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ ﷻ ، يَدعُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ** »[١].

وفي أسمائه الحسنى الصبور ، وهو من أمثلة المبالغة ، أبلغ من الصابر والصبار ، وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق ولا يماثله من وجوه متعددة : منها : أنه عن قدرة

---

(١) **صحيح**: البخاري (٦٠٩٩ - ٧٣٧٨) مسلم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا .

تامة ، ومنها : أنه لا يخاف الفوت ، والعبد إنما يستعجل لخوف الفوت . ومنها : أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن ، ولا نقص بوجه ما . وظهور أثر الاسم في العالم مشهود بالعيان كظهور اسمه الحليم ، والفرق بين الصبر والحلم : أن الصبر ثمرة الحلم وموجبه ، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره ، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر ، ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع ، ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥١] ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ ، وفي أثر : أن حملة العرش أربعة : اثنان يقولان سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك ، واثنان يقولان : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك[1].

فإن المخلوق يحلم عن جهل ، ويعفو عن عجز ، والرب تعالى يحلم مع كمال علمه ، ويعفو مع تمام قدرته ، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى اقتدار ، ولهذا كان في دعاء الكرب وصفه سبحانه بالحلم مع العظمة ؛ وكونه حليما من لوازم ذاته سبحانه ، وأما صبره سبحانه فمتعلق بكفر العباد ، وشركهم ، ومسبتهم له سبحانه ، وأنواع معاصيهم وفجورهم ، فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة بل يصبر على عبده ، ويمهله ، ويستصلحه ، ويرفق به ، ويحلم عنه ، حتى إذا لم يبق فيه موضع للضيعة ، ولا يصلح على الإمهال والرفق والحلم ، ولا يثيب إلى ربه ويدخل عليه ، لا من باب الإحسان والنعم ، ولا من باب البلاء والنقم ، أخذه أخذ عزيز مقتدر ، بعد غاية [١٤٨/ب] الأعذار إليه ، وبذل النصيحة له ، ودعائه إليه من كل باب ،

---

(١) **إسناده ضعيف إلى شهر بن حوشب** : عبد الرزاق (٣٣١٥ تفسير) ابن جرير الطبري (١٩/ ٦ تفسير) أبو الشيخ (٣/ ٩٥٤ العظمة) البيهقي (٣٦٤ شعب) من طريق جعفر بن سليمان الضُبعي عن هارون بن رئاب عن شهر ابن حوشب به من قوله . شهر بن حوشب : سبق له ترجمة . جعفر بن سليمان الضبعي : صدوق صالح ، ثقة مشهور ، ضعفه يحيى القطان وغيره ، فيه تشيع وله ما ينكر ، وكان لا يكتب (المغني ١١٤٤) وإسناد أبو الشيخ والبيهقي من طريق الوليد مزيد العُذري أبو العباس البيروتي ورواه بن الجراح عن الأوزاعي قال حدثني هاروت ابن رئاب فذكره من قوله وليس فيه شهر بن حوشب (إسناده صحيح إلى هارون بن رئاب) .

وهذا كله من موجبات صفة حلمه ، وهى صفة ذاتية له لا تزول .

وأما الصبر فإذا زال متعلقه كان كسائر الأفعال التي توجد لوجود الحكمة وتزول بزوالها ، فتأمله فإنه فرق لطيف ما عثرت الحذاق بعشره ، وقل من تنبه له ونبه عليه ، وأشكل على كثير منهم يعني هذا الاسم . وقالوا : لم يأت في القرآن فأعرضوا عن الاشتغال به صفحًا ، ثم اشتغلوا بالكلام في صبر العبد وأقسامه ، ولو أنهم أعطوا هذا الاسم حقه لعلموا أن الرب تعالى أحق به من جميع الخلق كما هو أحق باسم العليم ، والرحيم ، والقدير ، والسميع ، والبصير ، والحي ، والملك ، وسائر أسمائه الحسنى من المخلوقين ، وأن التفاوت الذي بين صبره سبحانه وصبرهم كالتفاوت الذي بين حياته وحياتهم ، وعلمه وعلمهم ، وسمعه وأسماعهم ، وكذا سائر صفاته ، ولما علم ذلك أعرف خلقه به قال : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله » .

فعلم أرباب البصائر بصبره سبحانه كعلمهم برحمته ، وعفوه ، وستره ، مع أنه صبر مع كمال علم وقدرة وعظمة وعزة ، وهو صبر من أعظم مصبور عليه ؛ فإن مقابلة أعظم العظماء وملك الملوك وأكرم الأكرمين ومن إحسانه فوق كل إحسان بغاية القبيح ، وأعظم الفجور ، وأفحش الفواحش ، ونسبته إلى كل ما لا يليق به ، والقدح في كماله ، وأسمائه وصفاته ، والإلحاد في آياته ، وتكذيب رسله عليهم السلام ، ومقابلتهم بالسب ، والشتم ، والأذى ، وتحريق أوليائه ، وقتلهم ، وإهانتهم أمر لا يصبر عليه إلا الصبور الذي لا أحد أصبر منه ، ولا نسبة لصبر جميع الخلق من أولهم إلى آخرهم إلى صبره سبحانه ، وإذا أردت معرفة صبر الرب تعالى وحلمه والفرق بينهما ، فتأمل قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر : ٤١] [١٤٩/ أ] وقوله : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩١] وقوله : ﴿ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾ [إبراهيم : ٤٦] على قراءة من فتح اللام ، فأخبر

سبحانه أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السموات والأرض ، فالحلم أمسكها وإمساكها أن تزولا بكفر بني آدم هو الصبر ، فبحلمه صبر عن معالجة أعدائه ، وفي الآية إشعار بأن السموات والأرض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد ؛ فيمسكها بحلمه ومغفرته وذلك حبس عقوبته عنهم ، وهو حقيقة صبره تعالى ، فالذي عنه الإمساك هو صفة الحلم ، والإمساك هو الصبر وهو حبس العقوبة ؛ ففرق بين حبس العقوبة وبين ما صدر عنه حبسها ؛ فتأمله .

وفي مسند الإمام أحمد مرفوعًا : ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق بني آدم(١) وهذا مقتضى الطبيعة ؛ لأن كثرة الماء تعلو كثرة التراب بالطبع ، ولكن الله سبحانه يمسكه بقدرته وحلمه وصبره ، وكذلك خرور الجبال وتفطير السموات الرب سبحانه وتعالى يحبسها عن ذلك بصبره وحلمه ؛ فإن ما يأتي به الكفار والمشركون والفجار في مقابلة العظمة والجلال والإكرام ، يقتضي ذلك ، فجعل سبحانه في مقابلة هذه الأسباب أسبابًا يحبُّها ويرضاها ويفرح بها أكمل فرح وأتمه ، تقابل تلك الأسباب [التي هي سبب زوال العالم وخرابه ، فدفعت تلك الأسباب](٢) وقاومتها ، وكان هذا من آثار الرحمة أثر مدافعة رحمته لغضبه ، وغلبتها له ، وسبقها إياه ، فغلب أثر الرحمة أثر الغضب كما غلبت الرحمة الغضب ، ولهذا استعاذ النبي ﷺ بصفة الرضا من صفة السخط وبفعل المعافاة من فعل العقوبة ، ثم جمع الأمرين في الذات إذ هما قائمان بها ، فقال : « **أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ** »(٣) ، فإن [١٤٩/ ب] ما يستعاذ به هو صادر عن مشيئته وخلقه بإذنه وقضائه ، فهو الذي أذن في وقوع الأسباب التي يستعاذ منها خلقًا وكونًا وهو الذي يعيذ منها ويدفع شرَّها

---

(١) **ضعيف** : أحمد (١/ ٤٣) من طريق العوام - ابن حوشب - حدثني شيخ كان مرابطًا بالساحل قال : لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب ﷺ فقال حدثنا عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ليس من ليلة إلا والبحر ... الحديث » . أبو صالح مولى عمر ﷺ عن عمر ، وعنه رجل لم يسم : مجهولان (تعجيل المنفعة ١٣١١) .

(٢) زيادة في المطبوع .

(٣) **صحيح** : سبق تخريجه .

خلقًا وكونًا ، فمنه السبب والمسبب ، وهو الذي حرك الأنفس والأبدان وأعطاها قوى التأثير ، [وهو الذي أوجدها وأعدها ومدها وسلطها على ما شاء][1] ، وهو الذي يمسكها إذا شاء ويحول بينها وبين قواها وتأثيرها ، فتأمل ما تحت قوله : « أعوذ بك منك » من محض التوحيد ، وقطع الالتفات إلى غيره ، وتكميل التوكل عليه تعالى ، والاستعانة به وحده ، وإفراده بالخوف والرجاء ، ودفع الضر وجلب الخير ، وهو الذي يمس بالضر بمشيئته ، وهو الذي يدفع بمشيئته ، وهو المستعاذ بمشيئته بمشيئته ، وهو المعيذ من فعله بفعله ، وهو الذي سبحانه خلق ما يصبر عليه ، و يرضى به ، فإذا أغضبه معاصي الخلق وكفرهم ، وشركهم ، وظلمهم أرضاه تسبيح ملائكته وعبادة المؤمنين له ، وحمدهم إياه ، وطاعتهم له ؛ فيعيذ رضاه من غضبه .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السماوات والأرض من نور وجهه ، وإن مقدار يوم من أيامكم عنده اثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار اليوم ، فينظر فيها ثلاث ساعات ، فيطلع منها على ما يكره فيغضبه ذلك ، فأول من يعلم بغضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم ، فتسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ، حتى ينفخ إسرافيل في القرن فلا يبقى شيء إلا يسمع صوته ؛ فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة ، فتلك ست ساعات ، قال : ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات ، فذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٦] ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ [الشورى : ٤٩ - ٥٠] فتلك تسع ساعات ، ثم يؤتى بالأرزاق فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله : ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ وقوله : ﴿ كُلَّ

(١) زيادة في المطبوع .

يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] قال هذا شأنكم وشأن ربكم[١] . رواه أبو القاسم الطبراني في [١٥٠/ أ] السنة ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، وشيخ الإسلام الأنصاري ، وابن منده وابن خزيمة ، وغيرهم .

ولما ذكر سبحانه في سورة الأنعام أعداءه وكفرهم وشركهم به وتكذيب رسله ، ذكر في أثر ذلك : شأن خليله إبراهيم ، وما أراه من ملكوت السماوات والأرض ، وما حاج به قومه في إظهار دين الله وتوحيده ، ثم ذكر الأنبياء من ذريته وأنه هداهم وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة ، ثم قال : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ؛ فأخبر أنه سبحانه كما جعل في الأرض من يكفر به ، ويجحد توحيده ، ويكذب رسله ، كذلك جعل فيها من عباده من يؤمن بما كفر به أولئك ، ويصدق بما كذبوا به ، ويحفظ من حرماته ما أضاعوه ، وبهذا تماسك العالم العلوي والسفلي ، وإلا فلو اتبع الحق أهواء أعدائه لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، ولخرب العالم ، ولهذا جعل سبحانه من أسباب خراب العالم رفع الأسباب الممسكة له من الأرض ، وهي : كلامه ، وبيته ، ودينه ، والقائمون به ، فلا يبقى لتلك الأسباب المقتضية لخراب العالم أسباب تقاومها وتمانعها .

ولما كان اسمُ الحليمِ أدخل في الأوصاف ، واسمُ الصبور في الأفعال ، كان الحلمُ أصلَ الصبرِ ، فوقع الاستغناء بذكره في القرآن عن اسم الصبور ، والله أعلم .

---

(١) **إسناده ضعيف** : الطبراني (٨٨٨٦ - ٩/ ٢٠٠ الكبير) من طريق أبي عبد السلام عن عبد الله بن مكرز أو عبيد الله ابن مكرز قال : قال عبد الله بن مسعود ﷺ فذكره مرفوعًا . قال الهيثمي : فيه أبو عبد السلام ، قال أبو حاتم : مجهول (٩/ ٤٠٦ الجرح والتعديل) وقد ذكر ابن حبان في الثقات) وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره (مجمع الزوائد ١/ ٨٥) .

فصل

وأما تسميته سبحانه بالشكور فهو في حديث أبى هريرة[1] ، وفى القرآن تسميته شاكرًا ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٧] وتسميته أيضًا

(١) **ضعيف من الوجه الذي فيه سرد الأسماء الحسنى : صحيح بدون سرد الأسماء** . الترمذي (٣٥٠٧) ابن حبان (٢٢٨٤ موارد) الحاكم (١/ ١٦) ابن كثير (٢/ ٢٧٥ تفسير) من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد - عبد الله بن ذكوان - عن الأعرج - عبد الرحمن بن هرمز - عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا ، من أحصاها دخل الجنة » الله لا إله إلا هو الملك القدوس السلام ... الحديث . يسرد الأسماء . قال الترمذي : هذا حديث غريب ، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث ، وقد روى هذا الحديث من غير وجه أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ ، ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث .ا.هـ . صفوان بن صالح - أبو عبد الملك الدمشقي - قال الآجري عن أبي داود : حجة ، وذكر ابن حبان في الثقات وقال : كان منتحل مذهب أهل الرأى ، ووثقه مسلمة بن قاسم ، وأبو علي الجياني وغيرهما ، وقال ابن حبان في آخر مقدمة الضعفاء - المجروحين ص ٩٤ - سمعت ابن جوصاء يقول : سمعت أبا زرعة الدمشقي يقول : كان صفوان بن صالح ومحمد بن المصفى ، ويسويان الحديث - يعني تدليس التسوية - (تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٧) (تقريب ٢٩٢٩) . الوليد بن مسلم - أبو العباس - الدمشقي : ثقة - لكنه كثير التدليس والتسوية (تقريب ٧٤٤٥) قلت (محمد) : ومثلهما يلزمه التصريح بالسماع من أول الإسناد إلى آخره لأن من المحتمل أن يكونا دلساه وأسقطا من الإسناد رجل ضعيف دبه تحصل التسوية بيد أنه قد روى بسرد الأسماء من أوجه لا تخلو من ضعف . أخرج ابن ماجة (٣٨٦١) من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني حدثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي حدثنا موسى بن عقبة حدثني عبد الرحمن - ابن هرمز - الأعرج عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . بنحوه مع تقديم وتأخير في الأسماء ، قال البوصيري في الزوائد : لم يخرج أحد من الأئمة الستة ، عدد الأسماء الحسنى من هذا الوجه و لا غيره ، غيره ، غير ابن ماجه والترمذي . مع تقديم وتأخير ، وطريق الترمذي أصح شيىء في الباب . وقال أيضًا : وإسناد ابن ماجه ضعيف . لضعف عبد الملك بن محمد .ا.هـ . قلت (محمد) : أيضًا في إسناده . زهير بن محمد التميمي . أبو المنذر الخراساني . سكن الشام ثم الحجاز : رواية أهل الشام عنه غير مسقيمة ، فضعف بسببها . قال البخاري : عن أحمد : كان زهير الذي يروى عنه الشاميون آخر ، وقال أبو حاتم : حدث بالشام من حفظة فكثر غلطه (تقريب ٢٠٣٦) . عبد الملك بن محمد الصنعاني - أبو الزرقاء ويقال أبو محمد - من صنعاء دمشق - قال ابن حبان : ينفرد بالموضوعات لا يجوز الاحتجاج بروايته . قال أبو حاتم : سألت دحيمًا عنه فكأنه ضجع ، فقلت هو أثبت أو عقبة بن علقمة فقال : ما أقربها . قال ابن أبي حاتم عن أبيه : يكتب حديثه ، وقال عبد الملك ابن بحر الصنعاني : وهو ثقة من أصحاب الأوزاعي (تهذيب التهذيب ٦/ ٤٢١ - ٤٢٢) وقال ابن حجر : لين الحديث (تقريب ٤٢٠٢) وأخرجه الحاكم (١/ ١٧) العقيلي (٣/ ١٥ الضعفاء الكبير) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٨٣) لسان الميزان (٤/ ٣٤) من طريق عبد العزيز بن حصين بن الترجمان ثنا أيوب =

= السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بنحوه . قال الحاكم : هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ دون ذكر الأسامي الزائدة فيها كلها في القرآن – يعني أنه روى عنهما بدون ذكر الأسماء – قال : وعبد العزيز بن الحصين بن الترجمان . ثقة وإن لم يخرجاه – يعني البخاري ومسلم – وإنما جعلته شاهدًا للحديث الأول .ا.هـ قال الذهبي : بل ضعفوه – يعني : عبد العزيز ابن حصين الترجماني – قال في الفيض بعد عزوه لأبي الشيخ وابن مردويه في التفسير : لأبي نعيم في الأسماء الحسنى ، وللحاكم . قال : الذهبي ، وتعقب الحافظ ابن حجر – يعني تعقب الحاكم – في تلخيص الحبير (٤/ ١٧٢) قال : بل متفق على ضعفه ، رواه الشيخان – يعني البخاري ومسلم – وابن معين .ا.هـ . عبد العزيز بن حصين الترجماني – أبو سهل – مروزي الأصل . قال البخاري : ليس بالقوي عندهم ، وقال ابن معين : ضعيف ، وقال مسلم : ذاهب الحديث ، وقال ابن عدي : الضعف في روايته بين ، وقال الآجري : سألت أبا داود عنه فقال : متروك الحـديث ، وقال أبو القاسم البغوي : ضعيف الحديث ، وهو في الضعف نحو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم ، وقال أبو زرعة الدمشقي : سألت أبا مسهر فقلت : عبد العزيز بن حصين ، ممن يُؤخد عنه ؟ فقال : أما أهل الحزم فلا يفعلون ، وروى ابن علي بن المديني عن أبيه أنه : ضعفه ، وقال النسائي في التمييز : ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه . قلت (ابن حجر) : وأعجب من كل ما تقدم ، أن الحاكم أخرج له في المستدرك وقال إنه ثقة (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٤ – ٣٥) وقال ابن حجر : قال البيهقي : ضعيف عند أهل النقل (تلخيص الحبير ٤/ ١٧٣) وأخرجه أبو عبد الرحمن السلمى – محمد بن الحسين بن موسى – أبو عبد الرحمن الأزدي – في طبقات الصوفية (ص ٤٤١ – ٤٤٢ ترجمة) : أبو العباس القاسم السيارى – القاسم بن القاسم بن مهدي بن بنت أحمد بن سيار – وأبو نعيم (١٠/ ٤١٠ – ٤١١ الحلية) من طريق عبد الواحد بن علي السياري حدثنا خالي أبو العباس القاسم بن القاسم حدثنا أحمد بن عباد بن سلم – سليمان – وكان من الزهاد . حدثنا محمد ابن عبيدة النافقاني حدثنا عبد الله بن عبيدة العامري حدثنا سورة بن شداد الزاهد عن سفيان الثوري عن إبراهيم ابن أدهم عن موسى بن يزيد عن أويس القرني عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعًا . بنحوه مثل حديث الأعرج عن أبي هريرة . قال أبو نعيم : حديث الأعرج ، عن أبي هريرة : صحيح ، متفق عليه – يعني بدون ذكر الأسماء – وحـديث الثوري ، عن إبراهيم فيه نظـر لا صحة له .ا.هـ ، وقال العقيلي : الروايـة في تسعة وتسعين اسمًا . مجملة بأسانيد جياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (الضعفاء الكبير ٣/ ١٠١٦) . عبد الواحد بن علي اليساري : لم أعثر له على ترجمة . القاسم بن القاسم بن مهدي السياري : ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ولم يذكر حاله : مجهول الحال (سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٤٤) . أحمد بن عباد بن سلم أو سليمان : لم أعثر له على ترجمة . محمد بن عبيدة النافقاني : صاحب مناكير . عن محقق كتاب (طبقات الصوفية) نور الدين عزاه إلى (اللباب ج٣/ ٢٠٨) . سورة بن شداد الزاهد : صحيح السماع ، عزاه محقق (طبقات الصوفية) إلى معجم البلدان (٢/ ١٣٣) . موسى ابن يزيد : لعله ابن موهب الأملوكي ، روى عن أبي أمامة وأبيه . روى عنه معاوية بن صالح ، والله أعلم : مجهول الحال (الجرح والتعديل ٨/ ١٦٧) ، وأخرج البخاري (٢٧٣٦ – ٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا . بدون سرد الأسماء وهو الصحيح الذي لا ريب فيه . قال البيهقي : ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة ، ولهذا ترك الشيخان إخراج حديث الوليد في الصحيح ، وقال أبو بكر بن العربي : لا نعلم هل تفسير هذه الأسامي في الحديث ، أو من قول الراوي . قلت (الحافظ بن حجر) : والدليل على ذلك اختلافها =

شكورًا ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٧] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان : ٢٢] ؛ فجمع لهم سبحانه بين الأمرين : أن شكر سعيهم وأثابهم عليه ، والله تعالى يشكر عبده إذا أحسن طاعته ، ويغفر له إذا تاب إليه ؛ فجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته إنه غفور شكور .

وقد تقدم في الباب العشرين ذكر حقيقة شكر العبد ، وأسبابه ، ووجوهه .

وأما شكر الرب تعالى : فله شأن آخر ، كشأن صبره ، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكورٍ ، بل هو الشكورُ على الحقيقة ؛ فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه ، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره ، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة ، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه [١٥٠/ ب] بين ملائكته وفي ملئه الأعلى ، ويلقي له الشكر بين عباده ، ويشكره بفعله ، فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه ، وإذا بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة ، وهو الذي وفقه للترك والبذل ، وشكره فيشكره على هذا وذاك ، ولما عقر نبيه سليمان الخيل غضبًا له إذ شغلته عن ذكره ، فأراد ألا تشغله مرة أخرى أعاضه عنها متن الريح ، ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا ، وفتحها عليهم ، ولما دخل واحتمل يوسف الصديق ضيق السجن له شكر له ذلك بأن مكنه في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزقتها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرًا خضرًا أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث ، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه ، ولما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم ؛ فنالوا منهم ، وسبوهم ، أعاضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته ، وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه ، فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار لا يضيع أجر من أحسن عملًا ولو

= وإن كان حديث الوليد أرجحها من حيث الإسناد ، وقال أبو محمد بن حزم : جاء في إحصائها أحاديث مضطربة ، ولا يصح منها شيء أصلًا ، وقال ابن عطية : حديث الترمذي ليس بالمتواتر ، وفي بعض الأسماء التي فيه شذوذ ، وقد ورد في دعاء النبي ﷺ: ((يا حنان يا منان)) وليس في حديث الترمذي (تلخيص الحبير (٤/ ١٧٣) .

أنه مثقال ذرة .

ومن شكره سبحانه: أنه يجازي عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ، ويخفف به عنه يوم القيامة فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان وهو من أبغض خلقه إليه ، ومن شكره : أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبًا كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى(١) ؛ وغفر لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين(٢) ؛ فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه إلى نفسه ، والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه .

وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه وشكره عليه بل شكره على قليله بالأضعاف المضاعفة التي لا نسبة لإحسان العبد إليها ؛ فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر ، فمن أحق باسم الشكور منه سبحانه ؟ ، وتأمل قوله سبحانه : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٧] كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالى يأبى تعذيب عباده سدى بغير جرم ، كما يأبى إضاعة سعيهم باطلا ؛ فالشكور لا يضيع [١٥١/ أ] أجر محسن ولا يعذب غير مسيء ، وفي هذا رد لقول من زعم : أنه سبحانه يكلف عبده مالا يطيقه ، ثم يعذبه على مالا يدخل تحت قدرته ، تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علوًّا كبيرًا ؛ فشكره سبحانه اقتضى أن لا يعذب المؤمن الشكور ، ولا يضيع عمله وذلك من لوازم هذه الصفة ؛ فهو مُنَزَّهٌ عن خلافِ ذلك كما ينَزه عن سائر العيوب والنقائص التي تنافي كماله وغناه وحمده .

ومن شكره سبحانه : أنه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير ، ولا يضيع عليه هذا القدر ، ومن شكره سبحانه : أن العبد من عباده يقوم له مقامًا يرضيه بين الناس فيشكره له ، وينوه بذكره ، ويخبر به ملائكته ، وعباده المؤمنين ؛ كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام ، وأثنى عليه ، ونوه بذكره بين عباده ، وكذلك شكره لصاحب

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٦٧) مسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٢ - ٢٤٧٢) مسلم (١٩١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا .

يس مقامه ودعوته إليه ، فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك ، فإنه سبحانه غفور شكور يغفر الكثير من الزلل ، ويشكر القليل من العمل .

ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر ، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها ، واتصف بضدها ، وهذا شأن أسمائه الحسنى أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها ، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها ، ولهذا يبغض الكفور ، والظالم ، والجاهل ، والقاسي القلب ، والبخيل والجبان ، والمهين ، واللئيم ، وهو سبحانه جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلماء ، رحيم يحب الراحمين ، محسن يحب المحسنين ، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، جواد يحب أهل الجود ، ستير يحب أهل التستر ، قادر يلوم على العجز ، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف ، عفو يحب العفو ، وتر يحب الوتر ، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها ، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها .

فصل

يا من عزم على السفر إلى الله والدار الآخرة ، قد رفع لك علم فشمر إليه فقد أمكن التشمير ، واجعل سيرك بين مطالعة منته ومشاهدة عيب النفس والعمل والتقصير ، فما أبقى مشهد النعمة والذنب للعارف من حسنة يقول : هذه منجيتي من عذاب السعير ، ما المُعَوَّلُ إلا على عفوه ومغفرته فكل أحد إليهما فقير [١٥١/ ب] ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ؛ أنا المذنب المسكين وأنت الرحيم الغفور.

ما تساوى أعمالك لو سلمت مما يبطلها أدنى نعمة من نعمه عليك وأنت مرتهن بشكرها من حين أرسل بها إليك ، فهل رعيتها بالله حق رعايتها وهي في تصريفك وطوع يديك ؟ فتعلق بحبال الرجاء وادخل من باب التوبة والعمل الصالح إنه غفورٌ شكورٌ .

نهج للعبد طريق النجاة وفتح له أبوابها ، وعرَّفَهُ طرق تحصيل السعادة وأعطاه أسبابها ، وحذره من وبال معصيته ، وأشهده على نفسه وعلى غيره شؤمها وعقابها ،

وقال : إن أطعت فبفضلي وأنا أشكر ، وإن عصيت فبقضائي وأنا أغفر ، إن ربنا لغفورٌ شكورٌ . أزاح عن العبد العلل ، وأمره أن يستعيذ به من العجز والكسل ، ووعده أن يشكر له القليل من العمل ، ويغفر له الكبير من الزلل ، إن ربنا لغفور شكور .

أعطاه ما يشكر عليه، ثم يشكره على إحسانه إلى نفسه لا على إحسانه إليه ، ووعده على إحسانه أن يحسن جزاءه ويقربه لديه ، وأن يغفر له خطاياه إذا تاب منها ولا يفضحه بين يديه ، إن ربنا لغفور شكور .

وبقيت بعفوه هفوات المذنبين فوسعتها ، وعكفت بكرمه آمال المحسنين فما قطع طمعها ، وخرقت السبع الطباق دعوات التائبين والسائلين فسمعها ، ووسع الخلائق عفوه ومغفرته ورزقه ، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، إن ربنا لغفورٌ شكورٌ .

يجود على عبيده بالنوال قبل السؤال ، ويعطي سائليه ومؤمليه فوق ما تعلقت به منهم الآمال ، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبه عدد الأمواج والحصى والتراب والرمال ، إن ربنا لغفور شكور .

أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وأفرح بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها ، وأشكر للقليل من جميع خلقه ؛ فمن تقرب إليه بمثقال ذرة من الخير شكرها وحمدها ، إن ربنا لغفور شكور .

تعرف إلى عباده بأسمائه وأوصافه ، وتحبب [١٥٢/ أ] إليهم بحلمه وآلائه ، ولم تمنعه معاصيهم أن جاد عليهم بآلائه ، ووعد من تاب إليه وأحسن طاعته بمغفرة ذنوبه يوم لقائه ، إن ربنا لغفور شكور .

السعادة كلها في طاعته ، والأرباح كلها في معاملته ، والمحن والبلايا كلها في معصيته ومخالفته ، فليس للعبد أنفع من شكره وتوبته[1] ، إن ربنا لغفور شكور . أفاض

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣١٩٤) مسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :((**لما خلق الله ﷻ الخلق ، كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش . إن رحمتي غلبت غضبي**)).

على خلقه النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضمن الكتاب الذي كتبه : « إِنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ » إن ربنا لغفور شكور . يطاع فيشكر وطاعته من توفيقه وفضله ، ويعصى فيحلم ، ومعصية العبد من ظلمه وجهله ، ويتوب إليه فاعل القبيح فيغفر له ، حتى كأنه لم يكن قط من أهله ، إن ربنا لغفور شكور .

الحسنة عنده بعشر أمثالها أو يضاعفها بلا عدد ولا حسبان ، والسيئة عنده بواحدة ومصيرها إلى العفو والغفران ، وباب التوبة مفتوح لديه منذ خلق السماوات والأرض إلى آخر الزمان ، إن ربنا لغفور شكور .

باب الكريم مناخ الآمال ومحط الأوزار ، وسماء عطاياه لا تقلع عن الغيث بل هي مدرار ، ويمينه ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، إن ربنا لغفور شكور . لا يلقى وصاياه إلا الصابرون ، ولا يفوز بعطاياه إلا الشاكرون ، ولا يهلك عليه إلا الهالكون ، ولا يشقى بعذابه إلا المتمردون ، إن ربنا لغفور شكور .

فإياك أيها المتمرد أن يأخذك على غرة فإنه غيور ، وإذا أقمت على معصيته وهو يمدك بنعمته فاحذره فإنه لم يهملك لكنه صبور ، وبشراك أيها المحسن التائب بمغفرته ورحمته إنه غفور شكور . من علم أن الرب شكور تنوع في معاملته ، ومن عرف أنه واسع المغفرة تعلق بأذيال مغفرته ، ومن علم أن رحمته سبقت غضبه لم ييأس من رحمته ، إن ربنا لغفور شكور .

من تعلق بصفة من صفاته أخذته بيده حتى تدخله عليه ، ومن سار إليه بأسمائه الحسنى وصل إليه ، ومن أحبه أحب أسماءه وصفاته ، وكانت آثر شيء لديه .

حياة القلوب في معرفته ومحبته ، وكمال الجوارح في التقرب إليه بطاعته ، والقيام [١٥٢/ ب] بخدمته ، والألسنة في ذكره والثناء عليه بأوصاف مدحته ، فأهل شكره أهل زيادته ، وأهل ذكره أهل مجالسته ، وأهل طاعته أهل كرامته ، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته ، إن تابوا فهو حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم ، يبتليهم بأنواع المصائب ، ليكفر عنهم الخطايا ويطهرهم من المعائب ، إنه غفور شكور .

والحمد لله رب العالمين ، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، حمدًا يملأ السماوات والأرض وما بينهما ، وما شاء ربنا من شيء بعد [بمجامع حمده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ، على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم ، عدد ما حمد الحامدون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، وعدد ما جرى به قلمه ، وأحصاه كتابه ، وأحاط به علمه](1) .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، ورضي الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

(١) زيادة في المطبوع

فهرس الأحاديث الواردة

فهرس الآثار الواردة

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة